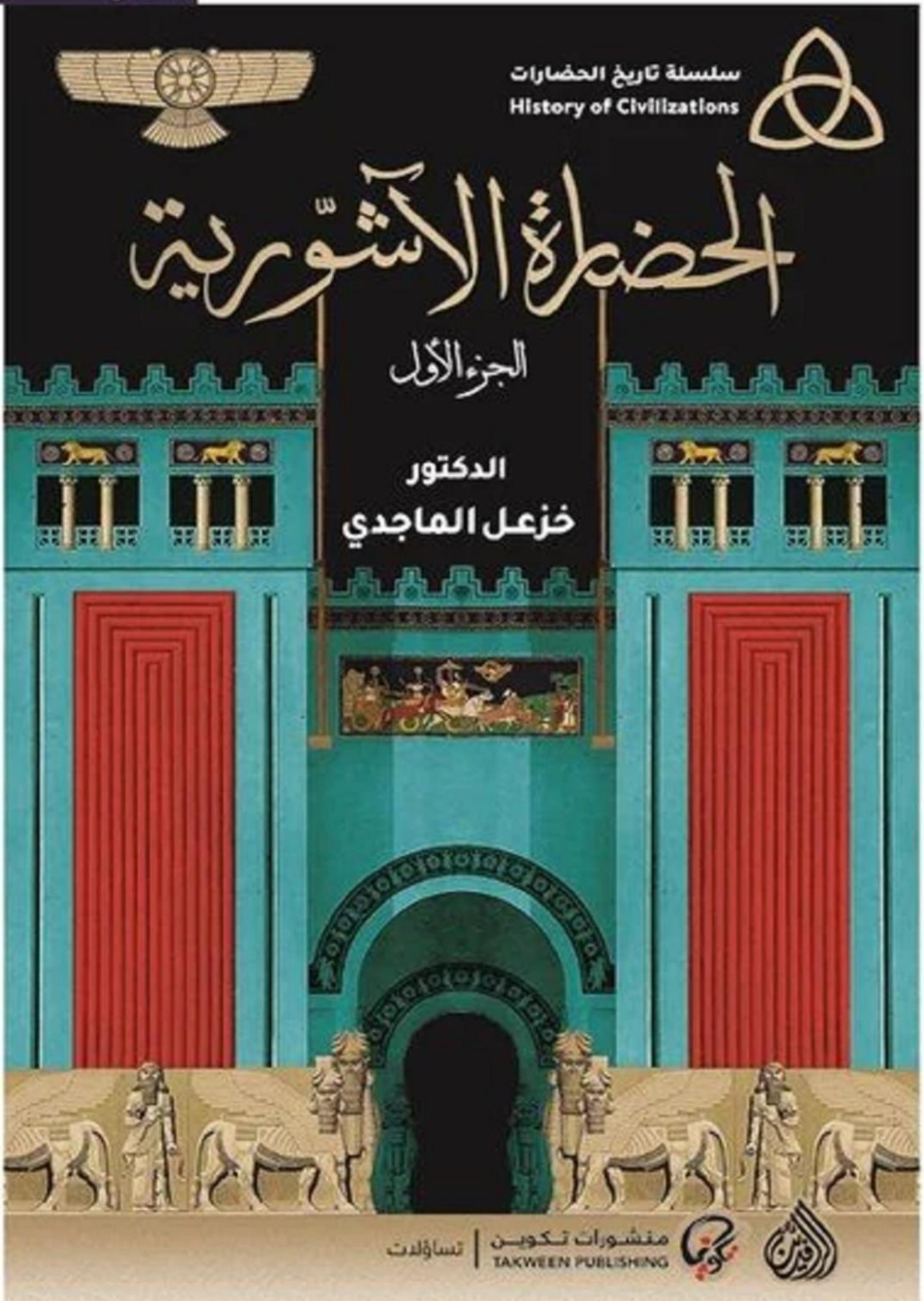
تاريخ


سلسلة تاريخ الحضارات
History of Civilizations
الحضارة الآشورية
الجزء الأول
الدكتور
خزعل الماجدي
منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
تساؤلات

# الحضارة الآشورية

## الجزء الأول




## الدكتور خزعل الماجدي



منشورات تكوين TAKWEEN PUBLISHING | تساؤلات



الحضارة الآشورية

الجزء الأول

**الدكتور خزعل الماجدي**

***Assyrian Civilization***

***By Khazal Al-Majidi***

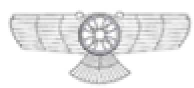
**الطبعة الأولى، يناير ـ كانون الثاني، 2021 (1000نسخة)**

**الطبعة الثانية، أغسطس ـ آب، 2021 (1000نسخة)**





أيقونة سلسلة تأريخ الحضارات
رمز الحضارة



أيقونة الحضارة الآشورية :
قرص آشورالمجنّح



لبنان ـ بيروت / الحمرا
تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+
بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي
تلفون: 07810001005 / 07830070045
daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar alrafidain
@daralrafidain

منشورات تكوين للنشر والتوزيع
الكويت ـ الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 96598810440 +
بغداد ـ شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 9647811005860 +
الموقع الالكتروني:
www.takweeen.com
البريد الالكتروني:
Publishing@takweeen.com

.

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 634 - 63 - 0

# المقدمة

الإهمال الذي طال الحضارة الآشورية لم يكن له نظير، ففضلاً عن كونه لا يتناسب مع حجمها وعظمتها وتأثيرها، فإنه جاء مقصوداً بفعل عوامل تاريخية قديمة وأخرى حديثة سنذكرها هنا.

هذه الحضارة واحدة من أعظم حضارات التاريخ القديم، ونكاد نقول أنها الأعظم حين يكون الحديث عن حضارة إمبراطورية، فهي تختلف عن الحضارات التي نشأت وانتهت في مكانها المحدّد لها، لأن الحضارة الآشورية نشأت في ظل أكثر من إمبراطورية صنعتها هي بنفسها في كل مراحلها التاريخية التي مرت بها وخصوصاً في مرحلتها الحديثة (911 ـ 609 ق.م) والتي استمرت لثلاثة قرونٍ وكانت أعلى قمم حضارات العصر القديم قوة وسبقاً وأكثرها حيوية رغم ما رافقها من قسوة وحروبٍ وتهجيرٍ للشعوب.

نرى أن هذه الحضارة تعرضت لمؤامرة إقليمية بشعة قامت بإسقاطها ثم دفنها وقتل شعبها أو تهجيره وأسره وتشريده وطمر مدنه تحت التراب ونهب منجزاته الحضارية ونسبها للدول والشعوب المتآمرة عليها آنذاك، وقد استثمرت هذه المؤامرة البروباغاندا السلبية الشائعة ضد جبروت وطغيان الإمبراطورية الآشورية والتستّر على جريمة الإبادة والنهب التي مارستها هي ضدها.

وهكذا تغطّت هذه الحضارة بالرمال واستساغ الضمير البشري دفنها ونسيانها، دون حق، وظلّت دعاية العنف والقسوة هي السائدة عنها.

لم يكن الآثاريون، منذ منتصف القرن التاسع عشر، يتوقعون هذا الكم الهائل من الآثار المادية والثقافية المكتوبة والفنية التي أظهرتها حفرياتهم، فكان همّهم الأول تهريبها ونقلها لبلدانهم وظلّت مهمة قراءة وتحليل هذه الحضارة مؤجلة حتى أقدم في القرن العشرين مجموعة من العلماء وقاموا بقراءة بعض تراثها، وكانوا لا يملّون من ذكر جانبها العنيف الذي

كان يغطي، بطبيعة الحال، منجزها الثقافي والحضاري ويخفيه عمداً. ومع بداية القرن الحادي والعشرين بدأت الأصوات الخفيضة، التي تنادي بإنصافها، بالإرتفاع وشهدت منابر البحوث العلمية زيادة واسعة في البحوث والكتب التي كتبت عنها وعن منجزاتها، لكننا مازلنا ننتظر منهم أن يضعوها في مكانتها العالية وأن يفضحوا ويفككوا الدعاية التي رافقت قتلها ودفنها في الماضي والحاضر.

لابد من الأخذ بنظر الإعتبار أول محاولتين جريئتين قام بهما عالمان كبيران، الأول هو جورج سميث الذي هزّ الأوساط العلمية والدينية، ففي الثالث من ديسمبر 1872 م أعلن نجاحه في جمع القطع المتناثرة من ملحمة جلجامش بعضها إلى بعض، مكتوبة في اثنى عشر نشيدًا أو بالأحرى لوحًا، ومحتوية على قصة الطوفان في لوحها الحادي عشر، التي كانت أصل الرواية التوراتية للطوفان.

والثاني هو فريدريك ديللتش الذي ألقى محاضرته حول (توراة بلاد آشور) في 13 ديسمبر 1902 في برلين بحضور القيصر فيلهيلم الثاني ثم طلب منه القيصر إعادتها لاحقاً في القصر الملكي، فألقاها تحت عنوان «بابل والكتاب المقدّس»، وأوضح فيها أن قصص التوراة مأخوذة من بلاد آشور، فضجّ الإعلام الأوروبي، وسبب له التهديد والتوبيخ الشديدين من الكنائس الغربية.

من خلال بحثنا في الديانة الآشورية اكتشفنا أموراً جديدة أكدت قناعاتنا السابقة في أن هذه الديانة لم تكن نسخة آشورية عن الديانة البابلية، بل هي ديانة حملت بذور التوحيد والغنوصية بشكل واضح جداً، فلأول مرة يوضع الإله القوميّ لها أبعد من التفريد وأقل من التوحيد في مكانة بينهما، وهو الإله الشمولي الذي ينأى بنفسه عن بقية الآلهة ويكون هو بمثابة الإله الشامل الأرقى الذي خلق البشر ويطمح أن يجمعهم تحت خيمته السماوية، الديانة الآشورية هي التي اعتنت بالصراع بين عالمي النور والظلام، وتحولت فيها كائنات الملائكة والشياطين الى كائنات فاعلة كادت تشكّل بديلاً عن الآلهة الأخرى، وبذلك تكون الديانة الآشورية قد فرشت الأرضية للديانة الزرادشتية ونشّطت الديانات الغنوصية

ومهدت للتوحيد. وسنكشف المؤثرات الآشورية على الديانة اليهودية وعلاقة الإله آشور بالإله يهوا.

وكان للعناصر الحضارية الأخرى قوتها الناصعة في السياسة والمجتمع والعلوم والفنون والإقتصاد وغيرها، فقد تميزت وجمعت فيها خلاصات وإرث وادي الرافدين وأعادت تركيبها وفق رؤيا ومتطلبات عصرها.

يتكون كتابنا هذا من 17 فصلاً، أولها فصل تمهيدي، وآخرها فصل ختامي، ومابينهما 15 فصلاً تناولت عناصر ومظاهر الحضارة الآشورية، وهي مجمل عناصر ومظاهر أي حضارة أخرى.

**الفصل التمهيدي:** عن آشور وعلم الآشوريولوجي، فهو أقرب الى التعريف بآشور المدينة والدولة والإمبراطورية والحضارة، والفرق بين هذه التسميات، وقد تناولنا مصادر ومراجع دراسة الحضارة الآشورية وتأريخها، وخصوصاً الآثار الآشورية والنصوص المسمارية، ثم أصل الآشوريين وجذور الشعوب التي شكّلت الأمة الآشورية، وتناولنا علم الأشوريات (آشوريولوجي) وعلماء الآشوريات ونبذة عن جهودهم وسيرة البارزين فيهم في العالم وفي العراق.

**الفصل الأول**: تناول أول عنصر من عناصر الحضارة الآشورية وهو جغرافيا آشور القديمة ووصف مدنها الكبرى من جميع النواحي وتتبع الجهود الآثارية في كشفها، ثم تناولنا المناخ والسكان وإثنياتهم، وقد حاولنا جعل هذا الفصل هاديا للقاريء لكي يتلمس أرض ومدن وأنهار وبلاد آشور وخرائطها.

**الفصل الثاني**: قدّم موجزاً عن التاريخ الآشوري منذ عصور ما قبل التاريخ حيث رصدنا فيها مناطق وثقافات وسكان بلاد آشور، ثم بحثنا في العصور التاريخية والتي شملت: المبكر، العتيق، القديم، الوسيط، الحديث. ووضعنا الجداول بكل الأسر والملوك الآشوريين وأهم الأحداث التي حصلت في زمن حكمهم.

**الفصل الثالث:** كان مخصصاً للمظهر السياسي حيث ناقشنا نظام الحكم وطبقات الهرم السياسي وجميع مكوناته، ثم ناقشنا أنظمة الحكم الآشورية من دولة المدينة إلى الدولة الموحّدة إلى الإمبراطورية. والسياسيات والعلاقات الخارجية من مواثيق ومعاهدات ودبلوماسيين، وناقشنا نظامي المعلومات والإتصالات وتوقفنا طويلاً عند النظام الآشوري المبتكر في طريق البريد الرسمي الملكي، والذي يعدّ اختراعاً آشوريا ظل صداه يتردد بعده حتى وقت قريب في زمننا هذا.

**الفصل الرابع:** كان من حصة النظام القانوني في بلاد آشور وقمنا بترجمة اللوح الأول الكبير من القوانين الآشورية، وتحدثنا عن وضع المرأة قانونياً وظواهر قانونية كالشهادة والقذف والعنف وأحكام الموت والدين السياسي، ثم توقفنا عند النظام الإداري الآشوري وبعض تفاصيله.

**الفصل الخامس**: كرسناه للمظهر العسكري المتميز للدولة والإمبراطورية الآشورية، هذا الجيش الذي ظهر كأقوى جيوش العالم القديم والذي كانت تخافه الدول والشعوب كلها وتتحطم على دروعه التحالفات المضادة كلّها، تحرينا عن مراتب الجيش الآشوري وأصنافه وأسلحته، وعقيدة العسكرتاريا الآشورية، والحروب المباشرة والنفسية له.

**الفصل السادس**: يناقش الحياة المدنية والمجتمع المدني وتكوينه ومظاهره وأسباب تدهوره، ومثلما توقفنا عند نظام الحرب في الفصل السابق ناقشنا نظام السلام ومظاهره في التربية والتعليم والتكوين العرقي وأثره في هذا النظام.

**الفصل السابع:** المظهر الاقتصادي وصفاته العامة وهرم التكوين الاقتصادي، وناقشنا مظاهر الاقتصاد في الزراعة وتربية الحيوانات والري والصناعات والمهن والحرف والتجارة، ثم توقفنا عند الظواهر الاقتصادية المهمة كالمقايضة والعملة والأسعار والأجور والقروض والضرائب.

**الفصل الثامن:** يبحث في الجوانب اللغوية والأدبية والفكرية للآشوريين، حيث ناقشنا اللغة الآشورية, والكتابة المسمارية، ثم الأدب الآشوري الملحمي والقصصي والغنائي والأدب الأخلاقي في الأمثال والوصايا والرسائل، وتوقفنا عند المكونات التي تؤلف النظرة الفلسفية للآشوريين.

**الفصل التاسع**: المظهر الاجتماعي وميزات المجتمع الآشوري وتكوينه النفسي الجماعي وطبقاته وجدلها، ثم تناولنا مجموعة من المظاهر الاجتماعية كالبيت والزواج والمرأة والطفل واللهو والألعاب الرياضية، والخمور والحب والجنس والمطبخ والحدائق، والحياة اليومية للآشوريين.

**الفصل العاشر**: ناقش المظهر السايكولوجي للفرد والمجتمع وعلاقته بالمناخ والجغرافيا عموماً بها وبالنزعة العسكرية، والآثار السايكولوجية لسياسة التهجير وإعادة التوطين.

**الفصل الحادي عشر**: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل، ومدى استثمار الآشوريين لمواردهم المادية في بلادهم والتقنيات التي عالجت هذه الموارد وطوّعتها لهم في مختلف الجوانب، وتناولنا طاقات الطبيعة والإنسان، والصادرات والواردات الآشورية التي تعكس وفرة وجدب موادهم وتقنياتهم.

**الفصل الثاني عشر**: المظهر الديني الذي يشكّل الأساس في طاقتهم الروحية، حيث ناقشنا الدين الآشوري في مكوناته الرئيسية، من المعتقدات والأساطير والرموز، ووضعنا شجرة للآلهة الآشورية وتراتب أجيالها، وركزنا على الكائنات الإلهية مثل الملائكة (الأبكالو والجن) والشياطين والتي تحتل أهمية استثنائية في صراع علمي النور والظلام، ثم ناقشنا الطقوس والآخرويات. وتناولنا المكونات الثانوية للدين الآشوري حيثما توفرت، وتوقفنا بالتفصيل عند الباطنيات الآشورية.

**الفصل الثالث عشر:** علوم الآشوريين كالرياضيات والمترولوجي والهندسة المعمارية وعلم الفلك والطب والكيمياء، ثم العلوم الإنسانية الآشورية كالتاريخ والجغرافيا والتخطيط

الحضري والتربية والتعليم والمكتبات.

**الفصل الرابع عشر**: فنون الآشوريين، وكل جوانب الفنون التشكيلية كالعمارة والنحت والرسم والفنون الصغرى، وتناولنا فنون الزخرفة وتصاميم الديكورات، وفن الثياب والأزياء والمكياج والحليّ، وفنون الرقص والموسيقى والدراما الدينية.

**الفصل الخامس عشر**: ناقشنا الأخلاق الآشورية ودورها في توازن واختلال الحضارة الآشورية، وتأثر الأخلاق بالعوامل البيئية والاجتماعية والدينية.

**الفصل الأخير الختامي**: قمنا فيه بمعايرة وتقييم الحضارة الآشورية على ضوء ما قدمناه من عناصرها في الفصول السابقة، فوضعنا تفصيلاً لكيفية قيام هذه الحضارة عبر نمو عناصرها، ثم ناقشنا سقوطها وأسباب هذا السقوط عبر الخلل الذي أصاب مكوناتها واختلال الأخلاق في هذه المظاهر، وأخيراً تحرينا عن المنجزات المتفردة وغير المسبوقة للحضارة الآشورية والتي بقيت كعلامات فارقة لها.

وبذلك نكون قد غطينا جميع الجوانب الحضارية ومظاهرها وحركتها ونموها وتدهورها.

وإذا كان هاري ساغز قد كتب كتابه المهم (عظمة آشور، أو قوة آشور)، فقد اهتم العالم النرويجي الفذ (سيمو باربولا) بعناية خاصة وراقية بالحضارة الآشورية وتأريخها وعنايته بتاريخ الآشوريين بعد سقوط آشور وتأكيده بأن الكنيسة المسيحية بُنيت على أسس وضعتها آشور.فقد أفادتنا طروحاته الذكية والعميقة وحاورناها.

لابد من الإشادة بالجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة الموصل بعلمائها وأساتذتها والمتخرجين من دراساتها العليا في فرعي التأريخ القديم والآثار القديمة، والذين قدموا أفضل البحوث والرسائل والأطاريح عن مختلف تفاصيل ومظاهر التأريخ والحضارة الآشورية والتي كانت مصدراً رئيساً من مراجعنا في هذا الكتاب فلهم كل الشكر والعرفان.

كذلك لابد من الإشادة بأعمال وكتب وبحوث الباحثين الأكاديميين في الجامعات العالمية والعربية والعراقية الذين تناولوا البحث في تاريخ وحضارة آشور.

نتمنى أن نكون قد قدمنا الحضارة الآشورية بشكلها الحقيقيّ دون مبالغة أو تقليل من منجزاتها، وقد نقدنا جوانبها السلبية، مثلما أوضحنا جوانبها الإيجابية، ونعتذر عن ما فاتنا منها.

الدكتور خزعل الماجدي

a_khazal@hotmail.com

باحث في علوم وتاريخ الحضارات والأديان والأساطير

المملكة الهولندية

12/ 8/ 2020

# الفصل التمهيدي: آشور وعلم الآشورلوجي




**embroidery on ashur-nasir-apals drees tree of live**

# المبحث الأول: ماهي آشور (المدينة، الدولة، الإمبراطورية، الحضارة)؟

أولاً: مدينة آشور ومكوّناتها

مدينة آشور Ashur City

آشور مدينة تحولت، في عصر دويلات المدن، إلى دولة مدينة صغيرة، وكان الآشوريون قد صنعوا نواة لحدودهم القديمة مكونةً من ثلاث مدن هي (آشور، أرابخا، أربائيلو) وهي الآن

موجودة في مدن (قلعة شرقاط، كركوك، أربيل) على التوالي، وهي مدن في شمال العراق، وسرعان ما تكونت، من هذه المدن الثلاث، المملكة الآشورية القديمة التي أصبحت مدينة آشور عاصمة لها. الإسم القديم لآشور هو (بال تِل) ومكانها الحالي ما يعرف بـ(قلعة شرقاط)، كانت تقع علي بعد 60 ميلاً جنوب مدينة الموصل الحالية الواقعة على ضفاف نهر دجلة. كانت عاصمة الدولة الآشورية القديمة ثم الدولة الآشورية الوسيطة، ولفترة طويلة من الزمن، ثم الإمبراطورية الآشورية الجديدة. إلا أن الملك آشور ناصربال الثاني (883-859 ق.م.) قام بنقل العاصمة شمالاً إلى مدينة كالح (نمرود حاليا)، أي أنها بقيت عاصمة للآشوريين طيلة ما يقرب من 1200 عاماً، واستمرت كعاصمة دينية لهم بسبب من كونها مدينة الإله آشور. تقع بقايا آشور على الضفة الغربية لنهر دجلة، شمال التقاء مع رافده، الزاب الصغير وتحديداً في حي الشرقاط بمحافظة صلاح الدين.

استمر السكن في المدينة لمدة 4000 سنة تقريبًا، من 2600 ق.م. حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، عندما قتلت قوات تيمورلنك سكانها. وكانت المدينة الآشورية قد سقطت عام 612 ق.م في هجمات البابليين والميديين عليها. ودمرت مدنها التابعة لها.

كانت مدينة آشور قد اقتبست اسمها من إسم الإله آشور، أو بالعكس، الذي أصبح بمثابة المعادل الآشوري لإنليل، الإله القومي للسومريين والرئيسي لمدينة نيبور، ثم حلّ مكانه الإله البابلي (مردوخ) في العصر البابلي، وظهر الإله آشور نظيراً لإنليل ومردوخ في شمال وادي الرافدين في مدينة آشور منذ حوالي 1500 ق.م وتعالى أكثر منهما واستمر لغاية سقوط آشور في القرن السابع قبل الميلاد.

يُنظر لمدينة آشور، من الناحية المعمارية، على أنها نسخة شمالية متأخرة من المدن الرافدينية الجنوبية، لكن خصوصيتها واضحة للعيان أيضاً، وقد اكتسبت هذه الخصوصية من طراز بناء محتوياتها من المعابد والقصور القديمة ومن تفرّدها بالتطابق بينها وبين إلهها وإله كلّ الآشوريين وهو الإله آشور. فهو الإله الرئيسي للمدينة، وهو يشارك اسمه مع اسم المدينة، وهناك الكثير من الآثار التي تشير إلى أن إسمي الإله والمدينة لا ينفصلان عن

بعضهما وأحدهما يسبق الآخر في أصل التسمية. كان الإله آشور متفرداً، بين كلّ آلهة وادي الرافدين، في خصوصيته التي تقترب من صفات الآلهة التي ظهرت في الأديان السماوية الشمولية لاحقاً، فهو بلا عائلة ولا أبناء ولا زوجةٍ. كانت عشتار هي إلهة مدينة آشور والمعروفة باسم (عشتار آشوريتوم، أي عشتار آشور)، وآشوريتوم هو المكان أي مدينة آشور وليس الإله. مثلما كانت عشتار في أربيل اسمها عشتار أربيلا، وفي نينوى اسمها عشتار نينوى.

لكننا نميل إلى اعتبار آشور هو المقابل الذكري لإسم عشتار (إشتار)، وسبق أن فسّرنا اسم عشتار بأنه نار أو كوكب السماء المرافق أو القريب من الأرض وهو كوكب الزُهرة، ولذلك نرجّح أن يكون آشور هو النظير الذكري لكوكب الزُهرة، وبسبب قوته ومركزيته اكتسب صفات شمسية واضحة وقوية وأصبح يمثل قرص الشمس المجنّح والذي يتوسطه الإله وهو يرمي سهمه من قوسه الناري.

«تعد مدينة آشور من أقدم المدن الآشورية المعروفة وأولى عواصمهم الإدارية، فضلاً عن كونها عاصمتهم الدينية المقدسة، ولا يخلو عهد أي ملك من الملوك الآشوريين البارزين من نشاط عمراني، إذ كانت تقام فيها احتفالات رأس السنة ومراسيم تتويج الملوك. ورد اسم مدينة آشور في كتابات العصر الآشوري القديم بصيغة (a-sur, a-su-ur)، كما ورد اسمها في عهد الملك الآشوري آشور ـ اوبلط 1365 ـ 1330 ق.م. بصيغة (as - sur) وقد أشارت إليها المصادر العربية الإسلامية بصيغة آشور أو أفور، كما عرفت مدينة آشور باسم (بال ـ تيل Bal - til).» (العبادي 2006: 89).

هناك من يرى أصل تسمية آشور يعود لكلمة (أشارو) التي تعني، في اللُّغة الآشوريّة القديمة، البداية، وأن اسم (أشارو) هو اسم إلههم؛ دلالة على أنَّه هو بداية كلِّ شيء، وقد يشير هذا الى أنهم اعترفوا بوجود الإله غير المنظور، وربما يعزز هذا الرأي أن اسم آشور الأقدم والأول هو (بالتيل) الذي يمكن أن ينقسم الى جزئين (بعل ـ إيل)، أي الإله الأول. وفي المدينة المعبد الرئيسي للإله آشور، ورغم تغير عواصم الدولة الآشورية لكن آشور

بقيت العاصمة الدينية للآشوريين بسبب معبد الإله آشور والإحتفالات السنوية للأكيتو (عيد رأس السنة) ومايعرف ب (بيت أكيتو).

يمكننا ترجمة اسمها a-su-ur بالشكل الآتي (ماء - شمال – مدينة) ، فيكون معناها (مدينة شمال الماء) أو (مدينة الماء الشمالية) ، ويتناسب هذا مع فهمنا لموقعها على نهر دجلة.

الرحَّالة الأجانب هم أول من اكتشف المدينة، تحت التراب، في عام 1847م، وعثروا فيها على أوَّل تمثال للملك الآشوريّ (شلمنصر الثالث)، وكشفوا في عام 1849م عن منشور من الطين وُضِعت فيه كتابات تاريخيّة تعود إلى الملك (أدد نيراري الأوَّل) 1305-1274ق.م.

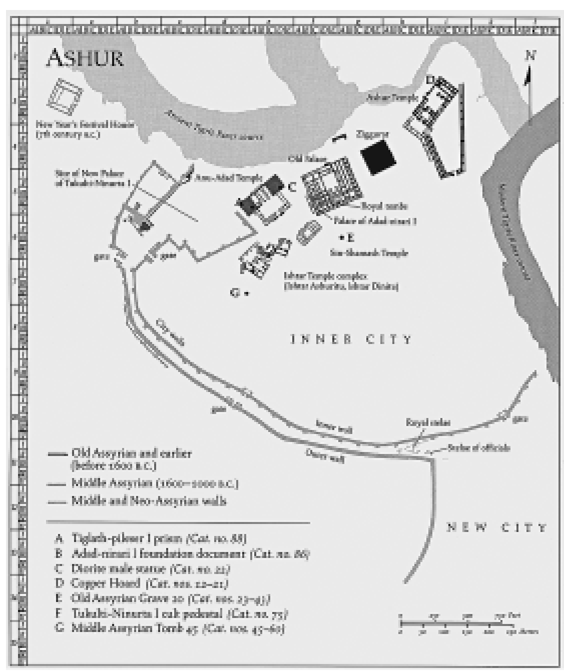
أما المعالم الحيوية في مدينة آشور فيمكن إيجازها كما يلي:

**1.السوران الداخلي والخارجي (دورو وشالخو):** تعكس حقيقة وجود سورين، داخلي وخارجي، لمدينة آشور حذر وخوف الآشوريين من احتمالات الغزو الخارجي، وهناك مايشير إلى أن ذلك قد حصل في أزمانٍ قديمة «كانت آشور محاطة بسور داخلي قوي اسمه (دورو) شيده الملك كيكيا وجدده إيلو شوما يحاذي نهر دجلة من الشمال والشرق ويستدير ليلتقي بقسمه المحاذي لدجلة ويضم المنطقة المسماة مركز المدينة (لبي إلي) وحوى أبراجاً عدة أشبه بقلاع. ثم السور الخارجي (شالخو) الذي يمتد من زاوية المدينة الشمالية الغربية بموازاة السور الداخلي ثم ينحرف عنه جنوباً وينعطف مرة أخرى باتجاه النهر شمالاً منذ زمن الملك يوزوا اشور الرابع (1530 ـ 1511 ق.م.) المنطقة المسماة المدينة الجديدة (الواشو)، وقد شيد الملك شلمنصر الثالث سوراً ثانياً في المنطقة الغربية على أرض مرتفعة فصار السور الغربي لآشور بذلك مزدوجاً (داخلي وخارجي) وكان سمك السور سبعة أمتار يحوي على أبراج يبعد كل منها على الآخر ثلاثين متراً ويبرز عن السور أربعة أمتار.» (الأحمد 1988: 158).

**2.البوابات الخارجية:** «كانت لاشور أبواب عدة يذكر دليل الآلهة من القرن السابع ق.م. كونها ثلاثة عشر ولكن الأبواب المعروفة هي باب تيبيرا (بوابة الصناعات) المشيدة على

مصطبة من اللبن فوق كتف طبيعي من الحصى الصغير وتطل على الوادي المحاذي للسور الغربي. وهي ذات ثلاثة مداخل وتتألف من وحدتين منفصلتين ومرتبطة بأحد أقسام السور المزدوج الغربي. وكان في جزئها المرتبط بالسور الخارجي مدخل عرضه أربعة أمتار يسير عبر قاعة مستطيلة الشكل. ويتم الدخول للبوابة من منحدر صخري على جانبيه خندق وتركت أمام البوابة صخرة مربعة منحدرة لحصر الأعداء.» (الأحمد 1988: 159).

**3.القصور: قصر توكلتي ننورتا الأول:** يمثل طرازه نموذجاً مبكراً للقصور الآشورية بخصوصيتها المعمارية «فهذا القصر يضم غرفة مستطيلة ذات رواق ذي أعمدة أمام واحد من جانبيها الطويلين، وفي الداخل موقد ـ وفي بعض الحالات ـ منصة بامتداد الجدار القصير. وفي بعض الأحيان يرتفع سلّم لا يتصل من الجوانب بشيء إلى الرواق ذي الأعمدة.» (مورتكَات1975: 318).




**مخطط مدينة آشور**

**Site plan of Aššur (Harper et al. 1995: fig. 2; The Metropolitan Museum of Art).**

**4. المعابد:** هناك مجموعة مهمة وعريقة من المعابد القديمة في آشور والتي تمثل البداية الخاصة للعمارة الدينية الآشورية، منها معبد آنو وأدد والمعبد المركب لعشتار (عشتار آشوريتو وعشتار دنيتو) وبيت أكيتو الهاذ باحتفالات رأس السنة، وأهمها، تاريخياً، هو معبد سين وشمش.

**معبد سين وشمش:** ربما كان من إنجازات الملك (آشور نيراري الأول ـ حوالي 1516 ـ 1491 ق.م)، أي بعد وفاة حمورابي وبدء انفصال آشور عن بابل ودخولها تحت السيادة الحورية الميتانية، ويمثل المعبد نمطاً آشورياً خالصاً تبدأ به العمارة الآشورية طريقها المتميز.

**معبد عشتار:** بنى الملك الآشوري إيلوشوما المعبد الآشوري القديم لعشتار على قمة سلسلة من المباني، وتم استبداله بمعبد أكبر بكثير، كان أكبر معبد عشتار تم بناؤه على الإطلاق في آشور، وكان له عمر طويل جدًا، استمر حتى العصر الآشوري الأوسط. يبدو أن المعبد نفسه يتألف من غرفة واحدة كبيرة جدًا، 34 × 8 أمتار.

ثانياً: الدولة الآشورية

كانت بلاد آشور أو أرض آشور تسمى (مات آشور كي) وترجمتها (بلاد أرض آشور)، وكان المقصود بها مدينة آشور وما يحيط بها من أرض ومدن يسكن فيها الآشوريون. وقد تكونت الدولة الآشورية القديمة في حدود 2000 ق.م، لكنها لم تصبح مستقلة لغاية 1400 ق. م وهي منطقة الاراضي الكائنة على نهر دجلة شمال مجرى النهر خلال المنطقة الجبلية وجبل حمرين الى نقطة شمالي نينوى، اضافة الى المساحة الكائنة بين الزابين الأسفل والاعلى (وهما رافدان لدجلة في الشمال) وإلى الشمال من الزاب الأعلى.

**حدود الدولة الآشورية:** الشمال دولة أراراتو، الشرق والجنوب نوزي القديمة (آرابخا)، الغرب نهر دجلة والأرض التي تقع غربه لمسافة محدودة.

المدن الرئيسة للدولة الآشورية، اوائل الالفية الثانية، هي العاصمة آشور، نينوى وتقع مقابل الموصل الحديثة؛ وأوربيلوم والتي سميت فيما بعد أربيلا (اربيل الحالية).

الأرض الآشورية غنية بالخيرات وخصبة زراعياً، وتضم سهلين خصبين كبيرين هما: سهل أربيل وسهل نينوى، ومنذ القدم والى الآن تتميز هذه المناطق بإنتاج المحاصيل. وقد حفّز كل هذا آشور لتتميز وتستوعب الزراعيين والحرفيين والمهنيين وهو ما جعلها تنمو وتتطور بسرعة كبيرة كدولة غنية وقوية.

**التأريخ الآشوري:** الجذور الأولى للآشوريين تعود لعصور ماقبل التأريخ، فقد سكن بلاد آشور ما نسميه بالساريين (الساميين) منذ عصر ثقافة حلف وآثار الأربجية والتي تدلل على هذا بشكل واضح وصريح. كان سكان جنوب بلاد مابين النهرين يسمون الدولة الاشورية ب» شوبر» بالسومرية وبالاكدية» سوبارتو»، وهم من الشعوب السارية التي عبدت الشمس، ويشير هذان الإسمان الى الشعب السوبري المرتبط بالحوريين أيضاً. عُرفت منطقة كركوك ب«جاسور» والتي عرفت فيما بعد ب «نوزي» وكانت تتبع منطقة اللغة الاكدية في حوالي سنة 2200 ولكنها خسرتها لصالح الحوريين في الربع الاول من الالفية الثانية. ظهرت اللهجة الآشورية من اللغة الأكدية والتي تختلف، نسبياً، عن لهجة بابل. وقد استمر هذان النوعان من اللغة الاكدية في الألف الأول قبل الميلاد..

ينقسم تاريخ الدولة الآشورية إلى أربعة مراحل (المبكر، القديم، الوسيط، الحديث) وهي كما يلي:

**أولاً: العصر الآشوري المبكر** (عصر تكوين مدينة آشور) (2450 ـ 2025) ق.م، استغرق (425 عاماً) وحكم فيه (30 ملكاً).

ثانياً: العصر الآشوري القديم (عصر تكوين الدولة الآشورية والإمبراطورية الصغيرة) (2025 ـ 1380) ق.م، استغرق (645 عاماً)، وحكم فيه (51 ملكاً).

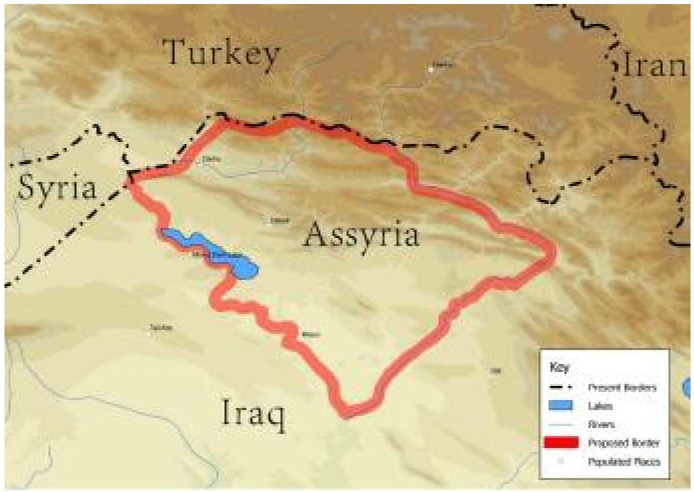
**ثالثاً: العصر الآشوري الوسيط** (عصر تكوين الإمبراطورية المتوسطة) (1380 ـ 912) ق.م، إستغرق (468 عاماً)، وحكم فيه (26 ملكاً).

**رابعاً: العصر الآشوري الحديث** (عصر تكوين الإمبراطورية الكبيرة) (912 ـ 609) ق.م واستغرق (203 عاماً)، وحكم فيه (18 ملكاً).

أصبحت الدولة الآشورية تحت نفوذ الدولة السومرية الحديثة وكانت منطقتها تسمى (سوبر بالسومرية، سوبارتو بالأكدية)، وقد ورد تدمير بعض مدنها مثل أربيلوم من قبل شولجي وأمارسين، ودخل لها استخدام الكتابة الأكدية واستخدمتها في التدوين. بدأت المصادر المكتوبة في الدولة الاشورية بالظهور قبيل مرحلة دولة أور الثالثة.

كان حكام آشور يسمون أنفسهم «اسياكوم»، ولم يستعملوا كلمة لوگال التي كانت مستخدمة في سومر وأكد، ويمكن أن تكون مرتبة اكدية توازي إنسي عند السومريين، وجزئيا «روباؤم» او العظيم.

ويمكننا ضبط توقيت احكام آشور، مع ملوك جنوب وادي الرافدين، قبل شمسي أدد الاول (1813 ـ 1781 ق م).وكانت طريقة تدوينهم مختلفة عن شعوب جنوب وادي الرافدين. وبقيت الدولة الآشورية بين مدٍّ وجزرٍ مع نفوذ دول جنوب وادي الرافدين طيلة تاريخيها الوسيط حتى عام 911 ق.م حين ظهرت الإمبراطورية الآشورية التي هيمنت كليّاً على وادي الرافدين.




## الدولة الآشورية القديمة

### ثالثاً: الإمبراطورية الآشورية

نرى أن كلًّ عصر من عصور الآشوريين شهدَ ظهور إمبراطورية آشورية، وقد تفاوتت قوة وسعة كلّ إمبراطورية خلال تلك العصور، بل نرى، من أجل الدقة والموضوعية العلمية، ظهورخمس إمبراطوريات آشورية يمكننا تحديدها كما يلي:

1. **الإمبراطورية الآشورية القديمة** (1814 ـ 1761 ق.م): وهي الإمبراطورية التي ظهرت في العصر الآشوري القديم، وقادتها أسرة شمشي ـ أدد، واستغرقت 53 عاماً. وهي امبراطورية صغيرة شملت ماري وأشنونا. وحكم فيه 10 ملوك.

2. **الإمبراطورية الآشورية الوسيطة** (1305 ـ 1077 ق.م): وهي الإمبراطورية التي ظهرت في العصر الآشوري الوسيط، واستغرقت 228 عاماً. وهي امبراطورية متوسطة السعة، وحكم فيها 16 ملكاً.

3. **الإمبراطورية الآشورية الحديثة الأولى** (911 ـ 744 ق.م): وهي الإمبراطورية التي ظهرت في بداية العصر الآشوري الحديث، واستغرقت 167 عاماً. وهي امبراطورية

واسعة، وحكم فيها 8 ملوك.

**4. الإمبراطورية الآشورية الحديثة الثانية** (744 ـ 721 ق.م): وهي الإمبراطورية التي ظهرت في منتصف العصر الآشوري الحديث قبيل ظهور الأسرة السرجونية، واستغرقت 23 عاماً. وهي امبراطورية واسعة، وحكم فيها ملكان.

**5. الإمبراطورية الآشورية الحديثة الثالثة** (721 ـ 609 ق.م): وهي الإمبراطورية التي ظهرت في نهاية العصر الآشوري الحديث، واستغرقت 112 عاماً. وهي امبراطورية واسعة، وحكم فيها 8 ملوك (أربعة منهم أقوياء، والأربعة المتأخرون ضعفاء).

تحولت الدولة الآشورية إلى امبراطورية بعد أن سيطرت على هجمات الآراميين، وحجّمت وضع بابل ونفوذها، وتفرغت لبناء دولة قوية، وسرعان ما دخلت في العصر الآشوري الحديث وكوّنت إمبراطورية كبيرة، ورغم أن آشور سيطرت على الشرق الأدنى بأكمله في هذه المرحلة، لكن توسعها المفرط هذا هو الذي أدى بها إلى النهاية السريعة وهي في عزّ مجدها، وسنناقش بالتفصيل هذا الموضوع في الفصول القادمة.

رابعاً: الحضارة الآشورية

كثر الجدل حول اعتبار الآشوريين قد أنتجوا حضارة خاصة متفرّدة، أم أنهم أنتجوا مع البابليين حضارة واحدة بوجهين يكمّل أحدهما الآخر؟ أم أنهم كوّنوا مع بقية شعوب الرافدين حضارة واحدة تسمى حضارة الرافدين أو حضارة ما بين النهرين.

والحقيقة أننا نميل لوجود حضارة آشورية مميزة وخاصة ولها ملامح مختلفة عن حضارات وادي الرافدين التي نرى أنها أربع حضارات لكل منها معالم خاصة وهي الحضارات (السومرية، الأكدية، البابلية، الآشورية) والحضارة الخامسة هي الحضارة (الحورية الميتانية) المشتركة (المبكرة في التاريخ القديم) مع بلاد الشام وسنفرد لها كتاباً

خاصاً، أما الحضارة السادسة فهي الحضارة الآرامية (المتأخرة في التاريخ القديم) المشتركة مع بلاد الشام ولها خصوصيتها التي سنتحدث عنها في كتاب مستقل أيضاً.

إن وجود شعوب الحضارات التي ذكرناها في مكان واحد هو وادي الرافدين لا يعني أنها مراحل تاريخية تلت بعضها، فهذا يحصل مع تاريخ حضارة متجانسة واحدة (كالحضارة المصرية) لكن ظهور ألوانٍ مختلفة من النتاج الحضاري المتنوع واللغات واللهجات المختلفة التي تكلمتها وكتبت بها يجعلنا نفرز هذه الحضارات عن بعضها ونتأمل في طبيعتها وألوانها الخاصة. وهذا ما ينطبق على الحضارة الآشورية التي جمعت في مصهرها تراث شمال وادي الرافدين بمختلف مراحله وشعوبه وإثنياته وهي تتفاعل وتنتج ذلك اللون والطراز الحضاري الخاص بها.

الزمن يمضي باتجاه التركيز على الحضارة الآشورية باعتبارها حضارة مميزة، وهناك، اليوم، حملة ثقافية عالمية للتعريف بما تتميز به (الحضارة الأشورية)، في كبرى عواصم دول العالم كـ (فرنسا وألمانيا وأمريكا وبريطانيا)، والتأكيد على التأثير الكبير لهذه الحضارة على الحضارة الغربية من خلال الحضارتين الإغريقية والرومانية اللتين استلهمتا الكثير منها.

«ويرى الباحث كريسون (1986) وغيره من الباحثين المحدثين أن قمة الإبتكارات والمنجزات للعناصر الحضارية العراقية القديمة قد تركزت في المدن الكبرى وبخاصة أريدو وأور والوركاء وبابل نفسها وكيش وسبار وآشور وكالح ونينوى وغيرها. وحاول هذا الباحث عبر مقاله الموسوم «نينوى عاصمة العالم: روما على دجلة» المقارنة بين المكانة الإجتماعية الإقتصادية لمدينة نينوى والحالة الإجتماعية والإقتصادية لروما واعتبار كلا المدينتين قبلة العالم ولكن في أزمان مختلفة وسبقه بذلك كثيرون ممن اعتبروا بابل قبلة العالم ومركزه للإشعاع الحضاري والفكري. ووصولاً إلى عقد البعض من الباحثين أوجه المقارنة ما بين المدن العراقية القديمة وازدهارها الاقتصادي وبين المدن العربية الإسلامية الأولى التي شُيدت بالعراق.» (الراوي 1988: 251).

تمتلك الحضارة الآشورية كلّ عناصر ومكونات الحضارة التي نعرفها، في جوانبها المادية والثقافية والأخلاقية، وتراثها يحفل بآثار لا نظير لها في هذه المجالات وبنصوصٍ شاهدة على إرثها الواسع فيها. وللدين الآشوري أثر واضح ونوعي على الديانتين الزرادشتية والعبرية ثم اليهودية وهو ما سنناقشه لاحقاً.

# المبحث الثاني: مصادر ومراجع دراسة الحضارة الآشورية وتأريخها

أولاً: الآثار الآشورية

تنتشر الآثار الآشورية في ثلاث قارات (الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا)، في متاحفها بشكل خاص، الآثار والرقم الطينية المسمارية للآشوريين القدماء، والتي تتضمن قوائمهم التاريخية، والقوانين، ونصوص الصلوات، والأمثال، والسجلات المدنية، والحملات العسكرية، وأرشيفات المملكة، والرسائل الدبلوماسية، والأدوات التعليمية، والقواميس، كتب الترانيم والمعاملات المالية والعقود والخرائط والنصوص المتعلقة بالتنجيم والفلك والرياضيات والصيغ السحرية والأساطير الدينية وغيرها، فقد اكتشف ما يقرب من 300 ألف من ألواح الطين الآشورية وتم فك شفرة خمسها، ومازال التراث الآشوري ينتظر المزيد من العمل لكشف كنوزه ومضامينه.

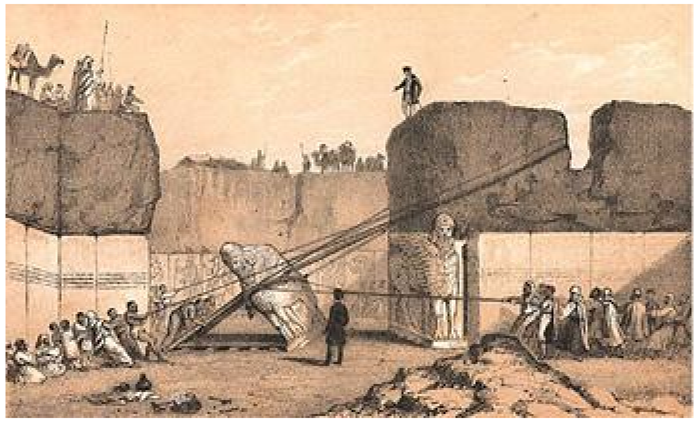
سنتحدث عن محاولات الرحالة ثم علماء الآثار في كشف الآثار الآشورية، وكان عالم الآثار الكبير أوستن هنري لايارد، بمساعدة هرمز رسّام، قد شرع بحفرياته العلمية الرصينة وعثر على الخطوط العريضة لقصر ملكي. بعد ذلك بإسبوع، كان يكتشف الألواح الضخمة من المرمر التي كانت تصطف على جدرانه، ولوحات تصور قوة الملك الآشوري والخضوع لأعدائه. في غضون ثلاث أو أربع سنوات، اكتشف ليارد حضارة آشور القديمة وملأ المتحف البريطاني بالآثار والمنحوتات والكتابة من مكان ولادة ونهاية الحضارة الآشورية. ونشر

نتائج حفرياته عام 1849، وأصبحت روايته للتنقيب، نينوى وبقاياها، من أكثر الكتب مبيعاً.

كان لهرمز رسام الدور الكبير في عمليات التنقيب، فهو المحرك العملي للإكتشافات، فقد كان يعرف كيف يتعامل مع القرويين في شمال العراق، ويتحدث العربية والتركية، والسريانية الآرامية، لغة المسيحيين الأشوريين، كان رسام يتعامل بسلاسة مع أهل المدن التي وجدت بقربها الآثار، ولذلك فهو يعرف كيف يوظف 300 عامل لسحب تمثال ضخم لثور مجنح إلى دجلة ويجعله يطفو على طوف من ألواح خشبية وقرب ضخمة من جلد الماعز. ولم يتمكن رسام ولايارد من شحن كل شيء إلى المتحف البريطاني. من بين المواقع التي تم التنقيب عنها كانت بوابة نرجال في الجدار الشمالي لنينوى التي كانت محاطة بزوج من الثيران المهيبة المزينة برأس إنسان (لاماسو)، ويبلغ طولها أربعة عشر قدمًا وما زالت ممتلئة من خلال تصدع وإصابة بالنيران. وتم تعيينها في أبواب المدن الآشورية لترهيب الأعداء ودرء الأرواح الشيطانية.



**تنقيبات مدينة نينوى في القرن التاسع عشر**



**رسم لفنان حفريات بإشراف حفار نينوى أوستن هنري لايارد لإقتلاع ثور مجنح من أجل شحنه للندن بمساعدة هرمز رسّام**



**وصول الأسد الأشوري الضخم على سلالم المتحف البريطاني.**

**(صحيفة أخبار لندن المصورة 1852)**

كان علم الآثار حاسماً في كشف كل هذه الكنوز وكان البريطانيون يتنافسون مع الفرنسيين على آثار العالم القديم وخصوصاً آثار آشور. الفرنسيون ركزوا تنقيباتهم في قرية خورسآباد المجاورة، والتي كانت تضم أعظم الآثار في العاصمة الجديدة لسرجون الآشوري التي تمّ اكتشافها وشحنها إلى متحف اللوفر في باريس.

قام هرمز رسام بحفر واسعٍ في الزاوية الشمالية للتلة في نينوى. وفي ديسمبر 1853، بعد حوالي أسبوع من التنقيب، انهار ساتر ترابي ضخم، فظهرت هناك ألواح حجرية وطينية في قصر الملك الآشوري آشوربانيبال، وكان الإكتشاف العظيم لمكتبة آشوربانيبال التي ضمت 30 ألف لوح طيني مكتوب احتوت على أغلب تراث وادي الرافدين منذ سومر حتى اقتراب سقوط آشور، وكان هذا قمة الكنوز.

**ثانياً: النصوص المسمارية**

1.الحوليات الآشورية:

قائمة الولاة الآشوريين Kanon Eponym Assyrian

نظام الليمّو الآشوري (The Eponym dating system, Limmu)

وهي الطريقة الآشورية المميزة والخاصة في التدوين التأريخي وتسمى (لمّو أو ليمو) وهو اللقب الرسمي للمشرف على الوظائف الحكومية في البلاط الآشوري، وهو المدوّن على مواشير أو أسطوانات بحجم التدوين الذي يدوّن عليها، وبعضها دوّن على جدران القصور والمعابد، والحوليات هي طريقة آشورية لجمع الأخبار محددة بالسنين، وهي على شكل نشرات في ألواح يصدرها الملوك في فترات متوالية، وهي تحمل أخبارهم وحملاتهم مع ولاتهم وحكامهم، وكذلك أعمالهم العمرانية والإجتماعية.

ربما كانت هناك ما يشابهها قليلاً في التراث السومري وهي كتابات الملك أنتيمينا حاكم لجش (حوالي 2430 ق.م) في مدوناته للنزاع بين مدينته ومدينة أوما، حيث استعرض فيها صراع أربعة أجيال.

«تعد الحوليات الملكية الآشورية في مقدمة النصوص الملكية بل أهمها، إذ زودتنا بالجزء الأعظم من تأريخ الدولة الآشورية الحديثة الاولى والثانية، بما أوردته من أخبار عن الحملات العسكرية والأعمال العمرانية وتفاصيل غارات الملوك في الحرب والقنص وصيد

الحيوانات الوحشية، كما ضمت هذه الحوليات نصوصاً خاصة لكي يطلع عليها الملوك والامراء اللاحقون فتحثهم على الاقتداء بها والمحافظة على تقاليد الاجداد. وتكمن أهمية نصوص الحوليات الملكية الآشورية بالنسبة للتأريخ الآشوري في عصره الحديث في غزارة المعلومات التأريخية المفصلة عن مختلف جوانب الحياة في المجتمع الآشوري.» (العبادي 2006: 4).

يعتبر نظام اللمّو موازياً لقائمة الملوك الآشوريين حيث يُذكر فيها الولاة المختارون عن طريق القرعة ليكونوا المشرفين على احتفالات رأس السنة، يسمّون باسم السنة ويرمزون لكونهم معبرين عن هذه السنة أي أن السنة تسمى باسمهم، وهم يرمزون لعدد سنوات الملوك الذين يعملون معهم. يُعتقد أن هذا النظام قد نشأ في مدينة آشور القديمة، وظل نظام التزامن الرسمي في آشور حتى نهاية الإمبراطورية الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد. حيث تم اختيار أسماء Limmu التي أصبحت أختصارات أصلاً عن طريق ترتيب القرعة، وحتى الألفية الأولى أصبحت دورانًا ثابتًا للضباط الذين يرأسهم الملك الذي شكّل الليمّو. أقدم شهادات معروفة لمدة سنة من الأسماء هي في Karum-Kanesh، وأصبحت تستخدم في المستعمرات الآشورية الأخرى في الأناضول. كان انتشاره بسبب التوحيد السياسي الذي قام به شامشي ـ آداد الأول في شمال بلاد ما بين النهرين.

«والحوليات عبارة عن نشرات ملكية تصدر بعدة نسخ بين فترات متعاقبة تتحدث بالدرجة الأولى عن الحملات العسكرية وعن الانجازات بالدرجة العمرانية للملوك الاشوريين. وأول ملك آشوري بدأ بإصدار الحوليات هو الملك شلمنصر الثالث 858 ـ 824 ق.م، رابع ملوك العصر الاشوري الحديث. وعلى ما يبدو أن إنجازات هذا الملك الكثيرة هي التي دعته لإصدار مثل هذه النشرات، التي نسميها كما قلنا بالحوليات، حيث أن شلمنصر الثالث لم يكتف بالمحافظة على حدود الامبراطورية التي خلفها عن والده اشور ناصر بال الثاني 883 ـ 809 ق.م، بل قام بتوسيعها إلى حدود لم تبلغها الإمبراطورية من قبله. والحملات الحربية التي قام بتجهيزها جعلته سيد الشرق الأدنى وآسيا الغربية من الخليج العربي جنوباً إلى منطقة اورارتو (أرمينية) شمالاً، ومن تخوم الأراضي الميدية شرقاً إلى سواحل

البحر المتوسط غرباً، وفضلاً عن ذلك فقد دخلت بلاد بابل تحت سيطرته وفي مجال البناء والتعمير فقد قام بتجديد الأبنية في العواصم الاشورية، اشور، نينوى، وكالخو، إضافة إلى أعماله الأخرى.» (رشيد 1991: 377).

«هناك نوعان من القوائم (لمّو) الحوليات، النوع الأول يذكر أسماء موظفي الحوليات فقط، بينما يذكر النوع الثاني من الحوليات أسماء الموظفين فضلاً عن أسماء المقاطعات التي كانوا يحكمونها مع ذكر موجز للحملة العسكرية أو بعض الأحداث المهمة البارزة.» (العبادي 2006: 160).

أطلق مصطلح (لمّو Limmu) على الشخص المشرف على الوظائف الطقوسية الحكومية، ويترجم المصطلح حرفياً بـ(موظف الحولية). وفي المباحث الحديثة عرف بـ (Eponym) وتقابله المفردة الآشورية (li - im - mu أو li - l - mu) التي ترادفها المفردة (sanat)، وفي اللغة السومرية المفردة (Mu) بحسب التواريخ البابلية. وهي مشتقة من المصدر (Lawu) بمعنى أحاط أو تعني (حلقة) أو دائرة (ذات محتوى معين)، ويمكن تفسير هذه الكلمة من ناحية المحتوى بوصفها سنة الـ (Eponymat) أي سنة موظف الحولية. والحولية؛ هي طريقة لجمع أخبار محددة بالسنين، وتصدر على شكل نشرات يصدرها الملوك في فترات متعاقبة تحمل تفاصيل حملاتهم العسكرية وعددها مع ذكر الأعمال العمرانية التي قاموا بها وتختم بتاريخ اصدار النشرة، وقد كتبت هذه الحوليات على مواشير واسطوانات ذات أحجام كبيرة، تختلف في أحجامها بحسب طول النص المراد تدوينه عليها.» (العبادي 2006: 9).

(الليمّو) هي قوائم تسجل في تسلسل زمني، حيث يعتمد على تسمية السنة باسم الموظف الذي يرعى احتفالات عيد راس السنة، وعادة ما يقوم الملك برعاية هذا الاحتفال في السنة الاولى من حكمه، وفي السنة الثانية يقوم الموظف الذي يلي الملك في المرتبة وهكذا، ويبدأ تاريخ الليمو بذكر اليوم والشهر ثم يذكر إسم ليمو (فلان) تلك السنة وهكذا. انظر (Rowton 1970: 194).

«لقد تم اختيار موظف الحولية عن طريق القرعة (Puru) وليس النرد (الزار)، وكانت القرعة تجري لستة مرشحين في كل مرة حسب التدرج الوظيفي، إذ يأتي الملك في المقدمة، ومن ثم يأتي قائد الجيش (تورتانو turtanu) (رئيس الوزراء) وبعده يأتي تباعاً موظفوا أو مسؤولو القصر الآخرين وفي آخر القائمة يأتي حكام الأقاليم والمقاطعات.» (العبادي 2006: 37).

يبدو أن هذا النظام وضع، منذ زمنٍ بعيد، وكان من المعتاد تسمية كل عام بعد الآخر، بواسطة واحد من قضاة الصلح الكبار. ليكون هناك ولاية ملكية، تسمى باسم الليمو، وهو لقب خاص احتفظوا به، وهو يختلف عن مايعرف بتسمية الملوك، لأننا لا نجد سوى أعلى الشخصيات، كل ملكٍ مرة واحدة على الأقل، والحدث البارز الذي حصل في السنة المسماة باسمه.

كان ليمو إسما آشوريًا. في بداية عهد الملكية الآشورية، وهو المسؤول الملكي المعين والذي يترأس مهرجان رأس السنة الجديدة في العاصمة. كل عام سيتم اختيار ليمّو جديد. على الرغم من أنه تم اختيار الكثير، إلا أنه كان من المرجح وجود مجموعة محدودة، مثل رجال الأسر الأكثر بروزًا أو ربما أعضاء في مجلس المدينة. استخدم الآشوريون اسم ليمو في تلك السنة لتعيين السنة على الوثائق الرسمية. تم العثور على قوائم limmus تمثل كل عام بين 892 قبل الميلاد و648 قبل الميلاد.

مع إنشاء قوائم أسماء مستعارة، مثل قوائم الليمو،، تتم أحيانًا إضافة بيانات مختصرة عن الأحداث لتتبع التسلسل، وهي مؤرخة ومتزامنة مع تواريخ بين 747 و631 قبل الميلاد. فوفقًا لقائمة من الليمو، حدث كسوف شمسي في السنة العاشرة التي حكم فيها الملك الآشوري آشور دان الثاني، في شهر سيفان (من مايو إلى يونيو في التقويم الغريغوري)، والتي يمكن اعتبارها عام 763 قبل الميلاد، وقد دعم تاريخ علم الفلك الحديث الكسوف الآشوري حتى 15 يونيو 763 قبل الميلاد. وهناك أحداث أخرى يمكن أن تكون مؤرخة من

هذا الواقع، مثل الاستيلاء على مدينة طيبة المصرية من قبل الآشوريين في 664 قبل الميلاد.

«وفي زمن الملك الاشوري أدد ـ نراري الثاني 911 ـ 891 ق.م، أخذت الدولة الآشورية تعيش فترة ازدهار اقتصادي ثانية وتوسع عسكري مما حدا ذلك بالملك أدد ـ نيراري الثاني وبالاشوريين أنفسهم لأن يبدأوا مرحلة بناء الشخصية الحضارية الاشورية، وأول ما قام بتغييره هذا الملك هو أسلوب تأريخ السنين، فاتخذ لنفسه نظاماً جديداً يعرف بين المختصين بـ(الليمو)، وهذا النظام يعتمد على تسمية السنة باسم الشخصية التي ترعى احتفال عيد رأسي السنة، حيث جرت العادة أن يقوم الملك برعاية احتفال عيد أكيتو، أي عيد رأس السنة في السنة الأولى من حكمه، ويرعى احتفال السنة الثانية الشخصية التي تلي الملك في المرتبة وهكذا. واسلوب تأريخ الليمو كان يبدأ عادة بذكر اليوم والشهر ثم يذكر فترة ليمو فلان. وكثيراً ما يظهر الليمو بصيغ أخرى مثل الصيغة التالية: (ANA SANAT (إسم علم) ISTU LIMMU من بعد فترة ليمو فلان، بسنة واحدة).» (رشيد 1991: 376).

من بين 19 لوحًا من الطين الباقي على قيد الحياة، يظهر بينها عشرة مخطوطات تحتوي على قوائم بالسنوات التي تم تحديدها بواسطة الاسم المستعار مع ملاحظة موجزة حول ما حدث في تلك السنة، وغالبًا الحملات العسكرية. وهكذا، فإن هذه القوائم توفر للمؤرخين طريقة للتعرف على امتدادات طويلة من تاريخ الآشوريين الجدد، وتعطينا في التفاصيل مآثر عسكرية والتي كانت تعتبر الأكثر أهمية. يمكن العثور على هذه الترجمة أدناه:

جزء من قائمة ليمو (858 ـ 699) ق.م في زمن حكم شلمنصر الثالث ابن شلمنصر الثاني ملك آشور:

وهكذا... الخ.

تأثر اليمنيون بهذا النظام وقلّدوه «وقد يؤرخ بحكم موظف من كبار موظفي الدولة من حملة درجة «كبر، كبير» أو غيرها من الدرجات العالية في الدولة أو في المجتمع، وذلك كما في هذا المثال: «بكبر هنا فأمن» ومعناه في «كبارة هانيء فأمن» و«هانيء فأمن» موظف من كبار الموظفين من درجة كبر «فأرخ النص بأيام حكم ذلك الكبير. وبالتأكيد أن كلمة «كبر» اليمنية متأثرة بكلمة «رابو» الاشورية والتي تعني الكبير أيضاً. وفضلاً عن ذلك يبدو من أسماء الشهور اليمنية أن سكان اليمن لم يقتبسوا من الاشوريين أسلوب الليمو فقط، وإنما اقتبسوا أيضاً الشهر الكبيس، الذي كان يوصف عندهم بكلمة «أخرن» والشهر الذي يلحق به الشهر الكبيس يوصف بكلمة «قدمن» مثل: «ورخ ذ نسور قدمن» (أي شهر نسور المتقدم «الأول») و«ورخ ذ نسور أخرن» (أي شهر نسور المتأخر «الثاني»). (رشيد 1991: 376).

## 2.قائمة الملوك الآشوريين(Assyrian King Listl (AKL

كانت قوائم الملوك الآشوريين موضوعاً شاغلاً لمؤرخي التاريخ الآشوري، ليس من باب الاهتمام بالملوك وإهمال شؤون وحياة وتراث الناس الذين وجدوا في البلاد الآشورية، بل من أجل تنظيمٍ دقيقٍ لأحقاب وعصور الدولة الآشورية والآشوريين.

وهي القائمة الأساسية، والتي ذكرناها مفصلاً في الفصل التاريخي من هذا الكتاب، وهناك عدة قوائم لفترات متفاوتة أو لفترة واحدة، وقد اجتهد العلماء لتصفيتها جميعاً ووضع قائمة واحدة تقريبية لهم، وهي التي وضعناها، والمكونة من 113 ملكاً.

كانت العواصم الرئيسية الآشورية القديمة (أشور، شوبات ـ إنليل، دور ـ شروكين، نينوى) هي المصدر الآثاري الأهم لقوائم الملوك غير المكتملة، وقد كانت عمليات التنسيق للقوائم الثلاث مع بعضها البعض هي ثمرة الوصول لقائمة واحدة دقيقة في الحدود المألوفة والطبيعية، وقد يتم العثور على أي أثر يساعد على الإضافة أو التصحيح فيها.

ثالثاً: المصادر الدينية

وهي مصادر غير دقيقة باستثناء ما تطابق منها مع الآثار، ولذلك يجب الحذر من تقبلها، وخصوصاً تلك التي تحاط بالقداسة، وكان أهم هذه المصادر كتاب التناخ (العهد القديم) الذي ضمّ أخباراً غير دقيقة شوهّت تاريخ مدن وادي الرافدين وحضاراتها، وقد كشف العلماء كل هذا في بحوثٍ وكتبٍ موسّعة.

رابعاً: المصادر الكلاسيكية

وهي مصادر غير دقيقة باستثناء ما تطابق منها مع الآثار، مثل كتب المؤرخين الإغريق والرومان وكتب يوسفيوس، والمؤرخين البيزنطيين، وكلها بحاجة للدراسة والتمحيص وفرز ماهو صحيح وماهو خاطيء من أخبارها ورواياتها وأفكارها.

# المبحث الثالث: أصل الآشوريين (جذورالشعوب الآشورية)

لا يمكن اعتبار الآشوريين عرقاً، بل هم أمة تشكّلت تدريجياً وضمت فيه إثنيات وأعراقاً كثيرة، كان الفضل للإله آشور باعتباره النموذج الثيولوجي الأعلى في تجميع الآشوريين وجعلهم أمّة واحدة. ولم تتبلور فكرة نشوء الأمة الآشورية بين ليلةٍ وضحاها بل استغرقت زمناً طويلاً، وقد «اتبع ملوك العهد الآشوري الحديث سياسة نشطة في بناء مقومات الأمة حيث كانت حقوق المواطنة الآشورية تُمنح عُرفاً للساكنين في المقاطعات المؤسسة حديثاً. وكنتيجة لهذا العرف، أصبح كل سكان الدولة الشاسعة في غضون القرن السابع (699 ـ 609) ق.م. يشتركون في الهوية الآشورية الوطنية التي تمثلت أساساً باللغة المشتركة (الآرامية)، والدين المشترك، والثقافة والقيم المشتركة، وصلت هذه الهوية قائمة بدون تغيير حتى تحولت بعدئذ إلى هوية أثنية في العهدين البابلي الحديث والأخميني (600 ـ 330) ق. م. وبعد تفتت الإمبراطورية السلوقية (130 ق.م)، استمرت العديد من الممالك البيتنهرانية شبه المستقلة (عربيهو، أديابين، الحضر، آشور) متمسكة بتقاليدها

الدينية والثقافية لغاية القرن الثالث الميلادي. ومنذ القرن الرابع الميلادي فصاعداً أصبحت المسيحية المقوم الأساس للهوية الآشورية وساعدت في الحفاظ على وجودها لحد هذا اليوم رغم العديد من المجازر والاضطهادات التي اختزلت الآشوريين اليوم إلى اقليات صغيرة في أوطانهم. إن تشخيص الآثوريين والسريان المعاصرين اليوم لأنفسهم بهذه الأسماء مقتبس من كلمة «الآشوريون» التي كانت تُلفظ في عهد الامبراطورية الآشورية الحديثة آسورايو (Assurayu) وسورايو (Surayu).» (باربولا 2004: 29 ـ 30).

يبدو هذا متناقضاً مع فكرة النقاء القومي والعنصري، وهذا صحيح إلى حدٍّ بعيد، لأن بقاء آشور في نواتها العرقية لايصنع منها أمة، بل يبقيها مدينة مسوّرة بعنصرها الآشوري الواحد، وهو أقرب إلى المستحيل لأنها في منطقة معرضة للحروب والغزوات والهجرة والإختلاط.

مع الإمبراطوريات الحديثة لآشور نشأت فكرة سلطان آشور العالمية وعقيدتها الشمولية والتي تعززت عن طريق شخصية إلهها (آشور) تلك التي كانت تحمل صفات تفوق النزعة التفريدية والتي اسميناها بالنزعة الشمولية (بانثيزم)، ولأن الملك كان بمثابة الرجل الموكل بتنفيذ قدرة الإله آشور وتجسيد صفاته فقد قفزت آشور من دولةٍ إلى امبراطوريةٍ ثم إلى امبراطوريةٍ إمبريالية ذات مركز قومي هو آشور، لقد أوضح الملوك والكهنة الآشوريون بأن الإله آشور لديه خطّة خاصة تقضي بانفصاله عن أرضه ووطنه وشعبه ليحلّق في الآفاق بعيداً حيث مايتجه، وعلى الآشوريين مدّ أفقهم معه وتتبعه، فهو حين أصبح بمثابة الأب للإلهه آن إله السماء فإنه تخطى المجال المحدود الذي يعرفه الناس وأصبح يجوب الآفاق كلّها، وبذلك خلّص الآشوريين من نزعتهم القومية ومركزيتهم العرقية.فلم يكن النقاء العرقيّ يشغلهم، وهم يدركون بأن هناك ينابيع عرقية كثيرة تصبّ في أرضهم، ولم يكونوا منحازين لعنصر أساسيّ بشريّ (آشوريّ) يحددهم، بل كانوا يجمعون الأمم والأعراق في أرضهم ويعتبرونهم آشوريين مثلهم، حتى الشعوب التي هجّروها من أماكن بعيد وإثنيات مختلفة كانوا يتعاملون معها، بعد أن تستوطن، كشعوبٍ آشورية. وكان اختلاط الشعوب

في بلاد آشور يأتي عن طرق متعددة منها الهجرة والإنتشار السلمي، الغزو، الزواج المختلط، التجارة وغيرها.

**شعوب الأمة الآشورية:**

ما ذكرناه أعلاه يستوجب منّا التعرف على عناصر وشعوب الأمة الآشورية التي ساهمت في تكوين الآشوريين واختلطت مع بعضها مكوّنةً (الأمة الآشورية) التي شغلت الدنيا لقرون طويلة:

**1.شعب آشورتو (سوآرتو):** وهو الشعب الآشوري الأصلي القديم الذي كان واحداً من أقدم الشعوب السارية (السامية) التي تكونت في أعالي الرافدين في فترة الكالكوليت (العصر الحجري النحاسي) والتي عبرت عنها ثقافة حلف ـ الأربجية، وهي ثقافة ذكورية ساهمت في الإنقلاب الذكوري وتمييز الشعوب السارية عن غيرها، ونرجح أنها استقرت في ما عرف بأرض (سوبارتو) وهي المناطق الآشورية القديمة في وادي الرافدين وشمال سوريا في الألف الخامس قبل الميلاد. وقد أدى التطور الإثني لهذا الشعب منذ الألف الرابع لتكوين ما يعرف بالشعب الآشوري (سوارتو، آشورتو) الذي اتّضحت معالمه الحضارية حين استقر على ضفاف نهر دجلة (خط عرض 37° شمالاً) وإلى مصب نهر العظيم في السهل الذي كانت تطلّ عليه الجبال من الشمال والشرق، وكان هذا السهل الزراعي يشمل أربيل وكركوك ويغذيّه رافدا الزاب الأعلى والزاب الأسفل، وفي الغرب امتد انتشاره لنهر خابور. أما في الجنوب فقد كانت تلال حمرين حدّا طبيعيا لسكنه وانتشاره الأول.

**2.شعب سوبارتو (السوبريون):** وهو الشعب الساري (السامي) الثاني الذي ظهر مع شعب سوآرتو، وكانت تختلط مع شعب سوبارتو شعوب قليلة مختلفة اللغات لكن الطابع السامي غلب عليها. ويرى فنكلشتاين أن مصطلح سوبارتو ورد في المصادر البابلية للدلالة على كل من السكان الساميين وغير الساميين دون تمييز، وممكن تحديد منطقتهم الجغرافية باعالي بلاد الرافدين من جبال زاكروس إلى الخابور او البليخ وربما أكثر من ذلك غرباً. أنظر (Finkelstein 1955: 4 -7)

واختلط السوبريون مع الآشورتو وكوّنا المادة الآساسية للشعب الآشوري. ويبدو أن هذا الشعب استمر في انتشاره نحو الجنوب وسكن في كيش وسبار، وهو الشعب الذي كوّن الأكديين، وهذا يفسر العلاقة الوشيجة بين الشعبين الآشوري والأكدي لغة ورموزاً وديانة ترجّح العبادة الشمسية على غيرها. ولنا في التقارب الكبير بين رمز آشور ورمز أكد وشمش الدليل القوي على ذلك.

انتشر السوبريون في مناطق واسعة بين دجلة وجبال زاغروس شمالاً وحتى شمال بابل جنوباً وباتجاه الخابور والبليخ غرباً. ويعتقد الباحثون بأن سوبارتو كان كياناً سياسيا في شمال بلاد الرافدين في أعالي نهر دجلة. إلا أن موقع المدينة الجغرافي لا يزال غير معروف. وكان الأكديون يرون أن سوبارتو تمثل الأفق الشمالي لهم، مثلما كانت كل من مارتو وعيلام وسومر تمثل الأفق الغربي والشرقي الجنوبي على التوالي. كما يعتقد معظم الباحثين أن المنطقة كانت تقع ضمن حدود الدولة الآشورية قبل توسعها. كما أن هناك آراء أخرى تجعلها تقع شمال أو شرق أو غرب بلاد آشور وانتشروا وسكن بعضهم بلاد آشور واندمجوا مع الآشوريين لدرجة أن بلاد آشور كانت تسمى سوبارتو.

ولابد من تثبيت ملاحظة مهمة حول ما ذكرته مراجع كثيرة وباحثون كثيرون منهم (فنكلشتين) في بحثه (سوبارتو والسوبريون في مصادر بابل القديمة)، بأن الآشوريين كانوا يتحاشون إطلاق هذا المصطلح على بلادهم. أنظر: ( 7 -1 :Finkelstein1955)

ربما كانوا يعتقدون أن المصطلح ارتبط بكون هذه المنطقة كانت مصدراً للعبيد والخدم والأسرى. ونحن نرى أن هذا غير صحيح، فقد كان المصطلح يشير إلى بلاد الشمال ويشير الى الشمس والعبادة الشمسية ولايشير لغير ذلك. أما تحاشي الآشوريين استخدامهم له فيرتبط بنمّو الأمة الآشورية واستيعابها لثلاثة شعوب سارية، وليست لشعب واحد ساري مثل السوبريين.

**3.الآشوريون**: وهم شعب العصر البرونزي الذي نضج من تفاعل الجذور القديمة لكل الأصول الآشورية في المدن والسهول والمرتفعات والتي شكّلت الشعب الآشوري الواضح

الهوية.

**4.الآموريون:** وهم الشعب الساري (السامي) الثالث الذي شكّل النواة الصلبة للآشوريين.

**5. الآراميون:** وكان أهم أثر تركه اختلاط الآراميين بالآشوريين واندماجهم معهم في تشكيل الأمة الآشورية هي لغتهم السارية (السامية) المفهومة من الآشوريين وكتابتهم الأبجدية التي كانت تكتب على ألواح الطين أيضاً ولكنها أضافت لذلك وسائل أخرى مثل قطع الخزف والجلود وأوراق البردي، وهو ما سيشكّل ثقافة نوعية في القرون الأخيرة لآشور وما تبعها.

«القبائل الآرامية التي كانت تشكل تهديداً على أمن بلاد أشور وسلامتها قد قل خطرها بسبب تبلورها منذ مطلع الألف الأول ق.م في كيانات سياسية على شكل عدد من الدويلات والممالك الصغيرة التي انتشرت في بلاد سوريا وأعالي ما بين النهرين، والتي من أهمها في بلاد الشام هي مملكة دمشق التي تأسست في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد وأصبحت من القوة بحيث أنها تمكنت من فرض سيطرتها على الممالك الآرامية المجاورة لها، واتسعت حدودها وامتدت من جهة الشرق إلى الفرات والى اليرموك من جهة الغرب على حساب الدولة العبرانية، كما إنها تاخمت أملاك الدولة الأشورية من جهة الشمال، إلا ان الآراميين لم يتمكنوا من تأسيس دولة سياسية موحدة ولعل السبب في ذلك يعود إلى قوة الأشوريين في عصرهم الحديث من الشرق، وقوة المدن الفينيقية من الغرب، كما ان تلك الدويلات كانت في نزاع فيما بينها، ودخلت في حروب طويلة مع الممالك المجاورة لها وخاصة دمشق التي كانت في نزاع مستمر مع دولة يهوذا مستغلة الانقسامات الداخلية التي حدثت داخل هذه المملكة، وعلى الرغم من ان تلك الحروب لم تكن حاسمة إلا ان الغلبة في أكثرها كانت لصالح مملكة دمشق» (غزالة والمهنا 2008: 180).

كانت تلك الشعوب السارية (السامية) الأربعة هي آساس الشعب الآشوري الكبير، والتي صهرت تنوعاتها السارية في اللغة الأكدية وفرعها الآشوري تحديداً، وفي الكتابة المسمارية الآشورية.

**6.الحوريون:** مجموعات بشرية لها علاقة عرقية ولغوية باللغات الجورجية الحديثة وما يتبعها من اللغات القفقاسية. لم يكونوا من الآريين، بل هم أقرب إلى القوقاز الذين توطنوا شمال الرافدين من بحيرة وان في شرق الأناضول خلال الألف الثاني قبل الميلاد، ثم كوّنوا لهم دولة وحضارة مهمة، ولاشك أنهم اختلطوا بالآشوريين سلباً وإيجاباً، بل أن مركزهم الرئيس كان في بلاد آشور في مدينة سكنها الآشوريون قبلهم وهي أرابخا (كركوك حاليا)، وكانت لهم مدينة مهمة أخرى جوار كركوك تسمى (نوزي) تقع اليوم في تل يورغان تبه على بعد حوالي ثمانية أميال إلى الجنوب الشرقي من كركوك والتي كانت تسمى قديماً (جاسور، ياشور) وهو الإسم القريب من آشور، ورغم أن انتشارهم كان سلمياً في البداية، لكنهم حين كوّنوا لهم دولة قوية تمددوا في بلاد الأناضول غرباً، وغزوا جنوباً بلاد آشور حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد وقضوا على حكم شمسي أدد الأول وشمسي داكان الأول وأسسوا عددا من الإمارات في أجزاء من آسيا الصغرى دون أن يكونوا في مملكة موحدة، ومنذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد أسسوا مركزاً مهماً في شمال سوريا، في إقليم البليخ والخابور (خابور الفرات)، واتخذوا هناك بلدة واشوكاني عاصمة لهم، ثم كوّنوا مملكة قوية عرفت باسم المملكة الميتانية (وربما كان الميتانيون طبقة آرية حاكمة قادت الحوريين)، تمتد من كركميش من الفرات إلى جوار نهر دجلة الأعلى وتضم إقليم أرابخا شرقي دجلة، وقد ثبت وجود الحوريين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد في فينيقية وفي فلسطين.

ومادامت خريطة حراكهم بهذا الشكل، فهم من شعوب أعالي وادي الرافدين، وكل هذا جعلهم في اختلاط قوي مع الآشوريين حتى أن بعض الموظفين الكبار الحوريين حملوا أسماءً آشورية.

**7.إثنيات قليلة العدد** من بلاد الأناضول كالحوشكاي والفريجيين، ومن جبال زاغروس كالجوتيين، ومن بلاد الشام كالعبريين والفينيقيين. ومن إيران كالماديين والمانيين.

قام الآشوريون بجمع هذه الشعوب وغيرها من الشعوب التي ضمتها للإمبراطورية في حاضنة ثقافية وعملية واحدة تخلطهم مع الآشوريين الأصليين، وليس هناك أبلغ من عبارات الإمبراطور الآشوري سرجون الثاني الذي وصف معاملته للشعوب الذين استوطنوا حول عاصمته الجديدة (دور شروكين) حين قال: هناك شعوب من جهات الدنيا الأربع، ذوو لغات غريبة وكلام مختلف في الجبال والسهول، لقد استوليت عليهم كغنائم طبق كلمات آشور سيدي، لقد جعلتهم ذوي غرض واحد، ونية واحدة وجعلتهم يسكنون في داخل المدينة (أي: داخل دور شروكين) وجعلت مواطني آشور الماهرين، في عمل كلّ الأعمال، مراقبين ومشرفين لكي يعلموهم العادات وأن يخدموا الآلهة والملك.



**الشرق الأدنى حوالي 2300 ق.م**

# المبحث الرابع: علم الأشوريات (آشوريولوجي) وعلماء الآشوريات

## أولاً: ظهور وتطور علم الآشوريات

**بدايات ظهورالآشوريولوجي:**

بدأت الحملات الآثارية العلمية، في وادي الرافدين، مع بدايات القرن التاسع عشر، ولكن مصطلح علم الآشوريات أو (الآشوريولوجي) لم يتبلور إلاّ في عام 1859، حين اعترف به مجموعة من علماء الآثار والتاريخ وعلى رأسهم إرنست رينان على غرار مصطلح المصريات، ثم تأسست مجلة في عام 1884. Revue d’assyriologie et d’archéologie orientale

بخلاف علماء المصريات، لم يكن علماء الآشوريين علماء آثار بحكم الأمر الواقع بل كانت هناك جهود جبارة في هذا المجال فرضت نفسها، منها الآثار في وادي الرافدين ووفرة النصوص في اللغة الآشورية التي اكتُشفت في آشور القديمة. بعد فترة وجيزة من هذا الاكتشاف، أدركوا أن الكتابة المسمارية خدمت اللغة الشقيقة لها وهي البابلية. وقد تميّز الآشوريون عن البابليين في حوالي عام 2000 قبل الميلاد، حين انشق البابليون والآشوريين عن أسلافهم من جهة وعن بعضهما من جهة أخرى، كان أسلافهم يتحدثون اللغة الأكدية وهي لغة سارية (سامية) رغم أن خط كتابتهما كان في الكتابة المسمارية التي كان تستخدم في كتابة اللغة السومرية في وادي الرافدين، وكانت تُستخدم أيضًا في لغات أخرى مثل العيلامية والحورية والحيثية. وهكذا أصبح مصطلح الآشوريين غامضًا، فقد كان معناه يبدو واسعاً ومستوعباً لكل هذه الكتابات ولغاتها وشعوبها، لكن الأمر أصبح ينكشف ويتركز تدريجياً، حتى أصبح مصطلح الآشوريولوجي يشير، حصراً، لتراث وادي الرافدين بكل مكوناته.

لاشك أن البدايات المبكرة كانت بدافع الفضول لمعرفة آثار مايعرف ب (الأرض المقدسة) التي جرت عليها أحداث الروايات التوراتية والإنجيلية، وقد كان البحث عن هذه الآثار سبباً في جعلهم يقصدون بلاد الرافدين التي كان لها علاقة بإبراهيم، ثم بأسر سكان السامرة وأورشليم من قبل الآشوريين والبابليين.

كان جول أوبيرت، الرائد في تاريخ الآشوريات، معروفاً، فهو الذي قام بدور كبير في فك رموز الكتابة المسمارية؛ تم إنشاء أول كرسي علم الأشوريات في كوليج دو فرانس في

عام 1874، بعنوان «علم الآشوريات والآثار الشرقية . The Revue d’assyriologie et d’archéologie orientale.

وقد أسس مجلة بهذا الإسم بعد عشر سنوات، هي أقدم مجلة في مجالنا لا تزال تعمل. كما ندين له باكتشاف السومريين مع عمل الفرق الفرنسية المتعاقبة التي استكشفت موقع (تلّو)، وندين أيضاً للعالم الكبير فرانسوا ثورو دانجان في كتاباته المعروفة.

كان هناك تأثير كبير للظروف الدبلوماسية في نشأة هذا العلم وفي إعادة اكتشاف حضارة بلاد ما بين النهرين فقد تم ذلك في سياق التنافس بين البريطانيين والفرنسيين والألمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عندما كانوا جميعًا يسعون إلى تأمين موقع في الإمبراطورية العثمانية الضعيفة. وبعد تقطيع الإمبراطورية، حصلت فرنسا على تفويض لسوريا من عصبة الأمم، في عام 1920، وفي ظل هذه الخلفية، تم اكتشاف موقع ماري وقصرها في عام 1933، وإرسال أندريه بارو لاستكشاف الموقع، الذي قضى في نهاية المطاف 45 عاما في الحفر.

تميّز علم الآشوريات عن الإستشراق، الذي كان ينمو بقوة آنذاك، كنظام مستقل فقد رعته البيئة الأكاديمية والمؤسسية بشكل واضح وأصبح بعيداً عن مؤتمرات المستشرقين.

كان على علم الآشوريات التحرر من مؤثرات الدراسات التوراتية نهائياً، رغم بداياته التي كانت تبحث في هذا المجال، فقد ارتبط البحث في نينوى أولاً بالنبي يونس، واهتمام ليونارد وولي بأور يتعلق بشخص إبراهيم وقصة الطوفان، وغيرها من الأمثلة المعروفة. ولكنه مع جيل ليو أوبنهايم، في منتصف الستينيات، تمت تسوية القضية نهائياً، ولم يعد علم الآشوريات له علاقة بدراسات الكتاب المقدس.

كان السؤال، في الولايات المتحدة، في ذلك الوقت، هو ما إذا كان ينبغي أن يكون علم الآشوريات جزءًا من العلوم الإنسانية أو الأنثروبولوجيا.وقد دار جدل كثير هناك وفي أوربا، حتى صار يُنظر لعلم الأشوريات باعتباره فرعًا من دراسات التاريخ القديم.

كانت هناك مفارقة معقدة وهي أن عدد المتخصصين بدأ ينخفض بوضوح، ومع ذلك توجد «مدارس» وطنية متميزة تمامًا. كنتيجة طبيعية لجهود الحفريات الآثارية كما حصل في العراق ومصر بشكل خاص. رافق ذلك أن دراسة السومريين بدأت بالخفوت، حتى مجيء آدم فالكنشتاين بعد الحرب العالمية الثانية وبدء نهوضها من جديد، وقد يبدو السبب غريباً بعض الشيء فقد أدار الباحثون الغربيون ظهورهم لها بسبب تأكدهم من أن السومريين لايمتون بصلةٍ للشعوب الهندو أوربية، وأن اللغة السومرية وحضور السومريين كان طارئاً في خضم الإحتدام السامي الآري آنذاك.جاء ذلك مترافقاً مع نمو علم الآشوريات الذي أصبح فرعاً متميزاً في دراسات التاريخ القديم وحضاراته.

**مجالات حقول الآشوريولوجي:**

كانت مجالات حقول هذا العلم تتسع وتتميز وأصبح يتم تنفيذها في اكتشاف النصوص، والمتاحف والمجموعات حيث يتم الاحتفاظ بها، ثم في المكتبات التي تتيح الوصول إلى المخرجات العلمية، وأخيراً في مراكز البحوث حيث يتم العمل التعاوني في كثير من الأحيان.

كان مصطلح ميزوبوتاميا، في الأصل، يدلّ على القسم الشمالي، ومن هنا جاء اللبس حين اقترن هذا المصطلح بالآشوريين وآشوريا ونتج عنه اقتران الآشوريولوجي بكل تراث وادي الرافدين. وفي القرن الأول الميلادي اتّسعت دلالة المصطلح ليشمل القسم الجنوبي حتى الخليج العربي.

السؤال الذي نود طرحه هنا: هل كان مصطلح الآشوريولوجي موفقاً؟ وهل مازالت مبررات وجوده ودلالته قائمة؟

وللجواب على سؤال كهذا لابد من القول أنه حين نشأ علم السومريات (بحكم اختلاف اللغة) أصبح مصطلح الآشوريولوجي يشير لكل مكونات تراث وادي الرافدين (ميزوبوتاميا) باستثناء التراث السومري، وهو ما نراه صائباً، لكننا نرى أن الأكثر صواباً هو

أن يقتصر علم الآشوريولوجي على التراث الآشوري فقط، ويكون هناك علم اسمه البابلوجي ليشير لتراث بابل، ويبقى علم السومرولوجي مشيراً لتراث سومر، وأن تكون كل هذه العلوم فرعية لعلم أكبر وأشمل هو العراقولوجي الذي اقترحناه في أكثر من مناسبةٍ.

ينطبق هذا الأمر، من وجهة نظرنا، على حضارات وادي الرافدين، التي نرى أنها حضارات متمايزة عن بعضها رغم أنها مجتمعة في مكان واحد تقريباً. ورغم أن مركز وعاصمة كل حضارة كان مختلفاً عن الآخر. وهكذا نرى أن هناك أربع حضارات متميزة هي (السومرية، الأكدية، البابلية، الآشورية) وتسمى هذه حضارات وادي الرافدين، وهناك حضارة خامسة وهي الحضارة الحورية تجمع وادي الرافدين بسوريا، وحضارة سادسة هي الحضارة الآرامية التي تجمع بين وادي الرافدين وسوريا كحضارة مشرقية عظيمة لأكثر من ألف سنة كانت شعوب المشرق تعيش فيها وتتحصّن بها بوجه الإحتلالات الكثيرة التي نهبت المنطقة وحاولت السيطرة عليها.

أما سوريا وكلّ بلاد الشام فتنفرد بحضارة مميزة خاصة بها وهي حضارة شام التي هي الحضارة الكنعانية ـ الفينيقية والتي سبقت الحضارة الآرامية، في حين أن الحضارة الآرامية جمعت المشرق كلّه، لغوياً وثقافياً بوجه خاص، بعد حضارة شام رغم ظل الاحتلال الذي كان مهيمناً عليه.

في كتابنا (الحضارة البابلية) وضعنا مسرداً طويلاً لأسماء علماء الآشوريات الذين اهتموا بحضارتي بابل وآشور، بشكل خاص، فيرجى العودة له. وسنتتبع، هنا، الرحّالة ثم علماء الآثار والتاريخ والحضارة الذين ساهموا بكشف وتحليل (الحضارة الآشورية) بكل تفاصيلها والتي تجتمع وتصبّ في تسميةٍ كهذه في نهاية الأمر.

ثانياً: المؤرخون القروسطيون والرحالة وبلاد آشور

لاشك أننا نقصد في هذه الفقرة علماء الآشوريات الذين حصروا اهتمامهم ببلاد آشور وتراثها وآثارها وحضاراتها، ولانقصد بقية حقول الآشوريات المعروفة التي ذكرناها.

وسنبدأ من بدايات الاهتمام ببلاد آشور وذكرها منذ القرون الوسطة وظهور الرحالة الذين ينتمون، عادة، للأدب الجغرافي. ثم نتناول علماء الآشوريات من الآثاريين الكبار في القرن التاسع عشر، ثم البعثات الآثارية في القرن العشرين، ثم علماء الآشوريات المهتمين ببلاد آشور من الغربيين، ثم مثلهم من العراقيين.

نبدأ من العصور الوسطى حيث كان أغلب بل جميع الرحالة من المسلمين، والذين امتازت كتاباتهم بالتعميم والخلط والنقل عن بعضهم دون تمحيص وتدقيق عمليين، فالرحالة المسلمون من بلدانيين وجغرافيين ومؤرخين كتبوا عن آشور ومناطقها أو تطرقوا لها ومنهم: الطبري (ت 922م) وابن حوقل الذي زار الموصل في 968 م، وابن جبير، وياقوت الحموي الذي زار الموصل وكتب عن تل النبي يونس، والقزويني الذي زار بابل ووصفها.

وكان ابن بطوطة (1369 م) قد زار بابل والموصل، وهو ابن عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، الذي كتب في كتابه (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجاب الأسفار) عن الموصل في منتصف القرن الرابع عشر فذكر انها مدينة قديمة وثرية، وكان يطلق على قلعتها (الحدباء) لأنها مشيدة فوق مرتفع دائري، وهي قلعة حصينة بسبب اسوارها العظيمة المسندة بالأبراج. وهنالك شارع كبير وطويل وعريض يتوسط مباني الحكومة من جهة والمدينة من جهة أخرى ويربط بين الجانب المنخفض والمرتفع من المدينة.. ويحمي الموصل سوران سميكان قويان تسندهما ابراج على مسافات متقاربة أحدها عن الآخر تشبه ابراج السور في مدينة دلهي في الهند. وتكثر في الموصل الجوامع والحمامات والخانات والأسواق.وكان ابن بطوطة يرى في ان بورسبّا (برس نمرود) هي المدينة التي ولد فيها إبراهيم.(أنظر أبو الفداء 1964).

أما الرحّالة في العصر الحديث فكلهم، تقريباً، قادمون من أوربا ويمكن أن نضع بهم هذا الجدول الملخص والمفيد:

## جدول الرحالة الأوربيين

**1. رحلة بنيامين التطيلي:** هو الرابي بنيامين من طليطلة بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي. قام برحلة من سنة 1159 ـ 1173 م ومرّ بالبلاد العربية ومنها منطقة آشور وبلغ الصين من أجل دراسة أحوال اليهود في الأقاليم المختلفة والإطلاع على أحوالهم.كتب رحلته باللغة العبرية، ثم نقلت إلى اللاتينية ومن ثم إلى أغلب اللغات الأوروبية. وترجمها للعربية عزرا حداد ونشرت في بغداد سنة 1945 م. وشاب تدوين رحلته الكثير من الأخطاء والمبالغات.

«الموصل مدينة واسعة الأرجاء قديمة البنيان، تتاخم بلاد العجم. يشقها من الوسط نهر دجلة وبينها وبين نينوى جسر قائم. ونينوى اليوم أطلال دارسة تكثر حولها القرى والضياع على نهر دجلة. وعلى بعد (أربعين) فرسخاً منها قلعة إربيل القديم. وفي الموصل كنيسة عوبدية من بناء النبي يونة بن آمتاي وكنيسة ناحوم الألقوشي.» (التطلّي 1945: 127 ـ 128).

ذكر التطلّي أن أرض آشور تحتضن رفات الأنبياء عوبيديا ويونان (يونس) وناحوم ولهم احترام خاص من قبل جميع الأديان، لكن المسيحيين يعتقدون بأن النبي يونس مدفون في فلسطين، ولكن ليس لديهم ما يؤيد ذلك، وعندما أستولى العرب المسلمين على قلعة نينوى [قوينجق] والموصل في حوالي عام 640 م، واصلوا احترام الكنيسة وما يحيط بها من روايات عن طريق بناء جامع يحمل أسم النبي يونس.

**2. راؤولف الألماني (توفي عام 1596):** وهو تاجر وطبيب ألماني مرّ بنينوى ووصف نينوى وقلعتها وقراها كانت الموصل مازالت تحافظ على أهميتها إذ يخبرنا، بوجود مبان جيدة وفيها شوارع، ولكنها رديئة بمجاريها واسوارها، ويقول بأنه رأى خارج المدينة تلاً صغيراً بمغائر كثيرة يسكنها الفقراء، وفي هذا المكان وأطرافه تقع المدينة القوية نينوى وهي عاصمة بلاد آشور في أثناء حكم الملكية الأولى في زمن سنحاريب وأولاده، ويبلغ طول سورها رحلة ثلاثة أيام!! وهذا مبالغ فيه. ويصف جسر القوارب ويؤكد ان العرب وليس

الترك هم من أقام ذلك الجسر.. فقد زار الموصل قبل أكثر من مئة سنة من تولي حسين باشا الجليلي إدارتها.

3. **أنطوني شيرلي:** وهو المبعوث الإنكليزي للدولة الفارسية في أوائل القرن السابع عشر، وتحدث عن خراب نينوى، وعن الموصل دون ذكر تفاصيل مهمة.

4. **جون كارترايت:** رحالة معاصر لسابقه وصف نينوى وأجرى مسحاً استكشافيا لنينوى، وحدد طول سورها بدقة.

5. **جان بابتيستا تافرنير** (1605 ـ 1689): وهو تاجر الألماس الفرنسي، رأى بأن الموصل تبدو من مشارفها عظيمة فأسوارها مشيدة من الحجارة المهندمة المرصوفة بإتساق، ولكن من الداخل كل شيء فيها خرائب. ولايوجد في الموصل مايستحق النظر..ويعد هذا المكان مهماً بسبب العدد الكبير من التجار حيث ينمو الجوز والبندق والعفص مما يسند تجارة كبيرة..وهناك في الموصل أربع طوائف مسيحية الأرثودوكس والأرمن والنسطوريين والمارونيين..وللكابوجيين اللاتين مسكن جميل يقع على نهر دجلة.

6. **بيترو ديلا فالي (1586 ـ 1652):** الإيطالي الذي زار العراق ووصف مدنه ومنها الموصل.

7. **ج. تافنير بارون أوبوني:** رحالة زار الموصل في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وصف مدينتي نينوى والموصل بعجالة.

8. **م. أوتور كارستين:** رحالة فرنسي زار المنطقة حوالي منتصف القرن التاسع عشر وأخطأ في تحديد مكان نينوى.

9. **كارستين نيبور (1733 ـ 1815)**: رحالة دانماركي حدد نينوى قرب قريتي (تونيا) و(كالونيا)، استنسخ بعض الكتابات المسمارية، ومنها كتابات برسيبوليس ونشرها وساهم جهده بفك رموز الكتابة المسمارية.

ثالثاُ: علماء الآشوريات من الآثاريين الكبار في القرن التاسع عشر

يوضّح هذا الجدول أهم الآثاريين الذين اهتموا بآشور في القرن التاسع عشر:

## جدول علماء الآشوريات الأوائل

**1.كلوديوس جيمس ريتش (1787 ـ 1821):** رحالة وعالم آثار إنكليزي. شغل منصب المقيم البريطاني في العراق وكان مندوبا لشركة الهند الشرقية في بغداد. سافر إلى شمال العراق سنة 1820. زار قلعة الشرقاط عام 1821 م، قام بتنفيذ أول حفرياته في بابل، وصف بعض التلال الآثارية في أربيل والموصل، وفحص اطلال نينوى بشكل شامل، وأشار الى موقع آشور واهميته. سجل تفاصيل رحلته للمشرق ونشرتها زوجته بعد وفاته عام 1836 م. ترجمها للعربية بهاء الدين النوري. جمع في فترة بقائه في العراق حوالي 900 مخطوطة بالعربية والفارسية والتركية والسريانية وتم شراء مجموعاته من قبل أمناء المتحف البريطاني. توفي في الرابع من تشرين الأول سنة 1821 م بمدينة شيراز بوباء الكوليرا.

**2.بول أميل بوتا (1802 ـ 1870):** عالم آثار فرنسي من أصل إيطالي خدم كقنصل في الموصل من عام 1842، واكتشف أنقاض العاصمة الآشورية القديمة من دور شروكين. وبعد جهود مخيبة في تل النبي يونس وفي كوينجق، بدأ العمل في خورساباد وأظهر العمل الذي دام أسبوعًا بأنه اكتشف بقايا قصر آشوري ضخم، يحتوي على عدد كبير من الغرف والممرات، وكلها تصطف جميعها بأسوار تحمل لوحات منحوتة من الآلهة والملوك والمعارك والاحتفالات الدينية. جنبا إلى جنب مع هذه التماثيل كانت نقوش طويلة في الطابع المسماري. فاعتقد أنه اكتشف نينوى، لكن استاذه في باريس موهل أخبره بأنه اكتشف دور شروكين، عاصمة آشور في عهد سرجون الثاني (721-705 ق.م) ـ وكان هو يحفلا، في الواقع، في قصر سرجون نفسه. زودته الحكومة الفرنسية بالوسائل الكافية لإجراء مزيد من البحوث بالإضافة إلى الفنان أوجين فلاندين لتوثيق اكتشافات بوتا. في

عام 1845، بعد أن مسح خورسباد تماماً، عاد إلى فرنسا بمجموعة رائعة من التماثيل الأشورية والنقوش المسمارية. وافتتح عرض اللوفر الآشوري للجمهور بحضور الملك لويس فيليب في 1 مايو 1847. أثارت اكتشافات بروتا العالم الأثاري والتاريخي بحماس، وأعطيت دفعة هائلة لدراسة الشرق.

**3.أوستن هنري لايارد (1817 ـ 1894):** رحالة ومستكشف وعالم آشوريات، أمضى طفولته في إيطاليا ودرس في بريطانيا، إكتشف آثار مدينة نمرود ونينوى وألف كتاب بعنوان (نينوى وبقاياها) صدر في باريس سنة 1850 حول تقاليد الاشوريين والكلدان والإيزيديين، أسفر التنقيب في قمة تل نمرود عن ألواح جدارية كبيرة، ثم عثر في القصر الجنوبي الغربي الذي شيده أسرحدون ونحت عليها مشاهد معارك أشور ناصر بال الثاني واستمر لايارد في اكتشافاته حتى عام 1847 وعلى منحة حكومية ساعدته في عمله الذي نجح فيه من خلال تزويد المتحف البريطاني بآثار آشورية مهمة منها الثيران المجنحة.

بقي لايارد في الموصل، حيث استمر في الحفريات في قوينجق ونمرود، والتحقيق في حالة مختلف الشعوب، حتى عام 1847؛ والعودة إلى إنجلترا في عام 1848، ونشر كتابه (نينوى وبقاياها) وبقاياها في مجلدين (1848-1849)**.** وكان قد اكتشف كالح (نمرود)، وساهمت جهوده في اكتشف نينوى لاحقاً.

بدأ في رحلة استكشافية ثانية، قام خلالها بتوسيع نطاق تحقيقاته إلى أنقاض بابل وتلال جنوب بلاد ما بين النهرين. ويعود له الفضل في الجهود التي أدت لاكتشاف مكتبة آشوربانيبال خلال هذه الفترة. تم نشر سجله في هذه الحملة، اكتشافات أنقاض نينوى وبابل، والتي تم توضيحها في مجلد منشور، بعنوان سلسلة ثانية من آثار نينوى، في عام 1853خلال هذه الحملات، أرسل ليارد إلى إنجلترا عينات تشكل الآن الجزء الأكبر من مجموعة الآثار الآشورية في المتحف البريطاني. واعتقد لايارد أن المجتمعات المسيحية السريانية الأصلية التي تعيش في جميع أنحاء الشرق الأدنى قد انحدرت من الآشوريين القدماء.

وحين عاد الى لندن قوبلت اكتشافاته وتنقيباته بإطراء شديد، ثم عاد عام 1849 إلى نينوى واكتشف قصر سنحاريب الذي كان يضم مكتبة أشور بانيبال الملكية. وزار معبد لالش سنة 1846 والتقى بأمير الايزيديين حسين بك وكان صديقا للايزيديين ورسم صوراً عن تقاليد الايزيديين سنة 1849 وخصص فصلا كاملا عن الايزيديين والحملات العسكرية على شيخان وسنجار.

**4.سير هنري كريسوك رولينسون (1818 ـ 1895)**: مستشرق بريطاني، قام بحل رموز الكتابة المسمارية، ومن أهم كتبه (موجز تاريخ آشور) الذي نشر في 1852.

كان ضابطاً في جيش شركة الهند الشرقية البريطانية، سياسياً ومستشرقاً، يوصف أحياناً بأنه والد الآشوريين. كان ابنه، هنري أيضًا، ليصبح قائدًا كبيرًا في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى. وبدأ رولينسون في دراسة النقوش الفارسية، خاصة تلك الموجودة في الشخصية المسمارية غير المشفرة حتى الآن. كان على مقربة من النقش المسماري الكبير في بهيستون، بالقرب من مدينة كرمانشاه في غرب إيران، لمدة عامين. كان أول غربي ينقل الجزء الفارسي القديم من النقوش بثلاث لغات في الفارسية القديمة والعيلامية والبابلية (شكل لاحق من الأكادية) الذي كتبه داريوس الكبير في وقت ما بين تتويجه كملك للإمبراطورية الفارسية في صيف 522 ق.م. ووفاته في خريف 486 ق.م.

تشمل أعمال رولينسون المنشورة أربعة مجلدات من النقوش المسمارية، التي نُشرت تحت إشرافه بين عامي 1870 و1884 من قبل أمناء المتحف البريطاني؛ النقوش المسمارية الفارسية في بهستون (1846-1851) والخطوط العريضة لتاريخ آشور (1852)، وكلاهما أعيد طبعهما من مجلات الجمعية الآسيوية؛ تعليق على النقوش المسمارية لبابل وآشور (1850)؛ ملاحظات عن التاريخ المبكر لبابل (1854)؛ وانكلترا وروسيا في الشرق (1875). كما قدم مجموعة متنوعة من المساهمات الطفيفة في منشورات المجتمعات العلمية. ساهم بمقالات عن بغداد والفرات وكردستان في الطبعة التاسعة من الموسوعة

البريطانية، إلى جانب العديد من المقالات الأخرى التي تتناول الشرق؛ وساعد في تحرير ترجمة لتاريخ هيرودوت من قبل شقيقه كانون جورج رولينسون.

كانت مساهمة رولينسون كبيرة في فك رموز الكتابة المسمارية، وساهم معه في هذا المسعى علماء آخرون منهم: إدوارد هنكس، هـ. فوكس تلبوت، يوليس أوبرت.

**5.إبرهارد شريدر (1836 ـ 1908):** أول أستاذ في علم الآشوريات، كان أستاذاً لعلم اللاهوت في جامعة يينا الألمانية ومستشرقًا ألمانيًا، ولد في براونشفايغ، وتلقى تعليمه في غوتنغن في عهد إيوالد. في عام 1858 حصل على جائزة جامعية عن أطروحة عن اللغات الإثيوبية، وفي عام 1863 أصبح أستاذًا في علم اللاهوت بجامعة زيورخ. بعد ذلك شغل كرسيين في جيسن (1870) وبينا (1873)، وأصبح أخيرًا أستاذًا للغات الشرقية بجامعة فريدريش فيلهلم ببرلين في عام 1878. على الرغم من أنه تحول أولاً إلى الأبحاث التوراتية، إلا أن أهم إنجازاته كانت في مجال علم الأشوريات، الذي كان رائدا فيه داخل ألمانيا واكتسب سمعة دولية. مات في برلين. وأهم أعماله المنشورة:

(1863) دراسات في نقد وشرح ما قبل التاريخ التوراتي

(1869) مقدمة فيلهلم مارتن للعهد القديم

(1872) النقوش المسمارية البابلية الآشورية

(1872) النقوش المسمارية والعهد القديم

(1878) نقوش مسمارية وبحث تاريخي.

(1874) رحلة عشتار الى العالم الأسفل (النص والملاحظات).

(1878) أسماء البحار في النقوش الآشورية

(1884) حول مسألة أصل الثقافة البابلية القديمة

(1889) مكتبة النقوش مسمارية، بالاشتراك مع الباحثين لودفيج أبيل وكارل بيزولد وبيتر كريستيان ألبريشت جينسين وفيليكس إرنست بيزر وهوجو وينكلر.

**5.هرمز رسّام (1826 ـ 1910):** عالم آشوريات آشوري موصلّي، كان والده الأسقف في الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية وأخوه نائب القنصل البريطاني، عمل مساعداً لهنري لايارد في التنقيب عن آثار نينوى واكتشف مكتبة آشور بانيبال، وهاجر بتشجيع منهُ إلى بريطانيا حيث تلقى علومه في الكلية المجدلية في أكسفورد، ساهم في اكتشاف ملحمة جلجامش في مكتبة آشور بانيبال، وكشف عن الكثير من الآثار في العراق ومنها تماثيل الثيران المجنحة التي شحنها إلى بريطانيا عن طريق نهر دجلة بواسطة قوارب (الكلك) إلى شط العرب حيث نقلتها السفن البريطانية من هناك.

في آشور كانت اكتشافاته الرئيسية عبارة عن معبد آشور ناصربال الثاني في نمرود (كالح)، اسطوانة آشوربانيبال في نينوى، واثنين من شرائط البرونز الفريدة والمهمة تاريخياً من بوابات بالوات. تعرف على حدائق بابل المعلقة الشهيرة مع التل المعروفة بإسم بابل. قام بحفر قصر نبوخذ نصر الثاني في بورسيبا. في مارس 1879 في موقع إيساكيلا في بابل، وجد رسام أسطوانة قورش، الإعلان الشهير لكورش الكبير الذي صُنِع في 539 قبل الميلاد لاحياء ذكرى احتلال الإمبراطورية الأخمينية لبابل.

في أبو حبة في عام 1881، اكتشف رسام معبد الشمس في سيبار. هناك وجد أسطوانات نبونائيد ولوح حجرية نبو أبلا إيدينا من بابل مع نقوش بارزة وكتابة. إلى جانب ذلك، اكتشف حوالي 50 ألف لوح طيني يحتوي على حسابات المعبد.

بعد عام 1882، عاش الرسام بشكل أساسي في برايتون في إنجلترا. كتب عن اكتشفات الآثار الآشورية والبابلية، والشعوب المسيحية القديمة في الشرق الأدنى، والخلافات الدينية الحالية في إنجلترا.

أوفدته الملكة فكتوريا إلى الحبشة (إثيوبيا) فسُجِنَ هناك، وأطلق الإنجليز سراحه، وسراح رفاقه بحملة عسكريّة كانت تهدف إلى تأديب ملك الحبشة، ولذلك لُقّب في إنجلترا بالرّجل الّذي كلّفَ الحُكومة مليون ليرة إنكليزيّة، ثم أوفدته وزارة خارجيّة إنجلترا للتّحقيق في أوضاع المسيحيّين في آسيا الصُّغرى وأرمينيا والمناطق الكردية، وحاز على الجنسية البريطانية، وساهم بعدة مهمات دبلوماسية في القرن الأفريقي والشرق الأوسط. وقضى رسام بقية حياته في برايتون، حيث تزوج من امرأة بريطانية وألف عدة كتب عن اكشافاته الآثارية، وقد ذكرته دائرة المعارف البريطانيّة من بين عُظماء الإنجليز في القرن التاسع عشر. ومؤلفاته هي:

1. البعثة البريطانية إلى تيودور، ملك الحبشة (1869)، مذكرات

2. قوميات الكتاب المقدس، الماضي والحاضر، مقالة في معاملات جمعية علم الآثار التوراتي، المجلد 3، 8، الصفحات 358-385

3. جنة عدن وحكماء الكتاب المقدس (1895).

4. اشور وأرض نمرود (1897)

رابعاً: البعثات الآثارية في القرن العشرين

يوضّح هذا الجدول أهم الآثاريين والبعثات الآثارية التي نقّبت في آشور في القرن العشرين:

خامساً: علماء الآشوريات المختصّون بالحضارة الآشورية

1.**فريدريك ديليتش (1850 ـ 1922)**: عالم أشوري ألماني. ولد في إيرلانجن، درس في لايبزيغ وبرلين، وحصل على التأهيل في عام 1874 كمحاضر للغات السامية والآشوريات في لايبزيغ. في عام 1885 أصبح أستاذاً كاملاً في لايبزيغ، ثم عمل أستاذاً في جامعتي

بريسلاو وبرلين. أسس قسم الشرق الأدنى للمتاحف الملكية وأصبح مديراً للجمعية الشرقية الألمانية.

تخصص ديليتش في دراسة لغات الشرق الأوسط القديمة، ونشر العديد من الأعمال عن اللغة والتاريخ والثقافة الآشورية. وانتقد بطريقة علمية العهد القديم. في محاضرة مثيرة للجدل في عام 1902 بعنوان «بابل والكتاب المقدس»، حيث أكد أن الكثير من كتابات العهد القديم كانت مستعارة من الحكايات البابلية القديمة، بما في ذلك قصص الخلق والفيضان من كتاب سفر التكوين. وصدر ذلك في كتابه المعروف (بابل والكتاب المقدس) الذي صدر بعدة ترجمات وإصدارات معدلة منذ أوائل العشرينيات من القرن العشرين (الخدعة أو الكذبة الكبرى) المؤلف من جزأين، والذي كان بمثابة أطروحة نقدية حول أسفار العهد القديم مثل المزامير وأنبياء العهد القديم وغزو كنعان، إلخ. وناقش فيه مدى دقة الكتاب المقدس العبري في أحداثه وأوصافه للماضي وقد أكد فيه على العديد من الأمثلة الخاصة بالفجور والمحرمات. وفيما يلي جرد بأهم كتبه:

(1889) مع أرشيبالد روبرت ستيرلنغ كينيدي (محرر). القواعد الآشورية مع النماذج والتمارين.

(1896) كتاب برنامج دراسة الآشوريين.

(1906) بابل والكتاب المقدس.

(1920) الخدعة الكبرى.

**2.إدوارد كييرا (1885 ـ 1933):** عالم آثار إيطالي أمريكيً، وهو عالم آشوريات ومهتم بالدراسات البابلية وباحثً في الأديان واللغويات. ولد في روما ودرس اللاهوت، وأكمل الدكتوراه في جامعة بنسلفانيا وأصبح عضوًا في هيئة التدريس بجامعة بنسلفانيا حتى عام 1927، وفي ذلك الوقت التحق بالمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو. عمل في بغداد

كأستاذ للمدارس الإميركية للأبحاث الشرقية القديمة، ثم في منطقة نوزي الأثرية قرب كركوك 1925، وقام بحفرياته هناك وكشف وقرأ ألواحاً كثيرة.

وبوصفه عالمًا بارزًا في اللغات المسمارية القديمة، أصبح رئيس تحرير مشروع قاموس شيكاغو الآشوري، وهو عمل ضخم بدأ في عام 1921، واستغرق الانتهاء منه 85 عامًا. كان زميلًا مقربًا لمدير ومؤسس المتحف المعهد الشرقي (جيمس هنري بريستد)، واستطاع أن ينجز أموراً علمية مميزة في المتحف.

قاد قام بالحفريات لمصلحة المعهد الشرقي في خورسآباد، بالقرب من الموصل، ثم استطاع في 1929 باستكشاف موقع القصر القديم للملك سرجون الثاني. وعمل على استعادة أعمال ثمينة من الفن الآشوري، بما في ذلك الثور المجنّح الضخم الذي كان يحرس مدخل القصر. واصل كمدير ميداني لـ. كان له دور في تطوير خطط،المتحف الأميركي الشرقي ومتحف العراق، وفي تطوير أعمال علماء الآثار الآخرين المعروفين. له كتاب (كتبوا على الطين) وكتاب (ألواح بابل) وغيرها.

**3.سيتون لويد (1902 ـ 1996)**

عالم آثار إنكليزي، مدير مدرسة الاثار البريطانية في العراق، ومدير مؤسسة الاثار البريطانية في انقرة (1948-1961)، وبروفسور الاثار الغربية الاسيوية في جمعية الاثار البريطانية جامعة لندن (1962-1969)، درس العمارة في لندن وتخرج عام 1926، وفي عام 1930 قام فرانكفورت بدعوة لويد لمشاريع تنقيبية، تحت رعاية المؤسسة الشرقية لجامعة شيكاغو. نقب في موقع في حسونة في بلاد ما بين النهرين، حيث استقر الناس وبدأوا في زراعة الأراضي، وتربية الماشية، وبناء المنازل المبنية من الطوب اللبن وصنع الفخار. كانت سلسة تنقيبات في وادي ديالى (1930-1937)، وفي الفترة بين (1937-1939) قام باعمال تنقيبية مع (جون سارستانغ ميرسين) في جنوب تركيا لصالح جامعة ليفربول، وفي عام 1939 تم تعيين لويد كمستشار الاثار لادارة استخراج الاثار القديمة في العراق، حيث ساعد في تأسيس متحف العراق واعادة ترتيب متحف غيرترود بيل، كما

درّس العديد من الاثاريين العراقيين وشاركهم في العديد من التنقيبات المهمة (كالعقير، اريدو، خورسباد الاشورية، وفي تنقيبات القناوات المائية الاشورية فكانت إعادة اكتشاف قناة سنحاريب التي يبلغ طولها 20 ميلًا في جيروان والتي شُيدت حوالي عام 700 قبل الميلاد. من منابع نهر غوميل إلى نينوى واحدة من أكبر منجزاته.، وقد تفوق لويد على (ماكس مالوان) في رئاسة المدرسة الاثارية البريطانية في العراق، وفي عام 1948 اصبح لويد مدير الجمعية الاثارية البريطانية في أنقرا، ففي عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، حفر في العراق للمعهد الشرقي بجامعة شيكاغو وجامعة ليفربول. وكان مؤلف العديد من الكتب حول الهندسة المعمارية القديمة والمنطقة التي استكشفها في معظم حياته المهنية. حصل على العديد من الأوسمة من حكومات بريطانيا وتركيا والعراق.

ومن أهم مؤلفاته: آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي، وفن الشرق الادنى القديم. أما أهم مؤلفاته فهي:

(1935) قناة سنحاريب في جروان، مع ثوركيلد جاكوبسن

(1936) بلاد ما بين النهرين: حفريات المواقع السومرية

(1942) معابد ما قبل السرجونية في منطقة ديالى، مع بنهاس ديلوغاز

(1942) مدن العراق المدمرة

(1943) الأنهار المزدوجة: تاريخ موجز للعراق من العصور القديمة إلى يومنا هذا

(1947، طبعة منقحة 1980) أبنية في التراب: قصة استكشاف بلاد ما بين النهرين

(1956) الأناضول المبكرة: وصف للحضارة المبكرة في آسيا الصغرى

(1961)فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة محمد درويش. بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر، مطابع دار الحرية للطباعة (1988)

(1962-1965) بيسيس سلطان، مع جيمس ميلارت

(1963) تلال الشرق الأدنى القديم

(1967) شعوب الأناضول المبكرة

(1967) المنازل والمقابر الخاصة في منطقة ديالى، مع بنهاس ديلوغاز وهارولد د. هيل

(1974) العمارة القديمة: بلاد ما بين النهرين، مصر، كريت، اليونان، مع مولر ومارتن

(1978) آثار بلاد ما بين النهرين من العصر الحجري القديم إلى الفتح الفارسي، ترجمة الدكتور سامي سعيد الأحمد (بغداد 1980).

(1986) الفاصل.

(1989) تركيا القديمة: تاريخ المسافر للأناضول.

**4.سيمو باربولا (1934):**

سيمو كارلو أنتيرو باربولا عالم آشوريات فنلندي متخصص في الإمبراطورية الآشورية الجديدة وأستاذ فخري للآشوريين في جامعة هلسنكي (تقاعد خريف 2009). درس الآشوريين والكلاسيكيات وعلم فقه اللغة السامية في جامعة هلسنكي والمعهد البابوي الإنجيلي والمتحف البريطاني في 1961-1968. أكمل شهادة الدكتوراه في هلسنكي وبدأ مسيرته الأكاديمية بصفته زميلًا مساعدًا لكارلينز ديلر في ندوة من جامعة هايدلبرغ في عام 1969. بين عامي 1973 و1976 كان متخصصاً بالآشوريولوجي وباحثاً في جامعة هلسنكي، ومن 1977 إلى 1979 أستاذاً مشاركاً في علم الأشوريات مع المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو. تم تعيينه أستاذاً استثنائياً لعلم الأشوريات بجامعة هلسنكي في عام 1978 وأدار مشروع جامعة كورس للنصوص الآشورية الجديدة منذ عام 1986. وقام بالتدريس في جامعة بادوفا كأستاذ زائر في ربيع عام 1995، وعمل زميلًا باحثًا. في معهد

الدراسات المتقدمة، الجامعة العبرية في عام 1999. ساهم في تجميع قاموس شيكاغو الآشوري من عام 1982 حتى اكتماله، في عام 2010 وشارك في البعثة الأثرية Ziyaret Tepe عمل كأحد كبار الباحثين في الآثار في 2001 ـ 2006.

كان التركيز الرئيسي لأبحاث باربولا على دراسة الإمبراطورية الآشورية الجديدة من جميع جوانبها الحضارية في (اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والمجتمع والدين والأيديولوجية والعلوم الملكية)، لكنه ساهم أيضًا في دراسة آثار كتابة بلاد السند، اللغة السومرية، التصوف اليهودي والهوية الآشورية في أوقات ما بعد الإمبراطورية، من بين أمور أخرى. في عام 1986، بدأ مشروعًا بحثيًا دوليّاً طويل الأجل لتحرير المصادر الآشورية الجديدة (مشروع النص الآشوري الجديد)، والذي أسفر عن سلسلة من 19 مجلدًا من الطبعات النصية القياسية (أرشيفات آشور الحكومية) وهو عمل أكاديمي كبير في علم الآشوريات، وفي مجموعة رقمية من النصوص المكتوبة باللغة الآشورية الجديدة. تحتوي السلسلة المنشورة على نصوص مسمارية ونسخ وترجمات للسجلات المباشرة المكتوبة من قبل موظفي الخدمة المدنية والمهنيين والإداريين وتعتبر مصدرًا مهمًا في متناول العلماء من العديد من التخصصات. في عام 1998، بدأت Parpola مشروع Melammu، وهو مشروع متعدد التخصصات يبحث في استمرارية وتحويل ونشر ثقافة بلاد ما بين النهرين في العالم الكلاسيكي وبعد ذلك.

يرى باربولا، في دراسة نشرت عام 2004 بعنوان (جبل نصير وأسس الكنيسة الآشورية)، أن «الكنيسة المسيحية كانت مبنية على أسس وضعتها آشور »، وأن الاستمرارية والبقاء للآشوريين والأفكار في المسيحية يجب أن تؤخذ على محمل الجد. لقد توصل إلى هذا الاستنتاج من خلال تقييم ما يعتبره متوازيًا في كل من المسيحية ودين بلاد ما بين النهرين القديم، ويذكر أن الآشوريين عموماً يتجنبون الربط بين ديانتهم المسيحية وبنية المعتقد والمكونات المركزية فيما يتعلق ببلاد ما بين النهرين القديمة.

تم تكريمه في عام 1992 كأبرز الأساتذة في جامعة هلسنكي، وفي عام 2001 أصبح عضواً فخرياً في الجمعية الشرقية الأمريكية، ثم في مركز العلوم الفنلندي في هيوريكا عام 2003.

أما مؤلفاته فله الكثير من البحوث الأكاديمية الرصينة، بالإضافة لكتبه المهمة ومنها:

1. قاموس أصلي للغة السومرية (أصول المفردات). بحيرة وينونا: آيزنبراونز، 2016.
2. قاموس الآشورية ـ الإنجليزية ـ الآشورية (رئيس تحرير الكتاب).
3. أطلس هلسنكي للشرق الأدنى القديم في العصر الآشوري الجديد. هلسنكي: مشروع مجموعة النص الآشوري الجديد (مع مايكل بورتر)، 2001.
4. .(Veysel Donbaz مع فيصل دونباز) النصوص القانونية الآشورية الجديدة في إسطنبول.
5. مراسلات سرجون الثاني، الجزء الثالث: رسائل من وسائل الإعلام وبابل. محفوظات دولة آشور15. مطبعة جامعة هلسنكي (مع أندرياس فوكس)، 2001.
6. نبوءات آشورية. محفوظات دولة آشور 9. مطبعة جامعة هلسنكي، 1997.
7. الملحمة البابلية القياسية لجلجامش. محفوظات الدولة للنصوص المسمارية الآشورية 1. هلسنكي: مشروع مجموعة النصوص الآشورية الجديد، 1997.
8. رسائل من العلماء الآشوريين والبابليين. محفوظات دولة آشور. مطبعة جامعة هلسنكي، 1993.
9. .(T. Kwasman مع كواسمان)
10. المعاملات القانونية للمحكمة الملكية في نينوى، الجزء الأول محفوظات دولة آشور 6. مطبعة جامعة هلسنكي، من تجلات بلاصر الثالث حتى أسرحدون، 1991.
11. (G. B. Lanfranchi مع لانفرانشي).مراسلات سرجون الثاني، الجزء الثاني: رسائل من المقاطعات الشمالية والشمالية الشرقية. محفوظات دولة آشور 5. مطبعة جامعة هلسنكي، 1990.

12. المعاهدات الآشورية الجديدة وأقسم الولاء. محفوظات ولاية آشور 2. مطبعة جامعة هلسنكي (مع كازوكو واتانابي)، 1988.
13. مراسلات سرجون الثاني، الجزء الأول: رسائل من آشور والغرب. محفوظات دولة آشور 1. مطبعة جامعة هلسنكي.

سادساً: علماء الآشوريات العراقيون من المهتمين بالحضارة الآشورية

**1.بهنام أبو الصوف (1931 ـ 2012)**: هو بهنام ناصر نعمان أبو الصوف، ولد في مدينة الموصل وأكمل فيها دراسته الإبتدائية والإعدادية، حصل على بكالوريوس في الآثار والحضارة من كلية الآداب جامعة بغداد في عام 1955، ثم أكمل دراسته العليا في جامعة كمبردج بإنكلترا وحصل على درجة الدكتوراة في الآثار ونواة الحضارة وعلم الإنسان في عام 1966، وحين عاد للعراق عمل لسنوات عديدة في التنقيب عن الآثار في عدد من مواقع العراق الأثرية في وسط وشمال العراق، وكان مشرفا علميا على تنقيبات إنقاذية واسعة في حوضي سدي حمرين (في منطقة ديالي)، وأسكي الموصل على نهر دجلة في أواخر السبعينات وحتى منتصف الثمانينات من القرن الماضي. كشف عن ثقافة جديدة من مطلع العصر الحجري الحديث في وسط العراق في أواسط الستينات ألقت الكثير من الضوء على معلوماتنا من تلك الفترة الموغلة في القدم،

حاضر لسنوات عديدة في مادة جذور الحضارة والآثار والتاريخ في عدد من جامعات العراق ومعهد التاريخ العربي للدراسات العليا، ناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراة لطلبة عرب وعراقيين في مواضيع الآثار والحضارة والتاريخ والملاحم القديمة. أسهم في العديد من مؤتمرات الآثار والحلقات الدراسية داخل العراق وخارجه. دعي لإلقاء أحاديث ومحاضرات في جامعات أمريكية وأوربية عن آثار وحضارة العراق وعن نتائج تنقيباته، نشر العديد من البحوث والدراسات والتقارير العلمية عن نتائج أعماله الميدانية ودراساته المقارنة في مجلات علمية عراقية

وأجنبية.صدرت له خمسة كتب مطبوعة باللغة العربية هي (ظلال الوادي العريق، العراق: وحدة الأرض والحضارة والإنسان، قراءات في الاثار والحضارات القديمة، التاريخ من باطن الأرض، رحلتي مع آثار العراق ـ مذكرات).

وصدر له باللغة الإنكليزية كتابان هما (فخار عصر الوركاء ـ أصوله وانتشاره، 30 سنة من العمل الآثاري في العراق).

**2.عامر سليمان (1931-2011):** مؤرخ وأثاري وأكاديمي عراقي، سافر الى بغداد والتحق بقسم الاثار ـ كلية الاداب سنة 1957 ـ 1958 ونال البكالوريوس في الآثار والحضارة بدرجة امتياز..وكان الاول على دفعته.حصل على البعثة العلمية والتحق بجامعة لندن في سنة 1966 وتخصص باللغات السامية ـ اللغة الاكدية ونال شهادة الدكتوراه. درّس في جامعة الموصل، وأسس قسم الآثار فيها، وحصل على عضوية المجمع العلمي العراقي عام 1996. ويعتبر الدكتور عامر سليمان اخر عمالقة علماء الاشوريات العراقيين من جيل الرواد، حصل على وسام المؤرخ العربي عام من اتحاد المؤرخين العرب عام 1986 وحصل على جائزة العلامة طه باقر للابداع الاثاري في دورتها الاولى عام 2012 عن مجمل أعماله كأفضل اثاري رائد وهي ارفع جائزة رسمية للعاملين في حقل العمل الاثري في العراق تمنحها وزارة السياحة والاثار العراقية، الهيئة العامة للاثار والتراث، دائرة الدراسات والبحوث، له الكثير من المؤلفات والتراجم وهي:

1 -القانون في العراق القديم/الموصل/1977.

2 ـ فرائد في التاريخ القديم /القسم الاول/الموصل 1978.

3 -عادات وتقاليد الشعوب القديمة /بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور فاضل عبد الواحد علي.وقد طبع في دار ابن الاثير للطباعة والنشر ـ جامعة الموصل سنة 1979

4 ـ Introductiom to Ancient Iraqi Languages, Mosul 1981

5 -تاريخ العراق القديم/ج1التاريخ السياسي مع كل من الاستاذ طه باقر والاستاذ الدكتور فاضل عبد الواحد.

6 -تاريخ العراق القديم/ج1التاريخ الحضاري مع كل من الاستاذ طه باقر والاستاذ الدكتورفاضل عبد الواحد.

7 -الكتابة المسمارية والحرف العربي/الموصل 1984.

8 -محافظة نينوى بين الماضي والحاضر/القسم الأول فقط 1986والفه بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور ابراهيم خليل العلاف والاستاذ الدكتور ازهر السماك والاستاذ الدكتور احمد قاسم الجمعة والحاج عبد الجبار الجرجيس.

9 -اللغة الاكدية (البابلية ـ الآشورية)الموصل 1991.

10 -العراق في التاريخ القديم/موجز التاريخ السياسي /الموصل 1992.

11 -العراق في التاريخ القديم/موجز التاريخ الحضاري /الموصل 199312.اللغة الاكدية وطبع في دار ابن الاثير للطباعة والنشر ـ جامعة الموصل سنة 2005

كما ترجم لاستاذه (هاري ساكز) كتابين هما: عظمة بابل 1984 وقوة آشور 1999 ومن مترجماته كتاب « الشرق الادنى والحضارات المبكرة» تأليف نخبة من الباحثين الاوربيين 1986. والتعاون مع الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي والاستاذ الدكتور علي المياح ترجم سنة 1984 كتاب ادمز «أطراف بغداد».

وللاستاذ الدكتور عامر سليمان اسهامات كثيرة في تحرير مجموعة من الموسوعات منها: العراق في التاريخ 1983 بغداد، موسوعة حضارة العراق بغداد1985، موسوعة العراق موكب الحضارة 1988بغداد.موسوعة الجيش والسلاح، بغداد

1988.موسوعة المدينة والحياة المدنية، بغداد 1988.موسوعة الموصل الحضارية، موصل 1991.اطلس العراق التعليمي، موصل 1987.

**أحمد مالك الفتيان (1941):** أحد أساتذة التاريخ القديم، ولد في راوة، ودرس علم الآثار في جامعة بغداد، حيث حصل على الماجستير عن رسالته: (العهد الفرثي في العراق في ضوء تنقيبات قسم الاثار بكلية الاداب ـ جامعة بغداد في تل اسود 1975)، ثم حصل على الدكتوراه في التأريخ القديم، من كتبه**:** نظام الحكم في الامبراطورية الآشورية**،** محاضرات في التاريخ القديم نُشر في دار ابن الاثير في جامعة الموصل 1978 وأعيد طبعه بعد ذلك، سبع سنوات في تل اسود، طرق التنقيبات الاثرية، تبوأ عدة مناصب استاذ تدريسي، معاون للعميد، استاذ متخصص للدراسات العليا، حاصل على لقب افضل شخصية تدريسية لعام 1993، وهو الآن بدرجة أستاذ متمرس، وله مقالات عديدة وبحوث منشورة في مجلتي «كلية اداب بغداد والمجمع العلمي «وأماكن أخرى.

**بهيجة خليل إسماعيل الجراح (1934 ـ 2019):** آثارية عراقية، ولدت في بغداد وحصلت على درجة البكالوريوس في الآثار من جامعة بغداد، وانتقلت إلى ألمانيا ونالت درجة الدكتوراه في الكتابات المسمارية من جامعة هومبولت عام 1967، وبذلك أصبحت أول باحثة تعمل في مجال الأركيولوجيا وقارئة للمسماريات في العراق، وكذلك هي أول طالبة عراقية تحصل على الدكتوراه في علم الآثار من ألمانيا، ومن ثم لحقتها نساءٌ أخريات. درّست بعد ذلك في جامعة بغداد بقسم الآثار. ألفت العديد من الكتب في علم الآثار وساهمت ببعضها، وشغلت منصب مديرة المتحف العراقي.شاركت في موسوعات (حضارة العراق)، وفي تأليف الجزء الأول من «المعجم الأكدي ـ العربي (من الألف إلى الدال) الذي أصدره المجمع العلمي العراقي عام 1999، وفي تأليف «موسوعة الموصل الحضارية» عام 1992 مع باحثين آخرين. كما كتبت العديد من المقالات منها «نصوص جديدة في شارع الموكب» عام 1979 في مجلة سومر بالمجلد الحادي والأربعون.

ألفت العديد من الكتب التي تناولت حقباً مختلفة من تاريخ العِراق القَديم، ومنها:

(1980) مسلة حمورابي

(1981) دور المستعمرات الآشورية في الأناضول

(1989) الطب دوره ومكانته في حضارة العراق

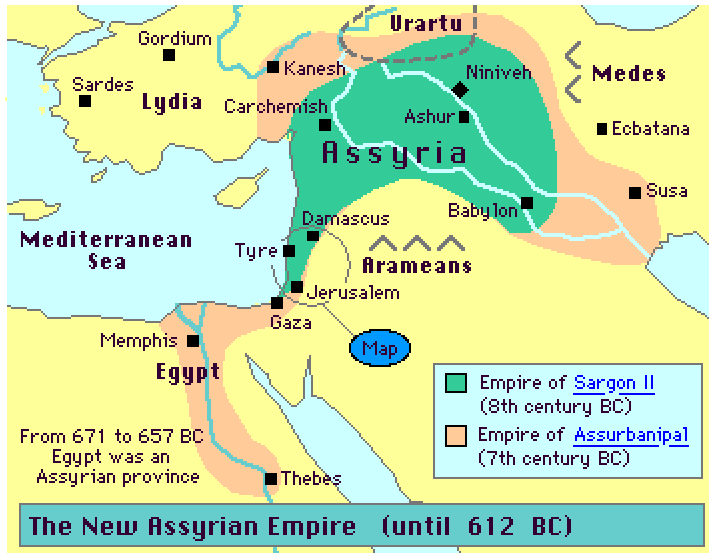
(1990) حكام سوخو وماري

(1992) كتابات من نينوى.

(1999) الجيش الآشوري.

هناك جيل جديد من علماء الآشوريات في العراق يواصلون مسيرة أسلافهم ومنهم: الأستاذ الدكتور علي ياسين الجبوري، والدكتور عامر عبد الله الجميلي وآخرون. ولابد من التنويه بالجهد الكبير الذي قام به الدكتور هاشم يحيى الملاّح في إشرافه على إصدار موسوعة الموصل الحضارية بمجلداتها الخمسة، وكتبه عن تاريخ الموصل الإسلامي الذي هو جزء من تخصصه الدقيق.

# الفصل الأول: جغرافيا آشور




## المبحث الأول: جغرافيا آشور القديمة

أولاً: جغرافيا آشور

**التركيب أو البنية الجيولوجية:**

«تكونت منطقة الموصل في نفس الفترة التي تكونت فيها معظم أرض العراق الشمالي، وذلك ضمن الحركة الآلبية التي ضغطت الرواسب البحرية المتجمعة في قاع بحر تثس Tethys الذي كان يغمر معظم مساحة العراق والمناطق المجاورة له. وقد كانت حركة الرواسب موجهة من الشمال إلى الجنوب باتجاه القارة الأركية القديمة (كوندوان). ويعود أقدم التراكيب الجيولوجية في المنطقة إلى فترة الزمن الثالث (الكاينوزي Cainozoic)، حيث تظهر بعض الترسبات من حجر الكلس والطفل في مناطق متفرقة من اقليم الموصل، مثل جبل سنجار والمناطق المحصورة بين زاخو وعقرة، وفي جبل مقلوب، وتعد هذه

التكوينات من أقدم التكوينات الجيولوجية في اقليم المدينة المباشر. (الجنابي 1991: 4).

«أما التركيبات الأخرى فإنها أكثر حداثة من ذلك، يعود معظمها إلى عصور الزمنين الثالث والرابع. حيث تظهر ترسبات هذه العصور في أحجار الجبس والصلصال والخارل، والصخور التباشيرية وأحجار الرمل العائد إلى عصر الميوسيين الأعلى (فارس الأعلى Upper Fars) وكذلك الصخور المجمعة (الكونكلومرات) البختيارية.

وتعود بعض الصخور الرملية (Sandy stone) إلى عصور الزمن الرابع، خاصة في الفترة المطيرة (السيايستوسين)، وفي فترة العصر الحديث (Recent) تكونت مجموعة من الأرسابات المائية على طول مجاري الأنهار والوديان المنحدرة من المنطقة الجبلية، وفي بنية السهول المروحية عند اقدام المرتفعات. وسنعود لبعض تفاصيل البنية عندما نتناول مفردات الأقسام الرئيسة لسطح المنطقة.» (الجنابي 1991: 5).

**حدود وتضاريس بلاد آشور:**

فرق كبير في تحديد الحدود بين مدينة آشور والدولة الآشورية والإمبراطورية الآشورية بمختلف عصورها. الأنسب في هذا الأمر، هو معرفة حدود الدولة الآشورية الأولى التي شملت مجموعة من المدن المحيطة بمدينة آشور. وهي تتمتد على طول نهر دجلة الأوسط، ويحدّها من:

الشمال: من شمال الموصل الحالية حتى سلاسل طوروس الجبلية.

الشرق: سهول بلاد الرافدين الرسوبية الواسعة والمتصلة بامتدادات هضاب زاجروس الإيرانية. التي كانت عامرة برافدين كبيرين لنهر دجلة وهما (الزاب الكبير والزاب الصغير).

الغرب: منطقة الجزيرة وامتدادها الغربي في البادية السورية.

الجنوب: القسم الجنوبي من بلاد وادي الرافدين ويمكن تحديد امتداده المبكر نحو 130 ميلاً شمال غرب بغداد، ثم شمل أكد وبابل وسومر.

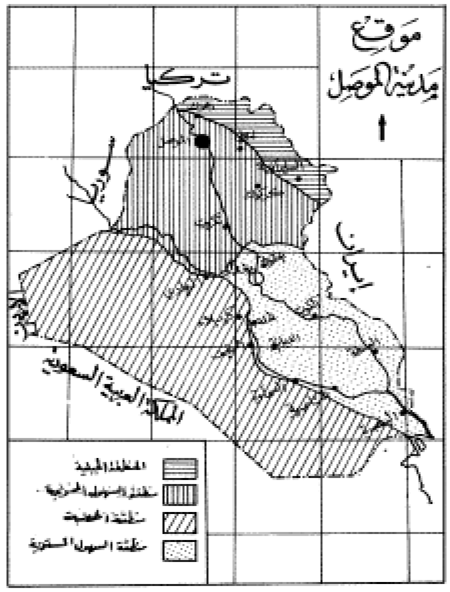
طبيعة بلاد آشور المركزية أنها مناطق تلال متموجة ضمت السهول والوديان الزراعية الكبيرة، وتنقسم لثلاثة سهول:

1. سهل الموصل: وهو السهل الذي يقع بين الزاب الأعلى والجبال الشمالية.

2. سهل أربيل: وهو السهل الذي يقع بين الزابين والمتمركز حول أربيل.

3. سهل كركوك: وهو السهل الذي يقع في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الزاب الأسفل حتى جبل حمرين وتضم هذه المنطقة مدينة كركوك.

تؤلف بلاد آشور وحدة جغرافية متكاملة التضاريس، فهي متنوعة التضاريس والمناخ، سهم التموج فيها في الجبال والسهول والهضاب والأودية، التلال ذات ارتفاعات قليلة تسهل حركة الإنسان والحيوان وعبور الجيوش والقوافل من خلالها، والسهول خصبة صالحة للزراعة إذ إن سقوط الأمطار في أجزاء كبيرة من البلاد. والمياه متوفرة كالزابين الأعلى والأسفل حتى مصبهما في نهر دجلة الذي يخترق هو الآخر البلاد من شمالها الغربي إلى جنوبها الشرقي، والعيون والينابيع والآبار.




**خارطة العراق وتتضح فيها تضاريس السهول المتموجة لبلاد آشور القديمة مقارنة ببقية وادي الرافدين**

## الأنهار في مناطق آشور:

تمركزت آشور بين دجلة والفرات، لكن دجلة وروافده هي التي لعبت الدور الأول والأهم في تأسيس بلاد آشور الأولى في العصرين القديم والوسيط بشكل خاص. تقع مدينة آشور على هضبة تطل على نهر دجلة،، ورغم ذلك لم يكن لدى الآشوريين في آشور ما يكفي من المياه العذبة لبدء الزراعة، ولكن وصولهم إلى النهر سمح لهم بأن يصبحوا تجارًا متميزين. وهكذا كان النهر سبباً مهماً في نشوء الزراعة والتجارة في بلاد آشور، فهو عصبها الاقتصادي، مع روافده هناك وخصوصاً الزابين الأعلى والأسفل.

جاء نفوذهم حين أبحروا على طول نهر دجلة وبعد ذلك الفرات، وقاموا بشراء وبيع البضائع مع مدن بلاد ما بين النهرين الأخرى والتعامل مع المدن الأخرى. ومع بداية العصر الآشوري الحديث، قام الآشوريون بتوسيع طرق التجارة الخاصة بهم أكثر، حيث سافروا

صعودًا ونزولًا على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وكذلك على طول العديد من الأنهار الرئيسية عبر هذه المنطقة الكبيرة.

كان من نتائج أوضاع الأنهار في عموم وادي الرافدين، وفي آشور بشكل خاص، بسبب اعتمادها على دجلة وروافده التي تفيض دائماً، بناء أنظمة السدود والقنوات لاحتجاز المياه، والتي يمكن استخدامها بعد ذلك لري الحقول. لكن المشكلة هي في عدم وجود بوابات سفلية للتحكم في تدفق المياه، ولذلك كانت المياه تغمر الحقول بالحفر عبر جدار القناة وإغراقها، ثم تجرف الطين لإغلاقه مرة أخرى بمجرد وصول الكمية المطلوبة من المياه. هذا يعني أن كل مزارع كان عليه أن يحد القناة مباشرة في حقله. ونتيجة لذلك، ظهرت أنظمة القنوات المعقدة في كل مكان يعيش فيه الناس في بلاد ما بين النهرين. وكذلك كان الحفاظ على القنوات واجباً رئيسياً للحكومة.

«يقع قلب آشور القديمة على طول نهر دجلة في شمال العراق الآن. كان النهران حيويين للزراعة في ما كان يمكن أن يكون صحراء، لكنهما يحملان أيضًا ستة أضعاف طمي نهر النيل. هذا يعني أن قاع الأنهار ضحلة وتمتلأ بشكل أسرع، وبالتالي تغير الأنهار المسارات في كثير من الأحيان. كما أنها تتدفق بشكل أسرع، ويتدفق نهر دجلة بشكل أسرع من نهر الفرات. في حين أن النيل غمر بشكل منتظم ويمكن التنبؤ به وبلطف حقول مصر كل عام، إلا أن الأسطح الضحلة ومعدل التدفق السريع وحمل الطمي الثقيل يعني أن نهر دجلة والفرات عرضة لفيضانات عنيفة لا يمكن التنبؤ بها والتي امتدت على ضفافهما وتجرف الحقول بدلاً من تجديدها.» (De Camp 1995: 180)..

يجري نهر الخوصر في مدينة نينوى كأحد الروافد القديمة المهمة لنهر دجلة والذي ما تزال آثار واديه شاخصة للعيان في مدينة نينوى إلى الوقت الحاضر، وبحسب الأدلة الكتابية المكتشفة فإن أول إشارة إلى ذكر نهر الخوصر في النصوص المسمارية وردت في مدونات من العصر الآشوري الوسيط وتحديداً من عهد الملك توكلتي ـ آبل ـ ايشرَا (تكلاتبليزر) الأول 1115-1077 ق.م. وقد أنشئت عليه مشاريع الري وهناك منابع العيون التي كانت

تغذيه للإفادة من مياهه، ومن أهم تلك المشاريع كانت السدود وحفر القنوات وما يرتبط بهما من أعمال تكميلية كانت تصب في تحقيق الهدف الذي من أجله أقيمت تلك المشاريع وهو إيصال المياه إلى نهر الخوصر ومدينة نينوى.وكانت دوافع اهتمام الملوك الآشوريين دينية من أجل إرضاء الآلهة، فضلاً عن أهمية العامل الزراعي.

كانت الأنهار، في الربيع مع ذوبان الثلوج، تغمر الأرض وتغمر القنوات التي يتمّ توجيهها، في هذا الوقت، نحوحقول البور لإعدادها للزراعة. وسيتم حرث الحقول بعد ذلك في الخريف بعد المطر. إذا لم تكن هناك أمطار، وهذا يلزمه المزيد من الري. ويستغل بمجرد أن يجف الحقل بما فيه الكفاية بحيث لا تكون الأرض مبللة، ولكن قبل أن تصبح صخرية صلبة أيضا، حينها تكون جاهزة للحرث.

ثانياً: وصف مدينة آشور

تأسست مدينة آشور في عصر فجر السلالات بين سهول خصبة وفوق مرتفع طبيعي يطلّ على نهر دجلة، وتُظهر الآثار المكتشفة فيها وجود تأثيرات سومرية واضحة في نشأتها. فقد كان أقدم معابدها هو المعبد الواسع للإلهة عشتار والذ ضم دورين رئيسين من تطوره، الأول مشيد على أرض المدينة البِكر، والثاني فوقه وفق خريطته الأولى، وكانت آثار المعبد تضم منحوتات ذات طرازٍ سومري، فخارها فيشير إلى استمرار استخدامه في عصور فجر السلالات الأول والثاني والثالث، وعثر على نماذج طينية من التيراكوتا لبيوت صغيرة تمثل طراز بيوت مدينة آشور التي كانت مسطحة السقف وذات طابقين أو ثلاثة، وعثر على منحوتة إلهة من الجبس ملونة تمثل آلهة مزينة بالحليّ في أذنيها وعلى رقبتها وهي عارية الصدر ومنتفخة السرّة وممددة على السرير، ولاشك أن هذه الآثار تعكس الطبيعة الدينية للمدينة في ذلك الوقت المبكر.

وفي تطوّر لاحق ظهرت معابد أخرى لمجموعة من الآلهة عكست نمو أفقها الديني حتى أصبحت آشور «من المدن الدينية المهمة فهي مدينة الإله آشور وهو إله قومي للمنطقة الشمالية وقد اكتسب كل صفات الإله آنو وأصبح الإله إنليل أبنه نتيجة لذلك.. ولقد شيدت

المعابد في المدينة على طول الضلع الشمالي للمدينة والمطل على فرع نهر دجلة القديم وتوزعت من صف واحدة تقريباً تفصل بينها الزقورة والقصر الملكي القديم وشرفة القصر الحديث. وهي من الزاوية الشمالية الشرقية وعلى التوالي: معبد آشور، زقورة إنليل، القصر القديم والمقبرة الملكية، معبد آنو أدد المزدوج، القصر الجديد، بيت الاحتفالات السنوية (بيت أكيتو) ويقع خارج السور. ويقع كل من معبدي سن ـ شمش ومعبد نابو في خط ثان خلف معبد آنو اداد. ويتم الوصول إلى منطقة المعابد والي كانت معزولة بواسطة جدران قاطعة وبوابات فرعية بواسطة الأزقة والشوارع المعبدة بالحجر وكذلك بواسطة البوابة الشمالية الغربية (بوابة كركري) ولبيت الاحتفالات (بيت اكيتو) دور مهم إذ تنتقل إليه جميع الآلهة بواسطة الزوارق الخاصة بها في رأس السنة العراقية القديمة للاحتفال بالعيد ثم تعود ثانية ولذلك كان لا بد من أن تكون المعابد وبيت الاحتفالات جميعها مطلة على النهر.» (سعيد 1988: 136).

وفي خطوة أبعد ظهرت الزقورات الآشورية الأولى حين أصبحت آشور عاصمة للآشوريين تجمع الطابعين الديني والدنيوي حيث نشأت القصور مرافقة للمعابد، «ولقد تحولت هذه الظاهرة في الموقع الديني الدنيوي الخاص بآشور إلى ظاهرة تجمعها على حافة المدينة ومطلة على النهر وفي الوقت نفسه إلى تقليد عام لكل الملوك الآشوريين فيما بعد. ولقد حاولوا جميعا وبنجاح تشييد عاصمة بديلة لآشور وقاموا بتشييد مصطبة عالية اصطناعية بدلاً من الحافة الجبلية العالية المطلة على النهر، وقاموا ببناء قصورهم ومعابدهم والزقورة عليها، وحولوها إلى (أكروبوليس) ملكي وبالتالي مدينة محرمة على المواطنين (اللهم إلاّ في أوقات الاحتفالات) فاحتفظوا بذلك بالعصمة الدينية والدنيوية بأيديهم. إلاّ أن آشور بقيت المدينة الدينية الرئيسية أينما كانت عواصمهم، ولذلك كانوا يعيشون ملوكاً في كالح (نمرود) ونينوى ودورشروكين (خرسباد) ولكنهم كانوا يدفنون تحت جدران القصر القديم في آشور.» (سعيد 1988: 137).

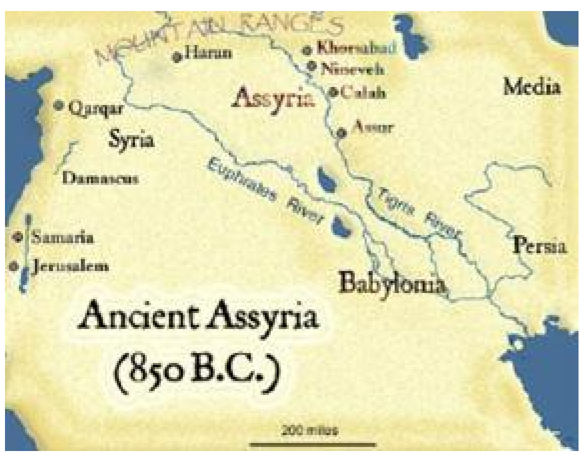
«وبالطبع فإن العواصم الملكية لها حصتها في المعابد وبطريقة ترينا الأهمية الدينية والدنيوية للمدينة.. لذا أن العاصمة تمتاز عادة بزقورة كبيرة (وفي مدينة آشور عدة

زقورات) يحيط بها صحن واسع أو عدة ساحات مع أسوار ومداخل، وتحاول العاصمة عادة تبني معظم الآلهة الرئيسة للمدن المهمة التابعة لها، وبذلك تبقى هي كمدينة فوقية تشرف على المدن الأخرى دينياً ودنيوياً وتضمن بذلك ولاء المدن والمناطق لها. وتعتبر عمارة المعابد جزءاً من الع مارة الخاصة بالمدينة وخاصة بالعمارة الرسمية منها وذلك في طرازها وفي شكلها وفي اثاثها. فإذا كانت القصور ترفع على مصاطب عالية فالمعابد ترفع على مصاطب خاصة أو ملحقة بالقصر الملكي، وأحسن مثال لها هو في مدينة خرسباد. » (سعيد 1988: 130).

# المبحث الثاني: المدن الآشورية

فيما يلي قائمة سريعة بأهم المدن الآشورية والتي كان لبعضها جذوراً سومرية أو أكدية لكنها أصبحت آشورية متداولة، وسنبدأها بالعواصم الآشورية االخمس:

وهذا شرح موجز لأهم هذه المدن، وفي مقدمتها المدن الخمس التي هي عواصم الدولة الآشورية بالتتابع:

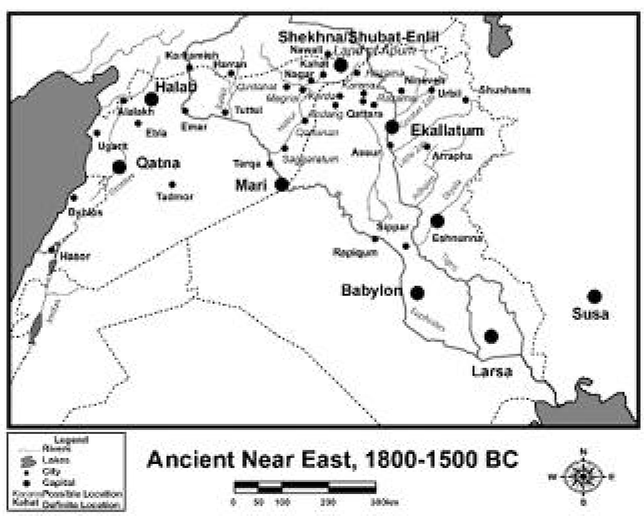



**موقع العواصم الآشورية الأربع: من الأسفل (آشور، كالح، نينوى، خورسباد)**

**1.آشور Ashur**

«لقد أعيد الاهتمام بآشور خلال فترة الاحتلال الفرثي حيث صارت مدينة واسعة بشوارع مستقيمة ظهرت في بناياتها الأعمدة وشيدت بها الأسواق على نمط الأكورا اليونانية ودخلت العمارة التي استخدمت بها الحجارة المهندمة وظهرت الأواوين المفتوحة من الخلف والساحات المحاطة بالأعمدة. وقد نقب في ثلاثة أجزاء من مدينة العصر الفرثي بآشور منها فناء المعبد عند طرف المدينة الشمالي المشيد فوق معبد قديم والبوابة. ثم قصر المدينة الواسع الذي يقع في جانبه الشرقي فناء محاط بسلاسل من الأعمدة المنتظمة الأبعاد. وفي البلدة ساحة محاطة بسور تؤدي إليها ممرات عدة. وأمام البوابات فناءان واسعان يتعامدان على بعضهما كان الشمالي منهما ذا طريق مسقوف بأعمدة والاخر غرب ساحة المدينة.» (الأحمد 1988: 160).

2.شوبات إنليل Shubat-Enlil

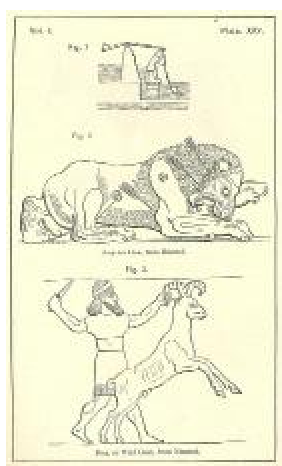




**بقايا المدينة وتظهر الأعمدة الحلزونية واضحة في معمار بيوتها**

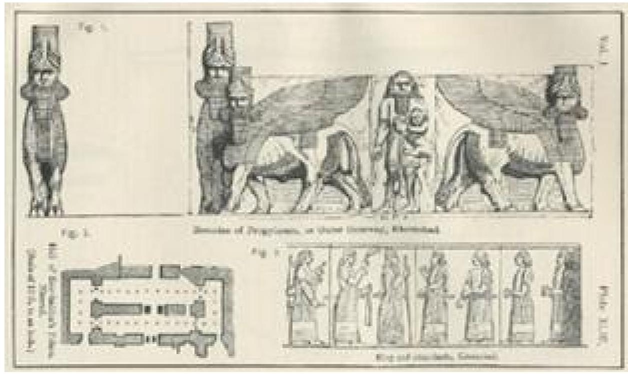
**أختام اسطوانية من تل ليلان (Weiss 2010: 14 - 15)**

3.كالح (كالخو) Kalhu



**صور عن الري وصيد الأسد والعنز البري من نمرود**

**4. دورشروكين (خرسباد)**

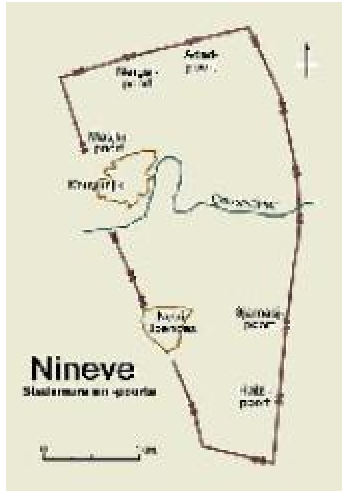


**الثيران المجنّحة وهي تزيّن بوابات دور شروكين مع مخطط أرضي لقصر أسرحدون وتخطيطات لملوك**



**سرجون الثاني على عربته الحربية، من آثار دور ـ شروكين**

**5.نينوى Nineveh**




**خارطة نينوى ونهر الخوصر وتل كوينجق وتل النبي يونس**



**لوحة متخيلة، على ضوء الآثار، لمدينة نينوى رسمها الرسّام رون إيمبليتون**

**Ron Embleton (1930- 1988)**

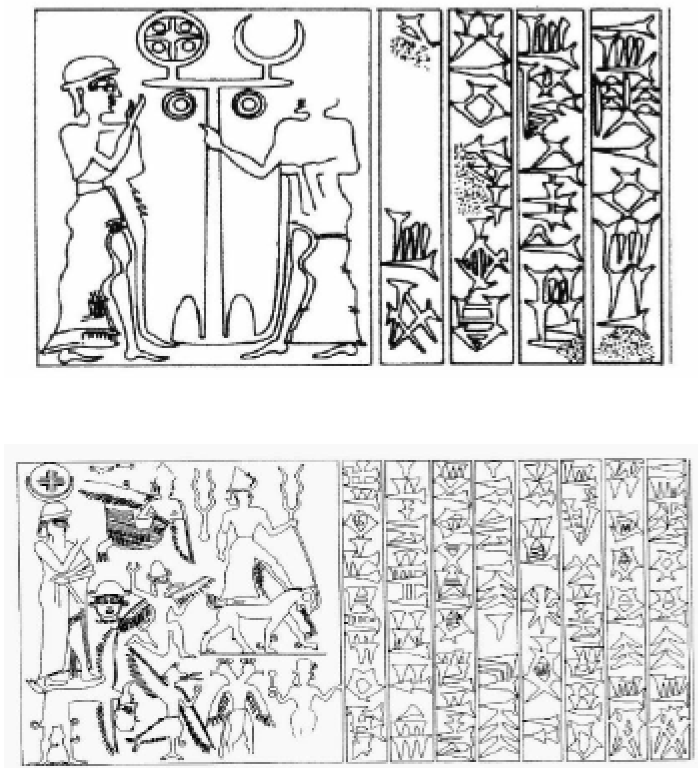
6.إيكلاّتم Ekallatum

7.أرّابخا Arrapha

**ملاحظة مهمة:** تكمن جذور مدينة أرابخا في مدينة أسبق شكلت جذراً لها وهي مدينة جاسور القريبة من اسم آشور، وبذلك تكون أسماؤها وجذورها هي (لمو ـ ها، جاسور، نوزي، أرابخا (أورفه) وكلها، الآن، في مدينة أكبر هي كركوك.

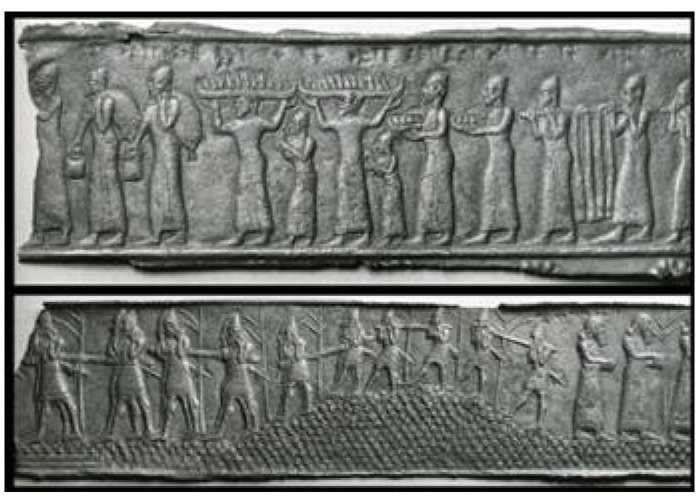
تأسست جاسور Gasur خلال الإمبراطورية الأكادية (2335-2154 قبل الميلاد) ثم بعد ذلك أصبحت جزءًا من آشور وتديرها الإمبراطورية السومرية الجديدة. في الألفية الثانية الوسطى استوعب الحوريون المدينة وأطلقوا عليها اسم نوزي Nuzi. ويرتبط تاريخ Nuzi ارتباطًا وثيقًا بتاريخ مدينتي Eshnunna وKhafajah القريبتين. وهناك بعض الجداول المسمارية من الإمبراطورية الآشورية القديمة يشير إلى أن التجارة مع أشور المجاورة كانت تجري. بعد سقوط مملكة ميتاني الحورية إلى آشور أوباليت الأول من الإمبراطورية الآشورية الوسطى، عادت نوزي إلى أيدي الآشوريين ثم بدأت بالتدهور التدريجي.

«كانت جاسور هي الاسم القديم لإحدى المدن عرفت فيما بعد باسم نوزي قرب كركوك، وهكذا يخبرنا هذا النقش أن منطقة كركوك لم تكن في ذلك الوقت جزءاً من مملكة آشور، بل كانت عبارة عن دولة مدينية منفصلة ومعادية، وهذا الانفصال لم يكن قضية عرقية نظراً لأن النصوص التي وجدت في جاسور تُظهر أنه عند الحكم عن طريق الأسماء الخاصة الموجودة خلال الفترة الأكادية القديمة (وليس في وقت متأخر) فإن أكثرية السكان في تلك المدينة كانوا من الساميين كما هو الحال لدى سكان آشور، ونظراً لأن أشور كانت لا تزال مستقلة، عندها ربما يستنتج المرء أن المدينتين الرئيسيتين، نينوى وأربيل وكلاهما بعيدتان عن جاسور، لم تكونا في ذلك الوقت جزءاً من مملكة أساسها آشور.»
(ساغز2008: 40).

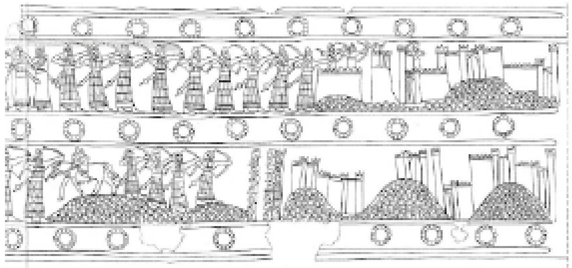


**أختام ملك أرابخا (أتخي ـ تيشوب)**

8. أمكّر ـ بيل (أمكّر ـ إنليل) (بلاوات) Balawat Imgur-Enlil

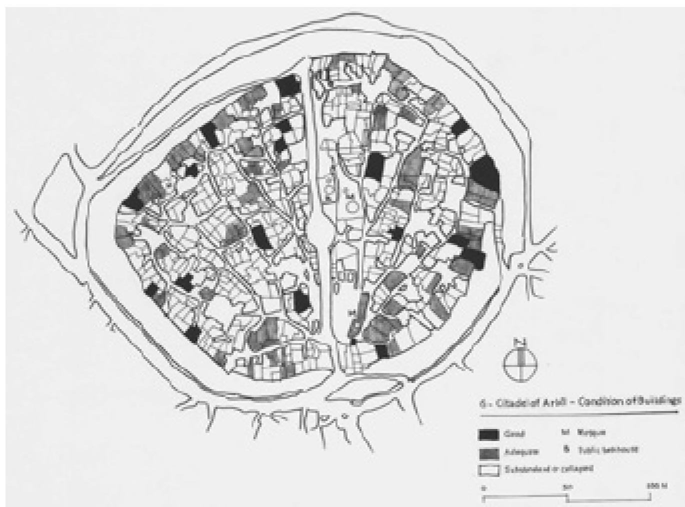


**قطع من الصفائح النحاسية لقصر بلاوات**



**مشاهد من صفائح البوابات من عصر شليمنصر الثالث**

9. أربيل Erbil




**مخطط لقلعة أربيل الأثرية**

**10.حرّان Harran**



**بيوت النحل في حران**

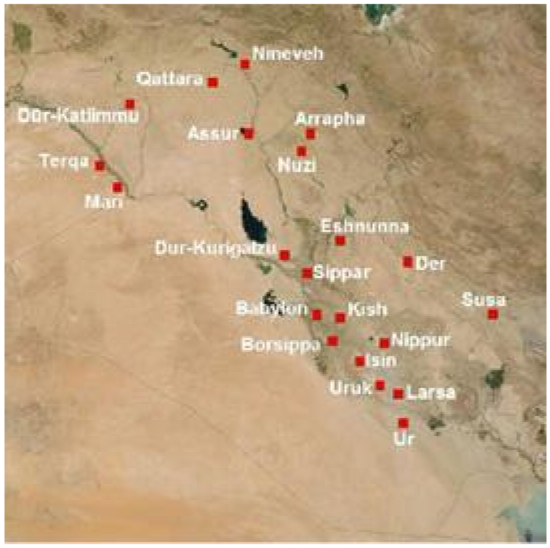


**الملك وكاتبه ـ الدولة الآشورية الجديدة**

**مكتوب على يمين الرمز النجمي: «ربي، بعل حران». بعبارة «سيد حران»، إله القمر، ممثلاً كقرص قمر وهلال قمر.**

**12.تربيص، تربيصو Tar-bi-si**

13.كتّارا (قطّارا) Qattara




موقع مدينة كتارا ومدن أخرى

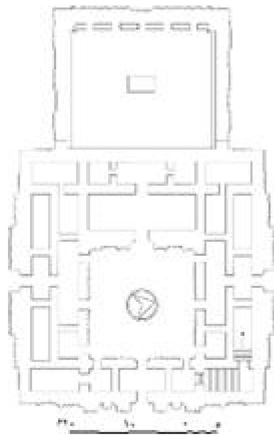
14.كرانا (كرانه) Karanã

## المراجع:

حنون، نائل: الموسوعة العربية التصنيف: التاريخ والجغرافية والآثار ـ المجلد: المجلد الخامس عشر، رقم الصفحة ضمن المجلد: 800، كارانا

S.DALLEY, C.B.F.WALKER and J.D.HAWKINS, The Old Babylonian .Tablets from Tell al Rimah (London 1976)

S.DALLEY, Mari and Karana: Two old Babylonian Cities ـ .(London 1984)



**مخطط معبد كارانا (تل الرماح)**

**من العصر البابلي القديم**

**15. دور ـ كاتليمو Dur-Katlimmu**



**غرف مخازن الإرشيف الملكي في دور كاتليمو**

**15.كانش، كانيش، كاروم كانش (كول تبه) Karanã**

**المراجع:**

**Highcock, Nancy: Assyrians Abroad: Expanding Borders Through Mobile Identities in the Middle Bronze Age, Journal of Ancient Near Eastern History | Volume 4: Issue 1-2 (2018).**




**موقع كانش (كاروم كانش) والمستعمرات الآشورية في بلاد الأناضول**

# المبحث الثالث: المناخ والسكّان وإثنياتهم

أولاً: مناخ آشور

لعب المناخ أهم الأدوار في صعود وارتقاء الحضارة الآشورية، مثلما لعب الدور الأكبر في سقوطها، حيث يقدم سجل تغير المناخ الذي كُشِفَ عنه حديثًا، في المناطق الآشورية المركزية، صورةً واضحة وجليّة عن العوامل التي أثرت في نهوض الإمبراطورية الآشورية الحديثة وسقوطها معاً.

كان مناخ البحر المتوسط هو الذي يسود في المنطقة الجبلية قرب الموصل وآشور، ويمتاز بشتائه البارد. وأمطاره الغزيرة. لكن ميزة هذا المناخ الغريبة هي في حلول الجفاف

المفاجيء بين فترة وأخرى، لم يكن من السهل التعرف على وقت حصولها في زمن الدولة الآشورية.

**الأمطار:** يقول أشيش سينها، عالِم الأرض والمناخ بجامعة ولاية كاليفورنيا: «لقد كشفت بياناتنا عن عدد قليل من الفترات المطيرة غير الطبيعية خلال الأربعة آلاف عام الماضية». وقعت أهم هذه الظروف المناخية المطيرة وغير العادية منذ 2700 و2900 عام مضت، عندما كانت الإمبراطورية الآشورية الحديثة في أَوجِها. ويقول سينها: لقد فوجئنا باكتشاف العلاقة القوية بين المناخ ونهوض الإمبراطورية.

كانت الفترة الزمنية التي امتدت على مدى قرنين من الزمن مناسبةً للزراعة المطرية، وأدت دورًا أساسيًّا في تعزيز الاقتصاد الآشوري الذي تمحور حول الزراعة..

ويوضح سينها قائلًا: «لقد اعتمد تمويل ماكينة الإمبراطورية الآشورية الحديثة كلها في المقام الأول على إيرادات الزراعة، التي كانت تعتمد على المطر اعتمادًا مفرطًا، على العكس من البابليين في الجنوب الذين كانوا يستخدمون أسلوب الرَّي.

ويشير سينها إلى أن النمو غير المستدام للإمبراطورية ربما يكون قد «تجاوز القدرة الاستيعابية الطبيعية للأرض بمجرد تأرجُح بندول التغيُّر المناخي في الإتجاه المعاكس».

وقد تغير المناخ فعلًا؛ إذ كشفت الدراسة أن حالات من الجفاف استمرت عقودًا قد حدثت لاحقًا في القرن السابع قبل الميلاد.

(أنظر: ريكو كاواباتا ـ من الممكن أن يكون تغيُّر المناخ مرتبطًا بانهيار الإمبراطورية الآشورية،موقع
https://www.natureasia.com/ar/nmiddleeast/article/10.1038/nmiddleeast.،
تم الإطلاع عليه في 9/ 3/ 2020)2019.162

معظم الأمطار في وادي الرافدين تحدث في الفترة بين كانون الأول وحتى نيسان، ويتراوح معدلها ما بين 340 و512 ملم سنويا، وفي المناطق الآشورية المركزية تكون بحدود 950 ملم.

«وعلى الرغم من أن موجة الجفاف الكبيرة قد أدت على الأرجح إلى تدهور اقتصادي سريع، يؤكد سينها أن «عجلة انهيار الإمبراطورية الآشورية كانت قد دارت» خلال فترة المناخ الرطب التي أصبحت الإمبراطورية فيها «ضخمة ويصعب التحكم فيها». فقد بدأت التأثيرات الكامنة لتغيُّر المناخ ـ كما يقول سينها ـ قبل قرون من انهيار الإمبراطورية » (أنظر ريكو كاواباتا، الرابط أعلاه).

**الرياح:** «تعد الرياح من المتغيرات المناخية المهمة التي تؤثر في سطح الأرض من خلال نقلها للحرارة من مكان لأخر بسبب اختلاف الضغط الجوي، وقد كان لدى سكان حضارة وادي الرافدين إلمام بذلك وهذا ما دفعهم إلى بناء مدنهم باتجاه الرياح، إذ لوحظ أن النصب الآشورية والبابلية لا تتجه إلى جهات البوصلة الأربع بل إلى جهات فرعية، أي مثل إلى الشمال الغربي بدل الشمال، وإلى الجنوب الشرقي بدل الجنوب، ويعتقد أن هذا التوجه يرتبط باتجاه الرياح في بلاد وادي الرافدين.» (الجواري 2006: 154).

**الحرارة:** متوسط درجات الحرارة في شمال العراق (في شهري تموز وآب تكون بمعدل 30 درجة مئوية، وتصل في الشتاء (كانون الثاني وشباط) إلى ما دون الصفر.

ثانياً: سكان آشور (ديموغرافيا، إثنوغرافيا)

هناك المزيد من العوامل الديموغرافية والإثنوغرافية التي ساهمت في نشوء وسقوط الإمبراطورية الآشورية القديمة، حيث تشير الدلائل الأثرية والتاريخية والمناخية إلى أن العوامل المناخية والنمو السكاني كانت قد أثرت بقوة في الحالين.

ففي بداية نمو آشور إقليمياً توسعت المجالات البشرية والإثنيات المنصهرة مع بعضها وساهمت في نشوء أمة آشورية قوية قامت بأعباء تأسيس دولة مستقلة رغم كل اضطراب محيطها الإقليمي وقسوته.

وفي القرن التاسع قبل الميلاد، بدأت الإمبراطورية الآشورية تتوسع بقوة إلى معظم الشرق الأدنى القديم. وصلت إلى ذروتها في أوائل القرن السابع قبل الميلاد، لتصبح الأكبر والأقوى في الشرق الأدنى حتى ذلك الوقت. لكنها سرعان ما بدأت بالتراجع السريع اللاحق للإمبراطورية الآشورية بحلول نهاية القرن السابع حتى سقطت وتم تدمير العاصمة الآشورية نينوى.

يجادل آدم شنايدر من جامعة كاليفورنيا في سان دييغو في الولايات المتحدة، وسليم أدالي من مركز أبحاث الحضارات الأناضولية في تركيا، في البحث الذي نشر في مجلة Springer Climatic Change بأن عوامل مثل النمو السكاني والجفاف ساهمت أيضًا في سقوط الآشوريين. حيث تظهر بيانات المناخ القديم التي تم نشرها مؤخرًا أن الظروف في الشرق الأدنى أصبحت أكثر جفافًا خلال النصف الأخير من القرن السابع قبل الميلاد. خلال هذا الوقت، شهدت المنطقة أيضًا نموًا سكانيًا كبيرًا عندما أعيد توطين الأشخاص من الأراضي المحتلة بالقوة هناك. يؤكد المؤلفون أن هذا قلل بشكل كبير من قدرة الدولة على تحمل الجفاف الشديد مثل الذي ضرب الشرق الأدنى عام 657 قبل الميلاد. كما لاحظوا أنه في غضون خمس سنوات من هذا الجفاف، تآكل الاستقرار السياسي والاقتصادي للدولة الآشورية، مما أدى إلى سلسلة من الحروب الأهلية التي أضعفته بشكل مميت. ويقول شنايدر: «ما نقترحه هو أن هذه العوامل الديموغرافية والمناخية لعبت دورًا غير مباشر ولكنه مهم في زوال الإمبراطورية الآشورية». أنظر (Schneider& Adalı2014)

أما العوامل الإثنية فقد لعبت دوراً، هي الأخرى، في التاريخ الآشوري، فرغم ما تحدثنا عنه من التكوين الإثني المنوّع في بدايات ظهور الآشوريين، ورغم الإضافات الإثنية للشعوب الآشورية الأثلية القديمة بسب سياسة التهجير، لم تصمد عمليات أشرنة هذه الشعوب كلها

تحت راية الإله آشور برغم حرية العبادة التي سمحت بها الإمبراطورية الآشورية لمواطنيها الذين كانوا تحت هيمنتها. فسرعان ما انفرطت هذه الشعوب وتخلت عن ولائها للمركز الآشوري.

# الفصل الثاني: موجز التاريخ الآشوري



## المبحث الأول: المدخل العام لعصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية الآشورية

أولاً: عصور ماقبل التأريخ في بلاد آشور

المناطق التي شهدت عصور ما قبل التاريخ في ما يعرف ب(ميزوبوتاميا العليا) كانت حاضنة للبلاد الآشورية، ومن فيض ثقافاتها جاء الحافز الحضاري للآشوريين بعدها، فقد شهد العصر الحجريّ القديم (الباليوليت) بأطواره الثلاثة يشهد على التوالي ظهور ثقافات رافدينية خاصة، ففي الباليوليت الأسفل (120000 ـ 100000 ق.م) ظهرت ثقافة بردا

بلكا (الأشولية عالمياً) المتمثلة بالشظايا والفؤوس والمقاشط الحجرية، وفي الباليوليت الأوسط (100000 ـ 50000 ق.م) ظهرت الثقافة البرادوستية (الموستيرية) المتمثلة بتسعة هياكل عظمية لإنسان النياندرتال، جمجمة، مثاقب ومقاشط وسكين حجرية.

وفي الباليوليت الأعلى(50000 ـ 14000 ق.م) ظهرت الثقافة الشانيدرية (الأرغنوشية عالمياً) بنصال وأزاميل وسهام صغيرة الحجم وأدوات حجر بركاني، وفي الميزوليت (14000 ـ 8000 ق.م) ظهرت الثقافة الزرزية (الكرافيتية عالمياً) المتمثلة بتدجين الحيوانات، مستوطنات، أدوات حجرية دقيقة (مايكروليثية).

ومع اكتشاف الزراعة ونشوء القرى لم تكن المناطق التي ستصبح آشورية بعيدة عن هذا الحدث الذي حصل مبكراً في شمال وادي الرافدين، فقد ظهرت في النيوليت (8000 ـ 4900 ق.م) أربع ثقافات زراعية هي (جرمو، الصوان، حسونة، سامراء)، والتي شهدت اكتشاف الزراعة، القرى، الإلهة الأم، الفخار، البيوت، المجتمع، النسيج. المزار الديني.. إلخ.

أما في العصر الحجري النحاسي (كالكوليت) (4900 ق.م ـ 3200 ق.م) فقد ظهرت ثلاث ثقافات وهي (حلف، أريدو، العبيد) شهدت استعمال النحاس، ظهور المدينة، الإنقلاب الذكوري، رموز الصليب والثور والفأس والحمامة، رموز السواستيكا والمندالا.

كانت ثقافة حلف (والأربجية في الموصل)، آخر ثقافات الإبتكار والإبداع المتواتر في شمال وادي الرافدين، فقد انتقل هذا التواتر، بعده، الى جنوب وادي الرافدين. ثم جاء عصر البروتولتريت فيها (3200 ـ 2900 ق.م) وظهرت ثقافة أوروك حيث رقيّ المعابد، اختراع الكتابة في أوروك، والأختام الأسطوانية، ثم ثقافة جمدت نصر حيث ظهر الملك الكاهن، وتطور الفخار ورسومه.

وقد ناقشنا هذه الثقافات بالتفصيل في كتابنا (عراق ماقبل التأريخ)، ويمكن العودة له من أجل معرفة التفاصيل الدقيقة لكل هذه العصور والثقافات. (أنظر الماجدي 2017).

ثانياً: العصور التاريخية

انتهت عصور ماقبل التاريخ في حدود 2900 ق.م، وبدأ عصر فجر السلالات الذي ينقسم إلى ثلاث مراحل اختلفت الآراء بشأن تواريخها، وتنوعت هذه الآراء حسب نمطين في التحقيب الزمني يسمى الأول نمط التحقيب المتوسط الطول وهو يعطي لها فترات زمنية مبكرة ومتوسطة الطول، والثاني فترة التحقيب القصير الذي يعطيها فترات زمنية أقصر، ويوضح الجدول الآتي هذه التحقيبات:

مع بداية العصور التاريخية في وادي الرافدين شهدت منطقة مدينة آشور نمواً بطيئاً تسارع مع عصر فجر السلالات الثالث، فقد أظهرت التنقيبات الآثارية أن مدينة آشور قد أسست في عصر فجر السلالات على مرتفع طبيعي يطلّ على دجلة، فظهر معبد الإلهة عشتار، الذي يُعتقد، من خلال المنحوتات التي وجدت فيه، أنه كان متأثراً بالعبادة والطراز السومري. وينطبق هذا على مدينة نوزي (التي تبعد 13 كم غرب كركوك) فقد شهدت بقايا آثار من دور (جمدت نصر)، ولم يعثر على شيء من عصر فجر السلالات، وظهر العصر الأكدي واضحاً في هذه المدينة التي صار اسمها (جاسور) القريب من اسم آشور، وكذلك يظهر فخار عصر فجر السلالات في نينوى.

شهدت العصور السابقة ظهور أسر آشورية كثيرة بأسماء خاصة لها ولملوكها، وتضمنت الحقائق الآتية:

1. زمن التاريخ الآشوري القديم = 1841 عاماً

2. تكوّن التأريخ الآشوري من أربعة عصور وكل عصرٍ تكوّن من ثلاث فترات أساسية

3. عدد الملوك الآشوريين = 119 ملكاً

4. لم يتّضح نظام الأسر في العصرين المبكر والوسيط وظهر بوضوح في العصرين القديم والحديث

5. أطول العصور هو العصر الآشوري القديم فقد بلغ 645 عاماً، وهو أكثر الملوك عدداً فقد بلغوا (51 ملكاً).

العصور التاريخية في مناطق آشور تبدأ بالإنتظام والتواتر منذ 2450 ق.م وهي مرحلة عصر فجر السلالات الثالث في وادي الرافدين، ويمكننا عرضها كما يلي في هذا الجدول المبسّط العام:

**الجدول العام لأسر وعصور التأريخ الآشوري (2450 ـ 609) ق.م**

# المبحث الثاني: العصر الآشوري العتيق (4000 ـ 2450 ق.م)

الآشوريون أقوام رافدينية أصيلة ظهرت بواكيرها منذ العصر الحجري النحاسي الذي مثلته ثقافة حلف، والأربجية في الموصل، نبضاتهم الأولى، وهم أقوام سامية رافدينية أصلها في العراق القديم ولم تهاجر من مكان آخر.

ظهرت في عصر العبيد المستوطنات الآشورية الأولى وكانت تسمى أحياناً بالسوبارتو. وفي العصر السومري القديم نشأت المدن الآشورية بشكلها الأول البسيط ووقعت تحت الرعاية والحضارة السومرية.

«ومع ذلك يمكننا رؤية بعض تلك الاتجاهات التي كانت تتطور بها الأشياء في آشور خلال هذين الألفين من السنين. فقد أضحت المستوطنات أكبر حجماً، لتصبح مدناً حقيقية وبعضها كان محاطاً بالأسوار لحمايتها. والاستنتاج الواضح كان خطر تعرض هذه المدن للهجوم المركز من الخارج الذي أظهر أن الحرب أصبحت من معالم الحياة، وكان لهذه الملابسات تأثير على البنى الاجتماعية. فقد كانت عمليات تحصين المدن تشمل التخطيط الاستراتيجي والتكنيكي، وهذا يلزم ظهور زعماء الحروب القادرين على القيام بمهام

القيادة الناجحة، وكل شيء ضروري في مصطلحات التنظيم الاجتماعي وترتيب الطبقات الاجتماعية ولقد وجد أحد الأختام من تلك الفترة وهو يصور أحد مظاهر الحرب، أي: مثلاً صف من الأسرى، وأن الإستيلاء على الأسرى في الحرب يمثل بداية مؤسسة العبيد والعبودية، مع وجود مجموعة اجتماعية محرومة من الحقوق، وأن تفسيرات هذا الختم لا يتطرق إليها الشك، ومع ذلك فهناك دلالات أخرى عن تطور الاختلافات الطبقية. وهكذا بدأت البنايات المخصصة للعبادة تظهر وكان بعضها يؤلف مساكن تخص أقلية من الناس ذات ثروات أو قوى سياسية أو كليهما، وكانت القبور تقدم صورة مشابهة نظراً لأن قلة من هذه القبور كانت تحتوي مدافن فخمة لم تكن متوفرة للكثيرين.» (ساغز 2008: 27).

الأربجية إسم تركي معناه (رجال الشعير) وتسمى (قبة رشوا) في الأوساط المحلية، وهي تلّ أثري غنيّ يقع في الأوساط السكنية الحالية في مدينة الموصل، مكانتها الآثارية مهمة جداً تعادل مكانة تل حلف، فهي شاهد على ظهور العصر الحجري النحاسي (كالكوليت) في مناطق آشور المبكرة. اكتشف التلّ في عام 1928 وحفر فيه مالوان عام 1933، وفي 1976 جرت فيه تنقيبات عراقية. وتميزت آثاره بالأواني الفخارية الملونة والمزخرفة بالرموز النحاسية كالفأس المزدوج ورأس الثور والإلهة الأم وغيرها.

«وتشير الشواهد من تل براك أنه قد أضيف إلى المعبد بعض النحاتين وصائغي الذهب، وهذا يدل على أنه قد بدأت في آشور نماذج منتشرة للتخصصات المهنية، ومع ذلك ينبغي علينا الحيطة في استنتاجاتنا من هذه الشواهد نظراً لأن تل براك كانت خاضعة لنفوذ الجنوب السومري فلم يكن من الضروري أن يكون هذا منطبقاً على بقية آشور، ولكي نرى كيف حدثت المرحلة التالية من التطور في آشور فإننا نحتاج لدراسة خلاصة مقتضبة للحوادث في جنوب العراق خلال النصف الأول من الألف الثالث ق.م.» (ساغز 2008: 28).

تميز، في بداية الألف الثالث قبل الميلاد، فخار نينوى والذي كان يشير الى تطور صناعة الفخار وتقدمها قياساً لبقية أرجاء وادي الرافدين.



**فخار نينوى**

# المبحث الثالث: العصر الآشوري المبكر (2450ـ 2000 ق.م)

كان العصر الآشوري المبكر يقابل، على وجه التقريب، نهاية حكم سلالة أوروك الأولى في سومر، ويقابل أيضاً نهاية سلالة حمازي في شمال وادي الرافدين وظهور سلالات المدن السومرية القديمة، في جنوب الرافدين، مثل أوروك الثانية ولجش وغيرهما. ويبدو أن القرى الصغيرة في منطقة آشور قد كوّنت مدينة آشور ببناء معبد الإلهة عشتار.

«تأتي معلوماتنا حول اشور الأولى من معبد مكرّس للإله عشتار، وقد ثبتت صحة هذه المعلومات بعد عام (2800) ق.م. ومن الواضح أن آشور في ذلك الوقت كانت عبارة عن مركز ديني تحتوي على عدة أبنية أثرية، على الرغم من أنها كانت مصنوعة من الآجر، وكان الدين يحتل مكاناً مرموقاً في البنية الاجتماعية والاقتصادية، وليس من الضروري أن نستنتج والحالة هذه أن القوة الدينية كانت منفصلة عن القوة المدنية على ضوء الألقاب

الدينية ووظائف الملوك الآشوريين الذين سوف نقابلهم فيما بعد، بل أن كلتا القوتين كانتا متشابكتين.» (ساغز 2008: 32).

كان السكن المتطور فيها يشير إلى مهارة عمرانية تراكمت، من خلالها، خبرات البناء في وادي الرافدين، وتعكس شرطاً إجتماعياً متقدماً، فقد كان المسكن النموذجي للبيت يتألف من طابقٍ واحدٍ وربما كانت فيه حجرة واحدة في الأعلى «وهذه الحجرة مبنية فوق المنزل من الأمام، وهناك نموذج لنفس الشكل يظهر ثلاثة طوابق أي: حجرة علوية واحدة مبنية فوق بناية مؤلفة من طابقين، وهناك في المعبد القديم تماثيل يظهر بأنها سومرية تعود إلى فترة السلالات الأولى، وهذا لا يتطلب منا أن نفترض أن المجموعة الحاكمة في آشور كانت من السومريين ولكنها تظهر أنه قد كان هناك نفوذ سومري ثقافي قوي. وقد وجد نقش نافر من الجص يظهرالآلهة وهي مرتدية جواهرها حتى أذنيها وجيدها ولكنها عارية عند ثدييها وسرتها وهي مضطجعة على الفراش في سريرها، وهذا يظهر في الوقت نفسه وجود مراسم وطقوس تعبدية جنسية على شرف الآلهة ويظهر أيضاً استعمال السرير ويظهر هذا السرير بشكل لوح منبسط دون أرجل.» (ساغز 2008: 33).

## 1. ملوك الخيام والأسلاف (2450–2400 ق.م)

البدايات الملتبسة لظهور الزعامة في آشور كانت تتراوح بين حكم شيوخ العشائر وتحوّلهم التدريجيّ لملوك يسكنون الخيام. كان اللبس يشوب آشور بين عدم تكوّن واضح أو تبعية وعدم استقلال، ولذلك كان لابد من تمييز ظهورها الصريح الواضح بمصطلح هو (أزوهينوم).

أزوهينوم Azuhinum: مصطلح ورد في سجلات الإمبراطورية الأكدية، والمقصود به (آشور الحقيقية Assyria proper) والتي كانت، مدينة ودولة، مركزاً للكيان الآشوري ومركزاً إقليمياً وإدارياً لها، بعيداً عن ماكانت تسببه ألواح نوزي من التباس في كونها محتلة أو تابعة. وحتى تبعيتها للدولة والإمبراطورية الآشورية كانت تسبب هذا اللبس، فقد كانت منطقة آشور، شمال مقر الإمبراطورية في وسط بلاد ما بين النهرين، تُعرف باسم

أزوهينوم في السجلات الأكادية. وسنجد أنه في نهاية حكم عهد سرجون الأكدي أن آشور ستنفصل عنه وستصبح مستقلة صريحة (proper).

إن الأسماء الموجود في قائمة ملوك الخيام نجدها في رقيم منسوب لحمورابي يدونهم كأسلاف له أيضاً، والحكام هم: سوهلامو، هارهارو، ماندارو، إيمسو، هارسو، ديدانو، هانا، زوابو، نوابو، أبازو، بيلو، أزارا، أوشبيا وأبيشال. ولاشيء معروف حتى الآن عن هذه الأسماء، كان أقدم الملوك الآشوريين (مثل آدمو)، الذين تم تسجيلهم على أنهم «ملوك عاشوا في الخيام»، وهم ملوك حكومة قلة وليس ملكية.

الكثير من التفسيرات ترى أن هذه القائمة من الملوك هي قائمة أسلاف الملك الأموري شمشي أدد الأول الذي غزا مدينة آشور، ولذلك كانت مشتركة بين حمورابي الآموري البابلي وشمشي أدد الآموري الآشوري، ونرى أن أصل الأسرة البابلية الأولى والأسرة الآشورية الأولى واحد، وهو أصل آموري، وهو مايؤكد أن الآموريين هم الساريون (الساميون) الأوائل الذين ظهروا في هذه المنطقة، ونرى أن الآشوريين هم خليط من ثلاثة شعوب سارية (سامية) وهم شعب آشورتو القديم، ثم شعب سوبارتو وهم السوبريين / السوباريين وشعب أمورو وهم الآموريون. ربما كانت اللغة الأكدية أداة للكتابة عندهم بحكم تقارب اللغتين الأكدية والآمورية.

كان الملوك الآشوريون الأوائل يستخدمون لقب حاكم (أشياك، هل هو أشياخ؟ ربما اقترب من كلمة شيخ؟) أو نائب الملك (Iššiʼak)، والذي تم الاحتفاظ به كقاعدة حاكمة بعد أن حصلت آشور على الاستقلال بسبب لقب الملك (شار، سار) (šar) الذي تم تطبيقه على الإله آشور. في وقت لاحق. وقد اعتمد الملوك الآشوريون، بدءًا من آشور أوبالط الأول (القرن الرابع عشر قبل الميلاد)، لقب(شار ماش آشور šar máš Aššur) مع توسع إمبراطوريتهم واعتمادهم لاحقًا ألقاب أكثر تباهياً مثل «ملك سومر وأكاد» و«ملك الكون» و«ملك الزوايا الأربع في العالم »، في كثير من الأحيان لتأكيد سيطرتهم على كل بلاد ما بين النهرين.

كان أقدم الملوك الآشوريين (مثل توديا)، ملوكاً عاشوا في الخيام، كانوا في البداية حكام رعويين شبه رحل مستقلين؛ كانت آشور في الأصل حكومة قلة وليس ملكية. هؤلاء الملوك أصبحوا في مرحلة ما مدنيين بالكامل وأسسوا مدينة آشور.

كان عدد ملوك الأسرة الأولى هو 29 ملكاً تنقسم الأسرة الأولى الى مرحلتين هما (مرحلة ملوك الخيام)، (مرحلة الملوك الأسلاف) (الملوك الحقيقيون الأوائل لآشور):

**أ.مرحلة ملوك الخيام (17 ملكاً ربما كانوا أسطوريين):** تشير مرحلة ملوك الخيام لكونهم كانوا من الملوك البدو الذين كانوا يسكنون الخيام، وتتضح أصولهم السارية (السامية) من أسماء أغلبهم.

يبدو تاريخ ظهور هؤلاء الملوك مع نهاية عصر فجر السلالات السومري قبل ظهور لوجال زاجيزي، في جنوب وادي الرافدين، بنصف قرن.

ولاشك أن هذه المرحلة شهدت منذ حكم لوجال زاكيزي امتداد نفوذ السومريين لآشور خلال حكم الملك الأول (توديا).

وشهدت امتداد نفوذ الأكديين منذ حكم الملك الثاني (أدامو) الذي سجّلته القوائم الأكدية على أنه (أزوهينوم)، ونتوقع أن يكون هذا وارداً مع بقية الملوك حتى نهاية هذه القائمة.

عدد هم هو 17 ملكاً، ويُعتقد أن الملك السادس عشر فيهم، وهو أوشبيا، قام بتحوّل كبير حين أسس معبداً في مدينة آشور، وربما يشير هذا إلى بدء حياة التحضر والمدنية في آشور، ويبدو أن نظام الحكم تحوّل إلى نظامٍ ملكي يعتمد على الوراثة، فقد أورث الحكم لولده (أبياشال) الذي انتهت به مرحلة ملوك الخيام. ويشير هذا عند بعض المؤرخين إلى أن الملوك ال16 الأوائل هم ملوك أسطوريون، في حين أن الملك السابع عشر هو ملك حقيقي له أب معروف. وهذه قائمة بأسماء ملوك الخيام مع السنين التقريبية لبداية ونهاية حكمهم قبل الميلاد:

**ب.مرحلة الملوك الأسلاف (10 ملوك):**ظهر هؤلاء الملوك، الأول منهم على وجه التحديد، حيما شهدت الدولة الأكدية مرحلة ضعفها الأخير قبل أن يغزوها الكَوتيين بنصف قرن، ولاشك أن مدينة آشور شهدت مرحلة قاسية خلال فترة حكم الكَوتيين التي طالتها وهي 125 عاماً، ولانمتلك معرومات تفصيلية حول وضع الآشوريين فيها.

وحين ظهرت الدولة السومرية الحديثة (2112 ـ 2004) ق.م، عاصر ملوك هذه القائمة ملوك سومر الجدد. وفي نهاية عصر سومر الجديدة كانت نهاية مرحلتهم قد حصلت أيضاً.

**ج.الملوك الحقيقيون الأوائل لآشور (6 ملوك بقي منهم 3 مذكورين بأسمائهم):**هناك ثلاثة من الملوك الذين تم تسميتهم على الطوب، الذين أسماؤهم غير معروفة، ربما كانوا الملوك الأوائل لأشور. وهم ستة أسماء، لكن الكتابة أبقت على ثلاثة منهم.

غالبًا ما تم تفسيره كقائمة لأسلاف استنتج العلماء أن الشكل الأصلي لقائمة الملك شمشي أدد الأول الملوك الآشورين الحقيقيين. وقد كتب، من بين أمور أخرى، في محاولة لتبرير أن شمشي-آداد الأول كان حاكمًا شرعيًا لدولة المدينة آشور ولكي يحجب سوابقه غير الآشورية من خلال دمج أسلافه في قائمة الأنساب الآشورية الأصلية. ومع ذلك، لم يتم قبول هذا التفسير عالميًا؛ فقد رفض تاريخ كامبريدج القديم هذا التفسير وبدلاً من ذلك فسر القسم على أنه من أسلاف سولي. كما تبين أن سوليلي هو سلف كيكيا ضمن قائمة الملك الآشوريين. حيث يُعتقد أن سوليلي حكم عام 2000 ق.م.

وسندرجهم هنا في هذا الجدول، الذي يبدأ بإبن الملك (أمينو) وهو سوليلي وتقدير حكمهم جميعاً في عام 2000 ق.م ولا أحد يعرف عدد سنوات حكمهم:

# المبحث الثالث: العصر الآشوري القديم (2025 ـ 1380) ق.م

مع بداية العصر الآشوري القديم تظهر العوائل والسلالات الحاكمة، يبدأ تقريباً مع نهاية السومريين في ختام عصر الدولة السومرية الحديثة التي مثلتها أسرة أور الثالثة في جنوب وادي الرافدين، وينتهي في حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وهي الفترة التي ظهرت فيها ثلاثة من الأسر الآشورية. وهي الفترة التي تأسست فيها الدولة الآشورية، ويعتبر هذا العصر هو أطول عصور الآشوريين، فقد استغرق (645 عاماً) وحكم فيه أكبر عدد من الملوك الآشوريين (51 ملكاً).



**من ملوك الاسرة الاولى**

**http://www.bertsgeschiedenissite.nl/boeren/eeuw25/eeuw24assyrie.html**

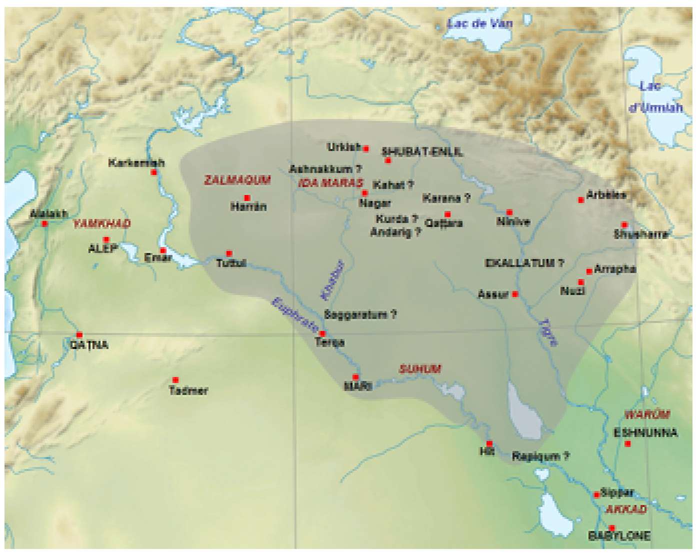
مع بدء الأسرة الأولى ظهرت في عصر دول المدن الأمورية (ومنه عصر إيسن ولارسا) حيث أسس بوزور آشور الأول أسرة قوية وحصّن آشور.

الأسرة الثانية ظهرت مع الدولة البابلية القديمة، وأسسها شمشي أدد الأول (1814 ـ 1782) ق.م الذي بدأ بتوسيع رقعة بلاده عندما ضمّ ماري ويمخد (حلب) وقرقميش

(جرابلس) وقطنا وتوسع شرقاً وشمالاً وسيطر على القبائل الكوتية والولوبية والأناضولية، وكانت له علاقة صداقة مع بابل في عصر حمورابي جنوباً.

الأسرة (الانتقالية): وهي أسرة غير مترابطة حكم فيها ست ملوك أولهم آشور دوكول وآخرهم أدد سالولو.

الأسرة السادسة (أسرة أداسي): وقد حكمت من 1680 ـ 1381) وضمت عدداً كبيراً من الملوك الأقوياء منهم بوزور آشور الثالث، ولكن آشور على العموم كانت تابعة لنفوذ الإمبراطورية البابلية القديمة.




**حدود الدولة الآشورية القديمة**

### 1.أسرة بوزور ـ آشور (2025 ـ 1809 ق.م)

### 2.أسرة شمشي أدد الأول (1809 ـ 1706 ق.م)

يمكننا القول، دون مغالاة، أن عصر هذه الأسرة يمثل ظهور ما يمكن أن نطلق عليه ب (الإمبراطورية الآشورية القديمة) الذي استمر لقرن كامل من الزمان، وهو زمن بداية

ونهاية هذه الأسرة.

يبدو أن شمشي ـ أدد كان إبناً ل (إيلا ـ كبكبي الذي حكم مابين 2006 ـ 2003) أو أنه ادعى ذلك، وهو أمر محيّر بالفعل لأن الفارق بين وجودهما يقترب من قرنين من الزمان؟؟، ولذلك نرى أنه ربما كانت هناك سلالتان آشوريتان قد حكمتا واحدة منهما خارج آشور، من أصول آمورية، كان فيها (إيلا ـ كبكبي) لاجئاً في ماري أو عانة، وأن ابن إيلا ـ كبكبي المسمى أمينو قد ورث الحق في الإستمرار بوراثة العرش البابلي في المنفى، لكن أخاه (شمشي ـ أدد) الذي كان في «تِركا Terqa» قبل (1836–1833) قبل الميلاد، قام باغتصاب حق العرش منه، وكوّن جيشاً وتوجه نحو آشور وغزاها وأسس أسرة جديدة هي أسرة شمشي ـ أدد. وتمكن من تكوين دولة شملت معظم بلاد ما بين النهرين وسوريا وآسيا الصغرى. فقد قام بغزو ماري في عصر ملكها يخدن ـ لم وضم بعدها مناطق مهمة من سوريا ولبنان وسواحل البحر المتوسط، وكان له ولدان عين أحدهما وهو (يسمح ـ أدد) ملكاً على ماري وعيّن الآخر (يسمع ـ داجان) أو (إشمي ـ داجان) في مدينة (إيكلاتم) على منطقة دجلة جنوب آشور.

فقد يسمع ـ أدد سلطته على ماري حين أخذها منه قائد من ماري هو (زمري ـ لم) بمساعدة حاكم حلب. وبعد أن فكك حمورابي التحالف العيلامي ضده وأسقط لارسا قام باحتلال أشنونا ثم آشور ثم ماري.

كيف نجح شمسي اداد في جعل اشور أبرز وأعظم مملكة في عصره؟ يجيبنا هاري ساغز فيقول:

«هناك عاملان ينبغي أن ننظر إليهما بالحسبان وهما كفاءته الإدارية ومهارته السياسية، وأن مراسلاته الواسعة تظهر أن شمسي اداد كان يعطي عيناً ساهرة بالنسبة لهذه الأشياء ولجميع الأشياء حوله صغيرها وكبيرها التي لها علاقة بتسيير شؤون مملكته بكفاءة (ويمكن أن ينطبق هذا القول عن معاصري شمسي أداد الناجح وهو (حمورابي) في بابل فقد أنشأ شبكة من الموظفين الأكفاء. فهو يقول: ((إنني عينت حكامي في كل مكان))

وتحت الحكام كانت هناك سلسلة من الإداريين وناقلي الأخبار موظفي الإحصاء..إلخ. وقد نجح شمسي أداد بالتحالف إما عن طريق المعاهدات أو بواسطة المصاهرة مع أمراء حاكمين آخرين ولا سيما في سورية، ولكن كان جزء من نجاح شمسي أداد دون شك استخدامه القوة العسكرية. وبموازاة ادعائه أنه قد عين الحكام في كل مكان، فإنه قد وضع الحاميات العسكرية في كل مكان أيضاً، ولدعم الحاميات الدائمة أرسلت الفرق العسكرية في حملات خاصة، وقد اشتملت هذه الحملات في إحدى الحالات على ستين ألفاً، وأما فنون الحصار التي بلغ الاشوريون الشأو الأعظم فيها منذ الألف الأول ق.م. فقد وصلت درجة عالية من الكفاءة بما فيها من استعمال آلاف الحصار.» (ساغز 2008: 51).

سقطت الإمبراطورية في حدود 1761 ق.م بعد وفاته تحت سيطرة البابليين بقيادة حمورابي (1792 ـ 1750 ق.م). وهكذا يكون عمر الإمبراطورية القديمة أو إمبراطورية شمشي ـ أدد الأول قد دامت لما يقرب من 53 عاماً. فقد كانت موجودة بين (1814 ـ 1761) ق.م.




**خريطة للشرق الأدنى القديم توضح الوضع الجيوسياسي حول الإمبراطورية الآشورية القديمة (البني الفاتح) بالقرب من القوى العظمى المعاصرة مثل: إشنونا (أزرق فاتح)، يامهاد أو يمحاض (أزرق غامق)، قطنا (بني غامق)، سلالة بابل الأولى (أصفر)، ومملكة**

**ماريوت الثالثة (أنداريج) (قبل فترة وجيزة من غزو مدينة شوبات ـ إنليل المهجورة منذ عام 1808 قبل الميلاد من قِبل الفاتح الأموري شامسي آداد الأول).**

3.الهيمنة البابلية على آشور (1706 ـ 1700 ق.م)

تركت هيمنة حمورابي على آشور آثاراً كثيرة، منها ميل بعض ملوك آشور في الأسرة السابقة للبابليين، وعدم إخلاصهم لبلادهم، فظهرت فترة تمثل الهيمنة البابلية على آشور، هذه الفترة قصيرة تستمر لست سنوات فقط، شغلها سبعة ملوك آشوريين متنافسين موالين لبابل ومغتصبين لآشور على إثر الهيمنة البابلية على آشور. وقد يكون هؤلاء من ملوك الليمو، المعينون كل عام والذين أعطوا السنة اسمها، وتوفير نظام التعارف عن طريق الاسم، وبذلك قد تكون فترة حكمهم كستة ملوك لكل واحد منهم سنة، وليس كل السنوات الستة لآشور ـ دوجول كما في الجدول. وبذلك يمكننا حل مشكلة سنوات حكمهم غير المعروفة العدد. ولابد من التذكير بأن هؤلاء الملوك كانوا من الآشوريين وليس من البابليين، وكان ولاؤهم لبابل قليلاً، ولذلك اعتبروا كمغتصبين لعرش آشور!!

**4.أسرة أداسي (أداسيدي) Adaside dynasty (1700 ـ 1380ق.م)**

# المبحث الرابع: العصر الآشوري الوسيط (1522 ـ 912) ق.م

شهد هذا العصر الكثير من التحديات الميتانية والكاشية البابلية والآرامية، ورغم ذلك فهو يتراوح بين قوة وضعف للدولة الآشورية، لكنه شهد ولادة الإمبراطورية الآشورية الوسيطة بين حكم الملكين (آشور أوبالط الأول) و(تجلات بلاصر الأول) اللذين كانا من الملوك الأقوياء، أما الفترات قبل هذين الملكين فتتسم بالضعف. إزداد الصراع مع بابل التي ظلت هاجس آشور، وكذلك ظلت آشور هاجس بابل، حتى سبب الاثنان ضعفاً واضحاً للآخر.. كأنهما فنيا بعضهما بقصد أو دون قصد.. حكايتهما تشبه حكايات الأخوة الأعداء.

ينقسم العصر الوسيط إلى ثلاث فترات هي:

1 ـ تحرر آشور من الهيمنة الميتانية وتأسيس الإمبراطورية الوسيطة




## الإمبراطورية الآشورية الوسيطة (المتوسطة) التي أسسها آشور أوبلط الأول

«إن آشور أوبالط هو الذي تعود إليه بداية الإمبراطورية الاشورية، إلا أن آشور نفسها هي التي مارست النقض والإبطال، ولكن هذه لم تقدم أي كبح دائم لعملية قيامها بتوسعها في الشرق الأدنى، وكان للدول الأخرى طريقتها بالتوسع ولكن لم يكن هناك أي دولة تستطيع أن تباري آشور في طلب السيادة لمدة قرون على أراضٍ فيما وراء حدودها الطبيعية.» لم يعطنا آشور أوبالط نفسه أي تفاصيل عن حملاته العسكرية، ولكننا نعلم عن مثل هذه الحملات من بعض التلميحات من قبل ذريته، وهذه التلميحات تدل على أنه قد بادر بالهجوم شمالاً، وهذا كان طبيعياً زمن ملك نشيط في آشور التي قد تحررت حديثاً من الحكم الأجنبي، وكانت إحدى مشكلات آشور المناطق الجبلية فيما وراء نينوى وأربيل إلى الشمال والشرق، حيث كان الرجال الجبليون يقومون بغارات على سهول آشور، وكانت هذه المناطق مهمة لكونها مصادر للحصول على الخامات المعدنية والخشب والحجارة نصف الكريمة، وكانت تحتوي على مناطق مهمة لتربية الخيول، وحالما بدأ الملوك الآشوريون في

كتابة النقوش التي تعطي أوصافاً مفصلة لحملاتهم أصبحت النشاطات العسكرية في الجبال الشمالية والشرقية موضوعاً كثير الحدوث، ولسوء الحظ فإن المناطق ذات العلاقة، مثل المناطق الجبلية في العراق وسوريا وتركيا وإيران، كانت لا تزال حساسة، وهذا يفرض إعادة إمكان عمل مسح لهذه المناطق مما ترك شكوكاً لا بأس بها حول تحديد الأمكنة المذكورة في النقوش الاشورية. (ساغز 2008: 60).

1 ـ خلفاء آشور ـ أوبالط الأول حتى تجلات باصر الأول

**(ظهور ونمو القسوة الآشورية المفرطة)**

2.الفترة المظلمة الوسيطة بعد تجلات بلاصر الأول

# المبحث الخامس: العصر الآشوري الحديث (911 ـ 609) ق.م

أولاً: الإمبراطورية الآشورية الأولى (911 ـ 744) ق.م

قوائم الليمّو Lists of limmus

هناك اختلاف في معنى الليمو بين العصور الآشورية، ففي العصر الآشوري القديم كان معنى الليمو هو المسؤول عن تحديد وتعيين الملوك والحكّام الآشوريين، وهو الشخص الذي كان يترأس احتفالات رأس السنة (أكيتو)، ففي كل عام يقوم موظف الليمّو، المعيّن بإرادة ملكية سابقة، باختيار الملك في العاصمة الآشورية آشور وتعيين حكام الولايات والمدن من مجموعة محدودة، مثل رجال الأسر الأكثر بروزًا أو ربما أعضاء في مجلس المدينة. ثم أصبح معناها قوائم الأحداث من خلال موظف مسؤول عن تدوينها.

«الليمو» إذن هي قوائم الملوك الآشوريين، وهذا الإسم يُطلق على منظم الاحتفالات والمناسبات في ذلك الوقت. وكانت قائمة ملوك آشور تضمّ أسماء ملوك وحكام الدولة الآشورية وفق تسلسل زمني يبدأ بالسنة الجديدة، والذي لا يتطابق، بالضرورة، مع تاريخ تنصيب الملك واستلام المُلك، فعلى سبيل المثال، حين ينتهي حكم الملك السابق قبل عدد من الشهور من نهاية السنة فيجب أن يبقى ملكاً حتى نهاية تلك السنة التي حكم فيها، وفي رأس السنة يتنحى ويستلم الملكية الملك الجديد وهكذا.

ثلاثة قرون من المجد الآشوري الذي صنع امبراطوريتين عظيمتين:

الإمبراطورية الأولى (911 ـ 746) ق.م وقد حكمتها الأسرة الثامنة وكان مؤسسها أدد نيراري الثاني الذي خاض شلمنصر الثالث الحرب ضد الحلف الشامي في (قرقر) وهزمه، وبرز اسم شمشي أدد الخامس إبنه كزوج لـ(شمورامات) أو (سميرأميس) التي نسجت حولها أخبار كثيرة. ثم ظهر أقوى أباطرة هذه الإمبراطورية وهو شلمنصر الرابع ثم أنتابها الضعف واستقلت بابل.



**ملك اسرائيل ياهو يسجد امام شلمنصر الثالث بعد معركة قرقر**

**http://www.livius.org/q/qarqar/qarqar_battle.html**

1.الإمبراطورية الآشورية الحديثة الأولى (911 ـ 744 ق.م)



**أدد نيراري الثاني مؤسس الإمبراطورية الآشورية الحديثة الأولى**

2.الإمبراطورية الآشورية الحديثة ما قبل السرجونية (744 ـ 721 ق.م)

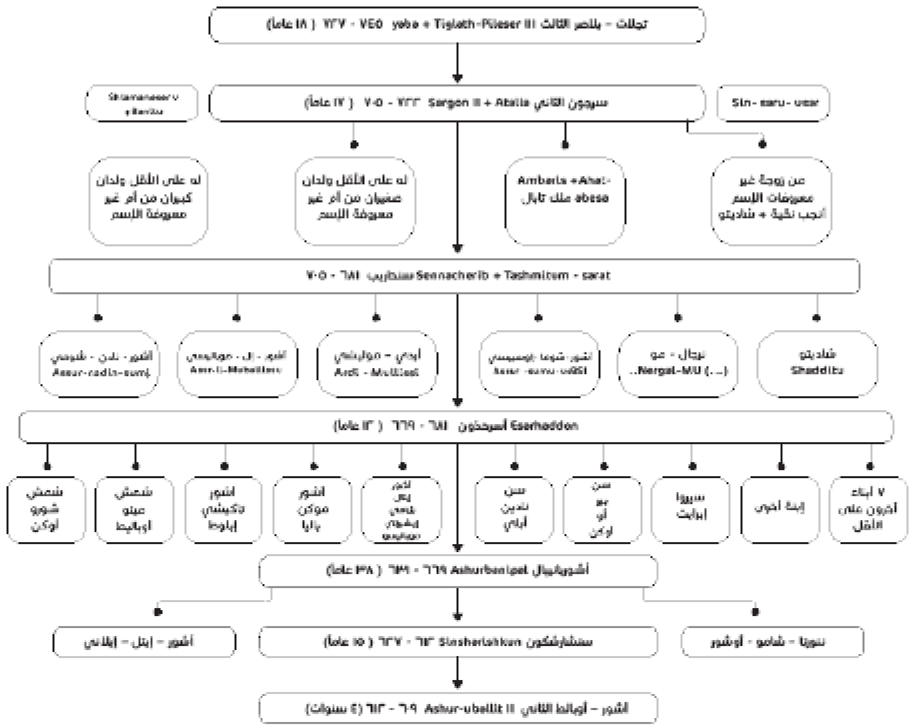
3.الإمبراطورية الآشورية الحديثة السرجونية (721 ـ 612 ق.م)

تأسست الأسرة السرجونية على يد سرجون الثاني بطريقة مشابهة لما فعله تجلات بلاصر الثالث، فقد رأى سرجون أن شلمنصر الخامس بدأ يضيع الإمبراطورية وأنها قد تزول قريباً فقام بانقلاب عليه واغتصب العرش منه وادّعى أنه إبن تجلات بلاصر الثالث. يمكننا أن نقسم الفترة والأسرة السرجونية إلى قسمين (يضم كلّ منها أربعة ملوك) هما:

1. مرحلة الأسرة السرجونية القوية: تضم الملوك الأربعة الأقوياء (سرجون الثاني، سنحاريب، أسرحدون، آشوربانيبال) وشغلت 91 عاماً من الأمجاد العظيمة.

2. مرحلة الأسرة السرجونية الضعيفة: تضم الملوك الأربعة الضعفاء (آشور أطل إيلاني، سنشارشكون، سنشامويشار، آشور أوبلط الثاني) وشغلت 22 عاماً من الضعف والهوان والتفكك إنتهت بسقوط الإمبراطورية الآشورية.

وفيما يلي الشجرة السلالية للأسرة السرجونية:



1.مرحلة الأسرة السرجونية القوية

تعتبر الفترة السرجونية أعلى نقطة في الحضارة الآشورية، فقد وصلت فيها الإمبراطورية إلى أقصى قدر من القوة العسكرية لكنها بتطرفها العسكري هذا أعطت المبرر لسقوطها المدوّي حين أفلتت السيطرة على امبراطورية واسعة كهذه، وكان الأجدر بها أن تقسّم الإمبراطورية إلى ولايات يحكمها قادة من أهلها تربطهم بها بطريقة مرنة، لكنها تصرفت بمركزية عالية، ومجرد أن توفي آشوربانيبال في عام 631 قبل الميلاد، آخر الملوك الآشوريين العظماء، انهارت الإمبراطورية بسرعة حتى غزتها الدولتان المتحالفتان ضدها: الميدية والبابلية.

قام سرجون الثاني (الآشوري) الذي بالسبي الآشوري للسامرة وحمل السامريين إلى الجبال الآشورية فضاعوا فيها واندمجوا مع أقوامها، ثم جاء أبنه سنحاريب الذي اتسم بالقوة والبطش الذي قمع ثورة مردوخ بلادن الثانية في بابل وجهز الحملات العسكرية على المدن

العيلامية واكتسح الحلف المصري الشامي وحاصر مدينة أورشليم واتخذ من نينوى عاصمة له.



**سرجون الآشوري مؤسس الإمبراطورية الآشورية الحديثة الثالثة (السرجونية)**

**http://www.lessing-photo.com/dispimg.asp?i=08020153+&cr=104&cl=1**

ثم جاء إبنه (أسرحدون) الذي قمع ثورة إبن مردوخ بلادن واكتسح الحلف المصري الشامي ودمر مدينة صيدا واحتل دلتا مصر وهزم فرعونها طهراقة الذي فرّ إلى طيبة.

أما آشور بانيبال فقد جاء بعده وكان ملكاً عظيماً اهتم بالحضارة والعمران وأهم مآثره هي مكتبته الشهيرة في نينوى التي تحتوي على 22 ألف لوح طيني أعاد فيها نسخ تراث وادي الرافدين الروحي والعلمي منذ سومر ويكون بذلك هو من أنقذ هذا التراث من الضياع ولذلك يكون فضله على البشرية كبيراً لأنه عرّف بأعظم إرث بشري، والمكتبة الآن بمحتوياتها في المتحف البريطاني.

وقد أحتل آشور بانيبال كامل مصر لعقود من الزمن ثم خرج الجيش الآشوري من مصر وعقد الفرعون بسمايتك الأول معاهدة مع آشور بانيبال تتضمن اعتراف مصر بزعامة الآشوريين على دويلات سوريا وفلسطين، وعلى تضامن مصر وآشور عسكرياً في النواحي الدفاعية والهجومية.

آشوربانيبال إمبراطور العالم وملك آشور، والذي احتوت مكتبة الألواح التي رعاها بنفسه على مايقرب من 30000 لوحاً، دوّن فيها كل تراث وادي الرافدين بضمنه التراثين السومري والبابلي والآشوري، وبسببه أنقذ تراث العراق والبشرية من الضياع، رجل حضارة من الطراز الأول، يصفه علماء التاريخ والحضارة في الغرب بأنه أحد أعظم ملوك الدنيا.

يقول آشور بانيبال في أواخر أيامه: «لقد فعلت الخير لله والناس، للموتى والأحياء؛ فلِمَ إذن أصابني المرض وحلّ بي الشقاء؟ إني عاجز عن إخماد الفتن التي في بلدي، وعن حسم النزاع القائم في أسرتي، وإن الفضائح المزعجة لتضايقني على الدوام، وأمراض العقل والجسم تطأطئ من إشرافي، وها أنذا أقضي آخر أيامي أصرخ من شدة الويل؛ بائساً في يوم إله المدينة، يوم العيد. المنية تنشب في أظفارها، وتنحدر بي نحو آخرتي. أندب حظي ليلاً ونهاراً، وأنوح وأعول وأتوجع: «أي إلهي! هب الرحمة لإنسان وإن كان عاقاً حتى يرى نورك!» (ديورانت2007: 297).



**آشوربانيبال (جهة اليمين) وأخوه (شمش شم أوكن) يحملان سلّة العمل**

## 2.مرحلة الأسرة السرجونية الضعيفة

ثم جاءت مرحلة ضعف الأسرة السرجونية وسن شار إيشكون (سردنبال) الذي نبذ الحرب، ومع آشور أطل إيلاني الذي لم يستطع أن ينقذ أمرها حيث ظهر نبوخذنصر في بابل الذي هزمه مع الجيش الآشوري المتبقي في حران والجيش المصري الذي هب لمساعدته وهكذا سقطت الإمبراطورية الثانية. فحين اندلعت ثورات داخل مركز الإمبراطورية عجز الملك الآشوري سن ـ شار-إيشكون (627-612 ق.م.) عن إخماد ثورةٍ كانت قد اندلعت في بابل بقيادة نبوبلاصر وسيطر على الجزء الأكبر من بابل بعيداً عن الآشوريين. ثم دخل في تحالفٍ مع سياخاريس، ملك الميديين، الذين تحرروا، أيضاً، من السيطرة الآشورية. وهكذا حلّت نهاية الأمبراطورية الآشورية. بحلول عام 612 ق.م.، حيث تم السيطرة على جميع المدن في المعقل الآشوري ونهبها. ولم يتمكن آشور أوبالط الثاني، من الصمود سوى بضع سنوات قبل النهاية التراجيدية للإمبراطورية الآشورية.

أصبح الآشوريون على هامش الأمبراطوريات الصاعدة الجديدة، ونرجّح أنهم تعرضّوا لإبادة بشعة من قبل الدول المتحالفة ضدها، وتدمرت مدنهم وطُمرت تحت التراب وهُجرت، وخدم جنود آشوريون في الجيش الفارسي الذي هزمه الإغريق في معركة ماراثون عام 490 ق.م. وجنّدت الأمبراطورية الرومانية فيالق آشورية. عانى الآشوريون المسيحيون في مطلع عهد الإمبراطورية الرومانية بسبب عقائدهم الخاصة واضطهدهم الفرس الساسانيون المجوس والزرادشتيون، ولاشك أن الكثير من الأذى لحقهم في ظل الدول والإمبراطوريات الإسلامية.

الآشوريون بعد سقوط آشور

المؤرخ الشهير هيرودوت (Herodotust 102 :1 ‘) هو «مصدرنا الوحيد في ما رواه عن هجمات الماديين، إذ يقول إن افراهاط ملك الماديين هاجم الآشوريين ولكنه قتل في المعركة (653 ق.م وخلفه ابنه كي اخسار (Cyaxares) الذي لم يواصل الحرب مع الآشوريين ولكن الاشكوزيين فرضوا سيادتهم على الماديين، وعبروا جبال زاجروس

وغزوا بلاد آشور وسوريا وفلسطين وكادوا أن يدخلوا إلى مصر لو لا أن الفرعون «يسماتيك» دفع لهم الجزية، وبعد نحو 28 عاماً تمكن «كي اخسار» السالف الذكر من طرح نير الاشكوزيين عن قومه بقتله زعمائهم وهم ثملون في وليمة شرب، واستطاع هذا الملك المادي أن يكون من القبائل المادية جيشاً قوياً ضخماً، واتخذ «اكتبانا» (همذان) عاصمة له، ووسع حدود مملكته من بحيرة اورمية إلى منطقة محولتهم لنيل الاستقلال عن التبعية الآشورية. » (باقر 2009: 582).

يمكننا القول أن مجزرة كبيرة حدثت للشعب الآشوري على يد الميديين والبابليين والإسكيثيين والسميرين، تلك المجزرة التي يتكتم عليها التاريخ والتي ذهب ضحيتها شعبٌ دفع ثمن سياسة توسعية مبالغٍ فيها، ولايمكن أن نبرأ هذه القوات الأربعة للشعوب التي ذكرناها من تلك المجزرة. ولاشك أنهم قاموا بتجنيد بقايا النخبة المبدعة للشعب الآشوري في كل المجالات التي نعرفها ووضعهم كأسرى يتعلمون منهم الكثير في هذه الحقول، وهناك شواهد معروفة في هذا المجال، أما أمراء وأميرات البلاط الآشوري الأخير فقد فُتك بهم أو أصبحوا سبيا بعد تلك المجزرة.

«وما هي إلا فترة قصيرة حتى نسى الناس أسماء ملوكهم العظام ما عدا أعظمهم قوة وبطشاً، وأصبحت قصورهم خربات دارسة تحت الرمال السافية. وبعد مائتي عام من الاستيلاء على نينوى وطئت جيوش أكسنوفون التي تبلغ عدتها عشرة آلاف مقاتل الأكوام التي كانت من قبل نينوى، ولم يدر بخلدها قط أن هذه الأكوام بعينها هي موضع الحاضرة القديمة التي كانت تحكم نصف العالم. ولم تقع أعين هذه الجيوش على حجر واحد من حجارة الهياكل التي حاول جنود آشور الأتقياء أن يجملوا بهم أعظم عواصمهم. وحتى آشور نفسه إلهها الخالد أمسى في عداد الموتى.» (ديورانت2007: 299).

«اتبع ملوك العهد الآشوري الحديث سياسة نشطة في بناء مقومات الأمة حيث كانت حقوق المواطنة الآشورية تُمنح عُرفاً للساكنين في المقاطعات المؤسسة حديثاً. وكنتيجة لهذا العرف، أصبح كل سكان الدولة الشاسعة في غضون القرن السابع (699 ـ 609) ق.م.

يشتركون في الهوية الآشورية الوطنية التي تمثلت أساساً باللغة المشتركة (الآرامية)، والدين المشترك، والثقافة والقيم المشتركة، وصلت هذه الهوية قائمة بدون تغيير حتى تحولت بعدئذ إلى هوية أثنية في العهدين البابلي الحديث والأخميني (600 ـ 330) ق. م. وبعد تفتت الإمبراطورية السلوقية (130 ق.م)، استمرت العديد من الممالك البيتنهرانية شبه المستقلة (عسريهون، أديابين، الحضر، آشور) متمسكة بتقاليدها الدينية والثقافية لغاية القرن الثالث الميلادي. ومنذ القرن الرابع الميلادي فصاعداً أصبحت المسيحية المقوم الأساس للهوية الآشورية وساعدت في الحفاظ على وجودها لحد هذا اليوم رغم العديد من المجازر والاضطهادات التي اختزلت الآشوريين اليوم إلى اقليات صغيرة في أوطانهم. أن تشخيص الآثوريين والسريان المعاصرين اليوم لأنفسهم بهذه الأسماء مقتبس من كلمة «الآشوريون» التي كانت تُلفظ في عهد الامبراطورية الآشورية الحديثة آسورايو (Assurayu) وسورايو (Surayu).» (باربولا 2004: 29 ـ 30).

اعتنق الأشوريون بشكل جماعي الدين المسيحي خلال القرن الأول. وفي القرون التالية، شرع المبشرون في الكنيسة الشرقية القديمة في أكثر المهام التبشيرية التي شهدها العالم المسيحي، فاتجهوا في جميع الاتجاهات للتبشير في جميع أنحاء آسيا، من الطرف السفلي من شبه الجزيرة العربية إلى الهند والصين ومنغوليا.

في وقت مبكر من الألفية الأولى قبل الميلاد، ذكرت المصادر الآشورية دولة جورجية قديمة. بعد ذلك بكثير، عندما وصلت المسيحية إلى جنوب القوقاز، أقام الأشوريون والجورجيون روابط أوثق بكثير. ولعب الرهبان الأشوريون، المعروفون باسم الآباء الآشوريين الثلاثة عشر، الذين وصلوا في القرن السادس من بلاد ما بين النهرين، دورًا كبيرًا في الترويج للمسيحية في جورجيا. ظهرت الجماعة الآشورية الأولى في جورجيا بفضل ملك كارتلي وكاخيتي إيراكلي الثاني، الذين تراسلوا سراً مع بطريرك الكنيسة الآشورية في شرق مار أفرام بهدف تجميع القوات ضد الإمبراطورية العثمانية. فشلت مسيرتهم المشتركة ضد العدو المشترك. في وقت لاحق استقرت العديد من العائلات الآشورية في جورجيا في منطقة موخراني استمرت عملية إعادة التوطين عندما أصبحت إمارات

المملكة الجورجية جزءاً من الإمبراطورية الروسية. سمحت معاهدة السلام التركمانية لعام 1828 بين روسيا وبلاد فارس للآشوريين (الذين كانوا من الرعايا الفارسيين) بالانتقال إلى تبليسي، التي عرضت فرص عمل أفضل. بحلول تسعينيات القرن التاسع عشر، كان هناك حوالي 5000 آشوري في تبليسي. لتجنب الاضطهاد في الإمبراطورية العثمانية، انتقل الأشوريون بأعداد كبيرة إلى جورجيا (وأرمينيا) أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى. لمساعدة مواطنيهم، شكل الآشوريون في تبليسي مساعدة للجنة اللاجئين الآشوريين والمجلس الوطني الآشوري.

ومع ظهور العصر الحديث جاء الغربيون، مدعومين بدوافع سياسية، من حكومات قوية. وقاموا بعملهم وكأنهم يبشرون بين شعوبٍ لادين لها، وهم يعرفون جيداً أنهم يبشرون في وأحدة من أهم أماكن مهد المسيحية، وهكذا ولدت المسيحية في الشرق الأوسط. لقد وجد الآشوريون أنفسهم يتعرضون للتبشير من جميع الجهات، بعقائد دينية غريبة عن طبيعتهم، وكانوا يستعملون وسائل غير دينية كالإغراء المادي أحيانًا فكانت النتيجة أن انقسم الآشوريون إلى طوائف متفرقة ومتناحرة.

كان لتدفق المبشرين الغربيين تأثير سلبي، من الناحية السياسية، يتمثل في إبعاد السكان غير المسيحيين في المنطقة. وعندما بدأت القوى الغربية الكبرى، التي ارتبط بها هؤلاء الأجانب، في إظهار نواياهم السياسية في الشرق الأوسط، ظهرت شكوك المسلمين المحليين الذين عاشوا مع جيرانهم وأصبحوا أعداء للذين عاشوا معهم بسلامٍ طيلة قرونٍ طويلةٍ، ونتج عن ذلك احتكاكات ومذابح ساهمت في تفكك ومعاناة الآشوريين.

عندما اختلط هؤلاء الأمريكيون والأوروبيون مع الآشوريين، وجدوا أنهم مجتهدون وصادقون بإيمانهم ومكتفون ذاتياً. كما وجدوا أنهم متدينون حقًا، وتدريجياً تم استيعابهم بالكامل في المجتمع الآشوري. لقد تعلموا اللغة والعادات الآشورية، وقضوا حياتهم مع الآشوريين بسلامٍ ودفنوا في مقابرهم، وهكذا قدموا مساعدتهم وقاموا بتعزيز معتقدات الآشوريين المتوارثة. لقد كان هؤلاء المبعوثون للبعثات الأمريكية والأوروبية فعالين في

إنشاء المدارس والعيادات والمطابع. أنتج هذا النوع من الارتباط الأصيل والمخلص فوائد للطرفين.

كانت تلك التجربة مؤذية للآشوريين في مجملها لأنها مزقت شملهم، وأنعشت الجانب السياسي فيهم على حساب الصفاء الروحاني الذي كان مصدر حياتهم الآمنة. أنظر (Shamun 1985).

# الفصل الثالث: المظهر السياسي



## المبحث الأول: نظام الحكم

كان نظام الحكم ملكياً، استطاع الآشوريون استثمار الظروف الدولية وتمكنوا من إنشاء مملكة قوية ثم امبراطورية محدودة قديمة ثم إمبراطورية أوسع وسيطة ثم إمبراطورية حديثة واسعة، من خلال ترصين الجوانب الرئيسية التي شملت: الملك، وهو زعيم ديني وسياسي وعسكري، مكلف بالحكم من قبل الإله آشور، والقصر الملكي مع الديوان الملكي الذي يشكل المركز الإداري للدولة، والمدراء الإقليميون وهم الحكام الذين يتم تفويض السلطة المحلية إليهم، والموارد البشرية التي ضمنها قانون المواطنة في الإمبراطورية الآشورية لكل من انضوى تحت حكمها، حيث كان الهدف من المشروع الإمبراطوري هو

إنشاء «آشوريين» من كل الشعوب والجنسيات والقوانين التي كانت تطبق بصرامة، وأخيراً الطرق التي استخدمتها الحكومة الآشورية لضمان وحدة الإمبراطورية والحفاظ على الولاء عبر مسافات شاسعة، وذلك باستخدام استراتيجيات تقليدية ومبتكرة. لقد تميزت بعض هذه التقنيات في شبكة الطرق الملكية، وشبكة الطرق الواسعة والتي جعلت الإمبراطورية الآشورية أول امبراطورية محكمة الإدارة بنظامٍ بيروقراطيّ صارم سارت علي نهجه الإمبراطوريات التي جاءت بعدها.

أولاً: طبيعة نظام الحكم

في كتابه المهم (أيديولوجيا الدولة الآشورية الجديدة) قدّم ماتياس كارلسون تحليلاً عميقاً لطريقة تعامل الآشوريين مع الدول والمجتمعات المحيطة بهم والتي أصبح أغلبها خاضعاً لهم، فهو يرى أن الآلهة الآشورية العظيمة لعبت دوراً مهماً في هذا المجال، وأنها استُخدمت استخداماً سياسياً وعسكرياً بطريقة لم تكن موجودة في التأريخ قبل الآشوريين، فقد «كان يتم تصوير الآلهة العظيمة كسادة وغزاة الأراضي الأجنبية. وقد قدم الملك الآشوري نفسه كممثل أو كاهن، خادم، بانٍ رئيسي، ومحارب نيابة عن الآلهة العظيمة. حيث كانت الآلهة العظيمة قد أمرت الملك الآشوري بتشييد سيادة عالمهم. وفي هذه المهمة الإلهية، واجه الملك الآشوري العراقيل المختلفة كما يظهر ذلك في المناظر الطبيعية الأجنبية البرية والحيوانات البرية. ومن خلال عمل كان يقهر ما يسمى ب (الفوضى)، لتتحول إلى جزء من النظام، وكان يتم تصوير العلاقة بين الملك الآشوري والآلهة الأجنبية على أنها تتميز بالاحترام المتبادل. إن الإمبريالية الدينية، من خلال اثنين من الملوك (موضوع الدراسة وهما آشوربانيبال الثاني وشليمنصر الثالث: المترجم) لم تكن ذات طابع رمزي. كان للنخب الأجنبية والناس الاختيار للتقديم والإشادة ثم الرعاية، أو للمقاومة ثم الإبادة أو الاستعباد في أوقات المواجهة، وتركزت الإستقطابات والانقسامات على الطبقات الاجتماعية («النخب») وليس الأمم أو الجنسيات» (Karlsson 1913: Abstract)

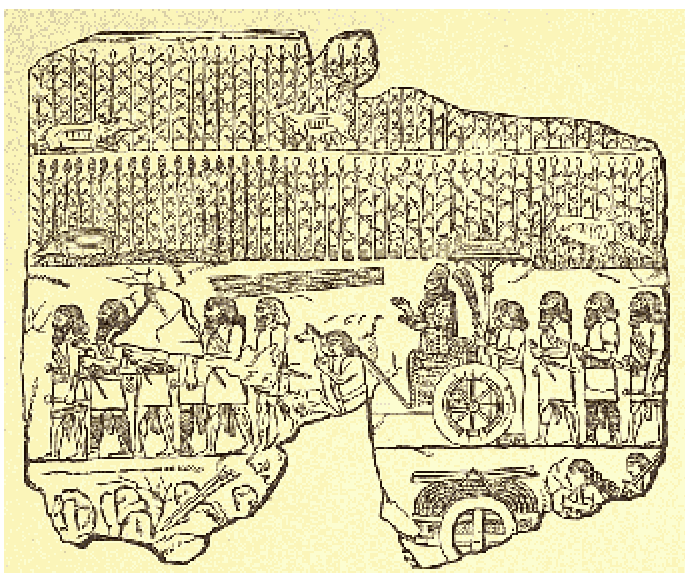
في العصر الآشوري الوسيط: على مدار القرون التي تلت سقوط الأسرة الثالثة لأور، كانت الممالك الرئيسية التي ستنمي في بلاد ما بين النهرين هي آشور في الشمال وبابل في الجنوب. كان ملوك آشور يصفون أنفسهم بأنهم إسحاق حتى عهد الملك الآشوري الأوسط آشور ـ أوباليت الأول من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، الذي قدم مرة أخرى لقب (سار) أي (ملك)، مما يدل على دوره كملك مطلق

عادة، تمجد النقوش الملكية الآشورية قوة الملك بينما تميل النقوش الملكية البابلية إلى التركيز على دور الحماية وتقوى الملك. غالبًا ما تشدد الصفوف الآشورية أيضًا على النسل الملكي أو الجينولوجيا الملكي للملك، وهو أمر لا تفعله الصفات البابلية، كما أنها تدفع الصفات الأخلاقية والبدنية للملك مع التقليل من دوره في النظام القضائي. تتنوع الروايات الآشورية حول النسب الملكي في مدى تمددهم، وغالبًا ما يناقشون النسب من حيث «ابن...» أو «شقيق...». بعض الحالات تظهر سلالة تمتد إلى الخلف أكثر من ذلك، يصف شماش شوما أوكين (حوالي 667–648 قبل الميلاد) نفسه بأنه «سليل سرجون الثاني»، جده الأكبر. الأهم من ذلك، أن Esarhaddon (حكم من سنة 681 إلى 669 قبل الميلاد) يطلق على نفسه «نسل بذرة بلاني الأبدية»، وهو الملك الذي كان سيعيش قبله بأكثر من ألف عام.

غالبًا ما تم تغيير الألقاب الملكية الآشورية اعتمادًا على المكان الذي ستُعرض فيه الألقاب، وكانت ألقاب الملك الآشوري مختلفة في وطنها الآشوري وفي المناطق التي تم فتحها. استخدم هؤلاء الملوك الآشوريون الجدد الذين سيطروا على مدينة بابل قائمة «هجينة» من نوع ما في الجنوب، والجمع بين جوانب من التقاليد الآشورية والبابلية، على غرار كيف تم الترويج للآلهة البابلية التقليدية في الجنوب إلى جانب الإله الآشوري الرئيسي آشور. إن افتراض العديد من الألقاب الجنوبية التقليدية، بما في ذلك «ملك سومر وأكاد» القديم، من قبل الملوك الآشوريين خدم لإضفاء الشرعية على حكمهم وتأكيد سيطرتهم على بابل وبلاد ما بين النهرين. توضح روايات مثل «اختارها الإله مردوخ والإلهة ساربانيت» و«المفضلة للإله آشور والإلهة موليسو»، اللذان افترضهما أسرحدون، أنه كان آشوريًا (آشور وموليسو،

الزوجان الرئيسيان للآلهة الآشورية) حاكم شرعي على بابل (مردوخ وساربانيت، الزوجان الرئيسيان للآلهة البابلية)

معظم الألقاب الآشورية الجديدة التي تتحدث عن براعة الملك، على سبيل المثال «الملك العظيم»، وحتى «ملك الكون» القديم، وهو اللقب الذي يعود إلى العصر الأكادي، لم يتم نقله إلى الإمبراطورية البابلية الجديدة اللاحقة مع استثنائين. يستخدم مؤسس الإمبراطورية البابلية الجديدة، نابوبولاسار (625-605 قبل الميلاد) بعض الألقاب (أبرزها «ملك عظيم») في نقوشه المبكرة، ربما بسبب أسرته التي نشأت كمسؤولين رفيعي المستوى للآشوريين. وقد أخذ الحاكم النهائي للإمبراطورية البابلية الجديدة، نبونائيد (حكم في الفترة ما بين 556-539 قبل الميلاد)، جميع الألقاب الآشورية الثلاثة في نقوش في وقت متأخر من عهده، وربط نفسه عن عمد مع الملوك الآشوريين الجدد، ربما ليطالب بإمبراطورية عالمية كما في النموذج الآشوري.

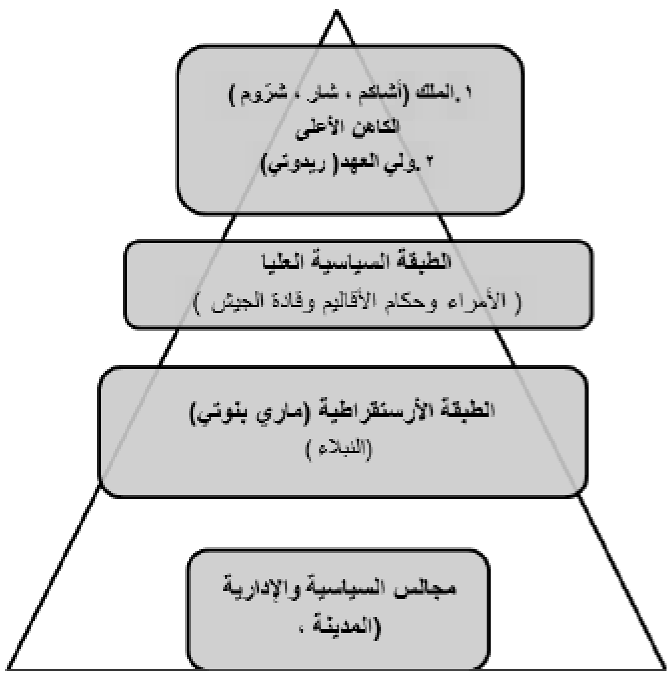


**الملك الآشوري في موكبه الملكي راكباً عربته**

ثانياً: الهرم السياسي الآشوري

يخلط الكثيرون بين الهرم السياسي والهرم العسكري أو الاجتماعي لدولة ما أو لحضارة ما، لكننا حاولنا، قدر الإمكان، فرز هذه الحقول الثلاثة عن بعضها، وتنظيم هرم متخصص لتدرجات تكوينها.

ينتظم الهرم السياسي الآشوري بقمة يقف عليها الملك بالدرجة الأساسية فهو بمثابة الدولة كلّها، ومعه ولي العهد بشكل خاص. ثم تتبعه الطبقة السياسية العليا المكونة من الأمراء وحكّام الولايات وقادة الجيش، ثم يأتي الطبقة الأرستقراطية من النبلاء الذين يسندون النظام السياسي لدولة الملك، وأخيراً الأحرار من الآشوريين (آشورايو) كمنفذين لهذه السياسة بين شعوب الدولة الآشورية، أما ما دون ذلك فلا يساهم في سياسة البلاد.




**الهرم السياسي الآشوري**

أولاً: الملك وحاشيته

**1.الملك:** مع بداية ظهور المملكة الآشورية القديمة في حدود 2500 قبل الميلاد، كان الملوك الآشوريون شيوخ قبائل رعوية وزعماء عشائريون، لم يكونوا ملوكاً، ولم يطلقوا على أنفسهم لقب الملك (شاروم) بل كانوا يسمون (إشياكو: إشي آكو) والتي تعني خادم والمقصود به خادم الإله آشور، وتعني أيضاً (محفوظ) أي (المحفوظ من قبل الإله آشور) وتقابلها في السومرية كلمة (إنسي) أي الحاكم، ولم يكن نظام الحكم ملكياً بل كان نظام الحكم في آشور أوليغارشي (وهو حكم الأقلية الثرية والقوية) ويرون أن السلطة كانت بيد الإله آشور وهو الذي فوّضهم بالحكم. وكان للنظام السياسي ثلاثة أسس رئيسية للسلطة هي: مجلس شيوخ، و(إشاكو) أو الحاكم الوراثي وهو الذي يترأس مجلس الشيوخ وينفذ قراراته، والإسم المستعار للحاكم أو لقب الحكم.

أقدم ألقاب الملك في آشور، إذن، هي (إشّاكو) والتي تقابل في السومرية لقب (إنسي)، وتعني (حكم مدني، أمير)، ويبدو أن هذا اللقب كان من بقايا مرحلة دولة المدينة وخصوصاً آشور، ولأن آشور تمثّل المدينة المقدسة للآشوريين لأنها مدينة هذا الإله، لذلك اجتمعت فيه الزعامة الدينية والدنيوية معاً وبقي اللقب يحملهما، دون عناية خاصة بأن هذا اللقب هو في أصوله السومرية، يقابل اللقب الديني (إين) فهو ديني المضمون. وكان الملك الآشوري بمثابة ممثل للإله آشور على الأرض، أو صورة له. وكان يسمى (شمس الشعب الإلهية).

«منذ عصر فجر السلالات كان لحامل لقب (إينسي ENSI) واجبات ومهام متنوعة. إذ كان يحكم مدينة صغيرة، أو مدناً أوسع منها في بعض الأحيان وهو المسؤول عن حفظ الأمن والنظام وإصدار الأحكام بوصفه يتمتع بسلطة قانونية وهذا ما نجده في سلالة أور الثالثة فعلى الرغم من أن الملك كان هو المسؤول نظرياً عن القانون والعدالة إلاّ أن تنفيذ القانون كان بأيدي الحكام المحليين في المدن المختلفة. ويظهر في وثائق المحاكم القديمة اسم الحاكم (إينسي) بمثابة توقيع رسمي، وفيما بعد بدأ اسمه يظهر مع أسماء القضاة الذين يصدرون قراراتهم في القضية، وفي فترة متأخرة كانت أسماء القضاة تظهر من دون أن يرافقها اسم (إينسي) إلاّ أن اسمه بقي يدون مع أسماء القضاة في الكتابة التي تدون على

صناديق الألواح الطينية التي كانت تحفظ فيها تلك الوثائق ومرتبة حسب تواريخها. كما كان من مهام الحاكم إدارة أملاك الإله المتمثلة بأملاك المعبد وتشمل الأراضي الزراعية ومصائد السمك والمطاحن والمعاصر ومصانع الجعة والمطابخ إلى غير ذلك، فضلاً عن نشاطاتهم العمرانية المتمثلة ببناء المعابد وترميمها.» (محمد 2017: 62).

وحين ترسخ لقب (لوجال: الملك) السومري استعمل الآشوريون لقب (شرّوم) مقابله الأكدي، ليدلوا به على ملك الدولة والإمبراطورية لكنه ظل يحمل محمولاً دينياً بسبب بقاء آشور عاصمة راسخة ودينية في أذهان الآشوريين، كما أنه ضمن للملك سيطرة على المؤسسة الدينية الكهنوتية.

لم يستعمل الآشوريون لقب (شرّوم) قبل عهد شمشي أدد الأول مطلقاً، لأن هذا اللقب كان يدل على (السيد الأعلى) الحقيقي للمدينة وهو الإله آشور، ولم يكن حاكم المدينة أو البلاد أكثر من موظف عند الإله.

**الإمبراطور** لقب روماني اللفظ والإشتقاق، كان يقابله عند الآشوريين لقب (شار ـ كيشاري) أي (ملك العالم)، كان النظام الملكي الوراثي هو السائد في آشور.

الآشوريون، وحدهم، تميّزوا بجعل الملك هو الكاهن الديني الأعلى، وترتب على هذا أمور كثيرة ضاعفت من قوة الملك وقدسيته، وهو عكس ماحصل في سومر وبابل وأكد، حيث كان الملك يمضي فترة حكمة تحت سلطة الكاهن الأعلى.

كان الملك شبه مقدس، بسبب منزلته الدينية، ولم يكن أحد يدخل عليه وهو في قاعة العرش بضمنهم ولي العهد، إلاّ إذا قرر المنجمون ذلك وحين تشير علامات الفأل بسبب من كون من يدخل عليه يمثل الطالع الحسن.

**المظهر الملكي:**

كان الثوب العادي للملك، في وقت السلم، عبارة عن ثوب طويل يتدفق، يصل إلى الكاحلين، مزين بشكل متقن ومهدب، يُلبس مع حزام عريض، أما الوشاح المفتوح فهو رداء واسع في الأمام والخلف مع ترك الجانبين مفتوحين، ويتم تعريض الفستان السفلي للرؤية. ويمررالوشاح فوق الرأس. كان هناك عادة كُمّ قصير عند الذراع اليسرى، ولكن تم ترك الذراع اليمنى حرة يسقط الوشاح من جانبيهما. ويحتوي الوشاح على جناحين مدببين مرتبطين بالكتفين، وهناك حزام قطري واسع مزين بحافة مميزة.

كان غطاء الرأس الملكي الخاص عبارة عن غطاء طويل أو مايشبه التاج، والذي اتخذ في البداية شكل الرأس، لكنه ارتفع فوقه إلى ارتفاع معين مغطى بقمة مسطحة، وتم تزيين التاج بثلاثة ألوان هي، الأحمر والأصفر والأبيض. ربما تكون مطرزة على مادة غطاء الرأس بخيوط ذهبية، أو تتكون من صفائح ذهبية رقيقة. ومن المحتمل أن تكون المادة العامة للتاج من القماش أو اللباد؛ ونادراً من المعدن.

في المنحوتات المبكرة، أصبح التاج أكثر دكنةً وأقل زخرفةً. ونادرًا ما يكون هناك أكثر من شريطين، الأعلى ضيّق، والأسفل واسع. وكان الملك يتقلّد بصليب مربّع مميز جداً بموجود في قرطيه، أو يضعه على صدره، وهو يرمز للشمس وللإله آشور.

كان الملك يستخدم المظلّات التي يحملها الخدم فوق رأسه، وكذلك كانوا يحملون المهفّات والتي كان يحملها هو عندما تكون صغيرة الحجم.



**ملوك آشوريون يؤدون وظائف مختلفة**

**The Seven Great Monarchies: Assyria (Part 4) by George Rawlinson**

**الأسماء والألقاب الملكية:**

«نجد في العصر الآشوري القديم (حوالي 2000 ـ 1521) ق.م. أن النصوص الملكية مقتضبة ولا يوجد فيها الكثير من التفاصيل وليست ذات شأن كبير، إلاّ أن الصيغ التي كتبت بها هذه النصوص كانت بإطار واحد وهي: اسم الملك وألقابه ونسبه وعلاقة الملك بآلهته ثم ذكر أعماله العسكرية والأحداث الأخرى التي تكون على الأغلب سياسية ثم يكون الحديث عن العمل الذي عادة ما يكون عملاً بنائياً كرس للآلهة وأخيراً الأدعية واللعنات على كل من يحاول العبث في النص، فضلاً عن ذلك نجد ازدياد الألقاب منذ عهد شمشي أدد الأول (1814 ـ 1782) ق.م. عن الملوك السابقين من العصر الآشوري القديم واستمرارها حتى عهود ملوك العصر الآشوري الحديث (911 ـ 612) ق.م. موضحة قوة الملوك الآشوريين وإنجازاتهم العسكرية والعمرانية إلاّ أنها لا تخلو من الاهتمامات الدينية

ومن أبرز هذه الألقاب: القوي، ملك الكون، ملك الملوك، سيد الأسياد، حاكم الـ(إنليل)، كاهن الـ(آشور).. إلخ.» (محمد 2007: 11).

في العصر الآشوري الحديث توقف استعمال لقب (إين: السيد). كانت هناك مناسبات محددة يحضر فيها الإداريون الكبار والقادة لتقديم ولاء الطاعة وتقديم الهدايا الثمينة للملك والتي كان يطلّع عليها، مسبقاً، ولي العهد.

كان الملك يصوم، في مناسبات مختلفة، فيمتنع عن الطعام المطبوخ والملابس الزاهية لعدة أيام والتوقف عن العمل الحكومي وتوقيع المعاهدات، قبل طلوع القمر الجديد، وهذا يشير إلى تمثّل الملك بحركة القمر وكأنه رديف له.وكان هناك تقليد الملك البديل حين يقرر المنجمون والعرّافون بأن الملك سيتعرَّض للأذى أو الموت.



**سنحاريب متوّجاً على عرشه**

الإختيار الإلهي للملك:

يذهب بعض الملوك أو أولياء العهد، مثل آشوربانيبال، إلى أن العناية الإلهية هي التي أتت بهم ملوكاً، وأن اختيارهم كان حكمة سماوية وقدراً رتبته الآلهة قبل زمانه بكثير، ليكون الأمر مسلماً به. ويسمى هذا (النطق باسم الملك من قبل الآلهة) أو (النظر للملك من قبل الآلهة قبل ولادته).

«ويفهم بأن الاختيار الإلهي يكون عادة في بداية حياة العاهل، فهذا سنحاريب يقول «أن الآلهة نظرت إلي وأنا في رحم أمي التي ولدتني» أن هذا الاختيار المتأتي عن طريق النظرة الإلهية يمثل بدون شك الشكل الكامل للاختيار الذي يعلن عنه عن طريق النطق بالاسم لعاهل المستقبل الذي وقع عليه الاختيار بالنظر إليه وبالنطق الإلهي، فيكون قد حددت له الآلهة مسبقاً في أن يكون ملكاً.

وهناك من الملوك من يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يفترضون أن الآلهة نطقت باسمائهم قبل أن يولدوا، فعلى سبيل المثال تجد الملك آشور بانيبال يزعم أن الإلهين آشور وسن كانا قد نطقا باسمه من أجل الملوكية منذ الأزمان القديمة وهذا بدون شك تأثير سومري واضح منذ عصر فجر السلالات حيث وجدنا أي-اناتم من سلالة لكش يدعي بأنه سمي من قبل الإلهة إنانا وفي مكان آخر يؤكد بأنه اختير من قبل الإله ننكرسو وكذلك الحال بالنسبة للملك لوكال زاكيزي، حيث يقول بأن اسمه كان قد نطق به من قبل الإلهة بابا.» (الفتيان 1991: 235).

السند الإلهي للملك: يتم من خلال آشور وابنه ننورتا، والشجرة المقدسة.



## مشهد يجمع مساندة ومباركة الرموز الآشورية المقدسة

الملك الآشوري من اليسار يقف أمام الشجرة الآشورية المقدسة رافعاً يده اليمنى لها بالتحية والتبرّك ويده اليسرى تمسك غصن البرق النازل من رمز آشور الأعلى في اللوحة،

بينما يقف خلفه النسروخ رمز ننورتا إبن آشور، ويقف الكاهن يمين الشجرة يرفع يمناه مباركاً ويمسك غصن البرق وخلفه النسروخ

(كأن اللوحة تجمع الأب آشور، والإبن ننورتا، والروح القدس الشجرة المقدسة)

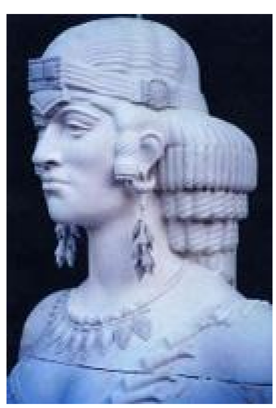
من العصر الاشوري الحديث

2.الملكة

كانت مكانتها متميزة، وقد لعبت الملكات الدور الحاسم الخفيّ في تقرير أمور الملك وصناعة القرار الملكيّ وخصوصاً تنصيب وعزل وتبديل ولاة العهود والأمراء والحكام، وكانت تشارك في إدارة شؤون الدولة.

كانت الملكة تقوم، أحياناً، بدور الوصية حين يموت الملك ويترك ولده الصغير على العرش. وهو ماحصل مع المللكة (سمورامات) حين توفي زوجها الملك (شمشي أدد الخامس) عام 810 ق.م وترك ابنه الصغير سنّاً (أدد نيراري الثالث)، فقامت بدورها كملكةٍ حكيمة وتحملت الأعباء الكبيرة لإمبراطورية شاسعة، وكانت خير وصيةٍ عليه حين مكّنته بالعناية والتدريب لسنوات عديدة حتى استوى وصلب عوده وأصبح ملكاً واعتلى عرشه.

الإغريق نسجوا عنها حكاية شبه أسطورية وأسموها سمير أميس، وخلطوا سيرتها بسيرة الإسكندر المقدوني وفتوحاته كما توصلنا لذلك في كتابنا (المعتقدات الآرامية).



.

## تمثال حديث للملكة الآشورية سمو رامات (سمير أميس)

خلال موسم التنقيب 1988-1989 في نمرود تم العثور على مقابر الملكات في القصر الشمالي الغربي. وقد تضمنت هذه المقابر المجوهرات والأشياء التي تنتمي إلى ثلاث ملكات آشوريات، على الرغم من أن عشرة ملكات آشوريات معروفات من هذه الفترة. كانت الملكات الآشوريات تعيش في القصر مع بقية حريم الملك، لكن لها مكانة متميزة وتتمتع الملكة بجناح خاص في القصر الملكيّ له خدمه وأمواله الطائلة، وقد لعبن دوراً نشطاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية في آشور. كان بعضهن ثريًا جدًا وكان لديهن جيشاً خاصاً تحت قيادتهن. كنّ يدعمن أزواجهن وأبنائهن. ووفقاً للمصادر، فإن معظم الملكات الآشوريات لم يكن من مواطني آشور. بل من بلدان أجنبية عن طريق الزواج السياسي. كان للملكة لقب خاص هو (امرأة القصر) وهو باللغة السومرية (ميجال) وبالأكدية (سيجالو).(MI2.E2.GAL, sēgallu)

اكتشفت مقابر ملكات الإمبراطورية الآشورية الحديثة في نمرود وعثرت الهيئة العامة للآثار في العراق، أثناء إعادة بناء أجزاء من قصر أشورناصربال الثاني (883-859 قبل الميلاد)، على أربع غرف دفن مقببة. في اثنين منهم، المقابر الثانية والثالثة، اكتشفوا المدافن الغنية بشكل غير عادي للعديد من الملكات الأشوريات. كانت المقابر تحتوي على أكثر من ستين كيلوغرامًا من القطع الذهبية والبرونزية والفضية والإلكترومية، ومئات الأحجار الكريمة وشبه الكريمة والمبلورة والمنسوجات وغيرها من المواد. تعطي هذه الأشياء فكرة عن روعة حضارة بلاد ما بين النهرين، ولا سيما الثقافة الآشورية. تاريخيا، تتراوح الكنوز في التاريخ على مدى فترة طويلة. كما يتبين من النسخ المقدمة هنا، فإن النقوش تعود إلى الملك كوريغالزو الثاني (1332-1308 قبل الميلاد) في بلاد بابل إلى زمن الملك سرجون الثاني (721-705) من بلاد آشور. تكشف النقوش التي تذكر البقايا المتوفاة والجسدية التي تم الحفاظ عليها جيدًا بما يكفي للسماح بالدراسة العلمية أن مقابر الملكات، كما هو معروف، تحتوي على ذكور رفيعي المستوى أو الخصيان، وأطفال نساء النخبة في القصر. قد تكون النساء قد شملن أمهات الملكة، وزوجات ابتدائيات و/ أو

ثانويات، وأخوات وبنات الملك. لحسن الحظ، ترك اللصوص القدماء القبور دون عائق. في الواقع، تم استرداد حوالي 119 قطعة كبيرة من المجوهرات والذهب.

تحتوي مقابر نمرود على نقوش وأختام وأشياء مختلفة للملكات الآشوريات يابا، وبانيتو، أتاليا وهاما، ومولیسو ـ موكانيشات ـ نينوى. كشفت المصادر الأثرية والنصوص المسمارية عن اسم الملكات الآشوريات العشرة. لكن للأسف، ليس هناك معلومات كثيرة يمكن الحصول عليها فنحن لا نعرف سوى القليل عن أسماء بعض الملكات.

ألقاب الملكات الأشوريين

## جدول ألقاب الملكات الأشوريات

### أهم الملكات الآشوريات:

### 1. موليصو ـ موكانّيشات ـ نينوى Mulissu-mukannišat-Ninua

هي أول ملكة تشهد العصر الآشوري الجديد، لقبها الكامل هو (ملكة آشورناصربال ملك آشور وشلمنصر ملك آشور)، وهي ابنة (نيرك ادان) حامل الكأس العظيم. احتفظت بمنصب أمين صندوق في العاصمة نمرود (كالخو)، حيث دُفنت. وهذا يدل على أن الملكة كان لها دور نشط في الحياة الاقتصادية منذ الفترة الأولى من عصر آشور الجديد، وجد على قبرها نقش جنائزي يقول (كانت ملكة سيدة قصر)، ولا يزال هذا التابوت من مكانه. وكل من يزيل هذا التابوت من مكانه، فإن روحه لن تستقبل قرابين الكسبو مع الأرواح الأخرى.

### 2. سامّو ـ رامات Sammu-rāmat

بعد وفاة زوجها الملك (شمسي ـ أدد)، وأصبحت وصية على حكم ابنها (أدد ـ نيراري) وكانت الملكة التالية، بعد موليصو موكانّيشات ـ نينوى، فهي الملكة الأم.

وقد طرحت تكهنات كثيرة حول أصلها من أماكن وبلدان كثيرة مثل بلاد الشام وآشور وبابل وأرمينيا وبيت أديني وبيت جبّاري وكركميش وجورجوم ونامري وباتينا وكو وشوبريا.

تذكرها شاهدة معروفة تم الكشف عنها في آشور، وحجر حدود يذكر أنها ذهبت في حملة مع إبنها حيث يصف هذا النقش كيف عبر أداد نيراري وسمو ـ رامات الفرات. وخلال وصف المعركة. يختفي اسم سامو ـ رامات كموضوع ويظهر الملك وحده يحارب العدو.

كتب عنها الكثير وأصبحت قصتها جزءًا من الأساطير والخرافات التي أحاطت البطلة الكلاسيكية سميراميس. وأضاف الكتاب اليونانيون مثل هيرودوت والمؤرخ الروماني ديودوروس إلى الأسطورة بقصصهم عن سميراميس.

هي شخصية موثقة لعبت دورًا مهمًا في إدارة الإمبراطورية. لكن لم يتم تضمينها في النقوش في روايات لاحقة، ويختفي ذكرها مع حكم ابنها، وربما كان ذلك بسبب هيمنة ابنها على الحكم حين استلم زمامه بعدها.

وهي زوجة الملك شمشي أدد الخامس (824-811 ق.م.)، التي كانت وصية على ابنها الصبي أدد نيراري الثالث بين عامَي 811 و783 ق.م. والذي أصبح ملكاً بعدها، وقد تميّز دورها وكانت تسمى (الملكة الأم)، المعلومات التاريخية عنها قليلة، أما المعلومات المروية من قبل الإغريق فتجعلها شخصية خيالية شبه أسطورية في الروايات تناقل الإغريق والأرمن لاحقاً أخبارها الخيالية. والتي بدت في فتوحاتها ومعاركها وسيرتها وكأنها شبيهة بسيرة الإسكندر المقدوني، وقد ناقشنا وحللّنا في كتابنا (المعتقدات الآرامية) طبيعة هذا الأمر وتوصلنا إلى نتائج جديدة.

**5. هاما** Hamâ:

لا يُعرف اسم هامو، ملكة شلمنصر الرابع (782-773)، إلا من ختمها، الذي تم العثور عليه في القبر الثالث من مقبرة الملكة موليصو ـ موكانّيشات ـ نينوى.



**ختم الملكة هاما**

**6.يابا ـ بنيتو** Yabâ - Banītu:

في القصر الشمالي الغربي لنمرود، تم العثور على قبور وأشياء الملكات يابا (تيجلات بلاسر الثالث)، وبانيتو (شلمنصر الخامس) وأتاليا (سرجون الثاني) في القبر الثاني. تشير الهياكل العظمية إلى وفاتهنّ في عمر متقارب، أي من 30 إلى 35 عاماً. لكن جثثهن لم تدفن سوية، حيث كان هناك 20 إلى 50 عامًا بين الوفاة والدفن.

**7.أتاليا Ataliya:**

احتوى تابوت يابا أيضًا على سفينتين كوعاء ذهبي، ومرآة، وجرة كريستالية تنتمي إلى أتاليا، وربما كان هذا الإرث مشابهاً لما كان قد ظهر من أدوات والمجوهرات في نقش بارز نادر يصور الملك آشور بانيبال وزوجته الأساسية لبّالي ـ شارات، Libbali-šarrat، وهما يتشاركان في مأدبة انتصار في الحديقة الملكية.

أسماء يابا وأتاليا من أصل سامي غربي، مما يشير إلى أن النساء في القبر الثاني ربما كنّ أميرات من بلاد الشام دخلن القصر الآشوري من خلال الزواج، وكان الحكام الآشوريون

الجدد يعطون ويستلمون بانتظام نساءً للأغراض السياسية والدبلوماسية.

## 8. نقيّة (زكوتو) Naqī'a (Zakūtu)

كان للملك سنحاريب ملكتان هما (تاشميتو ـ شارات) و(نقية)، وقد تداخلت أخبارهما، ومعروف أن نقية كانت تلقب ب (الملكة الأم) لأنها أم الملك أسرحدّون وهي «أفضل ملكة وأم موثقة لملك.(Svärd 2012: 107).آشور بانيبال كانت زوجة سنحاريب، ابنة زوج سرجون، والدة أسرحدون «على الرغم من أن اسمها يعود لأصولٍ غرب سامية فلا يوجد دليل معين حول أصل نقية. بحلول نهاية القرن الثامن، أصبحت الأسماء الغربية السامية أكثر شيوعًا في آشور وبابل، وبالتالي لا يمكن استخدام اسمها لتحديد نقطة منشأ حاملها. اسم نقية وحده لا يمكن أن يخبرنا من أين أتت، ولا يشير إلى أنها ولدت خارج بلاد آشور. كما استخدمت اسمها بالأكدية «زاكوتو». والذي قد يشير إلى أنها كانت عبرية وتؤكد أنها كانت واحدة من النساء التي أرسلها حزقيا إلى سنحاريب في عام 701 قبل الميلاد، ويربط علماء آخرون نقية بالقبائل الآرامية التي تعيش في بابل. هناك رسائل مكتوبة لها من بابل خلال عهد أسرحدون. وقد اعتبر بعض العلماء ذلك كمؤشرات على أن نقية جاءت من المنطقة». أنظر (Melville 1999: 13-15)

كانت لنقية مساكن في المدن الآشورية الرئيسية بالإضافة إلى نينوى وكانت غنية للغاية، وربما أغنى من الملكة الرسمية. كان لديها عدد كبير من الموظفين وقدمت العديد من التبرعات للمعابد وساهمت في تجهيز القصر بالخيول. ومع ذلك، ليس من الواضح تقدماتها للمعابد. قد تكون المساهمات مدفوعات ضريبية أو تبرعات خاصة أو مواد لتماثيلها في المعابد. في الواقع، كانت هناك صورة لها بالذهب في كالخو وربما يوجد تمثال لها في حران.

طمحت نقية إلى سلطة العرش وبنت قصرًا لإبنها في نينوى كما كرست نقشاً للإلهة موليسو. لم تكن صحتها جيدة وكانت هناك طقوس تؤدى من أجل صحتها.

آخر دليل على ذكر نقية هو بداية عهد آشوربانيبال، حفيدها (نهاية عام 669 قبل الميلاد). وذلك عندما استخدمت اسمها الأكدي زاكويتو، حين أقسمت عائلة الملك والأرستقراطية وأمة آشور، قسم الولاء بحضور آشور بانيبال، ملك آشور.

في الكتابات الإغريقية تم ربطها بالملكة سمير أميس كشخصية شبه أسطورية.



**نقية ـــ زكوتو مع إبنها أسرحدون وهما في معبد الإله مردوخ في بابل موجودة حالياً في متحف اللوفر**

9. تشميتو ـ شارات Tašmētu-šarrat

ربما كانت الزوجة الثانية لسنحاريب. وتتداخل أخبارها مع نقية، وربما كانت هي والدة آشور ـ نادن ـ شومي. وقد صنع لها سنحاريب قصراً ونقشاً خاصاً بها. ساهمت في السياسات المميزة لحكم سنحاريب وحضيت بسلطة واسعة، وكانت تسعى مع الملك في تحويل السلطة بعيدًا عن كبار أعضائه إلى أفراد من عائلته المباشرة.

10.إيشيرّا ـ هامّات Ešarra-hammat

كانت ملكة آشور، وزوجة أسرحدون، ووالدة آشوربانيبال وشمش ـ سوم ـ أوكين، وكانت خسارتها تسببت في حزن عميق على لأسرحدون وآشوربانيبال، وأنه تم تذكرها بوقار كبير. بشكل غير عادي، تم تسجيل تاريخ وفاتها في آذار 672 في بعض السجلات البابلية. بنى لها أسرحدّون ضريحاً لها، وربما كان هذا الضريح في آشور.

ذكر اسمها في الطقوس الجنائزية للملكة. في الواقع، تم إجراؤها كطقوس جنائزية لـ في 672. لم يتم تحديد أي من المشاركات من الطقوس بالاسم. وبدلاً من ذلك، يشار إليها باسم «ابنة الزوج» (kallatu)، و«ابنة» (marat šarri). في بداية طقوس على ما يبدو يغسل قدميها وتقبلهما. وتظهر «الابنة» وهي ترش الحبوب المحمصة في الجزء الثاني من الطقوس.

**11.آنا ـ تشميتوم ـ تكلاك** Ana-tašmētum-taklāk:

ربما كانت الزوجة الثانية لأسرحدون بعد وفات إيشارا ـ هامّات ومع ذلك، فإن هذا الأمر غير مؤكد وقد تكون أيضًا زوجة أو أرملة سرجون الثاني، أو الزوجة الثانية لأشوربانيبال أو زوجة أحد أبناء آشوربانيبال.

12.لبّالي ـ شارات، Libbali-šarrat:

زوجة آشور بانيبال عاشت في ظرف الصراعات بين الإناث من أفراد العائلة المالكة. تكتب ابنة الملك أسرحدون رسالة وتشتكي من أن (ليبالي شرارات) لا تكتب لها. وتذكر المتلقي أن لها مرتبة أعلى منها بالإضافة إلى ذلك، هناك دليل نصي على أن الملكة كان لديها جيشها الخاص. وظهرت في نقش على لوحة من آشور تشير لتمثيل الملكة في الأماكن العامة.



## آشور ـ شارّات

ورد اسم زوجة الحاكم الآشوري وهي (شيروا إشيرات) في رسالة من آشوربانيبال ذكر فيها زوجته (آشور ـ شارات)، وكانت هناك عداوة عنيفة بين المرأتين. قد تكون أيضًا الملكة التي تم تصويرها في مشهد الحديقة، وصورتها هذه جزء من كسرة منصّة من نينوى.

## مراجع عن الملكات الآشوريات:


**Al-Rawi, Farouk N.H., «Inscriptions from the Tombs of the Queens of Assyria», New Light on Nimrud Proceedings of the Nimrud Conference th March 2002, (Eds.) J.E.Curtis-H.McCall-D.Collon-L.al- 13 ـ 11 th .Gailani Werr, British Museum, London 2008, pp.119-138**

**Ascalone, E., Mesopotamia, Assyrians, Sumerians, Babylonians, Translated by Rosanna M. Giammonca Frongia, University of .California Press, London 2007**

**Karlson, M., Early Neo-Assyrian State Ideology, Relations of Power in the Inscriptions and Iconography of Ashurnasirpal II (883-859) and Shalmaneser III (858-824), Upsala Universitet, PhD Dissertation, .Upsala 2013**

**Parpola, S., «Neo-Assyrian Treaties from the Royal Archives of Niniveh», Journal of Cuneiform Studies, Vol.39, No.2, Autumn, 1987, .pp.161-189**

**Parpola, S., «The Neo-Assyrian Word for «Queen» «,State Archives of .Assyria Bulletin, Vol.2, No.2, 1988, pp.73-76**

**Svärd, S., Power and Women in the Neo-Assyrian Palace, Helsinki .University Print, Helsinki 2012**

**Teppo, S., Women and Their Agency in The Neo-Assyrian Empire, MA .Thesis, University of Helsinki, Helsinki 2005**

3.نظام ولاية العهد والوصاية الآشورية

درج الآشوريون على إستمرار التقليد الرافديني القديم فيما يخص توريث الحكم من الملك الأب إلى ابنه ولي العهد، وقد ركز الآشوريون على مبدأ إشراف وموافقة الآلهة على تعيين ولي العهد، لاعتبارات كثيرة منها أن هذا الأمر يكتسب شرعية إلهية تجعل الناس تقبل منه، وأن القبول بولي العهد سيكون أمراً شبه مضمونٍ لأن الملك الآشوري هو الكاهن الأعلى في البلاد.

«ومن الأمور الجديرة بالملاحظة في العهد الاشوري الحديث بشأن اختيار ولي العهد، هو أن الملك كان يدعو في الوقت المحدد أو المناسب الشخصيات البارزة في المجتمع وربما

البعض من عامة الناس، هذا إلى جانب أركان دولته ويعلن بصفة رسمية أن الابن الفلاني هو الذي سوف يرثه على العرش ويطلب من الجميع قبوله والموافقة عليه، وخلال هذه الدعوة يدخل الوريث إلى بيت مخصص لولاية العهد والذي يطلق عليه اسم (بيت ـ رديتو) لغرض التدريب، ومن ثم يشرك ولي العهد المختار بنيابة الملك في بعض الأعمال إلى أن يحين له تسنم السلطة وارتقاء العرش. أن هذه الأمور انفردت بها الدولة الآشورية في عهدها الحديث دون غيرها من دول الشرق القديم وادخلت على هذا التعيين جملة من الطقوس الاحتفالية لإعطائها أهمية كبيرة لهذا الحدث في نظام حكمهم حيث تجري الاحتفالات الدينية والتي يمنح خلالها الأمير المعين الاسم الملكي المخصص له مع تقليده الشارات التي ترمز إلى سلطة الآلهة وكدليل على قدسية هذا التعيين فإن هذه الاحتفالات تقام في مدينة آشور على اعتبارها المدينة المقدسة للإمبراطورية الآشورية كونها مركزاً لعبادة الإله اشور. وهذا يأتي مطابقاً لفلسفة شعب وادي الرافدين.» (الفتيان 1991: 282).

«وليكن معلوماً للقارئ أن وراثة العرش كانت بالتسمية، فالولد البكر ليس من الضروري أن يصبح ملكاً. ولكن وحتى الملك الحاكم لم يمتلك الصلاحيات المطلقة حول قضية الوراثة ما دام أن قضية تسمية ولي العهد ينبغي أن تصادق عليها الآلهة (وهذا يعني في الواقع قرار الكهنة وقبولها). وبعد أداء القسم من قبل العائلة الملكية وممثلي الشعب».(ساغز 2008: 141 ـ 142).

وهنا يذكر لنا نقش أسرحدون شيئاً عن هذه الإجراءات المتبعة:

«سر ولا تتراجع.

فنحن سائرون إلى جانبك.

وسوف نذبح أعداءك.»

وهذه رسالة لتطمين جيش أسرحدون لشرعية قضيته: «ولكن مع أنني كنت الأخ الأصغر لأخوتي الكبار ومع ذلك وبأمر الإله آشور ـ وسن ـ وشمش ـ وبعل ـ ونابو ـ وعشتار أربيل ـ فإن والدي الذي أنجبني قد رقاني ورفع قيمتي بين اخوتي قائلاً: ((هذا هو ابني الذي سيرثني)) وعندما طالب الحصول على رأي الإله شمس والإله اباد (وهما من آلهة الوحي) قالا له: نعم وبحزم. قائلين ((إنه هو وريثك)). ولقد أظهر والدي الاحترام اللائق لكلمتيهما المهيبتين. وبعدها جمع شعب آشور صغيرهم وكبيرهم، وكذلك إخوتي ذرية بيت والدي وقد جعل الجميع يقسمون بكلام مهيب أن يحموا حقي في الوراثة، وذلك أمام الإله آشور وسين وشمش ونابو وهم آلهة آشور، والآلهة الذين يسكنون في السماء والأرض.وفي شهر سعيد وفي يوم سعيد وطبقاً لأوامرهم (أي أوامر الآلهة) دخلت القصر الذي يوحي بالرهبة حيث يوجد روح وعطر الملكية»(ساغز 2008: 141 ـ 142).

ورغم ذلك فقد كانت ولاية العهد تصطدم بموانع كثيرة من المتنافسين مع ولي العهد الذي يختاره الملك، وكان مغتصبو العرش يستعملون فكرة الإختيار الإلهي سواء كانوا من العائلة الملكية أو من خارجها، وهو ما حصل مع سرجون الثاني الآشوري الذي ذكر هذا النص العجيب، الذي يناظر النص الخاص بسرجون الأكدي قديماً، لكي يؤكد الإختيار الإلهي له وحماية الآلهة له وهو في أحشاء والدته، ويؤيد هذاوجود نص في كتابة تاريخية عثر عليها في مدينة آشور تذكر اسم العاهل سرجون ونسبه وألقابه (سرجون الملك العظيم، ملك العالم، ملك بلاد اشور، ابن تجلات بلصر، ملك بلاد آشور) «وعليه لقد أفلح الملوك الاشوريون في ترسيخ نظام ولاية العهد والوصاية بالملك الوريث وأخذ المواثيق والعهود من حكام المقاطعات ومن كبار رجال الدولة والعائلة المالكة لكي لا تقع الدولة في أزمة سياسية حادة نتيجة الصراع على العرش من قبل أبناء السلالة الملكية، ومع ذلك ورغم أن الملك سنحاريب قد أوصى لأبنه أسرحدون بولاية العهد كما مر سابقاً إلاّ الأمور لم تجر كما أراد لها سنحاريب، حيث توجب على أسرحدون القتال من أجل تثبيت حقه بالعرش كولي عهد فشق طريقه بحد السيف إلى استلام مقاليد الحكم الملكي، هذا بالإضافة إلى اعتماده على قوة ومكانة الآلهة التي تعهدت له بالرعاية والنصر المؤزر على أعدائه. قائلة «لا تخف

يا أسرحدون، أنا الإله بعل أكلمك، لقد ثبت جنانك كأني أمك التي جاءت بك إلى الوجود. وجعلت ستين إلهاً يقفون معي سوية لحمايتك. فالإله سين (القمر) يقف عن يمينك، والإله شمش عن يسارك، أجل ستون إلهاً يقفون من حولك وقد تهيأوا للمعركة. أني أنا عشتار إلهة مدينة أربيل قد حولت عناية الإله آشور نحوك. وأنت عندما كنت صغيراً فأني كنت أطعمك، لا تخف، أحمدني، أين هو ذلك العدو الذي انقض عليك عندما كنت غافلة؟ يا أسرحدون، يا ملك آشور، أني أنا عشتار إلهة مدينة أربيل سوف أمنح ملكي أسرحدون أياماً طويلة وسنيناً مستديمة في مدن آشور ونينوى وكالم وأربيل، أني حاميتك العظيمة وأنا قائدك المكرم الذي ثبت عرشك تحت السماء لأيام طويلة مقبلة وسنين مستديمة. لقد قلت لك لا تخف أيها الملك أني لم أتركك وحيداً، لقد أعطيتك الثقة ولن أدعك تذل. أجل جعلتك تعبر النهر يا أسرحدون. أيها الابن الشرعي، يا من ولدته الإلهة انليل، أني سوف أحطم أعدائك بكلتا يدي. » (الفتيان 1991: 237).

كان ولي العهد يتدرب على مهامه كملك من خلال تعيينه حاكماً في أحد الأقاليم. وكانت هذه سياسة ناجحة اتبعها أغلب ملوك آشور، وحظيت بابل كولاية تابعة لآشور بالمقام الأرفع لكي يتدرب فيها ملوك وأباطرة الآشوريين كحكّام لها قبل أن يعتلوا العرش في آشور.

4.الحاشية الملكية والقصر

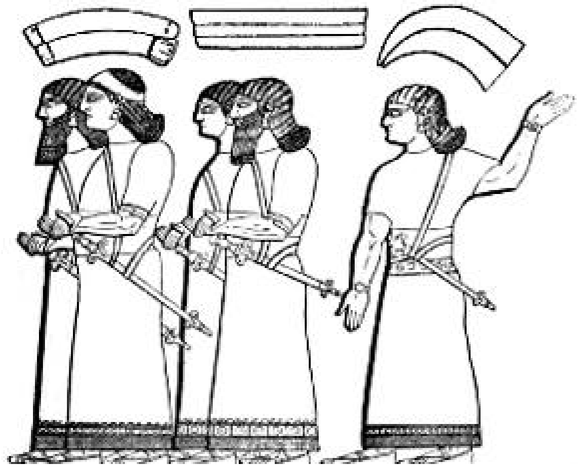
كانت الحاشية الملكية تحضى بأهمية سياسية واجتماعية واقتصادية لكونها قريبة من الملك الذي هو مركز الدولة كلها وكاهنها الأكبر. فقد كانت العائلة الملكية بكل أطيافها من الأبناء والأخوان والأقارب المقربين للملك يشكلون هذه الحاشية.

«كان البلاط الملكي يضم «الذين يقفون أمام الملك»، وهم ندماء الملك (من المخصيين والملتحين) وأفراد الأسرة الملكية ـ ولا سيما أقاربه الذكور ـ والموظفون الكبار والصغار في المملكة، وموظفو القصر الملكي والرهائن والضيوف المتميزون. وكان هؤلاء جميعاً يشكلون وحدة اجتماعية هي عماد البلاط، وانتظمت بين مجموعات أفرادها قواعد ثابتة في

التعامل. ازداد نفوذ كل منهم بقدر قربه من الملك. وكان أهم موقع في البلاط يشغله مستشارو الملك الذين كانوا يجتمعون عادة في مجموعات مؤلفة من خمسة إلى عشرة رجال، ويمارسون دورهم في المجالات الإدارية والرسمية، وكذلك في الوظائف العسكرية غالباً. وقد بلغت درجة تأثير هؤلاء «الكبار» في بلاد اشور أحياناً، بحيث صار نفوذهم يشكل خطراً على الملك ذاته. وفي الألف الأول ق.م. صار يعد من هؤلاء الكبار مستشار الدولة ـ الذي يعرف في الدراسات أحياناً بصفة مدير الخزينة أيضاً ـ ومعلنُ أوامر القصر وكبير السقاة وكبير المختصين ومفتش المملكة والوزير الكبير والقائد العام للجيش.» (كانجيك وشباوم 2008: 109 ـ 110).

مراسم البلاط الآشوري كانت فخمة وكان الملك يُظهر نفسه بحرية كبيرة لرعاياه في مناسبات عديدة. فقد أشرف شخصياً على إنجاز أعماله العظيمة، في الحرب وفي المطاردة ركب في عربة مفتوحة، في رحلاته، كان ينزل في كثير من الأحيان من مركبته، ويسير أو يقاتل سيراً على الأقدام. في كل من السلام والحرب، يحضر معه العديد من ضباط الدولة.

«لم يكن القصر الآشوري، بل القصر في الشرق القديم كله، مبنى ضخماً مميزاً بموقعه وأسلوب عمارته، وأبعاده وزخرفته، وكذلك بكونه مسكناً خاصاً بالملك وأسرته فحسب، بل كان يشكل ـ إضافة إلى ذلك ـ المركز الاقتصادي والإداري التي تنظم شؤون البلاد. كانت واردات ميزانية الدولة وصادراتها تُعد وتحدد كأموال للقصر الملكي، ويعد الحاكم بصفته المدير العام ومالك بلاد آشور مسؤولاً عن ميزانية القيصر. وتتضح وظيفة القصر كمؤسسة إدارية إجرائية في الحرص على إقامة قصور في المراكز الإدارية الكبرى ضمن المملكة. (كانجيك وشباوم 2008: 107).



## موظفو البلاط الآشوري

يسكن الملك وحاشيته في البلاط الملكي المسمّى (إي ـ كلو) أو الهيكل، ومعناها الحرفي (البيت الكبير) أو القصر الملكي، والتي تستخدم أيضاً لما يسمى بـ(بيت الحكومة).

«ولكن تستعمل نفس الكلمة للدلالة على الأبنية الإدارية وهي بعيدة عن العاصمة، وقد كان يمثل أيضاً مقر الحكومة والدولة فقد كان القصر الملكي أكبر من مقر الملك بل كان هو مركز الحكومة والدولة الرئيسي. وبهذه الصفة فقد كان لا يتسع للمقر السكني للملك فحسب بل وما يتبعه من أماكن وضع المؤن لاستضافة ضيوف الدولة من الطباخين والخبازين وصانعي البيرة، وكذلك هيئة كبيرة من موظفي الدولة والإداريين المدنيين وضباط الجيش فضلاً عن السفراء الأجانب والإمراء القادمين من الدول الموالية والمحكومة الذين حفظوا في البلاد كرهائن ولكي يتعلموا في آشور العادات الاشورية. وهناك أشخاص آخرون يعيشون ضمن القصر الملكي وهم الكتبة الذين يتقنون عدة لغات وفنون الكتابة، وكذلك موظفو جمع الضرائب والمترجمون والأطباء والموسيقيون ورجال الدين والسحرة وكذلك طبقات عديدة من الكهنة ورجال الدين. وكان هناك أيضاً الخزينة الملكية بما فيها من الموظفين وكانت إعالة جميع هذه الفئات واجباً ثقيلاً تتم تلبيته من الإمدادات التي يرسلها المسؤولون في المناطق، وبعض الفترات كان هناك أسود ملحقة بالبلاط تطعم بوجبات منتظمة من الأغنام. وفي داخل البلاط الملكي كان هناك عدة

بلاطات ثانوية مثلاً بلاط والدة الملكة، أو ولي العهد مع ما يتبعها من الموظفين مع أنه في إحدى الأزمنة كان لولي العهد قصر مختص به يدعي «دار ولاية العهد».وربما كان للحاكم المحلي قصر في العاصمة منفصل عن القصر الملكي.» (ساغز 2008: 209).

«إن القصر لم يكن منعزلاً عن المحيط الخارجي، فكما رأينا كان على علاقة قوية مع الحي المقدس الذي يضم معبداً أو معابد المدينة وبالنسبة إلى طريقة الاتصال مع العالم الخارجي، كان القصر يمتلك بوابة أو عدة بوابات لها وظائف مختلفة، تؤمن الاتصال مع المحيط الخارجي. إن البوابة الرئيسة للقصر كانت تقود إلى القسم العام في القصر الذي كان يضم قسم الاستقبال والقسم الإداري والقسم الرسمي، ومن القسم الرسمي يمكن الدخول إلى القسم الخاص الذي يحوي بيت الملك. وكانت الشخصيات المهمة تدخل من هذه البوابة إلى داخل القصر، الملوك والسفراء والعائلة المالكة والموظفون الإداريون والوزير الأول.» (عبد الحق 2014: 285 ـ 286).

كانت الهواية الدائمة للملك الآشوري هي مطاردة الأسود في رحلة صيد في عربته، مرتديًا ملابسه عندما خرج إلى الحرب، وحضره مركبته وبعض السيوف والعريس الذي يحمل حصانًا بقيادة. كان يحمل القوس والسهام، والسيف، وخنجرًا واحدًا أو خنجرًا، والرمح.

«القصر الملكي بالحقيقة ليس فقط كمقر للملك ولكنه مركز الحكومة والدولة والذي غالباً ما يحتوي على العديد من الأجنحة كالمخازن وأماكن الطبخ ومقرات الموظفين الإداريين والمقربين من أمثال حامل ختم الملك ورئيس التشريفات ومسؤولي شؤون القصر وكبير السقاة وكبير الأطباء ومساعدوه وكاتب الملك بالإضافة إلى كبار الضباط إلى جانب المترجمين بلغات عديدة لكي يقوموا بالترجمة عند حضور السفراء الأجانب والأمراء الغرباء اللذين جلبوا لتثقيفهم من الاشوريين، هذا فضلاً عن موظفي الضرائب وبعض رجال الدين وخصوصاً المختصين بالفأل والتنجيم، يضاف إلى كل ذلك بيت مال الدولة (مقر الخزينة المركزية) وما يتطلبه من جهاز إداري يشرف على الحسابات والموارد الكثيرة التي يبعث بها حكام الأقاليم.» (الفتيان 1991: 252).

**الحرملك الآشوري:** كان للملك الآشوري، في قصره، عدداً كبيراً من النساء، وكان مصدرهن الأكبر من سبايا الحروب والغنائم من المدن والشعوب المغلوبة، وبعضهن كهدايا من الملوك والأمراء الذين يطلبون تحالف الملك معهم كنوعٍ من المصاهرة السياسية. وتوضع كلّ هذه النساء في جناح خاص من القصر وفي غرف مجهزة خاصة بهن، وكان الملك يلتقي بمن يريدها منهن تحت وطأة الغيرة الشديدة من الأخريات اللائي يحاولن الفوز برضاه.

**الخصيان في آشور: Eunuchs**

ظهر الخصيان في وقت مبكر من التاريخ الآشوري، بشكل محدود، لكنهم ازدادوا حضوراً في العصر الآشوري الحديث. وكانوا في بداية الأمر كخدم في القصور، يحملون الدروع للملوك، ولكن يبدو أن الملوك اللاحقين فضلوا الخصيان لمهمة حمل المظلة وحمل المروحة فقط. غالبًا ما يكون فستان الخصيان عبارة عن ثوب طويل مهدب، يمتد من الرقبة إلى القدمين، بأكمام قصيرة جدًا، وحزام عريض أو حزام يحصر الفستان عند الخصر. في بعض الأحيان يكون لديهم حزام متقاطع أيضاً؛ وأحياناً يكون كل من هذا والحزام حول الخصر محاطا بثراء. عادة ما يرتدي الخصيان الأقراط، وأحياناً الإكليل والأساور. في حالات قليلة يزينون أعناقهم بقلائد، وفساتينهم الطويلة منقوشة بشكل متقن. رؤوسهم إما عارية، أو محاط بغطاء.

تبدو أشكالهم متشابهة منبئة عن جبين منخفض، وأنف صغير ومستدير، والشفاه ممتلئة، والذقن كبير ومزدوج، والخدود المنتفخة يتم تمثيلهم بشكل عام على أنهم أقصر وأكثر توجيها من الآشوريين الآخرين. على الرغم من وضعها في مواقف سرية حول شخص الملك، يبدو أنهم لم يحتلوا مناصب عالية أو مهمة للغاية. أما منصب الوزير الملكي فلا يمكن أن يكون خصيًا أبدًا، ونادراً ما يُرى الخصيان بين الجنود. لكنهم يظهرون بين الكتبة والطباخين والموسيقيين وربما الكهنة والصيادين، وحاملي المظلات، ليس لهم القوة ذاتها في آشور مقارنة بالدور والمكانة التي امتلكوها بشكل عام في الممالك الشرقية الأخرى.

كان هناك مايعرف بال (رابسار) وترجمته «رئيس الخصيان» أو «سيد الخصيان».، ولم يشغل هذا أو من يرأسهم أعلى المناصب الحكومية، بل أن مسؤوليتهم الخاصة كانت في المكاتب التي حول شخص الملك، والتي تنطوي على الثقة في أمانة أولئك الذين عُهد إليهم، ولكن لا تخضع لتأثيرهم في إدارة شؤون الدولة. وتجدر الإشارة إلى أنه بدلاً من أن يصبحوا أكثر تأثيرًا مع مرور الوقت، يبدو أنهم أصبحوا أقل تأثيرًا في البلاط الآشوري.

لاتوجد تماثيل خاصة بهم وبرئيس الخصيان، لكنهم يظهرون، مع الملوك عادة، وهم يحملون المروحة، وكانت شارة منصبهم الخاصة هي وشاح طويل أو عصّابة مهدبة طويلة، تتدلى أسفل وسطه قبله وخلفه، يتم تمريرها على الكتف الأيسر، كان فالخصيّ، ي معسكر الملك، يحضر الطاولة لعشاء سيده. هناك دائمًا قدر كبير من الزخرفة حول ثوبه، والتي تشبه تقريبًا تلك التي يرتديها الحارس الملكي السفلي، وتتكون من ثوب طويل أو رداء طويل، وحزام مهدب أو عادي، وحزام متقاطع بشكل عام مهدب، وعادة ما يكون عاري الرأس والقدمين، على الرغم من لبسه الصنادل في حياته اليومية.

كانت بلاطات الملكات تجري خدمة خاصة لهن من قبل الخادمات والغلمان أو الخصيان، ولايسمح لهؤلاء بالتنسط على حرملك الملك وإلاً قد يتعرض لعقوبات شديدة تصل لقطع أذنه. وكانت النساء تمتلك حرية أكبر في الشجار والصراخ وضرب الخادمات. وهناك قواعد صارمة تنظّم علاقات نساء الحرملك بموظفي القصر وغيرهم، حيث يمنع على هؤلاء التمعّن في وجوههن وأجسادهن والكلام القريب منهن.



## خصيان من آشور

«وكانت قصور المقاطعات هذه مراكز إدارية، وفي الوقت ذاته رموزاً للسيادة الآشورية. ضمت مباني القصور الضخمة المقر الرسمي الملكي، وقاعات للملك وأفراد أسرته، وقاعات للاستقبال الرسمي، وزوايا دينية للآلهة المختلفة. وكذلك قاعات للأعمال الوظيفية المختلفة، ومحال للأعمال الحرفية، ومطابخ ومخازن وحظائر.. إلخ. كان يعيش في القصر ـ إلى جانب الملك ـ نساء الملك وأبناؤه وأخوته وأعمامه وحفدته، وأتباعه وخدم القصر. وكان هناك مدير للقصر يتولى الإشراف على الإجراءات الإدارية فيه، ويخضع له موظفو القصر كلهم.» (كانجيك وشباوم 2008: 107).

«وجدت ضمن المحفوظات الرسمية للدولة الاشورية رسائل من أشخاص لم يحالفهم الحظ في الحصول على العطف الملكي. وثمة شخص كان يدعى أُردو جولا يشكو حاله في إحدى الرسائل، بأسلوب التملق والنفاق، يقول فيها: آه، ليت الملك، سيدي، يولي اهتماماً بحال عبده (....) كنت في البداية، خلال عهد والد الملك، رجلاً فقيراً، وابن رجل فقير، كنت كلباً ميتاً، رجلاً فاسقاً خليعاً، ولكنه جعلني عالي الشأن، وتلقيت منه هدايا تقديرية، وبات اسمي يذكر بين أسماء النبلاء. تمتعت بحياة الغنى، وبين حين وآخر قدم لي بغلاً أو ثوراً. وسنة إثر سنة صرت أقتني مانا (500غ) أو اثنين من الفضة (..) كنت أقف أمام النافذة واستمتع بالتأمل. قضيت حياتي يوماً بعد يوم في خدمته.. (...) والآن، ها قد رسخ الملك، سيدي، في خلافة أبيه اسماً طيباً، ولكني أنا لم أُعامل بشكل لائق يتناسب وخدماتي. لقد صرت أعاني بشكل لم يحصل من قبل (...) ها قد مضت سنتان على موت حيوانين لي، لا أملك غيرهما. وقد سافرت ثلاث مرات إلى أربيل، ومرة إلى اشور، وعبّرت عن حالي البائسة، ورجوت عطف اليد الملكية، وأوصلت أمري إلى الملك، سيد (....).» (كانجيك وشباوم 2008: 111).

ثالثاً: الطبقة السياسية العليا

**1.الأمراء:**

هم كبار البيت الآشوري بعد العائلة الملكية، وهم كلّ أقارب الملك المقربين والمتنفذين في الدولة.

**2.الوزير:**

الوزير يكون من بين الضباط الذين لديهم حرية الوصول إلى الشخص الملكي، هناك شخص يبرز بشكل بارز من البقية لدرجة أنه تم الاعتراف به بشكل صحيح كوزير كبير أو رئيس الوزراء في وقت واحد المستشارين الرئيسيين للملك، والرجل الذين كان عملهم الخاص يدل على تنفيذ إرادته. لباس الوزير الأعظم أكثر ثراء من أي شخص آخر باستثناء الملك. وهناك أجزاء معينة من ملابسه التي يتمتع هو والملك بمفردها بارتدائها. هذه، بشكل أساسي، المئزر الشرابة والشريط الهامش اعتمادًا على الشرائح، التي تم العثور على الأول منها في الفترة المبكرة فقط، في حين أن الأخير لا ينتمي إلى وقت معين، ولكن طوال سلسلة المنحوتات بأكملها هي علامة مميزة سلطة ملكية أو شبه ملكية. يمكن إضافة الشريط الطويل أو الوشاح لهذين، مع وجود نهايات مزدوجة في النهاية، والتي تعتمد على الحزام، وربما تثبيته ـ زخرفة ملكية يرتديها الوزير أيضًا في تمثيل واحد على الأقل.

الثوب الرئيسي للوزير هو دائماً مهدب طويل



Head-dress of the Vizier (Khorsabad).

# قيافة الوزير الآشوري

## 2.حكّام الولايات والمقاطعات:

يسمى الحاكم الآشوري باسم (بيل ـ بيخاتي) أي (سيد المقاطعة) وهي أكثر من مدينة تحت ولاية حاكم واحد، ويسمى حاكم المدينة الواحدة (راب ـ ألاني).

يعمل بصلاحيات مدنية ودينية واسعة، ويسكن في قصره داخل ولايته او مقاطعته، له طاقم إداري واسع متخصص بكل الأمور المعروفة من ضريبة وتجنيد وتجارة وأحكام قضاء وريّ وزراعة.

سلطات حاكم المدينة على مدينته تشابه سلطات حاكم الولاية على ولايته.

مار ـ شبري: مراسل الحاكم مع السلطة الملكية المركزية، وهو موظف كفوء يراقب الطرقات التي توصل الولاية بالعاصمة، من خلال الجنود المنتشرين هناك، وينقل اخبار مراقبته.

ديالو (الراكض مع الرسالة): المراسل الذي ينقل رسائل الملك الة حكّام الولايات والمدن.

قربوتي (المبعوث الشخصي): وهو المراسل الموثوق به جداً والذي ينقل الرسائل الخاصة للملك لمن يرسلها لهم.

خزانو (المحافظ، مسؤول الوحدة الإدارية): ويبرز دوره كموظف إداريّ محليّ من خلال نصوص العصر الآشوريّ الوسيط، ومن مدينة نوزي بشكل خاص.

«كان المصطلح قديماً يلفظ بشكل haziannu (خازانو) والكلمة مكونة من اسم الفاعل hazi مضاف إليها annu الاشورية، أما الجذر فهو HZ وقد وردت هذه الصيغة منذ العصر الاشوري الوسيط إلا أنها اختزلت في العصر الآشوري الحديث وأصبحت تكتب hazanu فقط في اللغة العبرية خزى ترد في نصوص التوراة والتلموذ البابلي بمعنى «ليرى الإله» أو

«يرى أرواح الأشياء» وهو لقب وظيفي شاغره المسؤول عن أوامر المعبد اليهودي الذي لديه القوانين السرية. أما في اللغة العربية فالفعل خزا أيضاً يحمل معنى «التكهن بالشيء»، فالخزانوا إذا في ا لأصل وكما يتصوره العراقيون القدامى الكاهن الذي بإمكانه رؤية أرواح الأشياء وتفسيرها وتقديمها إلى الإله بهيئة ما يشبه التقارير الرسمية وحينما انفصلت السلطة الدينية عن الدنيوية في بداية عصر فجر السلالات أصبح الخزانو ينظر في القضايا العامة والخاصة ويرفعها إلى السلطة المركزية المتمثلة بـ Lugal أو من ينوب عنه وينقل إليهم أصوات رئيس فيكون مدلول هذا المصطلح «خزانو» في القصر الاشوري يطابق إلى حد ما منصب المحافظ أو مسؤول الوحدة الإدارية في بلادنا في الوقت الحاضر.» (أحمد 1964: 144).

3.قادة الجيش وموظفو الدولة الكبار:

1. **ترتان (Lu(Turtanu:** قائد الجيش وحاكم مقاطعة، وظيفته الإدارية في القصر أعلى الوظائف، وكان يحتل منصب الليمو بعد الملك، يذكر اسمه مع الملك، وفي فترات ضعف الدولة الأشورية كان الترتان يذكر اسمه في نصوص خاصة به بدون ذكر اسم الملك. وقد أصبح في الدولة الآشورية الحديثة بمثابة الوزير الأول أو رئيس الوزراء.
2. **رب شاقي(Lu(rab saqi:** كبير السقاة المشرف على الري والقنوات، كبرت أهميته في العصر الأشوري الحديث وأصبح ثاني أهم وظيفة في القصر وفي الليمو بعد التارتان، وحاكم مقاطعة.
3. **ناگر ايكالي (Lu(nagir ekalli:** منادي القصر الذي يقدم الوفود والزائرين إلى الملك، والمصرح الرسمي للدولة في أمور كبيرة مثل أستدعاء الجند أو مجلس المدينة للحرب والمسؤول الإعلامي للدولة، وفي العصر الأشوري الحديث توسعت أعماله وكبرت ومنها قيادة الجيش وأحد أسماء الليمو ومالك المقاطعات التي يقررها الملك.

4. **أباركو (abarakku)LUl:** مسؤول المالية، أقرب إلى وزير الاقتصاد والمالية، وأعماله نوعية مثل توزيع الضرائب التي تصل إلى العاصمة، وكان يعمل معه عدد كبير من الموظفين في المقاطعات تحت إشرافه، يمكن أن يعينه الملك لقيادة الجيش وأحد أسماء قائمة الليمو في أعياد رأس السنة وتدوين الأحداث السنوية.

رابعاً: الطبقة الأرستقراطية (ماري بنوتي)

هذه طبقة متنفذة من النبلاء والأثرياء الذين كانوا مقربين للعرش الآشوري، وكان لهم تأثير مباشر وغير مباش على قرارات الملك، وخصوصاً في الشوؤون الداخلية وفي تعيينات الحكام والموظفين الكبار، وفي قرارت التجارة الخارجية والداخلية.

خامساً: المجلس السياسي والإداري

مجلسان مهمان ومؤثران في الحياة الاجتماعية وهما:

**1.مجلس المدينة (بخر آلم Puhur Alim**

كان لكل مدينة مجلسها الخاص، والذي يكون مسؤولاً عن كل شؤونها السياسية والإجتماعية والإقتصادية، وتعود المجالس الآشورية لوقتٍ مبكر من الألف الثانية قبل الميلاد في مدينة آشور بشكل خاص. ولم نعثر على مايؤيد وجود مجلس مسنّي المدينة (شيبوت آلم Sibut Alim، أو مجلس الشباب، ويبدو أن مجلس المدينة كان هو المجلس الإداري والسياسي والإجتماعي الوحيد.

«اسلوب إدارة المقاطعات والأقاليم التابعة. فكان يعتمد على العلاقة التي تربط ما بين تلك الأقاليم والدولة الآشورية فبالنسبة للأقاليم والمقاطعات الصغيرة الموالية لها كان يتوجب عليها أن تعترف بسلطان الدولة الآشورية عليها وتدفع هدايا الطاعة والولاء مقابل تقديم الحماية العسكرية لها عند تعرضها لأي اعتداء خارجي أو تمرد داخلي ضد السلطة الحاكمة فيها، وإذا ما حدث ان رفضت تلك المقاطعات والأقاليم

الاعتراف بالسلطة الأشورية أو امتنعت عن دفع هدايا الطاعة والولاء أو عقدت حلفاً أو معاهده مع دولة معادية للدولة الأشورية، ففي هذه الحالة تجهز حمله عسكرية ضدها ويتم تغيير حاكمها بأخر يكون موالياً لسياسة الدولة الآشورية ومستعداً لدفع هدايا الطاعة والولاء، ويوثق ذلك بمعاهدة تختم بقسم يكون أمام الآلهة، ويعين موظف آشوري مهمته الإشراف على سياسة الحاكم المحلي وعادةً يكون مدعوماً بقوة عسكرية صغيرة تحسباً لأي طارئ، وفي حالة نقض الحاكم المحلي لليمين الذي اقسمه وقيامه بطرد الموظف الآشوري وتمرده ضد الدولة وإعلانه العصيان، فعند ذلك تجهز حملة عسكرية كبيرة لدخول العاصمة والقضاء على الحاكم المتمرد وأسرته، ليس لتمرده على الدولة فحسب بل لخنثه باليمين وعدم احترامه للآلهة، ويعد السبب الأخير حجة لتبرير الحملة العسكرية وإضفاء صفة الشرعية عليها، أما المقاطعة المتمردة فتلحق بالدولة وتعد واحدة من مقاطعاتها التي تحكم من حكام أشوريين، وغالباً ما يهجر سكان هذه المقاطعة إلى مناطق أخرى ويؤتى بسكان آخرين من منطقة ثانية ليحل محلهم وهذا الأسلوب اتبعه غالبية ملوك الدولة الآشورية، فضلاً عن إتباعهم الوسائل الدبلوماسية في إدارة الأقاليم التابعة للدولة، منها تربية أبناء الحكام في العاصمة الآشورية لينشؤوا على خدمة سيدهم الملك وعند موت الاب او عصيانه يعين الابن مكانه ويرجع استخدام هذا الاسلوب الى الملك اشور ـ ناصر بال الثاني.» (غزالة والمهنا 2008: 184).

«هناك رسالة من الرسائل الاشورية تعود إلى العصر الاشوري القديم (حدود 2000 ـ 1500) ق.م. من مجلس مدينة اشور إلى أحد التجار في بلاد الاناضول (تركيا الحالية) اقليم كبدوكيا وهو من التجار الاشوريين في المركز التجاري كانيش، تتضمن الرسالة امرأ من مجلس مدينة اشور لتجهيز أموال لبناء تحصينات المدينة. وقد تم استخدام مصطلحي مدينة ألو Alu وبُخر Puhru كمترادفين بحيث تمنح السلطة إلى المجلس، ويعتقد بعض الباحثين أن مجالات اختصاص المجلس بُخر هنا

هي حكومة المدينة (أي حكومة مدينة اشور) وهناك معلومات قليلة تنفي هذه النظرية.» (العبادي 2012: 65).

**المجلس الاقتصادي:**

«أطلق التجار الآشوريون على الهيئة التي تدير شؤونهم في المراكز التجارية في آسيا الصغرى اسم كار KAR في اللغة السومرية وتقابلها في اللغة الأكدية اسم كارم Karum والتي تعني رصيف أو منطقة الميناء، أو المحطة التجارية أو المستوطنة التجارية أو المركز التجاري. ثم اتسع مفهوم كارم وليعني السوق على جانب رصيف الميناء، وفي النصوص التي جاءتنا من كينوكيا لم يقتصر معنى كلمة كارم على ميناء نهري إذ لم يقع أي من كارم كانيش أو كارم حاتوش (خاتوش) على نهر، وإنما قُصد به غالباُ مجموعة الرجال الذين تولوا إدارة المركز التجاري وهم من أصحاب رؤوس الأموال والتجار الآشوريين. (العبادي 2012: 86).

# المبحث الثاني: أنظمة الحكم الآشورية

أولاً: النظام القروي

ظهرت القرى في المناطق القريبة والمحاذية لآشور مبكرة، قبل أن تظهر في جنوب وادي الرافدين، وكانت قرى جرمو وحسونة والصوان وسامراء هي القرى الرئيسية التي ظهر منها وتفرع نظام الحكم القروي الأول وتدرجاته المتطورة.

في تل الصوان ظهرت بناية دينية خاصة أشبه بالمزار أو المعبد البدائي، ربما كانت مقر حكم المنطقة في ذلك الوقت،

استمر النظام القروي في شكله العشائري في العصور التاريخية، فقد كانت عشيرة (بني اليمين) الآمورية هي الحاكمة الفعلية في مدينة ودولة آشور.

ثانياً: نظام دولة المدينة

كان نظام دولة المدينة أول نظام سياسيّ في بلاد الرافدين، وكان المعبد هو أساس هذا النظام، وعلى وجه التحديد معبد إله تلك المدينة، وبذلك يكون الإله آشور هو أساس نظام دولة مدينة آشور الأول. ولاشك أن ال (إين: السيد) كان هو المسؤول عن المعبد والمدينة، وهذا يعني أنه جمع السلطتين الدينية والمدنية معاً في تلك البدايات.

أول خطوة لحماية المدينة هو بناء سورٍ لها بسبب كثرة ماتتعرض له من هجمات مقصودة أو طارئة من قبل القبائل الراحلة في المنطقة أو من قبل المدن الأخرى أو الدول التي بدأت تتشكل وتطمح لتضم مدناً قريبة منها. وكان ترسيخ مركزية المعبد خطوة أولى ساهمت فيها العوامل الاقتصادية والإجتماعية التي كان يشرف عليها المعبد، ساهمت في ترسيخ مكانة المعبد السياسية والإجتماعية.

أصبح الإين في مكانة عالية داخل المدن الرافدية الأولى. وكان هذا بسبب عامل خفيّ وقويّ وأساسي هو العامل الديني الذي تمثله سلطة ومدينة الآلهة الخفيّة. هكذا كان يرى الأمور باحثون مرموقون مثل ثوركليد جاكوبسن وهـ. فرانكفورت وجون ويلسون فرانكفورت في كتابهم (ماقبل الفلسفة، الذين رأوا أن النموذج المحتذى في النظام السياسي المبكر في وادي الرافدين ومصر هو النموذج الإلهي الذي صنعته أديان هذين البلدين قديماً. فقد تماهى النظام السياسي لدولة المدينة مع النظام الثيولوجي لإله المدينة).

وهكذا حظي الإله آشور وكاهنه الأعلى (إين) بمكانة مركزية في حكم دولة مدينة آشور، لكن هذا لايعني أمتلاك الإين ومساعدوه ثروة المعبد والمدينة، بل هم مسؤولون عن إدارتها فقط.

«أن هذا يقودنا إلى تفنيد الخطأ الشائع لدى بعض الكتاب المستشرقين القائل بأن سلطة المعبد، المتمثلة بشخصية ال (إين) في كل دولة مدنية، هي التي تملك جميع الأراضي الزراعية، مستندين في ذلك على النظرية التي ترى بأن أراضي المعبد هي أراضي إله المدينة فهو المالك الحقيقي للأرض والمرعى «لأن المدينة كلها ملك إلهها الرئيسي الذي خصصت له في اليوم الذي خلق العالم» أن هذا التفسير لا يعطي الحق للإين في امتلاك أراضي الإله بينما في الحقيقة نرى أن سلطة الاين الدينية والسياسية التي كان يمارسها من مقره في المعبد كانت هي المسؤولة عن إدارة شؤون المجتمع كافة بما فيها إدارة ممتلكات الإله، لذلك نراه يهئ جهازاً إدارياً ودينياً يكرسه لخدمة اقتصاد الدولة، فيقدم البذور والحيوانات والأدوات اللازمة للحراثة ويشرف على تنظيم الري، وهذا يوفر بنفس الوقت كثيراً من الأمور من أجل ازدهار اقتصاد دولة المدينة ويوظفها من أجل قوتها والحفاظ على وجودها.» (الفتيان 1991: 67).

الخطوة الثانية في نظام دولة المدينة كان في ظهور مرتبة ال (إنسي) وهو الأمير أو حاكم المدينة، حين تخلى الإين عن حكم المدينة وانصرف لشوؤنها الدينية فقط. أي أن السلطة السياسية انفصلت عن السلطة الدينية. وقد استخدم الآشوريون هذا اللقب كلقب شرف.

استخدم أغلب الملوك الآشوريين لقب (الملك الكاهن)، على مدى التاريخ الآشوري، لأنهم كانوا يرون أنهم كهنة الإله آشور بالدرجة الأساسية، وهو مايفسر استيلائهم على السلطة الدينية ضمناً، وهذا يعني المزيد من تخصص الكهنة في شأنهم التفصيلي الديني وترك الملك يهيمن، دينياً، على الدولة فضلاً عن صلاحياته الدنيوية الواسعة.

ثالثاً: نظام الدولة الآشورية

نرى أن العلاقة الحضارية بين الأكديين ودولتهم والآشوريين ودولتهم كانت وطيدة وقوية، فقد قلّد الآشوريون كل الطرائق الحضارية للأكديين، ولذلك نرى عمق الصلة بين الحضارتين الأكدية والآشورية.

«إن هذا يعطي رأياً تعزيزياً لما ذهبنا إليه بأن العصر الآشوري الأقدم هو عصر أكدي في القسم الشمالي من بلاد وادي الرافدين، ازدهاراً ولغة وثقافة وسياسة، وهذا التأثير قد انعكس على مجريات التأريخ السياسي الطويل للدولة الآشورية حيث نرى بالإضافة إلى ما جرى سابقاً بأن ملوك الدولة الآشورية كانوا ينظرون إلى الموروث الحضاري للأكديين وكأنه نتاج أجدادهم القدماء من الملوك العظام.» (الفتيان 1991: 113).

وهو مايعزز وجهة نظرنا التي كنا قد طرحناها في كتابنا (الحضارات السامية المبكرة)، والتي تؤكد على الجذور السوبارية للأكديين، ومعروف أن سوبارتو هو الإسم القديم لبلاد آشور.

كانت إدارة الدولة من حصة بيت آموري هو (بيت آليم، بيت ليمين) (bīt ālim/bīt līmin)، ومنهم الملك وحاشيته وإدارة مجلس المدينة، وهم من يترأسون ما يعرف بالليمو (وهو الموظف الكبير الذي يعيّ قوائم الملوك في رأس السنة)، فهم يشكّلون المركز الإداري الأعلى في مدينة آشور، وهم المسؤولون عن التجارة الداخلية والخارجية، وهم من ينظم العلاقات الخارجية للبلاد.

وهذا يعني احتكاراً للسلطة من قبل قبيلة واحدة صنعت دولة مازالت تعيش في شكلها الإقطاعي بمختلف أنشطتها. ورغم ذلك فقد طوّع هذه الأنشطة، التجارية منها بشكل خاص، وجعلها في خدمة الدولة والناس.

وعلى العكس من هذا، ماكانت عليه الدولة الوسطى، التي كانت اقطاعية زراعية عادت للاهتمام بالفلاحة الإقطاعية بشكل خاص، وازدرى التجار وجعلهم في مرتبة

أقل. وجاء هذا بسبب هيمنة القرى التي يسكنها فلاحون غير أحرار (إليو)، ولذلك كانت الأرض كلها ملكاً للعائلة المالكة، والفلاحون لايملكون الأرض بل يعملون فيها أعمالاً خدمية كالسخرة (يلكو) الذين كانوا هم مادة الخدمة في الجيش بأعمال خدمية أو كجنود مشاة.

رابعاً: نظام الإمبراطورية الآشورية

اختلف الأمر في الدولة الحديثة ونشأت دولة مدنية عسكرية قوية، مركزيتها عالية لكنها كانت تدير امبراطورية كبرى فيها مختلف الشعوب والأعراق، مع ميلٍ واضح لجعلها آشورية الطابع، أي أنها حاولت عولمة الثقافة الآشورية، وهو ما سنشرحه باستفاضة في الفصول القادمة.

كان أهم تحول سياسي في النظام الملكي هو ابتكار نظام ال (ليمو، لمّو) الذي كان يسمي سنوات حكم كلّ ملك بأسماء من يترأس من الموظفين الملكيين رعاية احتفالات الأكيتو، فقد رسخ هذا النظام مؤسس الإمبراطورية الحديث أدد نيراري الثاني «وتعتبر فترة حكم هذا الملك مهمة من الوجهة التأريخية وذلك من خلال النصوص الكتابية التي تثبت تسلسل التأريخ الآشوري، وذلك باتباع طريقة جديدة في تواريخ الحوادث عرفت بالآشورية باسم (لمو)، إذ كانت العادة الجارية أن يترأس الملك في السنة الأولى من اعتلائه العرش احتفالات رأس السنة المقامة في العاصمة، ويترأس تلك الاحتفالات في السنين اللاحقة أعاظم رجال الدولة حسب ترتيبهم، ويطلق على هذا الشخص الذي ينتخب لترأس الاحتفالات اسم (لمو) ويبقى يتمتع بهذا اللقب لمدة سنة تؤرخ فيها النصوص على الوجه التالي (.. في سنة اللمو للشخص الفلاني...) هذا وقد وصلتنا قوائم بسني اللمو من بداية القرن التاسع قبل الميلاد وحتى نهاية القرن السابع قبل الميلاد وهي ذات أهمية كبيرة لمعرفة الحوادث التي حدثت في بلاد آشور وكذلك تثبيت التواريخ، إذ كثيراً ما يصاحب ديباجة اللمو سابقة الذكر اشارات مختصرة لحملات عسكرية وحوادث أخرى لها

صلات بالوضع العام في الدولة الآشورية والمناطق المجاورة وهذا بدون شك عامل مساعد على معرفة بواطن الإمبراطورية بصورة مضبوطة. ولحسن الحظ فأن أحدى هذه الديباجات لقوائم اللمو تذكر كسوف الشمس في شهر معين، فأمكن حساب زمن حدوث هذا الكسوف بواسطة الفلكيين وأصبحت سنة حدوثه نقطة يقاس منها تسلسل التأريخ الآشوري بصورة صحيحة.» (الفتيان 1991: 157).

كان التحول السياسي النوعي الآخر هو ضم بلاد الشام ومدنها، باختلاف مشاربها وأصولها، للإمبراطورية الآشورية «فقد انضوت كل الدويلات السورية تحت السلطة الآشورية وتم اعتبارها جزء لا يتجزأ من ممتلكاتها وهذا بطبيعة الحال قد اكسب الدولة الآشورية ثراء نتيجة تدفق الهدايا والجزية التي انهالت عليها من حكام المدن السورية هذا بالإضافة إلى كون هذه المدن مراكز ومحطات تخزين للبضائع التجارية. لقد حققت الدولة الآشورية من هذه السيطرة على بلاد الشام هدفين رئيسين هما الهدف السياسي والهدف الاقتصادي، وكلا الهدفان مرتبط ارتباطاً وثيقاً ببعضهما، وهذا ناتج بالفعل عندما بدأ اضطراب الاسلوب القديم للتجارة عبر بلاد وادي الرافدين وبلاد الشام، وبشكل واضح بسبب ضغط الآراميين على بلاد آشور وتهديدهم الطرق التجارية وكذلك استنزاف قوة اشور العسكرية والدخول معها في معارك متكررة، فكانت الضائقة الاقتصادية السبب المباشر في ضعف الدولة الاشورية وانكماشها كذلك توجب على الادارة الاشورية أن تسلك طريق السيطرة العسكرية على الطرق التجارية وبالتالي النفوذ إلى سواحل البحر المتوسط.» (الفتيان 1991: 166 ـ 167).

## المبحث الثالث: السياسات الداخلية

كان النظام الإداري الآشوري أوسع نظام في العالم القديم، وكانت ميزته المهمة في كون الأقليم الأجنبية احتفظت بدينها ولغتها وقوميتها، ولذلك فقد كان مؤهلاً للعب

دور قويّ في صناعة دولة واسعة النفوذ وامبراطورية واسعة الإمتداد ومتماسكة البنيان. وقد ساعد على ذلك حرية المدن الآشورية والولايات الآشورية بوافر من الصلاحيات والحرية في الحكم.

كانت غاية السياسة الداخلية هي استتباب الأمن المجتمعي والوفرة الاقتصادية وتنظيم المجتمع. وكان ذلك يكمن، سياسياً، بحل المشكلة الآشورية البابلية، وتنظيم الحياة الداخلية للدولة الاشورية، والحدّ من تحديات الدول والقبائل الارامية المحيطة بالدولة.

الغاية الأخرى هو التطلع لتوحيد بلاد الرافدين وقد تحقق ذلك في عهد توكلتي ننورتا الأول في التاريخ الآشوري الوسيط، ولقب نفسه بلقب ملك سومر وأكد، وكان يرعاه الإله آشور الذي منحه صولجان الحكم لأنه أصبح ملكا لذوي الرؤوس السود، وكان المقصود منه كل أبناء الرافدين.

الطابع العسكري للدولة الآشورية أثر سلباً وإيجاباً في تاريخ الآشوريين وحياتهم، فقد كان سبباً في منع الدول القوية من الإعتداء على الآشوريين والهيمنة عليهم، وكان سبباً في اعتماد الآشوريين على غنائم السلب والنهب في الحروب بعد أن كانوا مزارعين من الطراز الأول يعتمدون على حاصل حقولهم وحيواناتهم.

بعد تولي الملك الجديد لآشور تندلع الإضطرابات الداخلية والخارجية، وكان يستوجب وضع الحلول اللازمة لها سياسياً وعسكرياً. وكان تدخل قوى الجيش وحكام الولايات بالسياسة الداخلية واضحاً، بل هي تتحكم بالأمور كلّها حين يكون الملك ضعيفاً. أما المؤثرون في السياسة الداخلية فهم ولي العهد والتورتان والخزانو وحكام الولايات والجهاز الإداري والأمراء، كان التورتان قائد الجيش وفي مرحلة لاحقة من تاريخ الدولة الحديث عند الآشوريين أصبح بمثابة الوزير الأول أو رئيس الوزراء.

**القضاء على منابع التحريض ضد الآشوريين:**

1. القضاء على تحريض بيت أديني (جنوب كركميش شمال سوريا) التي تعدّ المملكة المحرضة الرئيسية للدويلات الآرامية في المنطقة:

2. القضاء على تحريض بلاد الشام وبشكل خاص يهوذا واسرائيل، ومحرضهما الرئيسي مصر، فقد كانت مصر تخشى من التوسع الآشوري في بلاد الشام، ولذلك شكّلت حلفاً بزعامة (إيلو ـ بعدي) حاكم حماة ومعه حكام مدن أرفاد ودمشق والسامرة. كانت حركات التمرد على الآشوريين تزداد ففي عام 720 ق.م تمردت مدينة قرقار وجهز لها سرجون الثاني جيشاً وأعادها للحضيرة الآشورية، وكانت تمردات أورشليم بتحريض مصري في أغلبها.

3. القضاء على تحريض أوراراتو

4. تمرد بابل: تحريض عيلام

5. تمرد جنوب الزاب

**الأزمات السياسية:**

1. أزمة (781 ـ 745) ق.م: وهي الأزمة التي جاءت قبل ظهور تجلات بلاصر الثالث.

2. أزمة (721 ـ 705) ق.م: وهي الأزمة التي جاءت قبل ظهور سرجون الثاني.

ختم الدولة الآشورية

تفسّر لنا رادنر ختم الدولة الآشورية المسمى (أونكو) وهو عبارة عن مشهد لملك آشوري يصرع أسداً بخنجرين. الأسد يرمز للفوضى الكونية التي تهدّد الحضارة

والدولة، والخنجران يرمزان إلى شجاعة الملك وضراوة المواجهة (راجع محاضرة رادنر، جامعة شيكاغو ربيع 2019).

الحيرة تكمن في اختيار الأسد كرمزعدو للآشوريين، لأن الحضارة الآشورية شمسية الطبيعة، والأسد رمز شمسي، ولايمكن أن تتفق فكرة طعن أحد رموزهم خصوصاً أن الأسد كان رمزاً للإله آشور أيضاً وكذلك للإلهة المحاربة عشتار، إذن لماذا هذا الرمز؟

أكبر الظن أن الأسد البري كان هدف صيدٍ معروف للملوك الآشوريين وقد اختاروه رمزاً للأعداء.

الخنجر الأول يضرب رأس الأسد والذي يرمز لملوك وقادة الأعداء ورؤوسهم المدبرة، والثاني يضرب صدر الأسد (قلبه) والذي يرمز لروح العدو ونبضه وقيمه وحياته وفاعليته. وسينقل الفرس هذا المشهد ويتخذون منه رمزاً لقوة ملوكهم وختم بلادهم.



**ختم الدولة الآشورية (أونكو)**

# المبحث الرابع: العلاقات الخارجية

أولاً: المعاهدات الآشورية

أنواع المعاهدات الآشورية

كانت المعاهدات بين الدول تسمى بالآشورية (أدي) أي (عهد)، ويزخر الإرشيف الملكي الآشوري بالكثير من هذا المعاهدات، وهي على أصناف وأنواع كثيرة منها:

1. معاهدات الصداقة والسلام (شا طوبيو سولومي): وهي المعاهدات التي تتضمن عدم الإعتداء بين الآشوريين والطرف الآخر، مثل معاهدة الآشوريين مع العيلاميين عام 674 ق.م في عهد الملك أسرحدون.

2. معاهدات الزواج: وهي معاهدات صداقة وسلام معزّزة بالتقارب الأسري بين المتعاقدين، ومثالها معاهدة أدد نيراري الثالث ونابو شوم أشكن، وومعاهدة شلمنصر الثالث ونابو إبلا أدينا البابلي.

3. معاهدات المساعدة المتبادلة بين الأطراف المتعاهدة، ومثالها معاهدة آشوربانيبال وملك ليديا.

4. معاهدات التوافق السياسي من خلال المصاهرة: وهي معاهدات غايتها سياسية، مثل معاهدة أسرحدون مع ملك السيثيين.

5. معاهدات النجدة السياسية والعسكرية للآشوريين مع المبعدين من دولهم، وكان مقال ذلك أداء قسم الولاء لآشور، مثل معاهدة أبناء الملك العيلامي أورتاكو الذين

قتل والدهم مغتصب العرش تيومان، وهبّ آشور بانيبال لنجدتهم. فأدوا قسم الولاء له وفرض على عيلام الجزية وضمن الأمان معها.

6. معاهدات التعاون مع الدول الخاضعة للآشوريين: وهي غالباً متتضمن تدريب أبناء الملوك في آشور على أصول الحكم والإعداد للمستقبل. مثل ماحصل بين سنحاريب وأبناء ملك عسقلان.

7. الحنث بالمعاهدات: تذكرها بعض نصوص الملوك الآشوريين المتأخرين، مثل آشوربانيبال ويوطع بن حزائيل ملك قيدار العربيّ. حيث يذكر قسم الولاء، وصب اللعنات في حالة الحنث بالتعاهد.

8. معاهدات ضم الأقاليم للإمبراطورية الآشورية: وهي معاهدات الولاء لآشور بعد توسع امبراطوريتها لمناطق جديدة، وكان عقابها شديداً في حالة الخروج عليها.

9. معاهدات الولاء والإخلاص للدولة والملك: وهي معاهدات أساسية لانها تبدو وكأنها ولاء للاله آشور الذي يمثله الملك، وتأتي عادة بعد الحروب الأهلية وحركات الإنفصال.

**المعاهدات الآشورية الداخلية والخارجية**

فكانت المعاهدات تعقد لأسباب عديدة ومختلفة في مجالات شتى، فأما لإنهاء صراع حربي مرير بعد رغبة لإحلال السلام بين الطرفين أو لعقد معاهدة من اجل الصداقة والتعاون بين الطرفين أو أطراف عدة أو لأغراض تجارية أو ملاحية. وكانت في الأعم الأغلب تكون مفاوضات تسبق هذه المعاهدات وكذلك تبادل الرسل حول الموضوع أو تتم من خلال وساطة أو تحكم دوليين لحل خلاف ما. وأغلب حالات عقد المعاهدات كان يحضر زعماء أو ملوك أو حكام الدول أو من ينوب عنهم في احتفالية قد تكون كبيرة، والبعض يأخذ رخصة من الالهة باستشارتها وخصوصا عند

عقد معاهدات دولية ذات أهمية، ولا يتم التوقع على المعاهدات في احيان كثيرة رغم صياغتها من قبل وفود مخولة إلا ا بعد عرضها على اصحاب الشأن من الملوك والحكام وقد يجرون عليها بعض التعديلات ويحذف بند من بنودها وكذلك يحدد يوم يتم فيه التوقيع على المعاهدات الذي تجري فيه مراسيم معينة.» (الأنباري 2015: 91).

**1.المعاهدات الآشورية الداخلية (البابلية نموذجاً):**

**2.المعهادات الآشورية الخارجية:**

## ملاحظة: نُظم هذان الجدولان بناءً على معلومات بحث (الأنباري 2015: 101 ـ 124).

«استطاع كوريجالزو الثاني (1332-1308) ق.م. حاكم بابل (والمعين من قبل جده اشور اوبالط (1363 ـ 1328) ق.م. والذي سبق وأن عقد معاهدة مع الملك البابلي يورنايورباش الثاني (1359 ـ 1333) ق.م. أن يهاجم اشور بعد موت الملك اشور اوبالط ولكنه خزم عند (sougagi) سوجاجي على zalaallat الزلزلات، من الملك الاشوري Ellil Nirari، إنليل نيراري (1327-1318) ق.م. والذي أجبره على تعديل الحدود بناء على اتفاق بينهما، كما هزم ابنه Nazi-Maruttash نازي ـ ماروتاش (1307 ـ 1282) ق.م. عند كار عشتار kar-Ishtar واضطر إلى أن يتنازل عن إقليم واقع شرق دجلة. وقد خلف الملك Kadashman ـ tourgon كادشمان تورجو (1281 ـ 1294) ق.م. يقول أنه سينقض التحالف مع بابل، إذا لم يعلن كادشمان إنليل الصغير الثاني (1263 ـ 1255) ق.م. ملكاً، فاعترض كبر الوزراء إتي ـ بلاشو - Itti Mardouk balatou قائلاً:"إن نغمة خطابك، ليست نغمة خطاب حليف بل سيد». (حسان 2006: 156).

«تشير بعض الرسائل الملكية المتبادلة بين الملك الاشوري «اشور أوبالط» الأول (1363 ـ 1328) ق.م. والفرعون المصري «امنحوتب» الرابع (1372 ـ 1355) ق.م. إلى أن علاقة مصر بالدولة الاشورية كانت علاقة صداقة متكافئة، بالرغم من محاولة الملك البابلي تقويض تلك الصداقة، لكي تتاح له فرصة السيطرة على بلاد اشور أيضاً، وجاء في الرسالة الثانية للملك الاشوري ـ اللوح السادس عشر ـ ما يلي: سطر (1-4) «إلى نبخوريا Naphuria.. الملك العظيم، ملك مصر، أخي، اقول:هكذا يقول اشور أوبالط، ملك اشور، الملك العظيم، أخيك» يخاطب الملك الاشوري، الفرعون المصري، بـ«أخي» ويذكره بأنه أخوه وهذا دليل على التكافؤ بينهما في المنزلة، بينما يطلق على نفسه في الرسالة الأولى ولأول مرة تعبير «ملك اشور»، وهذا يعني أنه لم يعد تابعاً لملك ميتان. وسعى الملك الاشوري بعد زوال السيطرة الميتانية للتحالف مع الملك «امنحوتب الرابع»، وعقد معه اتفاقية عسكرية للوقوف ضد الاعتداء على أي منهما. » (حسان 2006: 218).

وذكر نص أن ملك إبلا «إبريوم Ebrum قد عقد معاهدة مع ملك اشور دوديا Duudia (حوالي 1800) ق.م. وجاء بنص المعاهدة إشارات إلى معاهدة كائنة بين مدن هيت وحماة، وإيمار، وقد تزوج ملك اشور دوديا من ابنة ملك إبلا، وتسلم مدن عديدة كصداق لها. وعندما لجأ ا لملك زمري ـ لم إلى ملك يمخاض باريم ـ لم الأول، بعد أن استولى الملك شمشي ـ ادد الأول على مملكته، زوجه من ابنته الأميرة شيبتو si-ib-tu ولذلك ساعده في استرداد عرش أبيه، وجاء في رسالة بعثها زمرى ـ لم إلى حماه ما يلي:

«حتى الان، ومنذ أن استرجعت عرشي قبل أيام، لم أرى في حياتي إلاّ الحروب والمعارك، وأعدائي كثيرون أخطرهم إشنونا، التي تعمل بالاتفاق مع عيلام، وترسل جيوشاً إلى المنطقة الشمالية، وهناك حكام ثائرون، وهم البدو الرحل الذين يتحينون الفرصة دوماً على حافة الصحراء».

ولكي يثبت الملك زمرى ـ لم نفوذه، عمد إلى تزويج بناته إلى ملوك وحكام الدول ا لأخرى فزوج ابنته الأميرة أينب ـ شينا من باخذي ـ لم الموظف المعروف، والأميرة الثانية أينبا ـ توم من ملك مدينة انداريق «حمدية»، والأميرة الثالثة تصاتوم، زوجها من الملك إيلي ـ عشتار.» (حسان 2006: 218).

ثانياً: الزواج السياسي

السياسة الخارجية الآشورية لم تكن كل شيء عن الحرب. تم تصميم الزيجات الدبلوماسية مع السلالات الأجنبية وتبادل الرهائن النبلاء لحماية المعاهدات الدولية وضمان السلام.

أعطى سرجون الثاني (721-705 قبل الميلاد) واحدة من بناته (آهات ـ أبيشا) للزواج من الأمير الأناضولي أمبارس من(بيت بوروتاش)، أميرمملكة في منطقة قيصري الحديثة. كان مهر الأميرة هو بلد هيلاكو، واتحادها مع (بيت ـ بوروتاس جعل أمباريس الحاكم على إمارة تابال، حيث كانت المنطقة الجنوبية الشرقية لبحيرة الملح العظمى (توز غولو) معروفة في أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد. كانت مملكة أمباريس الجديدة لتكون بمثابة دولة عازلة قوية مؤيدة للآشوريين ضد فريجيا وأوراراتو. وهذا النوع من الزواج هو زواج سياسي.

هناك مثال آخر يوضح أن الملك الآشوري (أسرحدّون) فكر في معاهدة ومصاهرة ملكية مع بارتاتوا، ملك السكيثيين، ويستدعي توجيه الآلهة حول ما إذا كان سيرسل السكيثيون واحدة من بنات الملك من أجل الزواج.

يمكن للملوك الآشوريين أيضًا أن يتزوجوا من الملوك الأجانب. على أساس أسمائهم يابا وأتاليا، على عكس أسماء الملكات الأشوريين الأقدم واللاحقين، هي سامية غربية بدلاً من آشورية، فقد اقترح أن زوجات تجلات بلاصر الثالث (744-727 قبل الميلاد) وسرجون كانت الثاني أميرات من مملكة غربية. بحلول وقت سرجون، كانت

معظم هذه السلالات قد تم إخمادها بدمج بلادهم في نظام المقاطعات الآشورية، ومن المحتمل أن تكون زوجة سارجون أتاليا، التي تشارك اسمها مع ملكة من يهوذا من القرن التاسع، كانت واحدة من سيدات الدول التابعة القليلة على ساحل البحر الأبيض المتوسط الشرقي.

وكانت زوجة شوشنق الملكية شادّيتو Šadditu، ابنة سنحاريب (704-681 قبل الميلاد) والتي ظهر اسمها في وثيقة قانونية أخرى من نينوى خلال عهد شقيقها أسرحدون، ولكن من المحتمل أن تكون عروس شوشنق ابنة أخرى أو شقيقة أو عمة أو ابنة عم سنحاريب.

كانت السياسة الخارجية الآشورية تنظر للحكام المصريين الجدد الضعفاء بعين الاعتبار وتربط النبلاء المصريين الذين تم أسرهم بأشور بأميرات آشوريات لدعم البلاط المصري، ومن أجل إحباط سيادة الكوش في بلاد النوبة والسودان. فقد أعطاهم مكانة ودورًا في االبلاط ذهب أبعد بكثير من كونهم أسرى حرب، ذات يوم، وجعل تعامل الآشوريين قويا مع المصريين.

ربما تكون هذه الممارسة أفضل ما شهد عليه عهد سنحاريب عندما نعرف العديد من الحكام الذين عاشوا في البلاط الآشوري قبل العودة لحكم وطنهم تماشياً مع رغبات آشور. نعلم أن هؤلاء الرهائن الملكيين كانوا بعضهم أطفالًا عندما أُرسلوا إلى المحكمة الآشورية ـ وهي ميزة واضحة لهدف التلقين المؤيد للآشوريين.

# المبحث الخامس: نظاما المعلومات والإتصالات

Informations & Communications systems

نرى أن نظامي المعلومات والإتصالات لهما جذر أوليّ مهم في الحضارة الآشورية، ورغم أنهما نضجا أكثر في الحضارات الوسيطة وأصبحا عنصرين أساسيين من عناصر الحضارة الحديثة، لكن ذلك يدعونا لبحث تلك الجذور المهمة عند الآشوريين فقد ساهموا مساهمة عظيمة في إنشائهما.

أولاً: نظام المعلومات Informations system

بعد ظهور الإمبراطورية الآشورية الحديثة واتساع حدودها، كان لابد من جمع المعلومات عن المنضوين تحت لواء هذه الإمبراطورية ومعرفة أحوالهم مواهبهم وتوجهاتهم، وكذلك عن الشعوب والقيادات التي مازالت خارج سيطرتها والمحيطة بها. ولاشك أننا لم نتوفر على جهاز خاص بجمع المعلومات وتدوينها، لكن الحوليات الآشورية جمعت مثل هذه التفاصيل بشكل أو بآخر، وكان لابد من احتواء هذا التنوع شديد السعة. فضلاً عن المعلومات الخاصة بالمقاطعات التي تُجبى منها الجزية من الممالك التابعة. ولاشك أن الكثير من التمردات اندلعت بين الشعوب المهجرة والشعوب المحتلة، ورغم ذلك كان هناك نوع من الحياة المستقرة والنشطة وهذا يشير بوضوح إلى أن النظام الإمبراطوري الآشوري قد استطاع تجميع الثروة وتنظيم الحياة في المحافظات لصالح الطبقة الحاكمة.

المهجرون المغلوب على أمرهم كانوا يستخدمون لتطوير الزراعة في المناطق غير المأهولة بالسكان، وتزويد الدولة الأشورية بالقوات، العمال والحرفيين وحتى موظفي الخدمة المدنية التي تحتاجها. ولم يكونوا عبيداً بل كان لهم حقوق وواجبات كمواطنين رعايا الملك الآشوري، وتشير التقديرات إلى أن أربعة ملايين ونصف شخص تم ترحيلهم قسراً بهذه الطريقة. شمل الجزء الأكبر من عمليات الترحيل المتحدثين باللغة الآرامية، وكان لهؤلاء الأثر الكبير في تحويل المجتمع والقيادة الآشورية تدريجياً نحو اللغة الآرامية التي كانت لغة سهلة التعلم، فهي أبجدية لها علاقة بالأبجدية الفينيقية وهذا جعل تعلم القراءة والكتابة أسهل بكثير

من النصوص المسمارية القديمة التي تكتب بها اللغة الآشورية، وهذه مفارقة نوعية فهي ليست فقط إشارة للتحول اللغوي بل هي إشارة لتوسع استعمال الكتابة الآرامية.

ثانياً: نظام الإتصالات Communications system

كان نظام الاتصالات قد ظهر، بشكله البسيط، منذ بدايات الحضارات السومرية والمصرية، لكن أدواته اقتصرت على الرسائل المتبادلة بين الملوك، وحركات التبادل الاقتصادي والثقافي، وكان أرشيف رسائل تلّ العمارنة المصري يشكل ثروة قديمة من ثروات هذا النظام.

كانت طرق التجارة والدبلوماسية تشكّل وسيلة مهمة من وسائل هذا النظام، وكانت أدواتها تحتاج إلى وسيلة نقلٍ مناسبة وإلى ناقل للرسالة (رسول) وكل ما يتعلق بهذا الأمر من حماية ومحطات استراحة وحيوانات نقل جيدة للطرق البريّة.

الشيء الرئيسي هنا هو أنه في اجتياز مناطق جغرافية معقدة مع أنظمة سياسية متضاربة، ظلت الرسالة ورسولها يتعرضان للمخاطر ولم تكن هناك وسائل شديدة الضمان في الأمر. كانت الرسائل أشياء خاصة للغاية، وتم تسجيلها على اللفافات والألواح التي ربما تم تغليفها بالطين الذي يحمل ختم الرسول وأحيانًا وصفًا موجزًا للغاية للمحتويات. تم الوثوق في الرسل ليس فقط للتسليم ولكن لاحترام خصوصية المحتويات.

في القرن التاسع قبل الميلاد، طورت الإمبراطورية الآشورية الجديدة استراتيجية اتصالات مبتكرة بالكامل. أصبح من الممكن إرسال البريد والبضائع من العاصمة على طول الطريق إلى البحر المتوسط في غضون خمسة أيام. كانت هذه مسافة 700 كيلومتر تضم الأنهار وسلاسل الجبال والسهول. عمل النظام الجديد من خلال التغلب على التحدي المتمثل في عدم كفاءة نظام المرسل الواحد، في النظام التقليدي، حتى

مع وجود حيوانين، سيحتاجون في النهاية إلى الراحة والنوم والأكل والشرب، وحتى إذا كانت الحيوانات قادرة على البقاء، فإن الرسول نفسه بحاجة إلى فترات راحة أيضًا. يمكن أن تزيد عمليات التسليم التي قد تستغرق مائة ساعة دون انقطاع إلى أسبوع عمليًا. في النظام الجديد، كانت هناك محطات بريدية كل (35 ـ 40) كيلومترًا عبر الإمبراطورية بأكملها. سيحضر المراسلة التسليم إلى المحطة البريدية التالية، وبدلاً من الحزمة التي تنتظرهم لاستعادتها، تم تسليمها بدلاً من ذلك إلى رسول جاهزٍ في تلك المحطة البريدية ثم إلى المحطة التالية في رحلتها وهكذا..

نحن لا نعرف بالضبط كيف يعمل التبادل، أو كيف يتم التسليم في الليل، لكنه حقق درجة هائلة من الكفاءة. لم يتم تجاوز سرعة النظام البريدي الآشوري لمدة ألفي عام مع إدخال التلغراف في القرن التاسع عشر. ومع ذلك، تم تشغيل هذا النظام من قبل الجيش وكان متاحاً فقط للديوان الملكي وأولئك الذين يحملون الختم الملكي، وهم ليس أكثر من 150 شخصًا، كانت تكلفة هذا النظام ـ البغال، الجنود-المرسلين، ناهيك عن المحطات البريدية نفسها التي تتم صيانتها عبر الإمبراطورية بأكملها ـ تبدو فجأة أكثر تكلفة عند اعتبارها فقط للاستخدام الإداري عالي المستوى. يجب أن يكون لها فائدة هائلة في دعم تماسك الإمبراطورية. لقد تم وضع الختم الملكي إلى جانب تطوير النظام البريدي، مما يشير إلى أنه كان جزءاً من استراتيجية رئيسية للإستقرار وتفويض المسؤولية ورؤية الملك من خلال الحلقة الذهبية التي يرتديها المعينون الموثوق بهم.

توحي الطبيعة النخبوية والعسكرة لنظام الترحيل بأن مسألة الثقة لا تزال قائمة. على الرغم من أن الأشخاص المعاصرين يتلقون البريد دون الحاجة إلى التفكير في هوية العشرات والمئات من الأشخاص الذين تمكنوا من الوصول إليه، فقد كان هذا مفهوماً جديداً تمامًا في القرن التاسع قبل الميلاد. ومع ذلك، كان هناك توتر بين الكفاءة وزيادة عدد الأشخاص المشاركين في معالجة البريد. تم تخفيف هذا التوتر

بطرق مختلفة. تم تشغيل نظام الترحيل فقط من قبل خدام الدولة المحلفين ـ حتى البغال كانت جزءًا من جهاز الدولة الرسميّ.

## 1.الطرق الملكية الآشورية: مسالك البريد الملكي الرسمي

ربما كان حمورابي هو الملهم الأول لهذه الفكرة، لكن الظرف لم يكن مؤاتياً لظهور هذا النمط من وسائل الإتصال الإمبراطورية الناضجة.

شهد المشرق القديم نوعاً من الوحدة الجغرافية والحضارية في العصر الآشوري الحديث، واستطاع الآشوريون بناء مجتمع مشرقي قديم متحضر يسود فيه محركات الحضارة القوية وهي (الإنتاج والبريد والضرائب والمواطنة)، وكانت هذه الميكانزمات الحضارية تتحرك وتُطبّق بنوع من الصرامة البيروقراطية والتي هي العامل المهم في خلق حضارة متماسكة صعبة الإنفراط أو التفكك.

في القرن التاسع قبل الميلاد، طورت الإمبراطورية الآشورية الجديدة استراتيجية اتصالات مبتكرة بالكامل. فعلى سبيل المثال أصبح من الممكن إرسال البريد والبضائع من العاصمة على طول الطريق إلى البحر في غضون خمسة أيام فقط.

كان تفكك الحضارة والإمبراطورية الآشورية، في جوهره، بسبب تراخي قبضة الصرامة البيروقراطية التي استطاعت خلال ثلاثة قرون من تاريخ العصر الآشوري الحديث (911 ـ 609 ق.م) بناء تقاليد راسخة أنشأت، لأول مرة في التاريخ، الشكل الإمبراطوري الناضج للحضارات القديمة والذي أصبح، فيما بعد، نموذجاً للإمبراطوريات الكبرى بعدها (الكلدية، الأخمينية، المقدونية، الرومانية، البيزنطية، الإسلامية). فقد كانت الإمبراطوريات التي قبلها، بضمنها الإمبراطوريات الآشورية القديمة والوسيطة، إمبراطوريات سريعة العطب والتداعي بسبب غياب المحركات البيروقراطية للحضارة التي جمعتها آشور الحديثة.

2.نظام الاتصالات الإمبراطوري (كالّيو) نظام التعاقب The relay system

أدخلت الإمبراطورية الآشورية الحديثة العديد من الابتكارات الإدارية ومستلزمات البنية التحتية، والتي أصبحت قوالب جاهزة للإمبراطوريات اللاحقة، بما في ذلك الإمبراطوريات الرومانية والفارسية.

يمكن أن يكون الملك شلمنصر الثالث (858 ـ 824 ق.م) هو من قام بإدخال نظام الاتصالات الإمبراطوري.والذي نجح في عدد من الإصلاحات الإدارية لتعزيز المكاسب الإقليمية وتأمين موقع آشور كقوة رئيسية في المنطقة والتي أصبحت أكبر قوة في الشرق الأوسط. ومن أجل الحكم والحفاظ على التماسك داخل الإمبراطورية، احتاج الملك ومسؤولو محاكمه وحكامه في المقاطعات إلى نظام سريع وموثوق للتواصل.

ساهمت كفاءة نظام الكالّيو في هيمنة الإمبراطورية الآشورية الجديدة في الشرق الأدنى، والحفاظ على التماسك في جميع أنحاء الإمبراطورية. وقد تم تبني هذه الابتكارات الآشورية من قبل الإمبراطوريات اللاحقة، بما في ذلك الإمبراطورية الأخمينية التي ورثت ووسعت شبكة الاتصال الآشورية، والتي نُسب لها، حتى وقت قريب، أمر اختراع هذا النظام، في حين هو نظام آشوريّ بالكامل.

نظام كالّو، كاليّو kallu ,kalliu

المعنى القاموسي لكلمة كالو وكلّيو يعطي الإحتمالات الآتية (أنظر الجبوري 2010: 242 ـ 243):

1. الكِلّة: قمة جُجمة الإنسان، صدفة السلحفاة.

2. (قِدرٌ مصنوع من الطين أو الخشب).

3. آلة مصنوعة من البرونز أو الحديد.

4. الموظف المسؤول عن استدعاء الناس للأعمال العامة.

5. الرسول (عضو في مجموعة نقل الرسائل الملكية)

6. في الوقت الصحيح (المناسب). في الوقت، فوراً، بأقصى سرعة.

7. آمر الرُّسل

ويمكننا أن نعرّف الكالّيو بأنه نظام البريد الملكي الآشوري ومسالكه على الأرض، والذي يتضمن ثلاث محطات أساسية هي (محطة الإرسال، الطريق «حران شاري» أي الطرق الملكية أو «حول شاري» أي طريق الملك، وكانت تخدمها محطات للاستراحة عُرفت بـ«بيت مارديتي»، محطة الإستلام).

أنشأت دولة الإمبراطورية الآشورية الحديثة، خلال الألف الأول قبل الميلاد، نظاماً جديداً وغير مسبوقٍ يخص المراسلات الملكية بين ملوك آشور وملوك العالم آنذاك يتولّى إرسال واستقبال الرسائل عبر الإمبراطورية بسرعة وموثوقية عالية. حيث كانت يتم إرسال الرسائل باستخدام نظام (كالّيو).

**أولاً: محطة الإرسال:** تتكون من مايلي:

**1.دائرة المراسلات:**

منظومة من الإجراءات التي يديرها أفراد كفوؤن، تتكون من:

**سيد المراسلات (بيل طيمي):** وهوشخص متمرس بمعرفة أسلوب خاص في كتابة وتحرير الرسائل، كانت الصيغة موحدة في كل الرسائل بثوابتها في الإستهلال والخاتمة وكانت الصياغة واضحة ودقيقة، وكان يجيد الأكدية أو الآرامية، وكان

يساعده كتّاب محترفون يكون عادة من إقليم آشور القديم (آشور، أربيلا، نينوى)، ويمنع تعيين من هم من غير هذا الإقليم أصلاً وسكناً.

**الكتابة واللغة:** لغة رسمية محكمة وواضحة مكتوبة باللغة الآشورية وخطها المسماري أو اللغة الآرامية وأبجديتها القديمة المعروفة.

**المظاريف الملكية:** استعملت مظاريف من الطين المفخور بأحجام مختلفة لحفظ الرسائل.

**الختم الملكي (أونكو):** تُختم الرسائل بالختم الآشوري الرسمي الذي هو عبارة عن ملك آشوري يطعن أسداً واقفاً على قائمتيه الخلفيتين بخنجرين واحد في الرأس وآخر في القلب.أنظر (Olmstead 1960).

أصدقاء القلم الملكي: **Royal Pen Pals**

كان هناك من الخبراء الذين يعملون على تقديم المشورة في القصر الملكي وللدول المجاورة، وكان هؤلاء يسمون بالعظماء (رابوتي). وقد اختار الملك هذه المجموعة التي تضم حوالي 120 مسؤولًا من مجموعة من الإداريين المحترفين والمتعلمين مركزيًا. وقد تم منح الوظائف لهم على أساس الجدارة بدلاً من الروابط الأسرية، رغم أن بعضهم كان من أفراد العشيرة الملكية أو العائلات النبيلة القديمة. كان هؤلاء يشرفون على البريد الملكي.

ما هو واجب هؤلاء وإلى أي مدى تتوافق الأذرع الآشورية بانتظام مع ملكهم؟ تُجيب الباحثة كارين راندر «الواجب الرئيسي للعظماء هو التصرف نيابة عن الملك أينما وحيثما كان غير قادر على الحضور. كان العظماء يتم تعيينهم لممارسة السلطة محليًا نيابة عن التاج ولكن بشكل عام للاعتماد على حكمهم الخاص، ولذلك كانوا يكتبون فقط عندما كانوا بحاجة لإشراك الإدارة المركزية في صنع القرار أو لنقل المعلومات

الحيوية. وبالتالي، فإن معظم رسائلهم تتعامل مع ما هو غير متوقع بدلا من الروتين: مثل الفرص الناشئة، كشف الكوارث، الأحداث التي من شأنها أن تثير من حين لآخر، ضبط حراس الإمبراطورية الآشورية. وبسبب طبيعتهم، كانوا يركزون على العديد من الرسائل ومشاكلها. وكان تجاهلهم عنها يؤدي دائمًا إلى وضع سلبي لقدرات الإدارة الأشورية » (Radner 2015: 65).

**2.دائرة الإرسال والتنفيذ:** تقوم هذه الدائرة بتهيئة الرسالة وتعيين فرسان الطريق والتأكد من سلامة الطرق والمحطات.

**الجيش لاختيار الفرسان والبغال:** كان الجيش الآشوري هو المسؤول عن توفير الفرسان الأكفّاء والبغال القوية لهذه المهمات.

**المقاطعات لبناء وصيانة الطرق والمحطات:** كانت الأوامر تصدر من البلاط الآشوري لتنفيذ مثل هذه الأمور من أجل إدامة عمل المحطات وتسهيل مهمتها.

### ثانياً: الطريق الملكي: حران شاري، حول شاري hūl šarri، harran šarri

الطرق الملكية الآشورية إنجاز آشوري كبير ومتميّز، كانت تُعرف باسم «حران شاري» أي الطرق الملكية أو «حول شاري» أي طريق الملك. كانت إجراءات الطرق الملكية تتم من خلال الوسائل الآتية:

1. شبكة طرق التعاقب The relay system Road network

شيدت الإمبراطورية الآشورية الجديدة نظامًا للطرق العسكرية السريعة يربط جميع أجزاء الإمبراطورية، وكان يجري تجديدها وتوسيعها باستمرار، بدأت بالعمل رسمياً في عهد شلمنصر الثالث (حوالي 858-824 قبل الميلاد) وتيجلاث بلاصر الثالث (حوالي745-727 قبل الميلاد) سميت هذه الطرق الملكية باللغة الأكدية (حرّان شاري، حول شاري) وكانت تعمل لتأمين التواصل السياسي والدبلوماسي بين البلاط

الآشوري وبلاطات الدول والممالك والمدن المجاورة والبعيدة. حيث كان يتم نقل الرسائل من قبل الفرسان العسكريين الذين يسافرون على البغال. والذين كانوا يتوقفون على فترات في محطات بنيت لهذا الغرض، وكان يتم تمرير الرسائل إلى فرسانٍ آخرين مع حوامل جديدة. فقد تم وضع المحطات على فترات منتظمة على طول نظام الطرق السريعة في الإمبراطورية. لكي يتم إرسال الرسائل، دون تأخير أو انتظار، وقد هذا وفر سرعة اتصال غير مسبوقة ظلت مستخدمة حتي وقت قريب مع بداية القرن العشرين.

2. محطات التعاقب: The relay system stations

لم تكن الطرق الملكية مؤمنة من الناحيتين الأمنية والسياحية، ولذلك قرر الآشوريون تأمينها وتوطين الفلاحين والرعاة والبدو المتنقلين قربها، وذلك عن طريق إنشاء محطات لهم ومعاقبة من يخرج على أوامرهم. قام الملك سرجون الثاني (حوالي 722– 705 ق.م)، بشكل خاص، بتشديد الصرامة في هذا الموضوع واستطاع توفير الأمن والغذاء والراحة في هذه المحطات.

كانت محطات للاستراحة عُرفت بـ «بيت مارديتي» و«كان على جميع الحكام الآشوريين الحفاظ على محطات الطرق في مواقع استراتيجية داخل مقاطعتهم التي كانت بمثابة مراحل وغالبا ما كانت أيضا تقاطعات لشبكة الاتصالات الإمبراطورية المعروفة باسم «طريق الملك» (hūl šarri). كانت محطات الطرق هذه إما تقع داخل المستوطنات القائمة (كما هو الحال في مدينة نيبور) أو تشكل مستوطنات خاصة بها، مع الأساس الزراعي اللازم لتوفير الأفراد والمبعوثين وحيوانات النقل. المصطلح الآشوري لمثل هذه المؤسسات هو mardēti bēt (حرفيا «منزل مسار الطريق») وكيف تم إدارتها وصيانتها في عهد سرجون الثاني (721-705 قبل الميلاد) من رسالة محافظه في مقاطعة utubutu، متمركزة في سهل البقاع في لبنان، بخصوص مشاكل تشغيل محطتي بريده»(Radner2012).

كانت محطات الطرق الآشورية عبارة عن هياكل مصممة خصيصًا لتوفير المأوى والإمدادات للمسافرين لمسافات طويلة وكانت محطات رسمية ملكية، بينما كانت الطرق التجارية المخصصة لقوافل البضائع المدنية طرقاً غير رسمية. وكانت المسافات بين المحطات حوالي 35 إلى 40 كيلومترًا (22 إلى 25 ميلاً).

ولدعم نظام الاتصالات الملكي، حافظ حكام الإمبراطورية على سلسلة من المحطات (بيوت مارديتي) في مقاطعاتهم على فترات منتظمة على طول طريق الملك. وقام فرسان الملك بتمرير رسائلهم إلى بعضهم. كان بعضهم ساكنا في المناطق التي يمر بها الطريق الملكيّ أو في مواقع نائية في مستوطنات معزولة بمفردهم.

كانت محطات الطرق الآشورية للاستخدام الحصري لرسائل الدولة المصرح بها وليست مفتوحة للمسافرين الخاصين. لم يتم تحديد أو التنقيب عن محطات الطرق الناجية السالكة، وعرف المؤرخون أوصافها من النصوص الآشورية.

### 3.فرسان التعاقب The relay system riders

إنتخب الملوك الآشوريون فرساناً محددين للقيام بهذه المهمة تتوفر فيهم صفات الشجاعة والحكمة والذكاء والولاء للملك، وكان يتم إرسال الرسائل الرسمية إما برسالة تحملها سلسلة من الفرسان أو من قبل فارس مبعوث موثوق به. كان نظام الترحيل أو التواصل كاليّو (kalliu) ابتكارًا آشوريًا وسمح بسرعة اتصال أكبر بكثير. وبدلاً من الاعتماد على مبعوث موثوق به ليقطع المسافة بالكامل، في نظام الترحيل الذي بدى كما لو انه رياضة تشبه رياضة البريد في عصرنا حين يقوم المتسابقون بنسليم رسالة من قطعة خشب لشخص ثم لآخر حتى آخر شخص، كان يغطى كل متسابق جزءاً من الطريق. ثم يقوم المتسابق التالي بتمرير الرسالة إلى متسابق جديد مع زوج جديد من البغال وهكذا. وبسبب تغيير الحيوانات والفرسان في كل محطة دون انتظار الراحة السابقة، تم تسليم الرسائل بشكل أسرع. وكان توفير

الفرسان والبغال أمراً منوطاً بالجيش الآشوري. أما المحطات فكان واجبها تقديم المأوى والإمدادات القصيرة المدى للفرسان والمبعوثين وحيواناتهم.

### 4.بغال التعاقب: The relay system mules

كانت البغال نافعة للنقل لمسافات طويلة في مناخ جاف وصعب، ولكنها كانت باهظة الثمن في آشور القديمة، ويتطلب إنتاج بغل إجبار الحصان والحمار على التزاوج، وهو ما لن يحدث أبدًا بدون تدخل بشري الحيوانات لا تستطيع إنتاج ذرية من البغال بأنفسها. فلابد من توفر الفنيين المهنيين المهرة لإنتاج البغال، كانت البغال غير متاحة في الكثير من الدول ولا يستعملها الناس بشكل دائم، لكن الدولة الآشورية استخدمتها على نطاق واسع في نقل الاتصالات والبضائع.

«تم تثبيت رسل الدولة لمسافات طويلة حصريا على البغال. كانت آشور أول حضارة تستخدم البغال لهذا الغرض. البغال هي هجينة لأب حمار وأم حصان. فهي تجمع بين قوة الحصان وصلابة الحمار. كان عقمهم وحاجتهم إلى تدريب مكثف يعني أنهم باهظ الثمن، لكن قوتهم وصلابتهم وانخفاض الصيانة جعلتهم مثاليًا للسفر لمسافات طويلة في ظروف ومناخ الإمبراطورية الآشورية الجديدة. كانت البغال جيدة أيضًا في تيارات السباحة ـ وهي عقبة شائعة في جميع أنحاء بلاد ما بين النهرين. عادة ما يسافر الدراجون في نظام الاتصالات الآشورية ببغلين، بحيث لا يصبحون عالقين إذا أصبح أحدهم أعرجًا، ولتبديل الأحمال من أجل إبقائها جديدة.» (Radner2012)

ثالثاً: محطة الإستقبال:

### 1.الدائرة الملكية المستقبلة:

لاشك أن هناك فوارق كثيرة بين الدول التي كانت تستقبل الرسائل الملكية الآشوري في التعامل معها، وطريقة وصولها. والرد عليها.

## 2.الأرشيف الملكي المُستقبِل للرسائل:

تُحفظ هذه الرسائل الملكية في أرشيف الدولة التي أرسلت لها، وتختلف طريقة حفظها وكيفيته، ولعل المثال الأكبر هو أرشيف تل العمارنة وهي بقايا المدينة المصرية التي كان اسمها (اخيتاتون: أفق أتون) العاصمة الجديدة التي أنشأها الملك إخناتون، وجاء بعده توت عنخ امون وغير العاصمة، فهجرت واتت قبيلة العمارنة وسكنتها لقرون ثم هجروها وسميت المنطقة باسم تل العمارنة.

مجموع رسائل تل العمارنة هو 379 من الرُقم الطينية المكتوبة باللغة الأكادية وفيها عدد من الرسائل الآشورية، بعض الرسائل غير واضحة وبعض الأسماء لم يكشف عنها بعد.

# الفصل الرابع: المظهر القانوني



**قرص مسماري من نمرود، يسجل بيع امرأة من العبيد تدعى أربيلا لامور، ونشاهد على الحاشية تصديق ختم موظف في الحاشية الملكية، يعود تاريخ هذا اللوح لعهد الملك آشوربانيبال، وهو محفوظ في المتحف البريطاني في لندن**

## المبحث الأول: العدالة والقانون المجتمع في آشور

استمدت العدالة الآشورية جوهرها من الإله شمش وهو إله الشمس والحق والعدل في آشور وفي عموم وادي الرافدين، وقد اعتمدت بلاد آشور في عصرها القديم، أولاً، على قانون حمورابي، لكنها استطاعت أن تسن لها قانوناً في ذلك الوقت.وقد أدى فك رموز

النصوص القانونية الآشورية إلى معرفتنا بشرائعه، وقد شاعت مفاهيم كثيرة توحي بالعدل والمساواة «لذلك كان العدل في الخطاب السياسي الآشوري موجوداً ضمن القضايا التي كانت محل اهتمام الآشوريين مثل تدوين الانجازات العسكرية والنشاطات العمرانية والمراسيم الملكية. فالمراسيم الملكية كما أسلفنا هي الشق الثاني للقانون وهي إحدى الوسائل التي يتم اللجوء إليها لتحقيق العدل. فالفرق بين المراسيم الملكية والقانون هي الاستقرار والثبات والدوام والعمومية والشمولية والولاية حيث يعد القانون ثابتاً مستقراً ودائماً غير مقتصر على وقت معين لحين إلغائه أو تعديله. أما المراسيم الملكية فهي تعد قانوناً محدوداً خاصاً لا يتصف بصفات القانون آنف الذكر. لذا فإن الاهتمام بالعدل واعتباره من أهم مضامين الخطاب السياسي الآشوري جاء عن طريق المراسيم الملكية أي إن الخطاب السياسي الآشوري قد تضمن العدل ولكن عن طريق الكتابات والمراسيم الملكية وليس عن طريق القانون الذي مثل الطريق الأمثل لحمل الخطاب السياسي الخاص بالعدل » (الأعرجي 2008: 204).

**ألواح نمرود القانونية:**

ضمت آثار المدن الآشورية الكثير من الوثائق القانونية، في العصرين الوسيط والحديث، ومن العصر الحديث تظهر هذه الألواح القانونية، التي هي عبارة عن عقود ومعاملات بيع وشراء وغيرها لتؤكد على الجانب العملي أو التطبيقي من النظام القانوني الآشوري. وتعطي فكرة عن الحياة القانونية والدستورية للمواطنين الآشوريين في مختلف قطاعات حياتهم وخصوصاً معاملات بيع العبيد وحالات قانونية لسائقي المركبات والحراس الشخصيين وسرّاق الأغنام.

أغلب النصوص القانونية تسجل المعاملات الخاصة، وهناك أنواع أخرى من المستندات، مثل قرارات المحكمة، والغريب أنها تخلو من الإشارة لمجموعات القوانين. ومعظم الوثائق القانونية من آشور تتعامل مع شراء العقارات، وخاصة الأرض والناس، والقروض أو غيرها

من التزامات الديون. وهناك شراء العبيد، وبيع بعض النساء من قبل أهلها كنوع من الزواج، وهناك معاملات تبني الأطفال.

تنتمي معظم الوثائق للأرشيف الملكي، وتعود إلى مسؤولين رفيعي المستوى في المحكمة وأصحاب المناصب العسكرية، مثل رجال الحرس الملكي وقادة الحارس الشخصي الملكي الذين يحتلون مكانة بارزة في أرشيفات نينوى. وهناك نسخة مكررة من اللوح الموجود في جهة القضاء.

تم تسجيل المعاملات القانونية إما على ألواح طينية تسمى بالأكدية (طوبو، دانوتو، إجريبتو) أو لفافات جلدية (تُرجمت أحيانًا على أنها الرق أو البرشمان).

لم تكن المستندات على نوعٍ واحدٍ فكانت هناك الإيصالات المكتوبة على الألواح، كانت موثقة بالأختام. تميل إجراءات المحكمة إلى اتباع طرق التنسيق نفسها، ومنها المظاريف الطينية والجلدية، لكن إغلاقها كان اختيارياً.

تمت كتابة مستندات الشراء على ألواح منسقة، في القرن السابع قبل الميلاد، أصبحت وثائق القروض مرفقة أيضًا في مظاريف من الطين. وبمجرد وضع اللوح في الداخل، يتم ختم المغلف.

أدت إضافة مظروف إلى حماية الألواح المستندية هذه من التلف، كما وفرت طبقة إضافية من الأمان للأطراف في حالة وجود نزاع، يمكنهم كسر الظرف وبالتالي تسوية أي جدال حول الشروط.

أخذت الوثائق التي تسجل ديون محصول الذرة (جداول الذرة) شكلًا مختلفًا جدًا. كانت تتألف من بطاقة مثلثة من الطين لتوضع في ظرف طيني وتعلق بخيط. وتم إدراج شروط الدين في جدول الصلصال، والتي تم ختمها من قبل المدين. يصرف جدول العمل كنوع من المغلف البديل عن طريق تحطيم الجدول يمكن إلغاء الرق. عادةً ما كانت تدرج حجرة

الصلصال بالخط النصي المسماري باللغة الأكادية لكن النماذج الآرامية معروفة أيضًا، كما هي الحال في الجداول التي توثق المعاملات ديون الذرة والرق، والتي يجب أن تكون مكتوبًة باللغة الآرامية.

وهذه نماذج من هذه الوثائق القانونية:

1. مستند تسديد ديون ضخمة لشخص اسمه (صبيري) من غرفة قصر المحافظ، وتظهر بصمة أصابع وأظافر (بيل تارشي أيلومّا) كبديل عن الختم الشخصي، وهو حاكم كالخو (نمرود) في عهد الملك أدد نيراري الثالث. وقيمتها (2 تالنت و2 مَن مِن البرونز)

2. بطاقة طينية مثلثة تسجل تعهداً مالياً لضمان طفلٍ، وهناك مايشير لوجود شروطٍ بالتعهد باللغة الآرامية رغم كون النقش يضم كتابة مسمارية بلغة أكدية. وهو من قلعة نينوى.



**لوح الطين (أسفل) ومغلفه (أعلى). تم استخراج وثيقة القرض هذه في 636 ق.م**

# المبحث الثاني: القوانين والشرائع الآشورية

لم تتضح بعد حالة العصر الآشوري القديم فيما يخص القوانين وكيفية التعامل القانوني، رغم أننا نرجح أنهم استفادوا من الشرائع الرافدينية بشكل عام والتي وصلتهم عن طريق الهيمنة السومرية والأكدية والبابلية، في ذلك العصر، على بلادهم.

«المجموعة الأولى تعود إلى العهد الآشوري القديم في أواخر الألف الثالثة ق.م، وهي عبارة عن ثلاثة ألواح طينية وجدت في حالة رديئة جداً، لا يمكن قراءة محتواها بصورة دقيقة ومما جاء فيها أنها تحمل مواد قانونية تخص تنظيم المحاكم وأصول المرافعات، وبصورة خاصة فيما له علاقة بالتجارة والحياة الإقتصادية، وهي تعود لجالية تجارية تقيم في منطقة كول تبه.» (سليم 2010: 41).

في العصر الآشوري الوسيط وضع الآشوريون شرائع وقوانين خاصة بهم، في الفترة بين (1450-1250) ق.م، والتي دوّنت على ألواح طينية وظهرت فيها قوانين القصاص والتعويض والسرقة والأحوال الشخصية، والأذى والقتل العمد والزنا والضرب المؤدّي للإجهاض والسمسرة، كانت واحدة من أهم ميزاتها القسوة المفرطة تطورت فيها العقوبات الجسدية بشكل حادٍّ كقطع اليد، وجدع الأنف، والإخصاء والإعدام.

«ويعتبر القانون الآشوري أقسى القوانين في بلاد الرافدين على الإطلاق، فكثيرٌ من الذنوب كانت عقوبتها الإعدام أو تشويه الأعضاء، كبتر الأصابع والأنف والثديين والاذنين والجلد بالسياط. فقد حكم المشرع الآشوري بالإعدام على من يغتصب امرأة متزوجة رغماً عنها، أو يشتغل بالسحر (المادة 47)، وأجاز للزوج أن يصلم أذني زوجته إذا سرقته وهو مريض (المادة 3)، كما قضت بقطع أصبع من يلمس خد امرأة متزوجة وقطع شفته إذا قبلها (المادة9).» (سليم 2010: 41).

القوانين الآشورية الوسطى كُتبت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد على لوح من الطين المحروق، موجود الآن في متحف الشرق الأدنى القديم، وهو أحد المتاحف الوطنية في برلين.

في الفترة من 1902 إلى 1914، قامت الجمعية الشرقية الألمانية بالتنقيب في كالح وفي الشرقاط، موقع مدينة آشور، العاصمة الآشورية القديمة. هناك وجدوا ثلاثة أقراص: تم تحديدها على أنها:

1.اللوح أ A

59 قانوناً يعالج العقوبات على الجرائم المرتكبة ضد النساء.

2.اللوح ب B

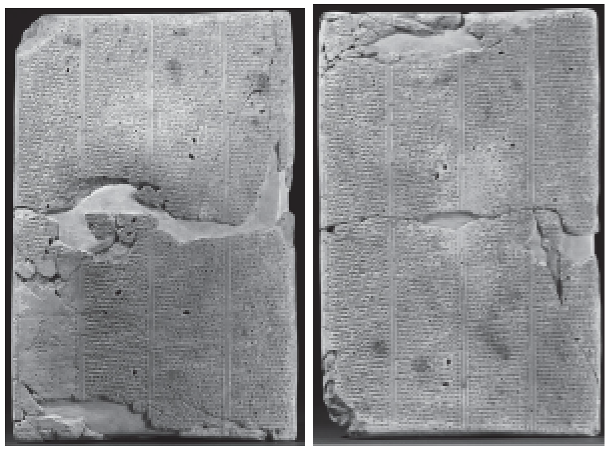
عشرون قانونًا يتناول العقارات

3.اللوح ج (سي) C

أحد عشر حالة من الديون والممتلكات الشخصية.

لمزيد من المعلومات، راجع مجموعات القانون من بلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى بقلم مارثا تي. روث. كتابات SBL من سلسلة العالم القديم، المجلد 6. أتلانتا: مطبعة SBL، 1997.

Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor 2nd ed. by Martha T. Roth. SBL Writings from the Ancient World Series, vol.6. Atlanta: SBL Press, 1997.



**رقيم القانون الأوسط الآشوري اللوحي (أ)، الوجهان الأمامي والخلفي**

**أربعة أعمدة على الوجه، مع العمود الأول على اليسار، وأربعة أعمدة على الجهة الخلفية مع العمود الأخير على اليسار. أحكام منفصلة القوانين الفردية. آشور، 1100 قبل الميلاد. الطين الحر**

**الارتفاع 32 سم. متحف Vorderasiatisches، برلين**

القوانين الآشورية الوسيطة أ

يعود لوح هذا القانون الى العصر الآشوري الأوسط (حوالي 1400 ـ 1000 قبل الميلاد)، وهو محفوظ في متحف برلين

Vorderasiatisches

وفيما يلي ترجمتنا الكاملة للقانون الآشوري الوسيط المسمى (لوح أ):

شريعة القانون الآشوري الوسيط

Middle Assyrian Law Code

Alan Humm ترجمها للإنجليزية

اعتماداً على الترجمة المقارنة عن الأكدية التي قام بها (درايفر، ميلز، ميك)

G.R. Driver & J. C. Miles with that of Theophile Meek

Driver, G. R., & J. C. Miles (1935/1975). The Assyrian laws. Darmstadt?: Scientia Verlag Aalen.

Meek, Theophile, trans. (1969). The Middle Assyrian Laws. In James B. Pritchard (ed.), Ancient Near Eastern texts: Relating to the Old Testament. Princeton, N.J: Princeton University Press.

**المرجع: (Alan Humm) PhD in Religious Studie**

**http://jewishchristianlit.com/Texts/ANElaws/midAssyrLaws.html**

ملاحظة: هذه مجموعة من القوانين المكتوبة على غرار مدونة حمورابي الأقدم والأكثر شهرة. هذه النسخة مؤرخة في عهد تجلات ـ بلاصر الأول من آشور (القرن الثاني عشر قبل الميلاد). يركز هذا اللوح على القوانين المتعلقة بالمرأة ويسمى لوح (أ).

لوح (أ) Tablet A

1. إذا دخلت امرأة، إما زوجة أو ابنة الرجل، إلى المعبد وسرقت شيئًا ما من حرم المعبد، وعثر عليه في حوزتها أو ثبتت التهم الموجهة ضدها وتُثبت أنها مذنبة، فيجب عليها الاستفسار من الإله والتعامل معها كما يرشد الإله.

2. إذا كانت المرأة، سواء كانت زوجة أو ابنة رجل، قد أعلنت تجديفًا أو قالت شيئًا مشينًا، فستكون تلك المرأة وحدها مسؤولة عن جريمتها؛ ليس عليهم أن يلمسوا زوجها أو أبنائها أو بناتها.

3. إذا كان رجل مريضًا أو ميتًا، وقامت زوجته بسرقة شيءٍ من منزله وأعطته لرجل أو امرأة، أو لأي شخص آخر، فإنهم يقتلون زوجة الرجل مع الذين تلقوا [المسروق من البضائع]. وإذا سرقت زوجة الرجل، الذي يتمتع زوجها بصحة جيدة، شيئًا ما من منزله وأعطته لرجل أو امرأة، أو لأي شخص آخر، يكون الرجل هو الذي يحاكم زوجته ويوقع العقوبة (المناسبة)؛ أما الشخص الذي استلم البضائع المسروقة فعليه إعادتها.

4. إذا كان العبد، أو الأمَة (امرأة من العبيد)، قد استلم أي شيء من امرأة متزوجة، فيجب قطع أنف وأذن العبد، ليتم الانتقام من السرقة، ويقطع الرجل أذني زوجته. ولكن إذا ترك الرجل زوجته ولم يقطع آذانها، فلن تفقد الأمَة أنفها أو أذنيها ولن يُنتقم من السرقة.

5. إذا سرقت امرأة متزوجة أي شيء من منزل أي رجل آخر، واستولت على ممتلكات تزيد قيمتها عن خمس منّات من الرصاص، فإن مالك العقار المسروق هو أن أقسم قائلاً: «أقسم أنني لم أستعيد ماسُرق مني، وأؤكد السرقة »، وإذا رغب زوج المرأة السارقة أن يفتديها فيجوز له إعادة الممتلكات المسروقة، لكن عليه قطع أذنيها. أما إذا لم يرغب في فعل ذلك، فإن مالك العقار المسروق هو من يأخذها ويقطع أنفها.

6. إذا باعت المرأة المتزوجة (أغراض بيتها) خارج المنزل، فسيكون مُستلم (الأغراض) مسؤولاً عن الممتلكات المسروقة.

7. إذا أدينت امرأة بوضع يديها على رجل، فستدفع 30 منّاً من الرصاص وتَضرب ب(20جلدةً).

8. إذا سحقت امرأة خصية الرجل في مشاجرة، فعليها قطع أحد أصابعها. إذا كانت الخصية الثانية مصابة بالتورم، على الرغم من رعايتها من قبل الطبيب، فإذا تورمت أو إذا سحقت الخصية الثانية في المشاجرة، فستقوم بتمزيق حلمتَيها (؟)

9. إذا وضع رجل يده على امرأة متزوجة، وعاملها كطفل صغير، وتم توجيه تهم إليه وإدانته، فيجب عليهم قطع أحد أصابعه. وإذا قبّلها، فسوف يرسمون شفرة الفأس على طول شفته السفلى ويقطعونها.

10. إذا دخل رجل، أو امرأة، منزل رجل وقتل، رجلاً أو امرأة، فيجب تسليم القاتل إلى أقرب الأقرباء؛ الذي قد يقتلهما، أو قد يختار قبول التعويض في الممتلكات. بدلاً من ذلك، إذا لم يكن لدى القتلة أي شيء ذي قيمة في منزلهم، إما ابن أو [ابنة]... في المنزل... ينتمون إلى....

11. للملك، يجب عليه...

12. إذا كانت امرأة متزوجة تمشي في الشارع، وأمسك بها رجل، وقال لها: «دعنيي أمارس الجنس معك»، وإذا لم تكن قادرة على الدفاع عن نفسها، إلا أنه أخذها بالقوة واغتصبها ـ سواء ألقوا القبض عليه وعلى الزوجة، أو أن لديهم شهادة بأنه أجبرها ـ فعلى كبار السن إعدامه. المرأة ليست مسؤولة.

13. إذا غادرت امرأة متزوجة منزلها لزيارة رجل في منزله، ومارس الجنس معها، وعلم أنها متزوجة، يجب إعدام الرجل والمرأة.

14. إذا مارس رجل الجنس، مع امرأة متزوجة سواء في بيت للدعارة أو في الشارع، وعلم أنها متزوجة، يجب أن تعامل كزانية لأن الزوج يقرر التعامل مع زوجته. إذا لم يكن الزاني يعلم أنها كانت متزوجة، فسيطلق سراحه. على الزوج أن يحمّل زوجته، وهو يفعل بها كما يشاء..

15. إذا قبض الرجل على زوجته مع رجل آخر، وتم توجيه الاتهام لهما وإدانتهما، فسيتم إعدام كلاهما(الرجل والمرأة)، و<الزوج> لا يتحمل المسؤولية. في حالة القبض عليهما وتقديمهما إلى الملك أو القضاة، وثبتت ذنبهما، إذا اختار الزوج إعدام زوجته، فيجب إعدام الرجل كذلك. إذا قام، بدلاً من ذلك، بقطع أنف زوجته، فسيُخصى الرجل ويتشوه وجهه. لكن إذا سمح الزوج لزوجته بالإفراج عنهم، فسيتم إطلاق سراح الزاني.

16. إذا تم إغواء الرجل من قبل امرأة متزوجة، فلا توجد عقوبة ضده. إن <الزوج> هو فرض أي عقوبة يشاء على زوجته. لكن إذا أجبرها ووجهت إليه تهم وإدانته، فسوف يشاركها العقاب.

17. إذا أخبر رجل رجلاً آخر، «زوجتك فاسقة »، لكن لا يوجد شهود، فعليهم إبرام عقد (شرط جزائي لكليهما) والذهاب إلى النهر (لإختبار النهري).

18. إذا أخبر الرجل رجلًا آخر، سواء على انفراد أو في مشاجرة، «زوجتك فاسقة؛ سأوجه اتهامات ضدها بنفسي، «لكنه غير قادر على إثبات التهمة، ولا يمكنه إثبات ذلك، يجب أن يُجلد ب (أربعين جلدة)، ويُحكم عليه بالسجن لمدة شهر من العمل الشاق للملك، ويُجدع؟...، ويدفع طالن من الرصاص.

19. إذا قام رجل بسرقة جاره وادّعى وقال: «لقد سمح لي الرجال بممارسة الجنس معه»، أو في شجار أخبره بحضور آخرين، «الرجال يمارسون الجنس معك» وبعد ذلك، «سأوجه اتهامات ضدك بنفسي»، لكن بعد ذلك لم يكن قادراً على إثبات التهمة، ولا يمكن إثبات ذلك، فسيُجلد الرجل ب(خمسين جلدة)، ويحُكم عليه بالسجن لمدة شهر من العمل الشاق للملك، ويُجدع؟، ويدفع تالن من الرصاص.

20. إذا مارس رجل الجنس مع جاره (و) تم اتهامه وإدانته، (عندها) سيعتبر مدنسًا ويتم تحويله إلى خصيّ.

21. إذا قام رجل بضرب ابنة رجلٍ آخر وتسبب في إجهاضها، بمجرد توجيه الاتهام إليه وإدانته، فإنه يتعين عليه دفع طالنين وثلاثين منّاً من الرصاص، ويتلقى خمسين ضربة، ويُحكم عليه بالسجن لمدة شهر واحد من العمل الشاق.

22. إذا تسبب رجل (بخلاف الأب أو الأخ أو الابن) في أن يضاجع امرأة في رحلة عمل معه، ولم يكن يعلم أنها كانت متزوجة، فإنه يتعين عليه أن يقسم على هذا الأمر ويدفع طالنين من الرصاص تؤدى إلى زوجها. وإذا كان يعلم أنها كانت متزوجة، فعليه أن يدفع هذه الغرامة ويقسم، «أقسم أننا لم نمارس الجنس». ومع ذلك، إذا قالت المرأة، «لقد مارسنا الجنس»، على الرغم من أنه دفع الغرامة، فإنه يواجه الإمتحان النهري، دون عقد. فإذا رفض الإمتحان النهري، فسيتم معاملته كما يختار زوج المرأة في التعامل مع زوجته.

23. إذا قامت امرأة متزوجة بدعوة امرأة متزوجة أخرى إلى منزلها وأعطتها لرجل لممارسة الجنس معها، ما دام الرجل يعرف أنها كانت متزوجة، يجب أن يعامل مثل أي شخص مارس الجنس مع إمرأة متزوجة، والوضع يجب أن يعالج كما يختار الزوج في التعامل مع زوجته الزانية. لذلك إذا كان الزوج لا يفعل شيئًا لزوجته الزانية، فلا شيء يجب فعله للزاني أو الفاسق؛ وسيطلق سراحهما. بدلاً من ذلك، إذا لم تكن المرأة تعرف ما يحدث، لكن أول امرأة أحضرتها إلى منزلها تحت ضغط قوادة أو امرأة فاسقة وأعطتها لرجل مارس الجنس معها، فإنها طالما غادرت المنزل وقدمت شكوى بأنها أُجبرت على ذلك؛ فهي بلا ذنب. والزاني والفاسدة يتم إعدامهما. ومع ذلك، إذا لم تقدم المرأة شكوى، فيجوز لزوجها أن يفرض أي عقوبة يفضلها على زوجته، لكن الزاني والفاسدة لا بد من إعدامهما.

24. إذا هربت امرأة متزوجة من زوجها، وانتقلت مع آشورية، سواء كانت في نفس المدينة أو في مدينة مجاورة، وأقامتها في منزل تقيم فيه مع عشيق ذلك المنزل ثلاث أو أربع ليال (في حين أن سيد المنزل لم يكن على علم بأن المرأة المتزوجة كانت تقيم هناك)، فإذا تم القبض عليها، فإن الزوج المهجور سيقطع آذان زوجته، لكنه يعيدها له. أما المضيّفة المتزوجة فتقطع آذانها أيضًا؛ وقد يستبدلها زوجها بثلاث طالن وثلاثين منّاً من الرصاص،

أو إذا كان يفضل ذلك، فسوف تُؤخذ. ومع ذلك، إذا علم المضيف أن امرأة متزوجة كانت تقيم في منزله مع زوجته، فيجب عليه دفع ثلث إضافي. إذا أنكر ذلك، قائلاً، «لم أكن أعرف»، فسيستخدمون الإمتحان النهري. إذا رفض المضيف الإمتحان النهري، فعليه دفع الثلث الإضافي ما لم يرفض الزوج المهجور الإمتحان النهري أيضًا؛ في هذه الحالة، يكون المضيف «بعيدًا عن الخطاف» ـ كما لو كان قد تم تبرئته من النهر. إذا اختار الرجل المهجور عدم قطع آذان زوجته واستعادتها، فلن يكون هناك أي عقاب يتعرض له أحد.

25. إذا كانت المرأة لا تزال تعيش في منزل والدها، لكن زوجها توفي، فإن إخوان زوجها (طالما أنهم لم يقسموا الميراث بعد، وليس هناك ابن <من الزواج>) يجب أن يأخذو الحلي التي قدمها لها زوجها، في حالة كونها لا تزال لديها. وعليهم تمرير ما تبقى أمام الآلهة والمطالبة بها رسمياً. لا يجب إجبارهم على الخضوع للإمتحان النهري أو أداء اليمين..

26. إذا كانت المرأة لا تزال تعيش في منزل والدها، لكن زوجها توفي، وإذا كان زوجها له أبناء، فسوف يأخذون (أهل الزوج) الحلي التي قدمها لها زوجها، ولكن إذا لم يكن لديه أبناء فسوف يأخذونها بنفسها.

27. إذا كانت المرأة لا تزال تعيش في منزل والدها، وكان زوجها يقوم بزيارات متكررة، فيجوز له أن يسترجعها كهدية زواج قدمها لها، لكنه قد لا يأخذ ما يأتي من منزل والدها.

28. إذا تزوجت أرملة مرة أخرى في منزل رجل، حيث أحضر معها ابنها الرضيع، ونشأ هذا الابن في منزل والد زوجته، ولكن لم يكن هناك أي فعل بالتبني، فلن يستلمه من والد زوجته الميراث، أو تكون مسؤولة عن ديونه. هو أن يتلقى نصيبه المناسب من تركة والده الطبيعي.

29. إذا انتقلت امرأة مع زوجها، فإن مهرها ومهما أحضرت من منزل والدها وأي شيء أعطاه والدها لها عندما انتقلت إليه، يكون مخصصًا لأبنائها. إخوانها في القانون ليس لديهم مطالبة بذلك. لكن، إذا بقي زوجها على قيد الحياة، فقد يوزعه كما يريد لأبنائه.

30. إذا كان الأب قد أحضر (أو أرسل) هدية الخطبة إلى صهر ابنه المحتمل، لكنهم لم يتزوجوا بعد، ومن ثم يموت آخر من أبنائه (الذي ما زالت زوجته تعيش مع أسرتها)، فعليه إعطاء زوجة ابنه المتوفى كزوجة لابنه الآخر الذي أحضر له والده المحتمل. إذا لم يعد ولي أمر الخطيب مستعدًا لإعطاء ابنته، على الرغم من أنه قبل الهدية الخطابية، فإن الأب الذي أحضر الهدية له الحق في أخذ ابنته على أي حال، ومنحها ابنه. لكنه، بدلاً من ذلك، قد يقبل بالكامل ما جلبه <كهدية خطوبة> (رصاص أو فضة أو ذهب أو أي شيء)، طالما لم يكن شيئاً صالحًا للأكل. ولن يسمح له بالمطالبة بالأشياء (الأخرى).

31. إذا أحضر رجل الهدية الخطبة إلى منزل أهل زوجته المحتملين ولكن زوجته توفيت، وحماته لها بنات أخريات، إذا فضل والده يجوز له أن يتزوج من بنات زوج أخته بدلاً من زوجته الميتة. ولكن، إذا كان يفضل، فيجوز له، بدلاً من ذلك، استرداد الأموال التي قدمها. لكنه لن يسترجع الغلّة أو الأغنام أو أي شيء يمكن أكله، فقط المال.

32. إذا كانت امرأة ما زالت تعيش في منزل والدها، ولكنها تلقت هدية زواجها، بغض النظر عما إذا كانت قد نُقلت إلى منزل والد زوجها، فستكون مسؤولة عن جميع ديون زوجها والجنح، والجرائم.

33. إذا كانت المرأة لا تزال تعيش في منزل والدها، لكن زوجها توفي، طالما أنجبت ولدين، فقد تعيش في أي من منازلها التي تختارها. إذا لم يكن لديها ابن، فسيقوم والد زوجها بمنحها أيًا من أبنائه الآخرين حسب رغبتها.

34. إذا كان رجل يعيش مع أرملة دون عقد زواج لمدة عامين، تصبح زوجته؛ طالما لا تغادر.

35. إذا تحركت أرملة مع رجل في منزله، فإن كل ما تحضره معها يصبح زوجها. وبالمثل، إذا تحرك الرجل مع امرأة في منزلها، يصبح كل ما يحضره معه.

36. إذا كانت امرأة ما زالت تعيش في منزل والدها، أو جعلها زوجها تعيش في أماكن منفصلة، ثم ذهب إلى الحقول، ولم يترك لها أي زيت أو صوف أو ملابس أو طعام أو أي شيء آخر، ولم يفعل ذلك إذا كانت قد أرسلت إليها من الحقول، وبقيت مخلصة لزوجها لمدة خمس سنوات، ولن تعيش مع زوج آخر. إذا كان لديها أبناء، الذين يشغلون وظائف ويكسبون رزقهم، فإنها تحترم زوجها، ولن تعيش مع زوج آخر. إذا لم يكن لديها أبناء، فسوف تكرم زوجها لمدة خمس سنوات. في السنة السادسة، قد تذهب إلى زوج جديد تختاره. أما زوجها السابق، عند عودته، فلا يطالب بها؛ فهي متاحة لزوجها الجديد. ومع ذلك، إذا تأخرت عودته في السنوات الخمس الماضية خارجة عن إرادته ـ ربما كان عليه أن يفر من بعض الخصوم، أو تم القبض عليه واحتجازه ـ فيجوز له تقديم مطالبة، وتقديم امرأة معادلة لزوجته، واستعادة زوجته الخاصة. إذا كان يعمل على الملك واستغرق الأمر أكثر من خمس سنوات، فإن زوجته تحترمه ولا تذهب للعيش مع زوج آخر. إذا كانت قد عاشت مع زوج آخر قبل أن تنتهي السنوات الخمس، حتى لو أنجبت أطفالاً، فإن زوجها السابق سيأخذها (مع أطفالها) عند عودتها، لأنها لم تحترم عقد الزواج، لكن متزوجة.

37. إذا طلق الرجل زوجته، يجوز له، إذا أراد، أن يعطيها شيئًا؛ أما إذا كان لا يريد ذلك، فهو لا يحتاج إلى إعطائها أي شيء. سوف يتركها خالية الوفاض.

38. إذا كانت المرأة لا تزال تعيش في منزل والدها، وطلقها زوجها، فيجوز له استعادة الحلي التي قدمها لها، ولكن لا يجوز له استعادة هدية الزواج التي أحضرها، لأنها تخص المرأة بشكل دائم.

39. إذا تم إعطاء فتاة كتعهد لدين أبيها وأعطاها الدائن لزوجها (على الرغم من أنها لم تكن ابنته)،ثم يتقدم دائن آخر لديه مطالبة سابقة، يتم دفعه قيمة الفتاة التي أعطيت في الزواج. إذا لم يتمكن الدائن الثاني من الدفع، فسوف يُؤخذ بنفسه. إذا عوملت الفتاة بقسوة، فليس عليها أي التزام تجاه الرجل الذي أساء معاملتها. إذا كان زوج المرأة مديناً

بنفسه أو أصبح مسؤولاً في القضية، ودفع ثمن المرأة، فإن الدائن الذي أعطاها يكون خارج الخطورة.

40. النساء المتزوجات والأرامل والنساء الآشوريات يجب ألا يكشفن رؤوسهن عندما يخرجن إلى الشارع. يجب أن يكنّ بنات المقام محجبات، سواء عن طريق الحجاب أو رداء أو [عباءة]؛ يجب ألا تكون رؤوسهن مكشوفة. عندما... أو... أو... لا يجب أن يكنَّ محجبات، لكن عندما يذهبن إلى الشارع [وحدهن] يجب أن يكنَّ محجبات. المحظية في الشارع، مع عشيقتها، يجب أن تكون محجبة. يجب أن يتم حجاب المحظية في الشارع، ولكن يجب أن يكون رأسها مكشوفًا؛ قد لا تكون محجبة. الزانية لا تتحجّب. يجب كشف رأسها. أي رجل يرى زانية محجبة فعليه أن يلقي القبض عليها، مع شهود ويحضرها إلى مدخل القصر. وأن لا تؤخذ مجوهراتها، وربما الشخص الذي قبض عليها قد يأخذ ملابسها. وتُجلد ب (خمسين جلدةً)، ويسكب القار على رأسها. إذا رأى رجل زانية محجبة وسمح لها بالرحيل بدلاً من إحضارها إلى مدخل القصر، فسيُجلد، هو نفسه، ب(50 جلدةً). الشخص الذي سلمه قد يأخذ ملابسه. سيتم ثقب آذانه، وسيُقيد بسلك ملولب خلفه، وسيُحكم عليه بالسجن لمدة شهر كامل من العمل الشاق للملك.

لا يجب أن تكون الفتيات العبدات محجبات أيضًا. أي رجل يرى فتاة عبدة محجبة عليه أن يعتقلها ويأخذها إلى مدخل القصر. سيتم قطع أذنيها، وقد يأخذ الرجل الذي قبض عليها ملابسها. إذا رأى رجل فتاة عبدة محجبة وسمح لها بالذهاب بدلاً من إحضارها إلى مدخل القصر، وتم توجيه الاتهام إليه وإدانته، فسيُجلد (50 جلدةً). سيتم ثقب آذانه، وسيُقيد بسلك ملولب خلفه، وسيُحكم عليه بالسجن لمدة شهر كامل من العمل الشاق لصالح الملك.

41. إذا أراد رجل أن يحجّب خليلته، فيجب عليه أن يجمع خمسة أو ستة من جيرانه ويحجّبها أمامهم، ويقول: «إنها زوجتي». بهذه الطريقة تصبح زوجته. أما المحظية التي ليست محجبة أمام الشهود، أو لم يقل زوجها «هي زوجتي»، ليست زوجة؛ انها لا تزال

محظية. إذا توفي رجل ولم يكن له أي أبناء على يد زوجته المحجبة، يصبح أبناءه من محظياته أبناء <شرعيين>؛ يتلقى كلّ منهم حصة من ممتلكاته.

42. إذا صب رجل الزيت على رأس فتاة ذات مكانة في يوم مقدس أو جلب هدايا خطوبة في مهرجان، فإن الهدايا لا يمكن إرجاعها.

43. إذا سكب رجل زيتًا على رأس فتاة ذات مكانة أو جلب هدايا خطوبة، لكنه مات أو اختفى، فقد يعطيها (والده) لأي من أبنائه الباقين الذين يفضلهم، من الأكبر إلى الأصغر سناً طالما كان عمره لا يقل عن 10 سنوات؛ لكي يتزوجها. إذا كان هناك أحفاد تقل أعمارهم عن عشر سنوات، فإن والد الفتاة لديه الخيار في إعطاء ابنته لأحدهم، أو إرجاع الهدايا بشكل منصف. إذا لم يكن هناك أبناء آخرون، فمن المؤكد أنه سيعود بالكامل ما حصل عليه من أحجار كريمة وأي شيء لا يمكن أكله. ولا يعيد البضائع الصالحة للأكل.

44. إذا كان هناك، رجل أو امرأة آشورية، يقيم في منزل رجل كرهنٍ، أو يُعطى كدفع للدين (بحد أقصى قيمته الكاملة)، قد يقوم <الدائن> بجلد <الآشوري>، ثم يحلق شعره، أو يثقب أذنيه، (إذا كان يستحق ذلك).

45. إذا تزوجت امرأة، لكن العدو أسر زوجها، ولم يكن لديها والد زوجها ولا ابنها، فستبقى مخلصة لزوجها لمدة عامين. إذا لم يكن لديها طعام خلال هذين العامين، فستحضر وتصدر بيانًا، عندها ستصبح في حراسة للقصر. لها..... هو دعمها وستعمل من أجله. إذا كانت زوجة فلاح، فسوف تدعمها وستعمل من أجله. إذا كان لدى زوجها حقل ومنزل في المدينة كإقطاعية، فعليها أن تبلغ القضاة، «ليس لدي ما أعيش عليه». سيقوم القاضي بالتحقيق مع العمدة وشيوخ المدينة، ولأنه كان لديه حقل في المدينة كإقطاعية، فسوف يكتسبون الحقل والمنزل، في مقابل دعم لمدة عامين، ويستأجرونها لها. سيقدمون العقد ويجب أن تعيش هناك لمدة عامين، وبعدها قد تذهب وتعيش مع زوج من اختيارها؛ سوف يزودونها بشهادة الترمل.

إذا عاد زوجها المفقود لاحقًا إلى البلاد، فسوف يعيد زوجته إلى ما كانت عليه (رغم أنها تزوجت من جديد)، لكنه لن يطالب الأبناء الذين أنجبتهم بزوجها اللاحق، بل على الزوج لاحقًا الاحتفاظ بهم. ويجوز له استعادة حقله ومنزله اللذين اشترتهما الدولة من أجل دفع تكاليف صيانتها، عن طريق سداد تكلفة عقد الإيجار (ما لم ينضم إلى الخدمة المسلحة للملك). إذا، من ناحية أخرى، لم يعد، لكنه توفي في بلد آخر، يجوز للملك أن يعيد تخصيص منزله وحقله حسب رغبته.

46. إذا مات زوج امرأة، ولم ترغب في مغادرة منزلها بعد وفاة زوجها وزوجها لم يعينها أي شيء كتابيًا، فهي تعيش في أي من منازل أبنائها التي تختارها. يجب على أبناء زوجها أن يدعموها، عليهم التعاقد معها لتوفير طعامها وشرابها كما لو كانت متزوجة عزيزة. إذا كانت زوجة ثانية بدون أبنائها، فسوف تعيش مع أحد أبناء زوجها، وسوف يشاركونها في الصيانة. إذا كان لديها أبناءها، وأبناء الزوجة السابقة لا يريدون إعطائها، فسوف تعيش في أحد منازل أبنائها، كما تختار. سوف يدعمونها، وستقوم بعملهم (النسائي). ومع ذلك، إذا تزوجت من أحد أولاد زوجها، فسوف يوفر لها زوجها، ولا يحتاج أبناؤها إلى ذلك.

47. إذا قام رجل أو امرأة باستعدادات سحرية ووجدت في حوزتهما، فسيتم إعدامهما. الرجل الذي رآهم وهم يقومون بالتحضير السحري، أو الشخص الذي سمع منه من شاهد عيان (أخبره، «لقد رأيته بنفسي») فعليه أن يتقدم كشاهد سمعي ويبلغ الملك بذلك. إذا أنكر شاهد العيان ذلك، فإن الشخص الذي أخبره هو أن يعلن ذلك أمام الثور، ابن شماش، «أقسم أنه قال ذلك»، ثم أنهى خدمته. سوف يستجوب الملك شاهد العيان الذي نفى أن يقول ذلك بأي طريقة يعتقد أنها ضرورية لكشف الحقيقة. <إذا فشل كل شيء آخر، سوف يجلبون طارد الأرواح الشريرة الذي سيجعل الرجل يتكلم. سيقول، «لن تطرد من القسم الذي أجريته لتحمله أمام الملك وابنه؛ لقد تم تحذيرك وفقًا للقانون الذي جاء بك أمام الملك وابنه «.

48. إذا مُنحت فتاة تعهدًا بدين أبيها وكان لدى الدائن إذن من والدها، فقد يعطيها لزوجها. إذا لم يوافق الأب، فلا يحق له ذلك. إذا توفي والدها، فقد يسأل أحد إخوتها، الذي سيتشاور مع إخوانها الآخرين. إذا أعلن أحد الإخوة أنه سوف يستردها في غضون شهر، لكنه فشل في ذلك، يجوز للدائن أن يعلن أن القرض قد تخلف عن سداده وأن يمنحها لزوج، أو يبيعها، وفقًا لشروط عقده، هنا..هو......

49. كأخ... لكن إذا ماتت الزانية، لأن إخوتها أعلنوها بهذه الطريقة... يقسمون نصيبًا كإخوة مع إخوان والدتهم.

50. إذا ضرب رجل امرأة متزوجة وتسبب في إجهاضها، فسوف تتم معاملة زوجة المهاجم بالطريقة نفسها: سيدفع للطفل الذي لم يولد بعد أساسيات الحياة مدى الحياة. لكن إذا ماتت (المرأة الأولى)، فسيتم إعدام الرجل: سيدفع ثمن الطفل الذي لم يولد بعد أساسيات الحياة مدى الحياة. إذا لم يكن لزوج (الأول) أي ولد، وتعرضت للإصابة بالإجهاض، فسيتم إعدام المهاجم. حتى لو كان الطفل فتاة: سيظل يدفع للطفل الذي لم يولد بعد وفقًا لمبدأ الحياة مقابل الحياة.

51. إذا ضرب رجل امرأة متزوجة لا تربي أطفالها وتسبب في إجهاضها، فسوف يدفع 2 طالن من الرصاص.

52. إذا ضرب رجل زانية وتسبب في إجهاضها، فسوف يصاب بنفس عدد الضربات ونوع الضربات: وبهذه الطريقة سيدفع على مبدأ الحياة مدى الحياة.

53. إذا أجهضت المرأة طفلها الذي لم يولد بعد، وتم توجيه الاتهام إليها وإدانتها، فيجب أن تُخضع للإساءة ولا تُدفن. إذا توفيت أثناء الإجهاض، فإنها (لا تزال) ستخضع للاختراق ولا يتم دفنها. إذا خبأتها امرأة عند الإجهاض، ولم تبلغ الملك بذلك..........

54. فتيات عبدات........... ليس هناك...........

55. إذا قام رجل باغتصاب ابنة رجل آخر، فقد خذلها (كانت تعيش في منزل والدها، ولم يكن مخطوبًا، ولم يتم اختراق غشاء البكارة لها ـ لأنها لم تكن متزوجة)، ولم يدعي أحد في منزل الأب، على الأب أخذ زوجة المغتصب والسماح له باغتصابها، والاحتفاظ بها، وعدم إعادتها إلى زوجها. لا يهم ما إذا كان الاغتصاب (الأصلي) في المدينة أو البلد المفتوح أو الليل في الشارع أو في مخزن الحبوب أو في مهرجان المدينة. قد يعطي الأب ابنته المغتصبة لمغتصبها. إذا لم يكن للمغتصب زوجة، فعليه إعطاء «الثلث» من الفضة (سعر البكارة أو البكورية) لأبيها. ثم يتزوجها مغتصبها، ولن يُسمح له بتطليقها. إذا كان الأب لا يوافق على <الزواج> فيُمنح «الثلث» بالفضة بسبب عذريتها، ويعطيها لمن يريد.

56. إذا أعطت العذراء نفسها للرجل (طواعية)، يجب عليه أن يقسم بهذا المعنى وأن زوجته تتركه وحيداً. وعلى هذا المغوي إعطاء «الثلث» (سعر البكورية) من الفضة والأب يعامل ابنته كما يريد.

57. هل هو الضرب............ [من] امرأة متزوجة، كما هو منصوص عليه في القانون، ينبغي أن يتم ذلك في وجود القضاة.

58. في جميع العقوبات، من تمزيق الحلمات، إلى قطع (أنف أو أذنين أو أصابع) للمرأة المتزوجة، ينبغي استدعاء الكاهن؛ يجب أن يتم ذلك على النحو المنصوص عليه في القانون.

59. بخلاف العقوبات المقررة على زوجة الرجل، يجوز للزوج أن يضرب زوجته، أو يسحب شعرها، أو يشوه ويلوي أذنيها، <عندما تستحق ذلك>. لا يوجد أمر ضد هذا.

*اليوم الثاني من شهر (شا ـ سارات) وهو مسمّى ساجيو (خلال حكم تجلات ـ بلاصر) لآشوريا (القرن الثاني عشر قبل الميلاد).

# المبحث الثالث: مظاهر من الحياة القانونية الآشورية

أولاً: المرأة

كانت القوانين الآشورية تعامل المرأة بقسوة مفرطة، وكانت حقوقها مرهونة بالرجل في حياتها سواء كان أباً أو زوجاً أو ابناً، من ناحية أخرى كان وضعها هشاً ومستخدماً لغايات سياسية واجتماعية ودينية. التبرير الأيديولوجي لمثل هذه النظرة التشريعية والإجتماعية مبنيٌ على معتقد دينيّ شبه أُخرَوي على اعتبار المرأة مصدر شرّ وأذى يستوجب السيطرة عليه، ولا تتمتّع النساء بحقوق واسعة، والنساء أكثر عرضة للإستغلال من قبل من يرعاهنّ، لكن المرأة الآشورية لم تقبل بكل هذه القيود وسعت لتثبيت حقوقها ومحاولة رفعتها الاجتماعية.

«ومن الأمور المميزة في التشريع الاشوري أنه يحط من منزلة النساء اللاتي فقدن الكثير من حقوقهن مقارنة بالتشريعات السابقة له، إذ منح المشرع الآشوري الزوج الولاية على زوجته وسمح له أن يعفو عنها إذا أراد أو يطبق عليها بنفسه أقسى العقوبات البدنية من صلم وجدع وضرب (المادة 4). ومن أغرب وأقسى العقوبات في حق المرأة، تلك المادة التي تنص على تسليم زوجة مغتصب للدعارة وألا تعاد إليه (المادة 55)، فعقاب المغتصب يكون في زوجته حتى يشعر بالعار والعذاب، فالمرأة هنا تعاقب على جريمة لم ترتكبها.» (سليم 2010: 41).

ثانياً: الشهادة

ورد مصطلح الشهادة في المعاجم اللغوية ومايقابلها باللغة الأكدية بالصيغة الآتية: (بالسومرية جي إيناتا، شيبوتي بالأكدية) وترد أحياناً (نامابّا بالسومرية، شيبوتو بالأكدية) «بمعنى: «شهادة» أي أن التعبير عن الشهادة في اللغة الأكدية يرد بالمفردة شيبوتم

Sibutum وهو اسم معنوي مشتق من شيبم Sibum بمعنى:: مسن» أو «شاهد». وقد تكتب المفردة مقطعياً وأحياناً ترد مكتوبة بالعلامة الرمزية إيكَي IGI مع النهاية الصوتية أُتُ utu، ايكي ـ أ ـ ت IGI-u-tu » (العبادي 2011: 12).

لكن الشهادة عندما تكون متعلقة بالعرض والشرف تكون قاسية جداً وينال شاهد الزور عقاباً يصل إلى الإعدام، «أما القوانين الآشورية الوسيطة فقد اعتمدت على الشهادة في القضايا الجنائية فإذا كانت الكتابة هي الطريق المادي للإثبات في القضايا المدنية، فالشهادة هي الوسيلة الرئيسة للإثبات في القضايا الجنائية. وقد أشير للشهادة فيها كطريق إثبات مستقل. فالمادة الثانية عشر تتحدث عن حالة اغتصاب رجل لامرأة متزوجة، فإن أيد ذلك الشهود، حُكمَ على المغتصب بالموت، ونصّت المادة على الآتي: «إذا مرت زوجة رجل في الشارع ومسكها رجل (و) قال لها: لأنام معك، (و) لم توافق وحمت (نفسها)، ومسكها بالقوة (و) وضاجعها، يقتلون الرجل سواء وجد فوق زوجة الرجل أو أن شهوداً اثبتوا بأنه ضاجع المرأة، ولا خطيئة لتلك المرأة.» (العبادي 2011: 35).

الشهادة المكتوبة أفضل من الشهادة الشفاهية، لأنها تكون بمثابة الحجة المدونة في حالة أي تغيير يجري لاحقاً على نصها الشفاهي، ولذلك كان تدوين الشهادات ضرورة قصوى في المحاكم، حيث «لا يعترف بالتصرفات القانونية ما لم تكن محررة ومشهوداً عليها وتعد شهادة الشهود هي المعول عليها في الجرائم الجنائية كجريمة اغتصاب رجل لامرأة متزوجة، كما ورد في القوانين الآشورية.» (العبادي 2011: 134).

يكون الشهود من الرجال والنساء البالغين، ويفضل من تكون سيرته معروفة ومشهود لها بالصدق، وأحياناً كان الآلهة في العصر الآشوري القديم من بين الشهود ويكونون على لسان الكاهن المسؤول عن معبدها، «كان أصناف الشهود من الآلهة أو البشر وفي حالة وجود كلا الصنفين في معظم النصوص سواء في القوانين المدونة أو النصوص الأخرى، غالباً ما يقدم اسم الإله على اسم الشخص وفي معظم العصور وتحديداً في العصر البابلي القديم، في

حين لا يوجد أية إشارة واضحة لوجود أسماء الآلهة من بين الشهود من العصر الآشوري الحديث.» (العبادي 2011: 134).

ويبدو أن اتخاذ الآلهة شهوداً جاء من تقاليد بابلية قديمة تأثر بها الآشوريون، لكنها بدأت بالإختفاء مع العصرين الآشوريين الوسيط والحديث، «ومن الملاحظ ومن خلال مراجعة العديد من النصوص المسمارية الآشورية الخاصة بالعقود على اختلافها فضلاً عن وصولات الاستلام والتسليم والمذكرات والرسائل وكذلك القوانين الآشورية الوسيطة عدم وجود أي نص يرد ذكر أحد الآلهة في ثبت الشهود بل كان الشهود من الأشخاص فقط وخصوصاً من الذين يشغلون مناصب إدارية رسمية أو دينية في المملكة فضلاً عن الأشخاص العاديين. وربما كان ذلك نتيجة تمسك البابليين بالآلهة وإشهادهم على العقود أكثر من الآشوريين. وفيما يخص الصنف الثاني من أصناف الشهود وهم الأشخاص، فغالباً ما يرد ذكرهم في القوانين العراقية القديمة بصيغة الجمع. وأحياناً بصيغة المفرد. أما في العقود وعلى اختلاف أنواعها وفي مختلف العصور فيرد أسماء الأشخاص من الشهود غالباً في نهاية العقد مسبوقة بالعلامة السومرية ايكي IGI للإشارة إلى اسم الشاهد الأول فقط، أما بقية الأسماء فكانت ترد مسبوقة بالعلامة الدالة على الأشخاص ديش Dis وهذا ما ورد في العديد من النصوص » (العبادي 2011: 88 ـ 89).

كانت المحاكم تشجع وجود عدد كبير من الشهود، فكلما كثروا زاد وزن الحقيقة، وكان الحد الإدنى للشهود هو وجود شاهدين، «أن عدد الشهود في العقود على أنواعها وفي مختلف العصور لا يقل عن شاهدين، وفي حالات نادرة شاهد واحد، وقد يصل أحياناً إلى أكثر من خمسين شاهداً، إذ ليس هناك قاعدة ثابتة في القوانين المدونة أو العقود لعدد الشهود اللازمين لإثبات أي من الوقائع أو التصرفات القانونية. أما عدد الشهود أمام القضاة لا يقل عن شاهدين أيضاً وينحصر بين (2-5) شهود وقد يصل أحياناً إلى أكثر من أحد عشر شاهداً.» (العبادي 2011: 135).

ثالثاً: القذف

يعتبر القذف والتشهير جريمة يحاسب عليها القانون الآشوري، فقد كان المجتمع الآشوريّ محافظاً ولايسمح بالتشهير والسب والشتم، ولذلك نرى أن هذه الجريمة تتدرج في عقوباتها، وينصّ القانون على درجات العقاب، «مفروضة على القاذف إن ظهر كذب ما قاله وبرأ الغير الزوجة المقذوفة بشرفها وهذا يعني فتح المجال لأي من يريد الإساءة إلى غيره أن يقذف بزوجته إذ لا عقوبة عليه أن ظهر غير ذلك وهذا ما تجنبته القوانين القديمة بعامة إذ فرضت عقوبات قاسية على كل من يتهم غيره بجريمة ما ولم تثبت عليه وقد تصل عقوبته، كما في قانون حمورابي، إلى القتل ومصادرة البيت إن كانت التهمة الموجهة إلى الغير خاصة بجريمة قتل. أما المادة 18/ 1 من القوانين الآشورية ذاتها فهي أكثر وضوحاً إذ تنص صراحة على عقوبة القاذف الذي لا يستطيع إثبات التهمة التي رمى بها زوجة رجل آخر، فقد نصت: إذا قال رجل لجاره سراً أو في مشاجرة (أن الناس) يضاجعون زوجتك، أقدر أن أثبت عليها، طالما لا يقدر على إثبات (ذلك) عليها (أو) لم يثبتوا (ذلك) يضربون ذلك الرجل 40 جلدة بالسوط ويعمل في خدمة الملك شهراً كاملاً ويقصون شعره ويدفع وزنة رصاصاً. فعقوبة القاذف هنا واضحة وهي الجلد والخدمة مدة شهر وقص الشعر بأسلوب معين ودفع كمية من الرصاص، وهي عقوبة مشابهة لما ورد في المادة 127 من قانون حمورابي آنفة الذكر والمنصوص عليها على من يقذف المحصنات وقد استخدم الكاتب صيغة من المصدر الأكدي (جدام Gadamu للدلالة على قص الشعر، شعر الرأس أو اللحية، ربما بطريقة خاصة كنوع من طرق التشهير بالقاذف سيما وأن قص الشعر بأسلوب معين قد يكون علامة العبودية وكذلك قص اللحية في العصور الآشورية. أما المادة الأخرى ذات العلاقة بالقذف، وهي المادة 19/ 1، فهي مشابهة للمادة السابقة لها من حيث الخطوط العامة والعقوبة المفروضة إلاّ أنها تختلف عنها في شخصية المقذوف، إذ نصت: «إذا بث رجل الشائعات ضد جاره في السر قائلاً: (أن الناس) يضاجعونك، أو أنه قال له في مشاجرة أمام آخرين: (أن الناس) يضاجعونك، سأثبت (ذلك) عليك، طالما لا يقدر إثبات (ذلك) عليه ولم يعرفه، يضربون ذلك الرجل 50 جلدة بالسوط ويتم خدمة الملك شهراً كاملاً ويقصون شعره (و) يدفع وزنه رصاصاً. »(سليمان 2011: 18).

رابعاً: السحر والسحرة

كان السحر موجوداً في آشور، بل كان بعض رجال الدين من الأشيبو يمارسونه ولم يكن القانون يحرّمه لأنه سحر أبيض لاضرر منه ويسعى للعلاج الطبي والنفسي وطرد الأرواح الشريرة، أما السحر الأسود فقد كان يعاقب القانون عليه، ولذلك كان مصطلح، السحر في القوانين، يعني السحر الأسود فقط.

«وزادت على ذلك القوانين الآشورية الوسيطة بمعاقبة من يقوم بصنع أدوات السحر بالقتل، وفرض على كل من يرى أو يسمع بذلك بالتقدم للملك وإلى المحكمة بشهادته مع أداء القسم بذلك وهو ما ورد بالمادة (47) من القوانين أعلاه: «عقوبة ممارسة السحر وصنع أدواته القتل.. على كل من يرى أو يسمع بذلك أن يتقدم إلى الملك وإلى المحكمة بشهادته ويقسم اليمين على ذلك». وقد عزى إلى السحرة الذين أغلبهم من النساء، بدليل كون معظم التعاويذ موجهة ضدهنَّ سيجلب الكثير من الأمراض والشرور. وكان السحرة الذين يسببون الأمراض والمآسي، بنظر العراقيين القدماء، كانوا بصورة عامة أجانب لأن السحر الرسمي كانت تشرف عليه الدولة وهو ديني غايته الخير، فالسحر العراقي غايته دفاعية وخيرة ولم يمنع القانون إلاّ الأسود منه الذي يستعمل للشر والأذى ليس إلاّ. » (الموزاني 2016: 533).

خامساً: المحكمة والقاضي والمحامي

رغم أن وادي الرافدين شهد ظهور القضاء والمحاكم في وقت مبكر لكن اصطلاح المحكمة ظل مرتبكاً على الرغم من أن كلمة أور أو أورو والتي تعني المينة باللغة السومرية قد تدل عليها ولكن «لا يوجد مصطلح «المحكمة» بالأكدية ولا بالسومرية بالمعنى المتعارف عليه في الوقت الحاضر، ولم يتم تعيين هيئات متخصصة لتقوم بعمل السلطة القضائية أو تنظيم المرافعات والإجراءات القانونية. وهذا يعني أنه لا توجد جلسات دائمة ومنتظمة للقضاء وإنما هناك اجتماع للقضاة والحرفيين الذين يشكلون سلطة قضائية مؤقتة لحسم الكثير من الأمور. وتذكر بعض الألواح وجود محل خاص بمحاضر الجلسات ويضم هذا

المجلس ممثلين عن المواطنين من القدماء والكبار والحكماء المؤهلين لحسم القضايا المدنية والجنائية وكذلك السياسية والإدارية. وهنا لا يمكننا القول أن ذلك يشكل محكمة بالمعنى الدقيق للمصطلح وإنما هيئة مشكلة من قبل السلطة المحلية وتمتلك اختصاصات قانونية. وتعقد هذه المحاكم جلساتها في أماكن مختلفة لأنه لم يرد أي ذكر لذلك في الشرق الأدنى القديم وتوضح هذه الخاصية وبكل بساطة غياب الفصل بين السلطات من الناحيتين النظرية والعملية.» (لافو 2014: 7).

في حين أن كلمة (ديّانو) كانت تشير إلى القاضي وهو الديّان والتي أصبحت مصدر اشتقاق كلمة (دينو) أي (الدين) العربية، «فقد ورد ذكر القضاة في اللغة السومرية (Du - KUs) وباللغة الأكدية (dayyanu) كما ورد ذكرهم في قوانين حمورابي (1792 ـ 1750 ق.م) إذ تعاقب المادة الخاصة من هذه القوانين القاضي الذي يرتكب الخيانة في وظيفته وذلك بعزله عن موقعه في وظيفة القضاء. فقد نصت هذه المادة على ما يأتي: «إذا حكم قاضي في قضية وأصدر قراراً وأثبته في رقيم مختوم وغير في حكمه بعد ذلك سوف يثبتون على القاضي تغيير الحكم الذي أصدره ويدفع غرامة قدرها (12) ضعفاً للغرامة التي تطلبتها القضية ويتم طرده من كرسي القضاء في المجلس ولن يعود ولن يجلس مع القضاة في أية قضية أخرى» «فقد ورد ذكر القضاة في اللغة السومرية (Du - kus) وباللغة الأكدية (dayyanu) كما ورد ذكرهم في قوانين حمورابي (1792 ـ 1750 ق.م) إذ تعاقب المادة الخاصة من هذه القوانين القاضي الذي يرتكب الخيانة في وظيفته وذلك بعزله عن موقعه في وظيفة القضاء. فقد نصت هذه المادة على ما يأتي: «إذا حكم قاضي في قضية وأصدر قراراً وأثبته في رقيم مختوم وغير في حكمه بعد ذلك سوف يثبتون على القاضي تغيير الحكم الذي أصدره ويدفع غرامة قدرها (12) ضعفاً للغرامة التي تطلبتها القضية ويتم طرده من كرسي القضاء في المجلس ولن يعود ولن يجلس مع القضاة في أية قضية أخرى» (لافو 2014: 5).

أما المحامي فقد وجدت صيغة آشورية له وهي (رابيسوم) «فقد تم توثيقهم في النصوص المسمارية، وهناك مايثبت وجود وكيل الدعاوي (Rabisum)، التي على مايبدو كانت

موجودة في العصر الآشوري القديم، ويتم تكليف هذا الشخص بإجراءات المرافعة باسم صاحب القضية، ويتم تعيينه من قبل السلطات العامة أو أن يتم تجنيده من قبل أحد الأفراد الذي يقوم بتثبيت المبلغ الذي تسلمه. «لافو 2014: 5).

سادساً: أحكام الموت

كثرت أحكام الموت في القوانين الآشورية، فقد كانت طبيعة الشخصية الآشورية تميل إلى القسوة، واذا كنّا نعيب على بعض قوانين حمورابي قسوتها، فلاشك أن هذا يزداد بأضعاف على القوانين الآشورية، وكانت مثل هذه الأحكام تشمل قطاعات واسعة من الجرائم، ففي القوانين الآشورية «كان الإعدام بحق من يغتصب امرأة متزوجة سواء ضبط متلبساً بالفعل أم ثبت عليه بشهادة الشهود كما جاء بالمادة (12): «إذا مرت زوجة رجل في شارع «عمومي» ومسكها رجل وقال لها: «دعيني أضاجعتك» فإذا رفضت ودافعت عن نفسها بغيرة وحماس، غير أن الرجل أخذها بالقوة وضاجعها فإذا شاهدوه يضاجع المرأة أو أن شاهداً أيد مشاهدته... فعليهم أن يقتلوا هذا الرجل.. المرأة لا عقاب عليها، ولم يوضح المشرع ماذا يقصد بالمرأة المتزوجة؟ هل هي التي ما زالت في دور الزواج الناقص (الخطوبة) والتي لم يدخل بها أم غير ذلك؟ وربما يقصد كل امرأة سواء متزوجة كانت أم لا. وكانت الخيانة الزوجية من قبل الزوجة تُعد من الجرائم المخلة بالشرف على مر التأريخ، لذلك كانت عقوبتها الإعدام، حفاظاً على النسيج الاجتماعي للأسرة ولأجل حفظ كيان الأسرة من الانهيار وحفظ الأنساب، لقد كانت عقوبة الخيانة الزوجية الإعدام في قانون أورنمو، فقد ورد في المادة (4) منه، القتل عقوبة للزوجة التي تغوي رجلاً بمفاتنها لتجعله يضاجعها، مع أعفاء الرجل من أي ملاحقة قانونية، ولكن المشرع منح هذا الحق للزوج فهو صاحب القرار في تنفيذ القتل بزوجته أو العفو عنها» إذا أغوت زوجة رجل بمفاتنها رجلاً آخر بحيث أنه ضاجعها «فللزوج الحق» في أن يقتل المرأة «زوجته» ولكن يجب إطلاق سراح الرجل... ولعل إعفاء الرجل من العقوبة هنا على أساس أن المرأة هي التي استدرجته وليس العكس، ومن ثم فليس بمقدور الرجل مضاجعة امرأة بدون موافقتها.» (الموزاني 2016: 528).

كان نصيب المرأة واسعاً من أحكام الموت، وكانت توضع في منطقة الإتهام في كثير من الأحيان، بل كانت تلفق لها جرائم قد لاتكون لها يد فيها كالإجهاض، خصوصاً عندما يكون زوجها على خلاف معها، فيكون القانون حجة للتخلص منها، حيث «عدت القوانين الآشورية قيام المرأة بإجهاض نفسها جريمة يحاسب عليها القانون فقد جاء في المادة (53) الموت عن طريق الخازوق، مع عدم دفنها... إذا ثبت عليها عوقبت بالتوتيد «الخازوق» ولا يجوز دفنها..» كان عدم الدفن يعد من العقوبات القاسية جداً بحيث تلك المرأة طبقاً للفكر الفلسفي الديني العراقي القديم، فلأجل أن تعبر الأرواح إلى العالم السفلي يجب أن تعبر نهر ذلك العالم وتستقر فيه، عن طريق دفن الجثة وبعكس ذلك وعدم تقديم القرابين وإقامة الشعائر فإن شبح الميت يبقى هائماً بين الأحياء، ولن تستطيع روحه عبور هذا النهر، وحتى في حال وفاتها أثناء إجهاض نفسها فإن القانون يعاقبها حتى وهي ميتة من خلال تمثيل حالة الإعدام على الخازوق وعدم الدفن كما جاء في المادة المتقدمة نفسها: إذا ماتت أثناء الاجهاض فإنها توتد ولا تدفن» كما كان اجهاض المرأة التي ليس لديها أولاد هو إعدام المتسبب في ذلك حتى لو كان الجنين أنثى كما نصت المادة (50) على ذلك: «إذا لم يكن للمجني عليها ابن وضربها رجل، وتسبب في أجهاضها يقتل الجاني، حتى ولو كان الجنين أنثى» إن قساوة العقوبة والطابع المثير للاشمئزاز في تطبيقها يدلان على مدى الخطورة التي كان يتسم بها فعل الاجهاض عند الآشوريين، وهذا يخالف جميع مواد قوانين بلاد الرافدين بما يتعلق بحالات الاجهاض والتي أكتفت تلك القوانين بالتعويض المادي عوضاً عن القصاص.» (الموزاني 2016: 527).

تمارس القسوة والتهم ضد المرأة في حالات أخرى مثل الكذب والسرقة «ويتضح من خلال المادة (3) من القوانين الآشورية: «فإن سرقت الزوجة من زوجها أثناء مرضه أو وفاته ثم سلمت المسروقات إلى شخص آخر فإن عقوبتها وعقوبة من تسلم منها المسروقات هي الموت. أما إذا سرقت من زوجها وهو على قيد الحياة فعلى الزوج أن يقيم اتهامه ضدها، ويوقع عليها العقوبة المناسبة وتوقع العقوبة نفسها على من تسلم المسروقات منها بعد أن تعاد المسروقات إلى الزوج» انتشار ظاهرة سرقة الزوجات لأزواجهنَّ المرضى أو المتوفين،

مما جعل المشرع الآشوري يحكم بالموت عليهنَّ وعلى كل من استلم تلك المواد المسروقة منهن، على اعتبار أن الزوجة استغلت حالة المرض أو الموت لزوجها فاستغلت حالة الضعف لزوجها وهو مريض، فضلاً عن أن ذلك العمل يعد ضياعاً لحقوق ورثة المتوفي. ونلاحظ أن هذه العقوبة مشابهة للمادة (6) وربما هذا الاختلاف ناشيء من طبيعة كل عصر وانتشار جرائم سرقات معينة.» (الموزاني 2016: 532).

لابد من عدم التسرع في إصدار أحكامٍ قطعية في موضوع أحكام الموت الآشورية، ولابد من عدم تبرير بعضها أو إدانتها بعجالة، فقد كانت القوانين شديدة القسوة كلما اتجهنا نحو الماضي الآشوري، وبدأت تقل مع تقدم الزمن، وهذا الحال يشبه ماحصل مع قوانين حمورابي في بابل عندما رفعت وخففت أحكام الموت والعين بالعين والسن بالسن مع الزمن وأصبحت التعويضات المالية بديلاً عنها.

لخص الباحث زيدان خلف الموزاني طرق تنفيذ العقوبة والحكم تبعاً لطبيعة الجريمة عند الآشوريين، على النحو الآتي:

«ـ **الموت ضرباً بالحجارة**: وكانت في حالة زواج المرأة بأكثر من زوج في آن واحد.

ـ **الإلقاء في النهر**: وقد طبقت في حالات زوجة الأسير التي تدخل بيت رجل آخر ولديها ما يكفيها من الطعام الذي يجعلها تعيش بكرامة طيلة مدة غيابه. وفي حالة الزوجة التي لا تحترم زوجها ولا العلاقة التي تربطهما ولا تعترف بزوجها. وفي حالة تحايل وغش بائعة الخمر وإيوائها لأشخاص مطلوبين للقانون.

ـ الربط والإلقاء في النهر: طبقت في بعض حالات الخيانة الزوجية، وحالة زنا والد بزوجة أبنه بعد الدخول بها.

ـ **الموت عن طريق الخازوق**: وطبقت في حالة التآمر الذي تقوم به زوجة رجل بحق زوجها فتؤدي إلى مقتل زوجها لأجل عشيقها.

ـ الموت عن طريق الخازوق وترك الجثة بدون دفن: وتستخدم هذه العقوبة ضد المرأة التي تقوم بإجهاض نفسها خلال العصر الاشوري، وتعد هذه من العقوبات القاسية جداً طبقاً للفكر الفلسفي الديني لبلاد الرافدين.

ـ **الموت حرقاً**: في حالة الاتصال الجنسي للولد مع أمه، وارتياد كاهنات (الناديتوم والايتوم) لحلقات الخمرة للشرب أو للمتاجرة بها، وكذلك لمن سرق من بيت تبرع في إطفاء حريق شب فيه.

ـ **الموت مع تعليق الجثة أمام باب البيت**: مع الذي يخدع الحلاق فيجعله يغير علامة العبودية لأحد العبيد الهارب من سيده.

ـ **الموت مع دفن الجثة في داخل الجدار**: وطبقت بحق اللص الذي يحدث ثقباً في جدار البيت لسرقته.

أما **عقوبة قطع اليد** فقد نفذت في أربع حالات من الجرائم:

ـ اعتداء ابن بحق أبيه من خلال قيام الولد بصفع أبيه.

ـ موت شخص من طبقة الأحرار أو إتلاف عينه نتيجة إهمال الطبيب الجراح.

ـ ارتكاب حلاق بتغيير علامة العبودية لعبد هارب.» (الموزاني 2016: 537 ـ 538).

يعكس تطبيق الموت بهذه الطرق، عنفاً وقسوة لا نظير لهما، ويضعنا أمام تساؤل جديّ لابد أن نفرق فيه بين القانون من أجل العدالة والحياة والقانون من أجل القصاص والموت، للأسف كان الآشوريون يميلون للقصاص والموت، ومثل هذا التوجه في تطبيق القانون سيدمّر المجتمع ويقضي عليه.

سادساً: العنف الحربي

أول من استخدم العنف سلاحاً من أسلحة الدولة في آشور هو الملك تجلات بلاصر الأول الذي صدرت المدونة القانونية في عهده، وكان قد جاء من مرحلة تفككت فيها آشور وانهارت وأراد أن يجعلها تنهض ويُرعب أعداءها المحيطين بها فزرع الخوف عند رعاياه وأعدائه على السواء.

واستمر تقليد العنف وإشاعته إعلامياً بعده، وكانت تتباهى حوليات آشورناصربال الثاني، المعروف كمؤسّس للإمبراطورية الآشورية الجديدة، بالفظائع التي ارتكبها بحق السجناء، مثل قطع ألسنتهم وأقدامهم وأياديهم وآذانهم وأنوفهم وشفاههم، بل ذهب للقول والإدعاء، إعلامياً، من خلال الرسومات بمثل هذه الأفعال.

ظهرت صور العنف كعناصر فاعلة للظاهرة الاجتماعية للحرب المقدسة، في سياق عملية بناء إمبراطورية محاربة تحت أجنحة الإله آشور تتجسد في اتجاه مزدوج: أوله من خلال العلاقة بين العنف البصري والنوع المحدد من التوسع الآشوري؛ وثانيه من خلال طبيعة الطقوس القتالية الدينية التي تجسدها الفنون البصرية.

لم تكن بالضرورة أفعالاً حقيقية وقعت بل هي حرب نفسية مدروسة الهدف منها ترهيب الأشخاص. وقد كانت لهذا الترهيب قيمة عسكرية وسياسية كبيرة جعلت من الإمبراطورية الآشورية بقوتها التي شاعت عنها. ولم يجرؤ أحد الوقوف في وجه الجبروت العسكري لبلاد «كان المرؤوسون يفكّرون ملياً قبل اتخاذ القرار بالتمرد، وكان الأعداء ينهارون ويستسلمون في مرحلة مبكرة أملاً في أن يلقوا معاملة أكثر تساهلاً. يرد في حوليات الملك الآشوري سرجون الثاني (722-705 ق.م.) أنه خلال حملة واسعة شنّها ضد مملكة أرارات الواقعة عند حدوده الشمالية، شعر السكّان بذعر شديد إلى درجة أنهم لم يحاولوا المقاومة، وقد تخلّى عدد كبير من القوات التابعة لمملكة أرارات عن ثكناتهم مع تقدّم الجيش الآشوري باتجاهها.» (باين 2017:: المرأة والأصولية والإرهاب: أصداء من بلاد آشور القديمة، ترجمته عن الإنكليزية نسرين نادر، موقع بيروت الشرق الأوسط).

سابعاً: الدين السياسي (الدين في خدمة الدولة)

وجد الآشوريون في ديانتهم مسوغاً لهذا العنف بما يمكن وصفه باللاهوت السياسي. فقد استلهموا من أسطورة الخليقة (إينوما إليش) ما فعله مردوخ بتيامت من تمزيق لجسدها ووجدوا أن النظام لايخلق من الفوضى إلا بالعنف، لكن الغريب في الأمر أنهم نزّهوا آشور إلههم القومي من مثل هذا الفعل رغم أنه كان موازياً لمردوخ.

كان الملك الآشوري يتشبّه بآشور وليس بمردوخ، فمن أين جاءته هذه القسوة؟ ومن من الآلهة كان يمنحها له إن لم يكن آشور. ولايمكن، بطبيعة الحال، أن يكون مردوخ ملهماً لهم لكونه بابليّ الأصل! إذن ماهو المصدر المثولوجي اللاهوتي الذي أسس الدين السياسي عندهم وبرر العنف؟

وجهة نظرنا تقول أنه (ننورتا) الذي كان إله الحرب والعاصفة والعنف، والذي أصبح في العصر الآشوري الحديث وكأنه الإله الأقرب لسياسة الملوك، فمن بطشه يستمدون القوة، ولذلك جعلوا تماثيله ونقوشه البشرية والحيوانية تملأ القصور والمعابد ومداخل المدن، وكان رمز النسروخ الآشوري هو ننورتا صاحب الرأس الصقريّ الجبار والذي ينقضُ طائراً بأجنحته على أعدائه.

لم يجد الآشوريون في أصولهم القومية مبرراً للسياسة العنيفة الجبارة بل فرضوا ذلك من خلال دينهم وإلههم الشرس هذا، فهم لم يتعالوا عرقياً على أعدائهم، ولم يهجّروهم من بلدانهم ليحتقروهم ويجعلوا منهم عبيداً بل منحوهم الجنسية الآشورية (آشورايا) وعاملوهم وفق قانون الحقوق والواجبات وليس وفق عقيدة عنصرية. (أنظر باين 2017)، المرأة والأصولية والإرهاب: أصداء من بلاد آشور القديمة، ترجمته عن الإنكليزية نسرين نادر، موقع بيروت الشرق الأوسط، (2017). تاريخ الاطلاع 20 / 4 / 2020 رابط الموقع:

https://lb.boell.org/ar/2017/02/15/lmr-wlswly-wlrhb-sd-mn-bld-ashwr-lqdym#_edn2

# المبحث الرابع: النظام الإداري الآشوري

Assyrian administrative system

ظهر نضج النظام الإداري الآشوري في العصر الإمبراطوري، أي في العصر الآشوريّ الحديث «وكانت هذه الإمبراطورية تستمتع بقسط من الحرية، فقد احتفظت مدنها الكبرى بحظ موفور من الحكم الذاتي المحلي، كما احتفظت كل أمة فيها بدينها، وقوانينها وحاكمها، ما دامت لا تتوانى عن أداء الجزية المفروضة عليها. ومن شأن هذا النظام المفكك أن يؤدي كل تراخ في سلطته المركزية إلى الثورات الشعبية أو في القليل إلى بعض التراخي في أداء الجزية، وكان لا بد والحالة هذه من إعادة فتح البلاد المرة بعد المرة. وأراد تجلات بلاصر أن يتحاشى خطر هذه الثورات المتكررة فوضع تلك السياسة التي تمتاز بها آشور على غيرها من الأمم وهي نقل أهل البلاد المفتوحة إلى بلاد أخرى بعيدة، يمتزجون فيها بسكانها الأصليين امتزاجاً قد يفقدهم وحدتهم وكيانهم، ويقلل الفرص السانحة لهم للعصيان. على أن هذه الخطة لم تمنع اندلاع لهيب الثورات؛ فاضطرت آشور بسببها إلى أن تكون مستعدة على الدوام لامتشاق الحسام. من أجل هذا كان الجيش أقوى دعامة للدولة وأهم مقوماتها، وكانت آشور تعترف اعترافاً صريحاً بأن الحكم هو تأميم القوة، ولذلك فإن ما لها من فضل على قضية التقدم إنما كان في فن الحرب. » (ديورانت2007: 272 ـ 273).

كان النظام الإداري في العصر الآشوري القديم، وهو النظام الإداري الأول للآشوريين، يتكون من تجمعات تتألف من زعماء القبائل وغيرهم من القادة الاجتماعيين، وكان النظام الملكي هو النظام الأكثر شيوعًا وسيطلق لقب ملك على رئيس الدولة أو ربما زعيم المدينة أو زعيم العشيرة!. ثم ظهر منصب الملك في العصر الآشوريّ الوسيط بطريقة راسخة وواضحة وأصبحت هناك تقاليد واضحة له. وازداد ارتفاعاً في العصر الآشوري الحديث وصار الملك (إمبراطوراً) وكان يسمى ملك الملوك أو ملك العالم (كما عند آشور بانيبال).

**السلطة الإقليمية Regional authority (Territorial power)**

تبع كل هذه التطورات نظام إداري خاص بكلٍّ منها، وكان الملك يحتل الجزء الأعلى من جهاز الدولة الواسع، وانخرط بشكل هائل ليس فقط في ممارسة السلطة ولكن أيضًا في تفويضها أيضًا عبر إمبراطورية تضم في بعض الأحيان مناطق وجزراً نائية مثل قبرص والبحرين. آلية الدولة بما في ذلك العديد من المسؤولين، من حكّام الولايات والموظفين البيروقراطيين والقادة العسكريين، الذين شكلوا هيئة إدارية واسعة والذين ذكرتهم الرسائل والتقاريرالآشورية الكثيرة.

«إذا جاز لنا أن نأخذ بالمبدأ الاستعماري القائل إن سيادة حكم القانون، ونشر الأمن، والتجارة، والسلم في العالم تبرر إخضاع كثير من الدول طوعاً أو كرهاً لسلطان حكومة واحدة، إذا جاز لنا أن نأخذ بهذا المبدأ كان علينا أن نقر لآشور بذلك الفضل الكبير، وهو أنها أقامت في غربي آسيا حكماً كفل لهذا الإقليم قسطاً من النظام والرخاء أكبر مما استمتع به هذا الجزء من الأرض فيما نعلم قبل ذلك العهد. ذلك أن حكومة آشور بانيبال التي كانت تضم تحت جناحيها بلاد آشور، وبابل، وأرمينيا وميديا، وفلسطين، وسوريا، وفينيقيا، وسومر، وعيلام، ومصر كانت بلا جدال أوسع نظام إداري شهده عالم البحر المتوسط أو عالم الشرق الأدنى حتى ذلك العهد.» (ديورانت 2007: 272).

كانت الولايات جزءاً من الدولة الآشورية إما مقاطعات شبه مستقلة أو تابعة. كلاهما كانا متعاونين ومخلصين ليس فقط من خلال الوسائل العقابية والعسكرية ولكن أيضًا من خلال الوسائل الإيجابية مثل الدعم في الحفاظ على السلطة ومن خلال القرب والاندماج مع الأسرة المالكة. كانت الروابط الأسرية أداة حاسمة للملك الآشوري في الحفاظ على الاستقرار.

**الولايات أو المحافظات: Provinces**

كانت تدار بشكل مباشر ومركزي من خلال حكام تم تعيينهم من قبل الملك الآشوري. لم يكن للمحافظين حق المطالبة بمكتبهم إلا من خلال الملك. غالبًا ما يتم اختيار الحكام من البلاط الملكي، ومع مرور الوقت تم تفضيل الخصيان كما كانوا في البلاط الملكي منذ الطفولة وليس لديهم طموحات كثيرة بعيداً عن السلطة الآشورية، كان ولاؤهم مضموناً.

تم تنظيم المناطق التي تم دمجها رسميًا في آشور كمقاطعات أو محافظات. كانت تحت السلطة المركزية الكاملة للملك. وعين الملك pahatu أو bel pihati لكل مقاطعة، والتي غالبًا ما يطلق عليها الحكام ولكن في الواقع تترجم بشكل أقرب إلى الوكلاء ـ كما هو الحال في وكلاء الملك. عندما صعد ملك جديد إلى العرش كان لديه نفس السلطة عليهم مثل سلفه. يمكنه استبدال أي حاكم حالي.

**الولايات التابعة: Vassals**

كان هناك (التابعون) والولايات التابعة التي كانت هذه تدار محليًا أكثر، وكان من المتوقع أن تنفصل أو تستقل. كان لديهم حكامهم المحليون الذين غالبًا ما كانوا مرتبطين بالأسرة الآشورية من خلال.من خلال مايسمى بال ( كيبو qepu ) وهو الممثل التابع للآشوريين والذي يرعى المصالح الآشورية ويبلغ عن ما يسيء لهم.

وكان الزواج الأسري يحقق ذلك أيضاً ويضع عيوناً للدولة في هذه الولايات التابعة.فالعلاقة بين الإدارة المركزية الآشورية وتوابعها تم ترسيخها وتعميقها عبر الأجيال. كانت الزيجات الأسرية في الأسرة الملكية الآشورية طبيعية، كما كان إبقاء أفراد عائلة الحاكم التابع في البلاط الملكي الآشوري. كان أفراد الأسرة هؤلاء أشبه بالرهائن، لكنهم تلقوا معاملة ممتازة وكان من المتوقع أن يكونوا داعمين لآشور عندما يعودون إلى منازلهم.

كان حكام التبعية مسؤولين عن مملكتهم أو دولة المدينة. أي أن الجزء الأكبر كان تحت الحكم المحلي. كان لديهم قدر من الإستقلالية، مثل القدرة على تمرير مكاتبهم عن طريق

الميراث. حضور وسلطة مندوبين من الملك. عُرف هؤلاء المندوبون باسم (كيبو) ومثلوا مصالح الآشوريين في حكومات الدول أيضًا مع الإدارة المركزية الآشورية.

كان التابعون خارج القلب الآشوري وأبعد من الإدارة المركزية. تعتبر جزر البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي مثل، قبرص وصور وأرواد والبحرين، بالإضافة إلى المناطق الجبلية في طوروس وزاجروس وبعض مواطن الصحراء العربية الشمالية، أمثلة على مناطق بعيدة تم التعامل معها على أنها تابعة. ومع ذلك، كانت هناك بعض التابعين ـ على سبيل المثال، مجموعة من القبائل الآرامية، أو دول المدن الميدية التي كانت قريبة جدًا من القلب ولكنها ظلت صعبة على الخضوع العسكري.

كان للحكام التابعين، سلالاتهم الخاصة وحافظوا على حكم وراثي. من عهد القرن التاسع فصاعدًا، كان المحافظون، في الغالب، هم من الخصيان الذين احتلوا مكانة عالية في السياسة الآشورية بسبب ولائهم المطلق للبلاط الآشوري وضمان استمراره. وكان التوابع يرأسون دولاً تعهد حكامها بالولاء للملك الآشوري. سيوقع حكامهم معاهدات وأقسموا للآلهة بأن دولهم ستتبع آشور (وكما سيرد في النصوص الآشورية حرفياً: ستربط عنقها بخشبة أو نير آشور) وهو مصطلح زراعي لا يعكس فقط السيطرة عليها وإدارتها من قبل آشور، ولكنه يحمل أيضًا عبئًا ويقدم مساهمات من العمالة أو الموارد المالية أو غيرها من الموارد التي كانت مهمة جدًا في سلّة الطموحات الآشورية.

كان لدفع الجزية والخضوع للملك الآشوري بعض الفوائد العملية للتابع. في حالة الإنتفاضات، كان من المتوقع أن تقف الإدارة المركزية الآشورية إلى جانبها وتقمع أي تهديدات أو مقاومة شعبية. ومع ذلك، في القرن الثامن، يمكن أن تصبح الحسابات التي تتعامل معها الإمبراطورية إلى جانبها معقدة للغاية لكل من الطبقة السائدة والقوى العاملة. نرى أنه في سوريا على وجه الخصوص، انشق العديد من التابعين من آشور وانضموا إلى أورارتو، التي كانت منافسًا رئيسيًا مع قلبها في المرتفعات الأرمنية.

كان هؤلاء هم كبار مسؤولي الدولة الآشورية، وعادة ما يبلغ عددهم حوالي 120. كان على الملك أن يثق بهم تمامًا ويعتمد على ولائهم المطلق. كانت وظائفهم ومسؤلياتهم متنوعة مثل كونهم (الممثلون الإقليميون للدولة في الولايات والتابعات، يصبحون كمحافظين لإدارة الحكم مباشرة، لمراقبة الكيبو في المحافظات التابعة، ندمان الملك الكبار، المشرفون على القصر.. الخ).

تكشف الرسائل بين الملك والوجهاء أن علاقته بهم وفرت لهم قدرًا كافيًا من الاستقلالية والمعاملة العادلة لإدارة شؤونهم بأمانة، وتفانٍ، وبولاء. كان هذا ضروريًا لضمان الحفاظ على الإمبراطورية الآشورية سيطرة فعالة على المناطق البعيدة، كان هناك قدر كبير من الثقة والاحترام المتبادلين بين الوجهاء والملك نفسه. بحيث يمكنهم التحدث بصراحة وبراحة مع الملك.

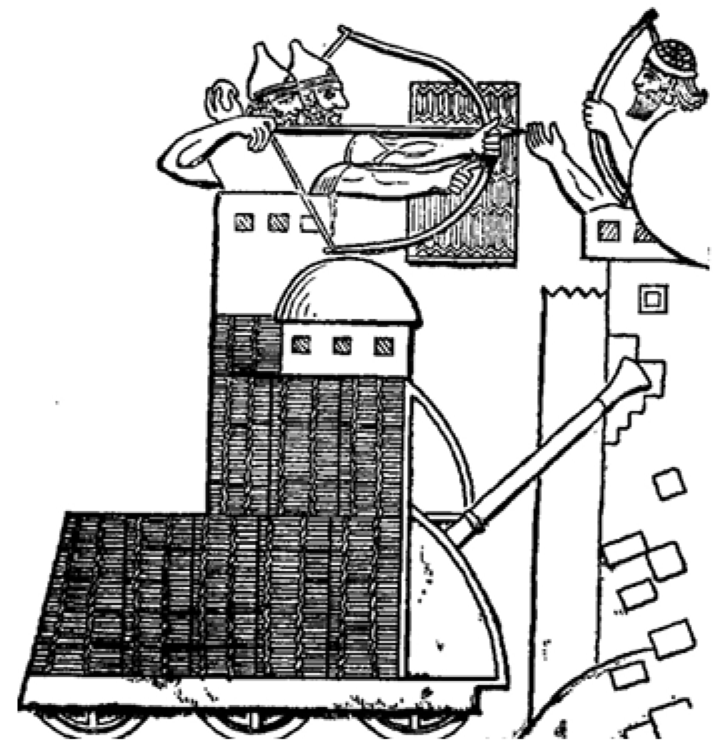
ابتداءً من القرن التاسع قبل الميلاد فصاعدًا، تغير تكوين هؤلاء الوجهاء. كان العديد مهم قد شغل المناصب خلال الوراثة، وكانوا ينتمون إلى عائلات نبيلة قديمة. ومع ذلك، من عهد الملك الآشوري آشوربانيبال تم استبدالهم بالبيروقراطيين المحترفين المتعلمين وبالخصيان، وكانت هذه ثورة إدارية تحسب للملك لانه استبدل رابطة الدم والوراثة بالكفاءة البيروقراطية.

**حاملو الختم الملكي Royal seal holders**

الختم الملكي هو الشارة الرسمية للإمبراطورية الآشورية، فعندما تحولت الدولة الآشورية من مملكة إلى إمبراطورية، حدث ابتكار: الختم الملكي، وتمّ تعيين مجموعة من الموظفين الأذكياء حمل كل واحد منهم هذا الختم الملكي ليستعمله في الأمور الرسمية للإمبراطورية. وسمح لهم التصرف نيابة عن الملك. هذا جعلها أداة قوية تزامن تنفيذها مع الحاجة المتزايدة لتفويض السلطة من الملك إلى مسؤوليه عبر مساحة شاسعة. كان مجرد امتلاك الختم كافياً لإصدار أوامر بدلاً من الملك، بالإضافة إلى أنه يمكن استخدامه في العقود أو الأوامر المكتوبة ـ فقد كان بمثابة تفويض ملكي كما لو كان من الملك نفسه. ومع

ذلك، أعطى الختم الملكي السلطة لحامله من خلال الملك فقط. كان لدى الوجهاء الكبار القدرة على استخدام الختم الملكي، لكنهم كانوا مجرد أدوات للملك. تم نقش الختم الملكي نفسه كختم ذهبيّ على شكل خاتم الإصبع. وقد صورت الملك يقتل أسدًا في قتال عنيف، يرمز إلى قوته وقوته في ترويض قوى الشر، وكانت الصورة معروفة في جميع أنحاء الإمبراطورية.

# الفصل الخامس: المظهر العسكري



## المبحث الأول النظام العسكري والأسلحة

أولاً: الهرم العسكري

توسّعت اختصاصات وتدرجات الجيش الآشوري بسبب تجربته العميقة والواسعة، فقد أصبح أكبر جيوش العالم على مدى ثلاثة قرون من إمبراطوريته الآخيرة، ويضم هرمه العسكري المراكز والرتب الآتية:

1. **الملك (أشاكم، شار، شرّوم)**: باعتباره القائد العام للقوات الآشورية، وكان هذا الجيش يضمّ ثلاثة تخصصات أساسية هي: المركبات الحربية والفرسان والمشاة. أما من حيث

القيادة، فيتكون من نوعين هما: «الفوج الملكي(كيشير شرّوتي) (kiṣir šarrūti) تحت قيادة الملك والقوات تحت سلطة حكام المقاطعات والأقطاب.

فالملك يقود الفوج الملكي الذي هو طليعة الجيش الآشوري والذي يقود القوات المسلحة العامة من الجيش والشرطة. وكان على الملك مواصلة دوره القيادي الواقعي في تنفيذ الأعمال البطولة الشخصية والتي لم يكن الهدف منها إثارة إعجاب الجمهور. وهناك رسالة من أحد مسؤولي تيجلاث بلاصر تعبر عن توقعه أن الملك يجب أن يرتقي إلى مستوى التحدي المتمثل في مهاجمة القلعة الجبلية شخصيًا بوروسبا، عاصمة مملكة أورارتو، وهي الدولة المنافسة الآشور في ذلك الوقت.

**2. الرتب العسكرية العليا:** والتي تشمل

أ. القائد العام للجيش (تورتان)

ب. كبير السقاة (رابشاقا)

ج. منادي القصر (ناقر إيكّالي)

د. المسؤول المالي(أبريكو)

**3. الرتب العسكرية الدنيا:** والتي تشمل

أ. كبير الضباط (راب موكي)

ب. قائد السرية (راب كيصر)

ج. كبير الأطباء (راب آسي)

د. رئيس الجوق الموسيقي (راب زماري)

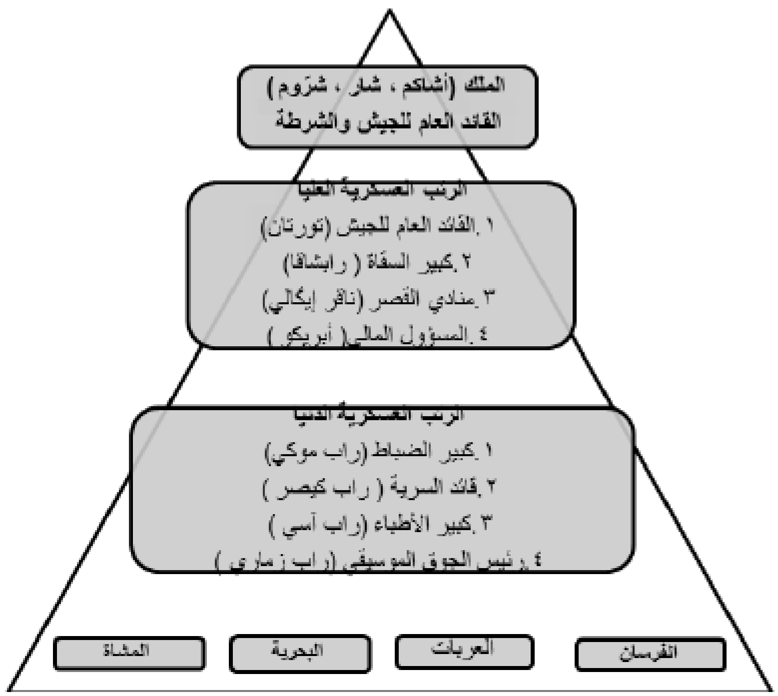
4. الأصناف العسكرية: والتي تشمل

ا. صنف الفرسان

ب. صنف العربات

ج. صنف البحرية

د. صنف المشاة




## الهرم العسكري الآشوري

التورتان بين قيادة الجيش ورئاسة الوزراء:

أعلى رتبة في الجيش الآشوري هي «الترتانو» رئيس أركان الجيش، وهو على غرار رتبة «الشاكينا» خلال الالف الثالث قبل الميلاد، وكان له بديل يسمي «ترتانو شو»، أي (الترتانو

الاخر) ينوب عنه في حالة غيابه أو مقتله.

وكان الترتانو يرتدي حلة طويلة نهايتها السفلى مزخرفة وفي وسطها حزام عريض وآخر ضيق ويرتدي فوقها شالاً يتكون من ضفائر طويلة ويترك عادة كتفه الأيسر عارياً، أما غطاء الرأس فهو عصّابه مزخرفة عريضة يتدلي منها، من الأمام، وشريطان من الخلف، ويلبس حذاءً شبيهاً بما ينتعله الملك وهو مثبت بالقدم بسيور تدور حول الأصبع الكبير وحول الكعب.

«ومن خلال استعراضنا لهذه التشكيلة يفهم أن التورتان يكون على رأس هذه التشكيلة والتي توازي بالحقيقة منصب رئيس الوزراء من خلال الصلاحيات الممنوحة له وأن كان في السابق يتمتع برتبة عسكرية تخوله قيادة الجيوش نيابة عن الملك، إلاّ أن التطور الحاصل في الإدارة نتيجة التوسع الكبير للإمبراطورية الاشورية أصبح يتمتع بصلاحيات إدارية كبيرة جداً بحيث اتخذ من القصر الملكي بالعاصمة مقراً لممارسة وظيفته. كما أن له الحق بإرسال من ينوب عنه في تمشية الأعمال التي تخص صلاحياته في المقاطعات، لذلك فأن الظروف الوظيفية الجديدة للتورتان والتي جعلت منه الشخص الأول في التركيبة الإدارية للدولة بعد الملك استوجب أن يأخذ مكان وظيفته السابقة شخص آخر دعي الرب شاقي (كبير السقاة) وتناط به مهمة قيادة الجيوش كما أنه يمنح بنفس الوقت صلاحيات حاكم مقاطعة وإن كان هناك وظيفة ثانية يشغلها (سيد المقاطعة) باللغة الأكدية (بيل ـ ببخاني) والذي يعين كممثل شخصي عن الملك مع تمتعه بصلاحيات تضم واجهات مدنية وعسكرية ودينية ومالية. ومن الوظائف العليا التي لها مكانتها في المجتمع الاشوري وظيفة التاكر ـ ايكالي (صاحب القصر) أي رئيس التشريفات وهو الآخر يتمتع بسلطات عسكرية أشبه ما تكون بسلطة مدير التعبئة والاحصاء في الوقت الحاضر (دعوة الناس إلى التجنيد) وهذه الوظيفة ثانوية بالنسبة لوظيفته الأصلية إلاّ وهي تنظيم عملية استقبال الملك للذين يقابلهم.» (الفتيان1991: 278).

ثانياً: الأسلحة الآشورية

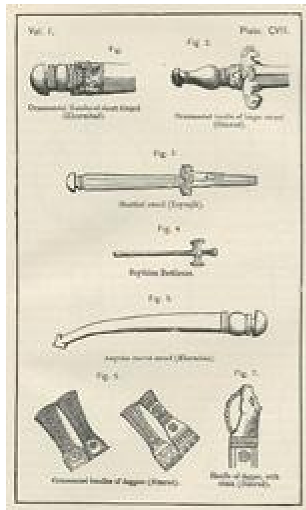
يمكننا من حيث المبدأ، تصنيف الأسلحة الآشورية إلى ما يلي:

1. الأسلحة الخفيفة منها (الرمح، الحربة، الفأس، القوس).
2. الأسلحة الثقيلة منها (العربة، الكبش، الدبابة، السلالم).
3. الأسلحة الدفاعية وتضم (الخوذ، التروس، الدروع، البروج، فضلاً عن الأطواق المعدنية التي وضعت فوق جلد سميك لحماية أعناق الخيول).
4. الأسلحة البحرية: وأهمها السفن الحربية التي استعان الآشوريون بالفينيقيين في تصميمها.

«يعد انتشار معدن الحديد من العوامل المهمة التي مهدت للأشوريين سيطرتهم على مناطق واسعة، فقد استعمل الأشوريون في عصورهم السابقة الآلات المصنوعة من النحاس مثل باقي الشعوب القديمة، وخلال الألف الثالث قبل الميلاد استعملوا البرونز في صناعة أسلحتهم، وبعد عام 1000 ق.م استخدم الحديد بشكل واسع ولأول مرة في صناعة الأسلحة وخاصةً أسلحة الفرسان والات التدمير كالمنجنيق والآت الحصار الخاصة بدك أسوار المدن المهاجمة أو المحاصرة، وهكذا حل الحديد محل النحاس والبرونز في صناعة الأسلحة وتطويرها. إذ استخدم الأشوريون أنواعاً متعددة من الأسلحة كما إنهم طوروا الأسلحة القديمة لزيادة فعاليتها بحيث تتناسب مع التطور الحاصل في الدولة في عصرها الحديث» (غزالة والمهنا 2008: 185 ـ 186).

1. أسلحة المشاة (الرماح والسيوف والخناجر والدروع) شاعت الأسلحة الحديدية عند الآشوريين، فيما كانت أغلب الشعوب القديمة تستخدم الأسلحة البرونزية، كانت الأسلحة الحديدية أكثر حدة وأخف وزناً من غيرها. وكان سلاح المشاة الأساسي هو الرمح، ويتكون من عمود خشبي مائل برأس حديدي قاتل. ويستعمل للقتال عن قرب، حمل الرجال أيضًا سيوفًا وخناجر حديدية قصيرة. تم توفير الحماية من خلال مجموعة متنوعة من أنواع الدروع، بما في ذلك الأنواع الطويلة المصنوعة من الجلد

أو القصب، والأنواع الدائرية الأصغر التي تتكون من قرص خشبي يواجه طبقة رقيقة من البرونز. وصنعت أغمدة لهذه الأسلحة أغلبها من الجلد أو القماش.



**السيوف والخناجر الآشورية وأغمادها**

**The Seven Great Monarchies: Assyria (Part 4) by George Rawlinson**



**الأسلحة الآشورية**

**2. الصولجان القتالي:** كان الصولجان الأشوري سلاحًا رقيقًا قصيراً، مصنوعاً من خشب شديد الصلابة، أو من المعدن. كان له رأس مزخرف، والذي كان في بعض الأحيان نموذجًا جميلًا جدًا وعمومًا حزام أو سلسلة في الطرف السفلي، والتي يمكن أن يتم الإمساك بها بمزيد من الثبات. وكثيرا ما حملها رماة الأقدام في المعركة، وخاصة أولئك الذين كانوا حاضرين مع شخص الملك. يبدو، مع ذلك، أنه لم يتم استخدامه غالبًا كسلاح شبيه بالحرب حتى وقت أحدث المنحوتات، عندما نراها، تم استخدامها بشكل عام بكلتا يديه، من قبل عدد معين من المقاتلين. في السلام كان يتحملها عادة الحاضرون الملكيون، ويبدو أيضًا أنها كانت من بين الأسلحة التي يستخدمها الملك نفسه، والتي يحملها باستمرار أحد أولئك الذين يرافقونه.

**3. المقذفات والسهام:** الرماة الآشوريون استعملوا الأقواس والسهام المصنوعة من الخشب، وأحياناً استخدموا أقواسًا مركبة، معززة بالقرن، واستخدموا لها السهام الخشبية التي تنتهي بالرؤوس الحديدية. وخلال الحصار، تم استخدام الأسهم المشتعلة أيضًا. وكان هناك سلاح آخر بسيط ولكنه مميت هو القاذفة أو المخذفة (المحكال)، القادرة على رمي الحجارة الصغيرة.

**4. أسلحة الفرسان:** كان سلاح الفرسان مثبتًا على الخيول ومسلحًا برماح خشبية طويلة، مع القوس والسهم. وكان الفرسان ينتظمون في أزواج، مع إطلاق أحدهما بينما يتحكم الآخر في الخيول.

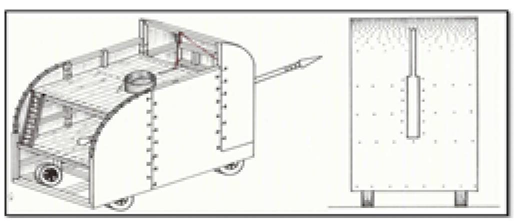
**5. أسلحة المركبات:** المركبات الآشورية تحتوي على عجلتين بإطارات معدنية، ويتم سحبها من قبل حصانين أو أربعة خيول. وكانت كل عربة تحمل اثنين أو ثلاثة رماة بالإضافة إلى السائق. كانت المركبات علامة على القوة والهيبة، وغالباً ما يصور الملوك الأشوريون وهم يركبونهم وهم يقودون قواتهم في المعركة.

6. قاطرات الحصار

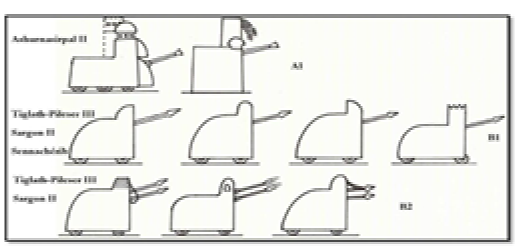
السلحفاة الحربية الآشورية: Assyrian war turtle:

كان سلاح الهجوم الرئيسي هو كبش الضرب. وهو نوع من قاطرات الحصار إلا أن السلاح الآشوري الفعال ضد الهياكل الدفاعية كان هو السلحفاة الحربية التي تتألف من إطار خشبي كبير على أربع عجلات، مغطى بجلد رطب لحمايته من الحريق، ومسلح بزوج من «الرماح» الضخمة ـ وهي جذوع شجرة بشكل أساسي مع نقاط حديد. بالإضافة إلى قوة العضلات اللازمة لتشغيلها، تم دعم كل كبش للضرب بواسطة واحد أو أكثر من الرماة الدفاعيين. وقد درج الباحثون على تسميتها بالكبش الآشوري وهو باللغة الآشورية (آشيبو) الذي يختلف عن كلمة الكاهن المعزم وطارد الأرواح (أشيبو) بالباء المضخمة هنا.

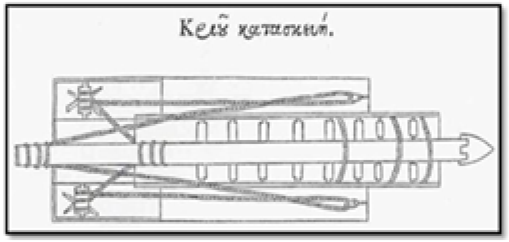
كانت السلحفاة، عند الآشوريين، تمثل العالم الأسفل والموت، ولذلك صنعوا على غرارها واحدة من أخطر أسلحتهم التي هي بمثابة الدبابة الآشورية من الحديد والخشب والتي كانت تقوم بمهمة ثقب وتدمير الأسوار العدوّة.



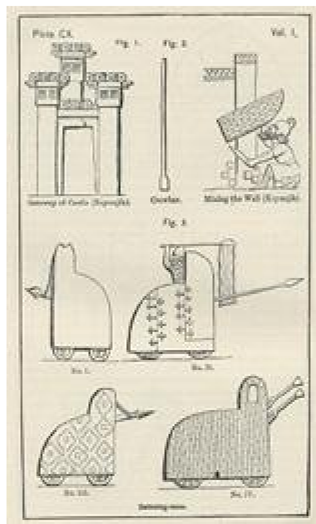
**منظر أمامي وخلفي لسلحفاة سنحاريب الثلاثية Nicolas Gillmann**



**تطور الدبابات الآشورية**



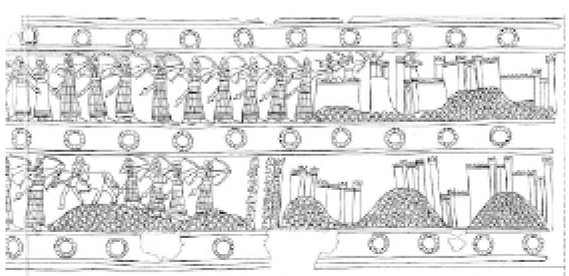
**مثقاب مثبت على أسطوانات دوارة**



**السلاحف الحربية وبعض آلات الحصار الحربية الآشورية**

**The Seven Great Monarchies: Assyria (Part 4) by George Rawlinson**

**أدوات الحصار**



**حصار مدن الأعداء ورشقها بالسهام**

**Band VIII (part). Balawat Gates of Shalmaneser III (Image from .Schachner 2007, Taf. 8. Courtesy of A. Schachner)**

# المبحث الثاني: أصناف الجيش الآشوري

الجيش بالأكدية (أمريتو، كراشو، شوحّورتو، شابا) Amirtu, karāšu, naḫāsu ,suḫḫurtu , ṣabā ‘ um

وبالسومرية أوجنم.(UGNIM).

يبدو من الوثائق المسمارية والمخلفات الآثرية أن النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد يمثل فترة التي شهدت ميلاد الجيش بصفاته العامة، ولم يكن هذا الجيش محترفاً لكنه كان نظامياً كمؤسسة حكومية ينخرط في صفوفها الناس جنوداً ومن ثم ضباطاً. أما التحول من الجيش النظامي المكوّن من المجنّدين من العامة إلى جيش من المحترفين المهنيين فقد حصل بحلول منتصف القرن الثامن قبل الميلاد على أبعد تقدير. فمنذ جيش الملك تجلات بلاصر الثالث (744-727ق.م) بدأ الجيش الإحترافي يكوّن الجزء الرئيسي من القوات المسلحة من جنود محترفين من داخل حدود آشور ومرتزقة ومتعاونين متخصصين من جميع المناطق المجاورة؛ كان هذا جيشًا دائمًا مطوّعاً لا عمل له سوى الخدمة العسكرية ويمكن استكماله بقوات مؤقتة (مكلّفة) تم صياغتها من السكان الآشوريين الذين لم يتم إلغاء واجبهم التقليدي في الخدمة العسكرية الموسمية رسميًا.

كان الجيش الآشوري يضمّ العديد من الجيوش، ولكل من هذه الجيوش هيكل قيادي خاص به؛ وذلك لتحييد قوة الجيش ضد الملك من أجل حماية سيادته، وهو ماساهم

بحصر المؤامرات على الملك وفي الاستقرار الداخلي لآشور، وقد تم السماح للوحدات المختلفة التي تشكل الجيش الآشوري وتشجيعها على الحفاظ على عاداتها وتقاليدها الخاصة وتطويرها بدلاً من أن يتم تشكيلها في جيش موحد، وجدت مكوناتها الفردية نفسها في منافسة شديدة مع بعضها البعض من أجل الاعتراف الملكي والمصلحة العامة وهو ماساهم بتطويرها النوعيّ.

كان الملك يقود الجيش أثناء القيام بالحملات العسكرية، أو يعهد بذلك إلى ابنه أو قائد الجيش الذي يسمى التورتانو. أما فما يخص أصناف الضباط وعدد الجنود الذين كانوا تحت امرتهم:

1. الضباط من رتبة (اوكولا) كان يقوم بقيادة (300) جندي.

2. الضابط من رتبة (نوبندا) كان يقود (600) جندي.

3.الضابط من رتبة (شاكينا) كان يقود (25200) جندي.

وعليه يبدو أن الشاكينا قديماً كان يقوم مقام رئيس أركان الجيش في الوقت الحاضر. وهو ثاني شخصية في الجيش بعد الملك رأس السلطة السياسية والقائد العام للقوات المسلحة.

أما الجنود:

1. الصنف الأول يسمى (إيرن) ويعني الجندي الدائمي. (المطوّع)

2. الصنف الثاني يسمى (كوروش) ويبدو من المصادر المسمارية المختلفة أن (كوروش) كان عاملاً ومحارباً في الوقت نفسه، أي ما يعرف اليوم بالجندي (المكلّف).

ينقسم الجيش الآشوري إلى عدة أصناف هي:

أولاً: الأصناف المقاتلة

كانت الأقاليم متخصصة في تزويد الدولة الأشورية بنوعية الجيوش التي تحتاجها، فالمشاة من بلاد الشام والأناضول، والخيالة من إيران، ويعتمد ذلك التقسيم على طبيعة البيئة التي ينتمي إليها المقاتل.

**1.المشاة:** هم عامة الجنود الآشوريين، وكانوا يجهزون بملابس القتال التقليدية وبأسلحة المشاة التي تشمل الدرع المحدب العادي بشكله البيضوي.وكانت الأسلحة الهجومية التي استخدمها الآشوريون هي القوس، والرمح، والسيف، والصولجان، والرافعة، والفأس، والخنجر. قد يستخدمون أحيانًا الرمح، والذي يُرى أحيانًا بين سهام جعبة.

كان لدى المحاربين السابقين سلاح طويل. كان هذا دائمًا متدليًا في الجانب بحزام متقاطع يمر فوق الكتف. في الزخرفة، كان يشبه إلى حد بعيد السيف القصير المتأخر، لكن ذيله كان أطول وأكثر ذوقًا. تحدث حالة أو حالتين حيث يمثل سيف المحارب الآشوري منحنيًا قليلاً. الغلاف في هذه الحالات سهل وينتهي في زر.

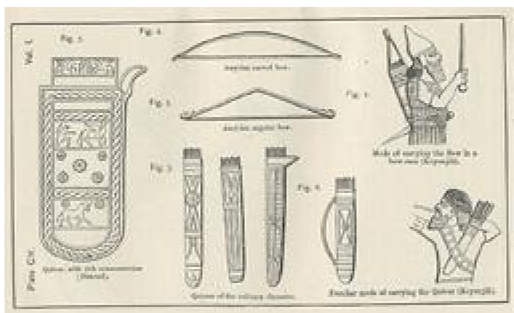
**2.الرمّاحون:** وهم حملة الرماح الدروع والذين كانوا يتقدمون الجيوش الآشورية، عادة، وكانت رماحهم مصنوعة من البرونز أو الحديد.

**3.القوّاسون:**

كانت الأقواس الآشورية من نوعين، منحنية وزاويّة، وكانت قصيرة، وأكبر طولاً من القوس المعلق، يصل طولها أحياناً حوالي أربعة أقدام. مصنوعة من قطعة واحدة من الخشب، والتي كانت في القوس الزاوي تقريبًا بنفس السماكة طوال الوقت، ولكنه في المنحنى المستدق تدريجيًا نحو الطرفين. وكان هناك مقبض صغير أو زر يتم نحته في تمثيل رأس البطة مثلاً.

كان القوس يحمل على ظهورالقوّاسين وخيولهم، في وضع قطري، بحيث يمكن سحب الأسهم منها بسهولة فوق الكتف الأيمن. وكانوا عادة يعلقون في هذا الوضع بحزام خاص بهم، مرتبط بحلقين، أحدهما بالقرب من الأعلى والآخر بالقرب من الجزء السفلي من الجعبة

كانت زخرفة الجعبة متقنة بشكل عام وشكلت الورود والعصابات الزينة المعتادة أعطت هذه التصميمات تصميمات ذات طابع فني أكثر، مثل الثيران البرية والغريفين وشخصيات أسطورية أخرى.



**الأقواس والسهام الآشورية**

**The Seven Great Monarchies: Assyria (Part 4) by George Rawlinson**

**4. الخيالة والفرسان:** الخيّالة مصطلح عام يطلق على كل من تعامل مع الخيل من مدرّبين وخبراء في أنواع الخيول والمشرفين على طعام وطبابة وعناية المكان واللباس، أما الفرسان فهم الذين يستعملون الخيول في الحرب.

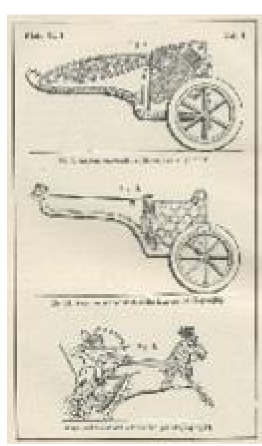


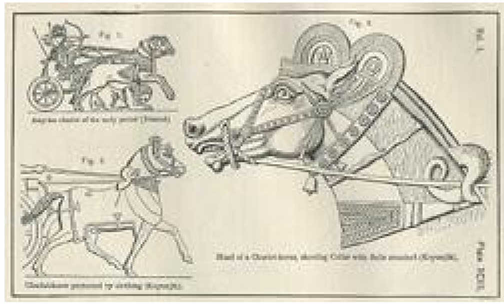
**نقش بارز يصور فارساً يقود حصانه بجانب جدول، من العصر الآشوري الحديث**

**5.المركبات الحربية:**

فضل الآشوريون المركبات في الحرب على الخيل وعلى الأقدام. لأنها الأكثر تطوراً وقوة وحماية. وخرج الملك دائمًا إلى الحرب في عربة، وكان ينزل منها أحيانًا ويطلق سهامه سيرًا على الأقدام وهو ما كانت تفعله الرتب العالية بشكل خاص.

كانت المركبات الآشورية مصنوعة من الخشب. ويبدو أنه تم تركيبها من الخلف حيث كانت مفتوحة تمامًا، أو مغلقًا بواسطة درع يمكن تعليقه عبر الفتحة. تم تغطيتها بالكامل على الجانبين، وكثيراً ما كانت مزخرفة للغاية.





## المركبة الحربية الآشورية

## The Seven Great Monarchies: Assyria (Part 4) by George Rawlinson

6. المهاجمون بالات الحصار:

امتلكت كل الدول التي خاضها الآشوريون حروبهم مدنًا محصنة، أو قلاعًا، يبدو أنها كانت أماكن شيدت بقدر كبير من المهارة.وكان الآشوريون يستخدمون ما يشبه الدبابة الخاصة بالحصار والمجهزة بأدوات خاصة، وكانوا واثقين دائمًا من النصر في مثل هذا اللقاء، كونهم مسلحين بشكل أفضل، وأكثر انضباطًا، وحين ينكسر العدو ويهرب كان يتم متابعته بقوة من قبل الحصان والقدم، وفي بعض الأحيان يتم دفعه بتهور نحو النهر. كانوا، في بعض الأحيان، يعطون الأمان، بشكل خاص للجنرالات والشخصيات البارزة الأخرى التي كان من المهم البقاء على قيد الحياة. حتى أثناء استمرار الاشتباك، يبدو أن الجنود قد يتركون الصفوف، ويقطعون رأس العدو الساقط، ويحملون رأسه إلى الخلف، دون تكبد أي توبيخ؛ ومن المؤكد أنه بمجرد أن ينتهي الاشتباك، يتحول الجيش بأكمله إلى قطع رأس القتلى، واستخدم لهذا الغرض السيف القصير الذي حمله كل محارب تقريبًا في جانبه الأيسر. أجبر عدد قليل من غير القادرين على الحصول على الرؤوس، على الاكتفاء بجمع غنائم القتلى والفرار، وتجمع من أذرعهم الجعبة، والنقوش، والخوذات.

«يظهر أن التطويرات الحربية الأساسية عند الآشوريين كانت في فن حصار المدن وفي صناعة الآلات لدك أسوار المدن. ومن تلك الأسلحة، المنجنيق، وأقدم أشكاله عربة مدرعة ذات جزء بارز يشبه بوز الخنزير، وكانت تلك الآلة تحرك للأمام وللخلف ضاربة سور المدينة. إلاّ أنها لم تكن كفوءة حتى في هدم أسوار مبنية من الطوب، وبعد فترة وجيزة تعلم الآشوريون بناء عربة مدرعة يكون المدك فيها عبارة عن عارضة طويلة يمكن رفعها وإسقاطها على الأسوار، أما وسيلة الدفاع الوحيدة ضد تلك الآلة فكانت عبارة عن كلاّب حديدي كان يلقى به المدافعون عن المدينة في محاولة لشل حركة المدك. لقد سبق أن راينا قيام المصريين قبل نحو 2000 سنة من تلك الفترة بتطوير سلّم متنقل للحصار مرفوع على عجلات. فبعد نجاح المنجنيق كآلة حربية، بدأ الآشوريون بإنتاج آلات حصار على شكل الأبراج تنقل على عجلات وفي أحيان عديدة جمعوا بين المدك والبرج في عربة واحدة.»(هودجز 1988: 157).

تمت دراسة آلات الحصار الآشورية الجديدة على أساس المصادر النصية والإيقونية الكلاسيكية وفي بلاد الرافدين، بهدف محاولة إعادة البناء، على المستوى التقني، لهذه الآلات. وتم تعيين محركات الحصار الآشورية في السياق التاريخي الأوسع للشرق الأقصى لحرب الحصار، ومعالجة موضوع بناء هيكل المحرك، ووسائل تغطيته، وكيف يمكن أن يعمل بها الكبش نفسه. ويخلص المؤلف إلى أن الدبابات التي تشبه السلاحف يجب أن تكون مضغوطة بما يكفي لتزويدها بالحركة الكافية من أجل تسلق منحدر المكان. كما يجب أن تكون بسيطة من الناحية التكنولوجية بما يكفي لتصميمها وتجميعها بواسطة عمالة غير ماهرة نسبيًا.

«لقد أتجه أعداء الآشوريين للاحتماء وراء أسوار المدن، وذلك لعدم قدرتهم على مواجهة الجيش الآشوري. لكن الآشوريين طوروا عدداً من آلات الحصار التي غالباً ما تظهر في نحتهم البارز. وكانت آلة الحصار في أكثر أشكالها تعقيداً، تدمج بين برج الحصار والمنجنيق وتُرفع على عجلات. أما المنجنيق فكان على ما يبدو على شكل

ذراع مدببة تستعمل في إحداث فجوات في أسوار المدن المبنية من الطوب. بينما تقوم المنصة العلوية بحمل رماة السهام ا لذين يوفرون الحماية لأولئك الذين يقومون بدك أسوار المدينة.

7.الحاميات العسكرية:

«أولاً: كان توفير الأمن الشخصي للملك الأمر الذي استدعى وجود الحرس الخاص الدائم. وأيضاً: كان هناك الحاميات الدائمة المتواجدة في نقاط مفتاحية مختلفة في الإمبراطورية وهذه تستلزم تزويد هذه الحاميات بالرجال والعتاد بشكل دائم وعلى أسس من الأمد الطويل. وهكذا فإنه لن يستطيع أحد سوى الرجال المحترفين أن يؤمنوا هذه الواجبات، ولهذا فقد كان بعض هذه الحاميات مسؤولاً بشكل مباشر أمام الملك وليس أمام الولاة المحليين، وقد بدا هذا واضحاً من التقارير التي كانت ترسل إلى الملك من قبل قواد هذه الوحدات. إن إحدى هذه الوحدات من الجيش المرابط والتي نسمع هنا الشيء الكثير، كانت مجموعة من الجنود من أ صول قبلية تدعى (الأينتو) ومن ناحية عرقية لم يكن هؤلاء من الآشوريين، بل كانوا مجموعة من الجنود من أصول قبلية آرامية من جنوب آشور وهم قريبون من مدينة آشور. ولقد كان هناك في يوم من الأيام مزعجون للسلطات الآشورية ولكن لقد تم إخضاعهم تماماً.» (ساغز 2008: 366).

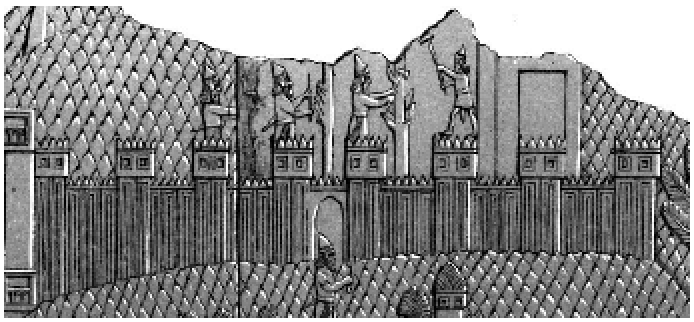
ثانياُ: الأصناف الثانوية (الملحقة)

ومهمتها العمل على توفير كافة المستلزمات والخدمات الضرورية للصنوف المقاتلة وتضم:

1. الاستخبارات: ومهمتها تقديم المعلومات عن تحركات جيوش الأعداء وتحديد مواقعها كما تتضمن جمع المعلومات التي تخدم المعركة.

2. جهاز خاص لحفظ الأمن والنظام (أشبه بجهاز الشرطة اليوم).

3. المهندسون المختصون بالهندسة العسكرية وبناء التحصينات العسكرية للمدن الآشورية، ومهمتهم هي تسهيل مرور الجيوش الأشورية عن طريق فتح الطرق ونصب القناطر للجيوش.



**بناء التحصينات العسكرية الآشورية من قبل فرق هندسية**

**Room XLVIII, Slabs 11-12 (detail). Southwest Palace, Kuyunjik , Trustees of the(British Museum)**

**ثالثاً الأصناف الإدارية**

يختص بتوفير كل ما يحتاج إليه الجيش في أثناء الحملات العسكرية.

1. المنشدون والعازفون: ومهمتهم إنشاد القصائد الحماسية لرفع معنويات الجيش الآشوري.

2. الفنانون: الذين كانوا يرسمون وقائع الحملات ومشاهد الحروب.

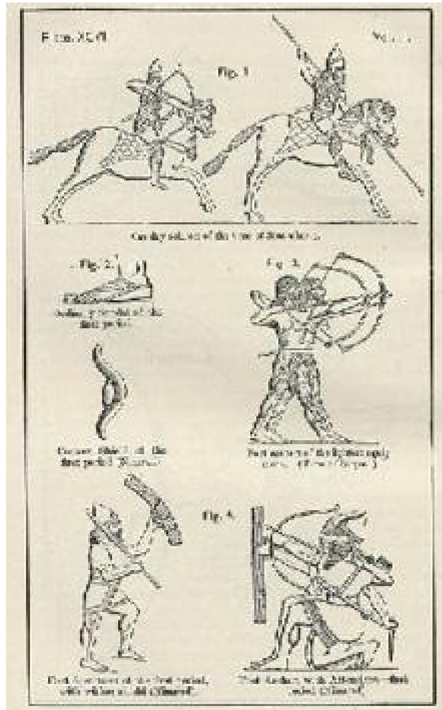
3. الوحدات الطبية: ومهمتها تقديم الإرشادات الصحية وإسعاف الجرحى.

4. سعاة البريد: ومهمتهم إيصال الرسائل والمعلومات من والى الملك والقادة العسكريين.

5. المترجمون:

6. العرّافون والمنجّمون: المختصون بالتنبؤات ومعرفة الفال.

7. التوجيه المعنوي الديني: وهم المكلفون بالدعاية والإعلام من المدنيين وارسامين أو من المتدينين، «وكان لدى الآشوريين أيضاً ما يمكن أن نسميهم بشكل فضفاض ومهلهل دائرة القساوسة، وكان هؤلاء مهتمين بالشؤون الدينية ولم يكن لديهم أي علاقة بالاعتناء بالجنود وأرواحهم. والملاك المذكور من الموظفين كان ملاكاً دينياً وكانوا يرافقون ا لجيش، وبالمناسبة فلم يكونوا منشغلين بتضحية القرابين فحسب بل أيضاً في تفسير وعمل التنبؤات الفلكية عند الضرورة. ويبدو أنه وبسبب تعاملهم مع التنبؤات الفلكية فقد لعب بعضهم دوراً مهماً في الحفاظ على الأخلاق العامة. ونحن نعلم عن كثير من الأزمات التي ساهم المتنبئون في الجيش في إعطائها قالباً من الفأ الحسن ساهم في تقوية معنويات المحاربين في الأوقات الصعبة، وهكذاغ عندما أغتيل سنحاريب عمد أبنه أسرحدون للتحرك ضد جيش قاتلي الملك وقد تُليت رسالة من الآلهة تؤيد أسرحدون مما ساعد على تقوية قلوب جيشه وزرع الخوف عند قاتلي الملك. » (ساغز 2008: 368).

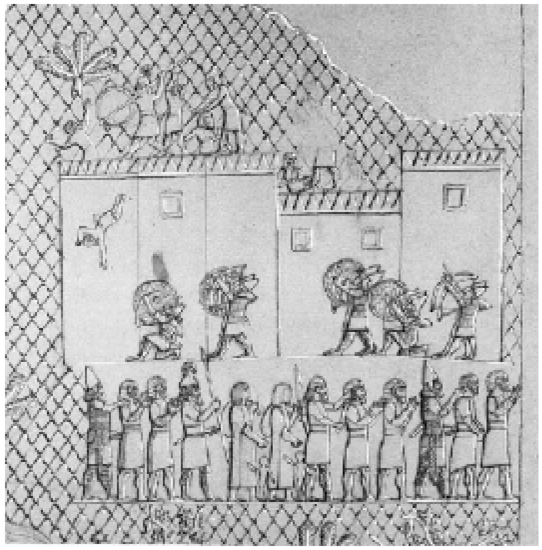


**عسكريون آشوريون مع أسلحتهم في أوضاعٍ مختلفة**

لعبور الأنهار لجأ الجيش الآشوري لعدد من المناورات الحربية، إذ استخدمت أحياناً جلود الحيوانات المنفوخة كعوامات، أما المعدات الحربية كالمركبات، فكانت تفكك إلى أجزاء وتحمل عبر النهر على مراحل، وفي حالات أخرى استعملت الجسور العائمة تدعمها عوامات عبارة عن قوارب كبيرة صنعت من القصب، أضيف لها القار حتى لا يتسرب إليها الماء. ونرى أن الجلود المنفوخة والقوارب البسيطة (القفف) لا تزال ت ستعمل إلى يومنا هذا في الشرق الأدنى. (هودجز 1988: 163).

قام «الآشوريون عند سيطرتهم على الشعوب الأخرى نقل الحرفيين والصناع إلى مراكز أخرى مما نتج عنه اكتظاظ المدن الآشورية بالصنّاع الذين جمعوا من مناطق مختلفة من الإمبراطورية الآشورية، ونتج عن ذلك إثراء متبادل وتطوير للتقنيات المعروفة آنذاك. إلاّ أنه لم يتم تطوير تقنيات جديدة تحت الحكم الآشوري، باستثناء تفوقهم في صناعة القطع الزجاجية أو الطوب المزجج، لذلك يجب أن تتجه أنظارنا

الآن إلى المناطق الواقعة إلى الشرق والغرب من الإمبراطورية الآشورية.» (هودجز 1988: 165).



**حصار المدن**

**Southwest Palace, Kuyunjik,Trustees of the British Museum**

# المبحث الثالث: العسكرتاريا الآشورية

أولاً: مراحل تطور العسكرتاريا الآشورية

**أولاً: مرحلة الضعف والتبعية**

كانت نواة بلاد آشور وحدة جغرافية متّصلة ويسهل الهجوم والسيطرة عليها، وهي مقاطعة تمارس الزراعة بهمة ونشاط وتنتج المزروعات الجيدة بفرة وبنوعية جيدة لأن الفلاحين الآشوريين الأوائل كانوا ذوي خبرةٍ هائلة بالزراعة وتربية الحيوانات. وكانت واقعة تحت رحمة التهديدات الحورية الميتانية، وهجمات الشعوب الجبلية

_جوتو ولولوبو) والهجمات الآمورية، ثم جاءت الهجمات الحيثية، ولاننسى الهيمنة الأكدية ثم الهيمنة السومرية الجديدة عليها ثم هيمة الأسرة البابلية الأولى بقيادة حمورابي.

كل هذه الشعوب ودولها كانت تخيف الآشوريين ولاتدعهم يمارسون حياتهم اليومية الآمنة، وكانوا أمام خيارين لاثالث لهما، الأول هو الخضوع الكامل لهذه الشعوب، والثاني هو قبول التحدي والتعامل الجديّ معه، وقد اختاروا هذا الخيار.

**ثانياً: مرحلة التحدي**

أحاطت آشور ممالك قوية تتمثّل في الممالك الكبرى التي كانت قائمة في الألفية الثانية ق.م. ومطلع الألفية الأولى ق.م. وهي ممالك (الحوريين ومصر وميتاني والحثيين وأراراتو وبابل وعيلام، ولاحقاً، مملكة الميديين). وكانت هذه الممالك تمتلك جيوشاً كبيرة ونوعية وقد قام بعضها كالحيثيين باستخدام الحصان ثم العجلة الحربية التي يجرها بعنف وقوة في المعارك والأسلحة الحديدية، وكان هذا التحدي قد فرض نفسه على المنطقة كلّها وخصوصاُ الآشوريين، لذلك كانت بلاد آشور وسط سعير الجيوش المددجة بالأسلحة وعقائد الغزو والإحتلال، وكان هذا المبرر لوحده كافياً في تحفيزها على امتلاك القوة العسكرية والتفوق فيها أكثر من هؤلاء جميعاً، ولذالك لايُعاب هذا الأمر فيها بل يجب الإعتراف بقوة وعمق استجابتها لمثل هذا التحدي.

ثالثاً مرحلة الإستجابة

انتظمت سلسلة الخطوات التي جعلت من آشور أكبر قوة عسكرية في الشرق الأدنى، وكما يلي:

**1.الحوريون ـ الميتانيون**: مجموعات خليطة من الشعوب القوقازية والأناضولية القديمة توطنت من شمال الرافدين حتى بحيرة وان شرق الأناضول خلال الألف الثاني قبل الميلاد، تقدموا جنوباً في بلاد آشور والممالك السورية القديمة، وغرباً في عمق الأناضول، تحرك الحوريون نحو بلاد آشور في حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ووسيطروا عليها والقضاء على حكم شمسي أدد الأول وشمسي داكان الأول وأسسوا عددا من الإمارات في أجزاء من آسيا الصغرى لكنهم لم ينظموا مملكة موحدة، وقد تمكن الحوريون احتلال إقليم البليخ والخابور (خابور الفرات)، واتخذوا هناك بلدة واشوكاني عاصمة لهم، وفي أرابخا (كركوك حاليا) وكانت لهم مدينة مهمة جوار كركوك تسمى نوزي تقع اليوم في تل يورغان تبه (حوالي ثمانية أميال إلى الجنوب الشرقي من كركوك)، وكوّنوا مملكة قوية عرفت باسم ميتاني تمتد من كركميش من الفرات إلى جوار نهر دجلة الأعلى وتضم إقليم أربخا شرقي دجلة، وقد ثبت وجود الحوريين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد في فينيقية وفي فلسطين. وكان الحوريون الميتانيون يشكلون تحدياً كبيراً حيث تمكنوا من اتخاذ عاصمتهم أرابخا في كركوك مكاناً لهجماتهم ثم نوزي. لكن الآشوريين بقيادة الملك اوبلط الأول ملك آشور (1365 ـ 1330 ق.م) هجم على الحوريين الميتانين واسترجع منهم الأراضي الآشورية التي كانوا قد استولوا عليها. ونالت بلاد آشور استقلالها من ميتاني، التي تقع شمالها، في أواخر الألفية الثانية بقوّة السلاح، وقامت في نهاية المطاف بضم الجزء الأكبر من مملكة ميتاني.

**2.الأوراراتيون:** اسم آشوري، سميت أحياناً نائيري، يدل على مملكة جنوب شرق البحر الأسود وإلى الجنوب الغربي من بحر قزوين. وسموا هم بلادهم باسم (بياينيلي). كان شعبها خليطاً يضم الحوريين والأناضوليين والأرمن، وقامت دولتهم إبان القرنين التاسع والسابع ق.م. بجبال شرق تركيا حول بحيرة وان. وأهلها من الحوريين. وكانت العاصمة هي مدينة وان ثم أرزاسكون. هاجم الملك الآشوري «شولمانو ـ اشارئد» الثالث (858 ـ 824 ق.م) «أرارتوا» في حملته عام 856 ق.م،

واحتل عاصمتها «أرزاسكون» ودمرها. ثم قام بحملة ثانية عام 832 ق.م. استغل الأورارتيون ضعف الدولة الآشورية، بسبب الحرب الأهلية نهاية حكم |«شولمانو ـ اشارئد» الثالث، ليعيدوا بناء مادمرته الحروب مع آشور، ولينطلقوا متوسعين خارج حدودهم ويهددوا الآشوريين بقوة.

**3.الحيثيون:** دافعت عن نفسها في مواجهة الحيثيين. كان الجيش بمثابة الحصن الذي نجح في حماية معاقل المملكة الآشورية من الاضطرابات الإقليمية التي أدّت إلى انهيار معظم الممالك في المرحلة الأخيرة من العصر البرونزي في أواخر الألفية الثانية ق.م. تُوِّجت الحملات العسكرية التي شُنَّت في عهد العديد من الملوك الذين تعاقبوا على الحكم، بتسلّم آشور-ناصر-بال الثاني ونجله شلمنصر الثالث سدّة الحكم، عندما أصبحت آشور القوة الأبرز في المنطقة.

**4.البابليون:** العلاقة الطويلة والمعقدة والتي تجلت في:

**المشكلة المستعصية في العلاقة مع بابل:**

كانت علاقة آشور وبابل معقدة جداً ومرت بمراحل طويلة من الكر والفرّ بينهما «فعلى سبيل المثال نرى الملك ادد نيراري الثاني 911 ـ 890 ق.م. يقوم بتجهيز حملة عسكرية نتيجة ورود أخبار عن قيام حركة تمرد وعصيان في المنطقة الواقعة جنوب الزاب وذلك من أجل تثبيت شرعية الدولة وعدم فسح المجال لأي حركة انفصالية، هذا بالإضافة إلى تأمين الطريق التجاري القادم من اقليم بابل، وبالفعل تم القضاء على هذه الحركة وأعيدت السيطرة على مدينة اربخا وعقدت معاهدة مع بابل التي كونت مع بلاد اشور وحدة وادي الرافدين التي ترتبط برابطة اللغة والأصل الواحد.» (الفتيان 1991: 283).

ومثلما كانت هناك حروبٌ طويلة بين الشعبين كانت هناك فترات سلام ودبلوماسية «فعلى سبيل المثال أنه من خلال الرسائل التي كتبت في عهد تجلات بلاسر عام

731 ق.م. يفهم أن موظفين في بلاد بابل وجدا نفسيهما في موقف صعب نتيجة حدوث تمرد وسيطرة العصاة المتمردين على العاصمة بابل حيث لم تكن هناك قوة عسكرية اشورية تستطيع حسم العصيان، ويفهم من احدى الرسائل الموجهة إلى الملك عن الاجراءات التي اتخذت حول الوضع ذلك عن طريق التفاوض مع البابليين في الداخل، والغرض من هذا التفاوض هو خلق حالة من عدم الاتفاق والثقة بين قادة العصاة والسكان البابليين ويفهم من هذه الرسالة أن هذين الموظفين الاشوريين قد نجحا في كسب ود البابليين وجعلوهم في صف الدولة الاشورية وهذا يدل بدون شك على نجاح الدبلوماسية الاشورية التي منحت البابليين بعض الامتيازات الخاصة والتي ثبتت بميثاق ملكي وهذا بدوره قد فوت الفرصة على حركة التمرد وجعلها منعزلة لوحدها، هذا بالإضافة إلى كسب الوقت لصالح الاشوريين لتعزيز قوتهم وجعلها قادرة على ضرب مثل هذه الحركات الانفصالية. لقد شهدت العلاقة بين اشور وبابل عبر التاريخ حالة لا يمكن أن تكون مستقرة وثابتة، بل كانت في أغلب الاحيان متوترة وهذا ناتج بطبيعة الحال من اندفاع بعض القبائل الآرامية إلى اقليم بابل من جهة وخلقهم حالة غير مستقرة اقلقت بال الاشوريين والبابليين على حد سواء وأن كانت بصورة متفاوتة هذا من جهة أما من جهة أخرى فسببها التدخل العيلامي بالشؤون الداخلية لبلاد بابل واستغلالها الفرص لخلق حالة تمكنهم من تحقيق مآربهم الخبيثة في فصم عرى الوحدة الوطنية.» (الفتيان 1991: 283 ـ 284).

## أسرحدون تعامل مع بابل بحكمة

«وجه هذا العاهل عنايته إلى المدينة وأعاد بناءها سيما معبد مردوخ والمعابد الأخرى، هذا فضلاً عن مبانيها العامة الأخرى التي أصابها الخراب نتيجة الثورات السابقة، ومما يؤكد انتهاجه للسياسة الخاصة لهذه البلاد هو مساهمته بنفسه في عملية البناء حيث قام بنقل سلة البناء على رأسه كأي عامل عادي وصنع اللبن مع العمال. ومن توجيهاته الأخرى إعادة إسكان المواطنين الذين هربوا نتيجة المشاكل

السابقة، فأعاد إليهم أراضيهم وما كانوا يتمتعون به قبل ذلك من امتيازات وبخاصة عدم دفع الضرائب، كما قام بإعادة القرابين والنذور إلى معبد ايساك ـ لا معبد بابل الرئيسي ونصب عليه الكهنة لممارسة أعمالهم بصورة طبيعية، وعمل مثل هذه الأعمال على مراكز مدنية أخرى في بلاد بابل عموماً أن مثل هذه السياسة الداخلية الكفوءة تجاه بابل قد خدمت بلاد اشور ومصالحها في المنطقة ككل مثلما وفرت للبابليين حياة مستقرة ورفاهاً اقتصادياً واجتماعياً واكب ما حل ببلاد اشور نفسها.» (الفتيان 1991: 319).

**5.الآشوريون والمصريون:** مرت علاقة دول وامبراطوريات وادي الرافدين بوادي النيل، قبل العصر الآشوري الحديث، بعلاقات راسخة من التعاون النسبي، لكنها تغيرت حين توسعت الإمبراطورية الآشورية باتجاه بلاد الشام ولامست مناطق نفوذها هناك، «كان حكام مدينة لاخيش (تل الدوير الحالية) قد وقعوا معاهدة ولاء لسين ـ اخي ـ ريب ملك اشور إلاّ أنهم نقضوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم وانضموا إلى تمرد البلاد السورية الفلسطينية بدعم من طهرقا حاكم مصر، الأمر الذي أوجب على سين ـ اخي ـ ريب أن يتقدم على رأس قواته العسكرية لضرب التمرد ومن نقض عهده، وبعد أن سيطر على مدن صيدون وعسقلون وعكا وأشدد وموآب ويافا توجه إلى مدينة لاخيش وحاصرها وفي أثناء حصاره لها وصلت القوات المصرية بقيادة طهراقا لتقديم المساعدة مما اضطر إلى رفع الحصار والتوجه لمقاتلة الجيش المصري الذي التقاه في منطقة التكية أو التقية وأوقع به الهزيمة وأسر أبناء الفرعون المصري شيكا 716 ـ 701 ق.م، ليعود بعدها سين ـ اخي ـ ريب لحصار مدينة لاخيش التي اضطر أهلها إلى الاستسلام على وفق ما ورد في كتابات سين ـ اخي ـ ريب بقوله ((... أصبحت على أبواب لاخش فذبحت حكامها وأمراءها الذين نقضوا العهد وعلقت جثثهم على الأعمدة التي تحيط بالمدينة..)) وقد خلد سين ـ اخي ـ ريب انتصاراته تلك في رسوم نحتت على ا لألواح الحجرية التي غلفت جدران قصره في نينوى يظهر فيها كبار رجال المدينة وهم يسلمونها له وكان من

نتيجة ذلك أن أخضع البلاد السورية الفلسطينية وهزم مصر واستلم الغنائم والهدايا الكبيرة التي أنعشت الاقتصاد الاشوري.» (محمد 2006: 104).

ثم اتجهت العلاقات نحو الحرب والمواجهة المباشرة وغير المباشرة بين الآشوريين والمصريين «بوفاة اشور ـ اخ ـ اذن عام 669 ق.م، وجد المتمرد طهراقا الفرصة السانحة في مصر لإعادة إعلان تمرده وتقدم باتجاه الشمال ودخل مدينة ممفيس وطرد الموظفين والأمراء الموالين للاشوريين الذين هربوا من دون مقاومة باتجاه الشرق نحو سوريا لطلب المساعدة من القوات الاشورية التي ا رسلت تقريراً إلى اشور ـ باني ـ ايل 669 ـ 627 ق.م، في نينوى تخبره بالموقف. فقام بإرسال قواته إلى مصر التي التقت طهراقا وهزمته في معركة فاصلة اضطر للهرب إلى بلاد النوبة جنوب مصر. حسبما تذكر حوليات اشور ـ باني ـ ايل: (تمرد طهراقا ونسى قوة الإله اشور.. ووثق بقوته وزحف نحو الملوك (الحكام) الذين نصبهم والدي لحكم مصر.. والحق الهزيمة بهم، ودخل ممفيس.. أتاني الرسول إلى نينوى واخبرني بما جرى فرزحفت بجيوش نحو مصر وأثيوبيا.. واثنان وعشرون ملكاً من ساحل البحر ووسطه زحفت كلها ضد مصر.» (محمد 2006: 42).

«كان على اشور بانيبال 668 ـ 631 ق.م، أن يسحق تمرد طهراقا في مصر. فكان ذلك فرصة ثمينة لصور وأرواد وتابال وخيلاكو في سواحل المتوسط لتحالفها وإعلان تمردها وخروجها عن سيطرة بلا اشور. تقدمت القوات الاشورية وحاصرت مدينة صور وأجبرت أهلها على الاستسلام، وكذلك الحال مع ارواد التي استسلمت هي الأخرى، وسار موكالوا ملك تابال على خطى سابقيه بالذهاب إلى نينوى وإعلان ولائه لاشور ـ باني ـ ايل ا لذي أخضع ساندشاوم ملك خيلاكو وأجبره على تقديم الهدايا في نينوى. وهو ما تؤكده كتاباته ((.. بعلو ملك صور سارع إلى تقديم فروض الطاعة والولاء وجاء ببناته ليخدمن في القصر الملكي... باكنتو ملك ارواد خضع لسلطتي وقدم بناته ليخدمن في بيت الحريم مع هذايا كثيرة ارسلها إلى نينوى.. موكالو ملك تابال سار على خطى سابقيه وجاء برفقة بناته... وفرضت عليه ضريبة

الخيول.. ساند شارم ملك خيلاكو الذي لم يخضع لسلطة الملوك أتى مع بناته إلى نينوى وقدمهن ليخدمن في بيت ال حريم وقبل قدمي..)» (محمد 2006: 53).

**6. الميديون:** شعب ظهر وسط الهضبة الايرانية بين جبال زاجروس، وعاصمتهم (أكبتان ـ همدان حاليا)، في الالف السابق للميلاد،، وهم جماعات بدوية جبلية تمتهن الغزو وتربية الخيول. وحاربهم الآشوريون وسيطروا على مناطقهم كي يمنعوهم من عبور الجبال والهبوط الى وادي الرافدين. وأسسوا سلالة هناك، وقاموا بدفع الجزية للملك الآشوري شلمنصر الثالث، وكانوا يشكلون تحدياً من التحديات للدولة الآشورية حين تنشغل بفتوحاتها فيتآمرون عليها. وقد ضمروا العداء لآشور حين اتفقوا مع المتمردين البابليين وساهموا بإسقاط نينوى في زمن الضعف الأخير للسلالة السرجونية.

**7.العيلاميون:** كانوا يحرضون ضد آشور عن طريق دعم المتمردين البابليين وإيوائهم، لم يكن باستطاعتهم مواجهة الآشوريين، وحين كثرت تدخلاتهم قام الملك آشور بانيبال بغزو عيلام واحتلال عاصمتها عام 639 ق. م، لقد دمروا عيلام لكنهم لم ينتبهوا لفارس الفتية قربها بل أنهم بالقضاء على عيلام مهدوا لها المكان القادم، لم ينتبهوا لوجود صلٍّ أفعوانيٍّ كان ينمو ليصبح بعدئذٍ الثعبان الفارسي والذي سيبتلع ميديا وآشور وبابل والشرق الأدنى القديم كله.

**رابعاً: مرحلة التفوّق:**

بدأت مع الملك تجلاث بلاصر الثالث (745 ـ 727 ق.م.) الذي أصبح من أعظم الغزاة في التاريخ. خلال حياته، استولت جيوشه على الجزء الأكبر من العالم الذي كان معروفاً من سكّان بلاد ما بين النهرين في تلك الحقبة. وقد قام خلفاؤه بتوسيع الأمبراطورية التي أنشأها، حتى إنهم ضمّوا مصر إلى الأراضي الآشورية الشاسعة.

يكمن مفتاح النجاح الذي حققه تجلات بلاصر في الإصلاحات التي أجراها في الدولة والجيش الآشوريِّين: فقد طبّق مركزية السلطة، وجعل الجيش مؤسسة نظامية محترفة، وفي معرض قيامه بذلك، أنشأ هيكلية وُصِفت بأنها الهيكلية الإمبراطورية الحقيقية الأولى في التاريخ. لقد اعتمدت الإمبراطوريات السابقة على فرق صغيرة من الجنود النظاميين وأعداد كبيرة من العناصر الذين يجري تجنيدهم موسمياً، وشنّت حملات للنهب والاستيلاء على الغنائم، وحملت أعداءها على الاستسلام عبر ترهيبهم وزرع الذعر في نفوسهم. أما الهيكليات البيروقراطية والعسكرية التي أنشأها تغلاث بلاصر الثالث فكانت رصينة في فاعليتها ـ ومنهجية في همجيتها. لقد أشرف فريق متفانٍ من المديرين على مصادرة الفائض من الشعوب التي تم غزوها، بغية دعم الجيش النظامي المؤلف من مهنيين عسكريين يعملون بدوام كامل، والذين كانوا من الآشوريين ومن الشعوب الخاضِعة للإمبراطورية.

«بعد أن تمكن سرجون الآشوري من تحقيق نصر على التحالف في موقعة قرقر حاولت حماة مرة أخرى تكوين تحالف ضد السيطرة الاشورية إلاّ أن الملك سرجون الاشوري تمكن من القضاء على هذا الحلف بسهولة، كما جاء في حوليات هذا الملك: ((إيلو ـ بعيدي من حماة، رجل من العامة ليس له حق في العرش، حيثي ملعون، قام بمؤامرة ليكون ملكاً على حماة، وحرض ارفاد، وسميرا ودمشق والسامرة، لتتخلى عني وجعلها تتعاون وتؤلف جيشاً. فجمعت جموع جنود اشور وحاصرته هو وجنوده في قرقر، وهي مدينته المحببة إليه فسيطرت عليها وأحرقتها، أما هو فسلخته، وأما الثوار فقتلتهم في مدنهم... والفت فرقة من (....) وستمائة فارس من بين سكان حماة وأضفتهم إلى حرسي الملكي)). وقد دخل قسم منهم الحرس الملكي لأول مرة في زمن سنحاريب ويشاهدون على منحوتاته وهم يرتدون حول الرأس عصابة ترتبط بها واقيتان للاذنين وثيابهم قصيرة وربما كان هؤلاء من المهجرين الذين جلبوا من مدينة لاكيش. فضلاً عن ذلك كانت هناك وحدة معينة في الجيش الدائم، تعرف باسم أتوا Itwa، وهي جماعة ذات أصل قبلي، ولم يكن الأتوا من الاشوريين

عرقياً بل كانوا من قبيلة آرامية من جنوبي بلاد اشور نفسها، في مكان ما بالقرب من مدينة اشور، ولقد كانوا في وقت سابق يثيرون المشكلات للسطلات الاشورية، إلاّ أنهم أخضعوا وأصبحوا وحدة خاصة يتم استدعاءها للمهمات الخاصة.» (الأعرجي والكعبي 2017: 273).

وكذلك ازداد نطاق الإمبريالية الآشورية في أواخر الحقبة الآشورية الجديدة. فقد جرى إلى حد كبير توسيع السياسات التي كان الملوك الآشوريون يطبّقونها منذ القرن الثالث عشر ق.م.، على غرار الترحيل الجماعي للشعوب بهدف نشر الهدوء في الأراضي التي يتم غزوها، وزيادة أعداد السكان في معقل الأمبراطورية. وقد زعم الملك سنحاريب (705-681 ق.م.) بأنه قام عام 701 ق.م.، إبان حملته الثالثة لقمع الثورات في ساحل المتوسط، بترحيل 208000 شخص، ولا بد من أن هذا الرقم كان يشكّل نسبة كبيرة من سكّان المنطقة في تلك الفترة.

«كانت لسياسة الملوك الاشوريين القاضية بترحيل السكان من مناطقهم من ضمن الاستراتيجيات المتبعة آنذاك في بلاد اشور، ومن هذه الاستراتيجيات تمثلت في استعمال أولئك المهجرين في أعمال شتى لصالح المملكة الاشورية بما فيها الأعمال الزراعية، بهدف تنمية موارد البلاد الاقتصادية واستغلال المساحات الواسعة التي كانت تتطلب توفير أيدي عاملة كثيرة من الفلاحين من غير الاشوريين، ولهذا فقد اسهمت الحروب الاشورية في توفير تلك الايدي العاملة. وقد ازدادت أعداد المرحلين في عصر المملكة الاشورية الثانية أكثر من زمن المملكة الأولى، وهذا ما اشارت إليه الكتابات الملكية الاشورية، إذ أشار الملك سنحاريب في إحدى حملاته على القبائل الآرامية من ترحيل سكان تلك القبائل بقوله: ((حملت 208000 شخصاً كبيراً وصغيراً ذكوراً وإناثاً...))» (الأعرجي والكعبي 2017: 278).

خامساً: مرحلة الإنهيار:

لكن على الرغم من هذا البناء الإمبراطوري الهائل، وجد الآشوريون صعوبة في الحفاظ على سيطرتهم على إمبراطوريتهم الشاسعة. كانت الثورات شائعة، لا سيما في الأطراف، وكثيراً ما كانت الإمبراطورية تهتزّ تحت وطأة حروبٍ أهلية تُشَنّ على خلفية الصراع للوصول إلى العرش. وعندما حان أجل الإمبراطورية، كانت النهاية سريعة. فقد اندلعت حرب أهلية للاستيلاء على العرش إبان وفاة آخر الملوك العظماء في الإمبراطورية، آشور بانيبال، وأعقبتها اضطرابات وثورات استمرّت طويلاً وأضعفت الإمبراطورية كثيراً. وقد عجز الملك الآشوري سين-شار-إيشكون (627-612 ق.م.) عن إخماد ثورةٍ اندلعت في بابل بقيادة نبوبلاصر، وذلك بسبب الثورات المتواصلة في معقل الإمبراطورية الآشورية.

بحلول عام 616 ق.م.، نجح نبوبلاصر في انتزاع السيطرة على الجزء الأكبر من بابل من قبضة الآشوريين. ثم دخل في تحالفٍ مع سياخاريس، ملك الميديين، الذين كانوا خاضعين أيضاً للسيطرة الآشورية في السابق. فدنت نهاية الإمبراطورية الآشورية. بحلول عام 612 ق.م.، كانت قد تمت السيطرة على جميع المدن في المعقل الآشوري ونهبها. وقد تمكّن آخر ملوك الحقبة الآشورية الجديدة، آشور أوبالط الثاني، من الصمود في الغرب لبضع سنوات إضافية قبل أن تصبح الإمبراطورية الآشورية منسية.

على الرغم من أن الآشوريين استمروا حتى يومنا هذا كجماعةٍ متميزة في العراق، إلا أنهم تفرقوا وتحوّلوا إلى لاعبين صغار في خدمة إمبراطوريات أخرى في تيار التاريخ الكبير. فقد خدم جنود آشوريون في الجيش الفارسي الذي هزمه أبناء أثينا في معركة ماراثون عام 490 ق.م. وجنّدت الإمبراطورية الرومانية فيالق آشورية.

ثانياً: العقيدة العسكرية الآشورية

نضجت العقيدة العسكرية الآشورية، مع الزمن، ومن خلال التحديات التي جعلت من آشور والآشوريين في وضع الدفاع عن بلدهم وأنفسهم أولاً، ثم طوّروها نحو الهجوم

والتوسع، فقد كان الآشوريون محاطون بنوعين من الشعوب، أما شعوب بربرية متوحشة تريد التهام آشور وأهلها مثل الكَوتيين واللولوبو والسمريين والكمريين والميديين، وأما شعوب قوية ودول لها وزن ثقيل في المنطقة مثل الحيثيين والأوروراتو والحوريين الميتانيين والذين يريدون تأمين مستلزمات دولهم وامبراطورياتهم على حساب الآشوريين. وفي كلا الحالين كان لابد من نموّ جيشٍ وعقيدة عسكرية قوية على ضوء فكرة التحدي والإستجابة المعروفة.

«لقد حققت المؤسسة العسكرية الاشورية خطوة واسعة على صعيد التنظيم والسلاح والصنوف بحيث عد الجيش الاشوري بحق الجيش النموذج لبلاد وادي الرافدين لقد كان للآلة العسكرية الاشورية المتطورة وللشجاعة الفائقة التي أتصف بها الجندي الاشوري وللإيمان العميق بقدرة الإله اشور على تحقيق النصر على الأعداء دور اساسي في نجاح الاشوريين في إقامة إمبراطورية وطيدة الأركان واسعة الأرجاء مهابة الجانب مما مكنها من احتلال مركز الصدارة بين كل دول العالم القديم. والتي جعلت ذلك العالم يرتعد هلعاً طيلة ثلاثة قرون.»(الفتيان 1991: 383).

وقد نضجت هذه العقيدة تماماً في العصر الآشوري الحديث، بل أنها أفرطت في قوتها وقسوتها على الشعوب فكان مردودها عكسياً بغياب نظرية إدارية واضحة للشعوب المحتلة والمستعمرة من قبل الآشوريين.

كانت نصوص الحوليات هي التي تدون الحياة العسكرية وعقيدتها الآشورية الجديدة «من هذه النصوص التأريخية (الحوليات) نستشف أنها تعد من أبرز الشواهد على العقيدة العسكرية للآشوريين ومن أبرز الشواهد على النشاطات العسكرية التي خلدت عبر التأريخ، وكما هو معروف من خلال السياق العام لهذه الحوليات أنها تبدأ بذكر ألقاب الملك ثم يتبعه ذكر اسم الإله القومي اشور الذي أصدر إليه الأمر مع ذكر بقية الآلهة ومساعدتها له في تحقيق النصر. كما أن الوازع الديني

نراه يلعب الدور الرئيسي في العقيدة العسكرية ونشرها في أرجاء مقاطعات الإمبراطورية كافة.» (الفتيان 1991: 370).

اتضحت معالم هذه العقيدة العسكرية مع الملك الآشوري تجلات بلاصر الثالث الذي بنى الجيش الآشوري وفق عقيدة عسكرية جديدة أخذت بالإعتبار تحديات المرحلة السابقة وإعادة النظر بقوة آشور في المنطقة، وقد اتضحت معالم العقيدة العسكرية الآشورية من خلال النقاط الآتية، أنظر (الفتيان 1991: 380 ـ 386):

1 .استبدال جيش السخرة المكلّف والمتكون من الفلاحين والعبيد في آشور الذين يسوقونهم حكام المقاطعات الآشورية، واستبداله بجيش دائم مطوّع يتكون من فرق وأقسام نظامية، يقودونها ضباط كفوئين. ويتكون هذا الجيش من الفئات الآتية:

أ. الجيش المقرّب (قربوتو): الذي يكون قريباً من الملك ويكون فيه المقربون منه.

ب. جيش الحدود: وهو قطعات عسكرية ثابة عند نقاط الحدود والثغور.

ت. جيش المدن: وهو الجيش الثابت لكل مدينة رئيسية.

ث. جيش المملكة: وهو جيش البلاد الدائم والثابت والذي يشمل المطوّعين الثابتين، ويتحشّد معهم كل من كان قادراً على حمل السلاح عند إعلان النفير العام بقرار من الإله آشور.

2. الحرس الملكي الخاص كقوات قوية ضاربة

3. تشكيل القوات المتخصصة الساندة للجيش مثل سلاح الهندسة والطبابة والميرة والتموين والنقل والموسيقى العسكرية.

4. الإدامة الدائمة لقوة الجيش بالتدريب والتسليح والموارد.

5. قوات الطوارئ: وهم قوات خاصة لإعادة النظام والسلام في مكان ما، وخير مثال لهم قوات (أنوعا) الآرامية الذين كانوا يسكنون جنوب مدينة آشور ويقلقون وضعها حتى أقنعوا بتكوين خاص لهم يقوم بمثل هذه المهمات.

6. الكمائن: وهي مصائد معدة سلفاً للأعداء، وكان «استخدام الكمائن كخطط تمويهية الغرض منها تشتيت قوات العدو واستدراجه إلى المكان الذي تحدده القيادة الاشورية ليسهل القضاء عليه بأقل خسائر، ويعني هذا أيضاً اختيار أرض المعركة من أجل استخدام الصنوف المخصصة وطبيعة الأرض.» (الفتيان 1991: 382).

7. القوات الخاصة: تشكيل القوات الضاربة الخاصة مثل قوات الصاعقة

8. معسكرات الطوارئ: وهي معسكرات مؤقتة لتجميع وانطلاق القوات وتلبية حاجاتهم من المؤن.

9. مكافأة العسكريين الاقتصادية: عن طريق الاهتمام بمورد ثابت ومضمون لأفراد الجيش وذلك بمنحهم أراضي زراعية ليستغلوها مقابل خدمتهم في الجيش هذا بالإضافة إلى الجرايات التي تصرف لهم.

10. عدم الإستهانة بالعدو مهما كان والإستعداد الكامل للحرب.

11. الأساليب الدبلوماسية: من أجل المناورة أو إقامة التحالفات المضادة للأعداء.

12. سياسة التهجير: ترحيل الشعوب المهزومة في الحرب إلى مناطق أخرى واستبدالهم بموالين للسياسة الآشورية.

# المبحث الرابع: الحروب النفسية والحروب المباشرة

أولاً: الحرب النفسية ومظاهرها

تنوعت أساليب الحرب النفسية ومظاهرها العسكرية، بشكل خاص، في بلاد آشور، واتسعت وسائلها. وتميزت عن الأساليب التي قبلها تماماً، وفيما يلي المظاهر الأساسية لها:

1.الأساليب النفسية والتعبوية العسكرية:

كان الإعداد النفسي للمحارب الآشوري يحظى بأهمية استثنائية لا تقل أهميتها عن أهمية التدريب العسكري وتهيئة أسلحته ومعداته العسكرية، فقد توصل الآشوريون لهذه المعادلة المهمة من خلال حروبهم الكثيرة وأولها، في العصر الآشوري الحديث بشكل خاص، أهمية كبيرة.

«وكما هو معروف أن استخدام الأساليب التعبوية بشكل جيد ومنظم يؤدي بدون شك إلى تحقيق النصر فعلى سبيل المثال نرى أنه عندما يكون طريق الجيش صعباً لمرور العربات الحربية نرى أن التنسيق يبدأ مع وحدات أخرى تعمل على شق الطرق وتمهيدها وكان هذا واجب أولئك المتخصصين المزودين بالفؤوس... والمعاول النحاسية والحديدية والأزاميل وفي بعض الأحيان قد تأتي القوة الآشورية على نهر لا يمكن عبوره وهذا يتطلب بطبيعة الحال أما عمل طوافات أو قناطر وعندها يناط العمل بأولئك المتخصصين لمثل هذه الأعمال. فالطوافات هي من ذلك النوع المعروف (كلك) أما القناطر والجسور فهي عبارة عن مجموعة من القوارب تشد إلى بعضها لتكون جسراً لغرض تسهيل عبور الوحدات العسكرية حيث ترمى فوقها الأخشاب لعمل طريق للعربات، وعندما يصل الجيش الاشوري بعد ذلك إلى مدينة محصنة والتي يجب أن توضع تحت الحصار، فعلى تلك الوحدات التي يحتاجها الجيش مرة أخرى لعمل التعليات الترابية وإيجاد الثغرات في الحصون.» (الفتيان 1991: 363).

وكان من ضمن الأساليب النفسية هو اطلاق بعض الأسرى أو تمكينهم من الهرب لكي يحدثوا على أهليهم هول ما شاهدوه من عظمة وقوة وتفوق الجيش الاشوري وذلك لزعزعة الثقة وإثارة الهلع في نفوس من تسول له نفسه أن يتحدى عظمة اشور.

2.الحركات العسكرية حسب شهور الآلهة:

ابتكر الآشوريون روزنامة عسكرية دينية، وحددوا شهور القتال والهجمات وفق الشهور التي يرعاها الآلهة الآشوريون وحسب صفاتهم القتالية، وكان في هذا عامل نفسيّ يدفع المقاتلين للتمثل بقوة هذا الإله والمحاربة بصفاته ومكانته عندهم، وهذا «هو ما يسمى بالحركات العسكرية، واستناداً إلى ما جاء بكتابات الملك سرجون، كان هناك وصف خاص بالحملات وصفه بأنه الشهر الذي تعود له القوة (الإله ننورتا الابن البكر للإله إنليل الأقوى بين الآلهة حيث كتب سيد الحكمة الإله شن شيكو في لوح منذ الأيام الخالية عن تدريب الجيش وأعداده وعن عمل المعسكر الكامل" أن الشهر المذكور هو شهر تموز، وذلك لأن الحملة بشكل عام تشمل أولئك الذين يذهبون إلى الجبال، وتعطي فكرة جيدة عن أراء سيد الحكمة لأن درجة الحرارة في السهول الاشورية تبدأ بالارتفاع في ذلك الشهر، وبنفس الوقت فأن تلك الفترة مناسبة لحشد الشعب، لأن الحصاد ينتهي في نهاية شهر مايس أو بداية شهر حزيران وبالإمكان تحشيد الكثير من الفلاحين للخدمة العسكرية.» (الفتيان 1991: 375).

3.استخدام الوسائل الدينية:

كان العامل الديني من أهم العوامل النفسية المساعدة على القتال، وكان هذا العمل سبباً في حصد الإنتصارات الآشورية، فقد كان الآشوريون يصطحبون في معاركم رجال الدين لرفع معنويات المقاتلين وليكونوا كعرافين لقراءة ما يخفيه العدو من خططٍ ولكشف طالعهم، ولتشخيص قدرات الآلهة في فضح خططهم والانتصار عليهم، وقد ثبت هذا الإجراء نتائج عظيمة في حالات التقهقر أو الارتباك، بشكل خاص، حيث يقوم رجال الدين بتعزيز ثبات المقاتلين في حروبهم.

**4. الأمن والإستخبارات العسكرية:**

إن ما يعرف اليوم بالإستطلاع العسكري كان معروفاً، على نطاق واسعٍ، عند الآشوريين. فقد كانوا يرسلون المجموعات الإستطلاعية قبل الجيش من جميع الجهات لمعرفة كل أحوال الجيش العدو واستعداداته، بل ويرسلون لهم الجواسيس الذين يتوغلون بينهم كعيون للآشورين داخل جيوشهم وبلدانهم، ويقوم هؤلاء بإرسال معلوماتهم بالسرعة الممكنة لبلادهم لكي يتبدر قادة البلاد الأمر.

5.الدين يخدم الدولة وحروبها

مع تنامي قوة آشور استخدم الآشوريون الدين والإله آشور وزوجته عشتار للأغراض السياسية، ويمكننا القول أن المفهوم الحديث ل (الدين السياسي) ظهر، أولاً، مع الملوك الأقوياء والأباطرة الأشداء في الدولة الآشورية، فقد برّر الآشوريون العنف من خلال هيمنة وسلطة آشور على العالم كلّه لا من خلال نظرة لاهوتية توحيدية، بل من خلال سلطة سياسية عنيفة لإرهاب الشعوب المحتلة أراضيها من قبل الآشوريين.
وقد فرض الآشوريون سلطانهم من منظار ديني واضح. «فعلى النقيض من الإمبراطوريات التي ظهرت في ماضي القرون القليلة قبلهم أو بعدهم، لم ينظر الآشوريون إلى أنفسهم ورعاياهم وأعدائهم من منظار عرقي. ولم يعتبروا أعداءهم أقلّ منهم منزلة كبشرٍ، بل اعتبروهم، ببساطة، أنهم فاجرون لا إله لهم. وإذا كانت ظروف الوجود الاجتماعي لهؤلاء الأعداء تختلف اختلافاً جذرياً عن ظروف الآشوريين، فلا بد إذاً من أنهم أيضاً برابرة وغير متمدّنين. حتى إن الآشوريين فسّروا الرعب الذي كان جيشهم يبثّه من منظار ديني. ورد في حوليات آشور-ناصر-بال الثاني أن الرعدة من إشعاع آشور، إلهي، كانت مسيطرة على مدينة سورو مثلاً» (Younger 1990: 311).

هكذا نجد أن بذور البراغماتية الدينية حول تكفير الشعوب الأخرى من أجل السيطرة عليها تظهر بداياتها مع الآشوريين قبل ظهورها واضحة وعلنية وصريحة بشكلٍ

لافت مع الديانات التوحيدية الإبراهيمية بشكل خاص.

**6.الهجر الإلهي:**

أيديولوجية تبرير الهزائم الآشورية: تجنب الملوك الآشوريون تسجيل إخفاقاتهم العسكرية الخاصة، فقد كانوا يركزون في وصف غزواتهم، في النصوص الآشورية والأيقونات، على جبروتهم وبطشهم بالأعداء، ويقللون من أهمية إخفاقاتهم العسكرية، لكنهم كانوا يبررون الإخفاقات الواضحة القوية بمبدأ ديني إسمه (الهجر الإلهي) والذي يقضي بجعل الآلهة غاضبة عن المسؤول عن تلك الهزائم قبل حصولها، ولذلك يقوم الإله بالهجر والإبتعاد عنه، وحينها يحصل الفشل العسكري بسبب سحب المساندة الإلهية وترك الآشوريين دون عناية إلهية.كل هذا كان يجري لتسهيل قبول مهزومي الحكم الآشوري. وقد تم استخدام نظرية الهجر الإلهي لتفسير وفاة سرجون عندما كان في حملة، عام 705 ق.م خلال معركة طابال في جنوب شرق الأناضول، حيث استولى الجيش المعادي على المعسكر الآشوري ولم يتم العثور على جثة الملك. ونتيجة لذلك لم تجرى له جنازة مناسبة في قصره في خورسآباد. واعتبر موته لعنةحلّت على آشور، حتى أنهم هجروا مدينته الجديدة الجميلة (دورشروكين) والتي لم تدشّن إلاً من قبله. ولذلك رموا الفشل في ساحة المعركة على (هجر الآلهة) ولم يكونوا صريحين، مع أنفسهم، في اعتباره فشلاً وعدم كفاءة عسكرية، ولذلك كان الآشوريون بحاجة فقط إلى إرضاء الآلهة لتعويض خسائرهم!!

ثانياً: الحروب المباشرة

كانت بلاد آشور في موقع لاتُحسد عليه، فمع نهاية العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي كانت محاطة بممالك مصر وميتاني والحيثيين وأرارات وبابل وعيلام ثم مملكة الميديين. ولذلك فهي معرَّضة للمخاطر من مختلف الجهات.

وحين نالت بلاد آشور استقلالها من مملكة ميتاني، في أواخر الألفية الثانية بقوّة السلاح، وقامت بضم الجزء الأكبر من مملكة ميتاني، ودافعت عن نفسها في مواجهة الحيثيين والبابليين. وكان الجيش هو من بنى الدولة الآشورية وحصّنها ضد جيرانها.

مع ظهور الملك آشور-ناصر-بال الثاني ونجله شلمنصر الثالث، عندما أصبحت آشور أقوى مملكةٍ في المنطقة، لكن هذا لم يستمر طويلاً حين نشبت الحرب الأهلية وغرقت آشور في أفول كامل لمدة قرنٍ بعدها، وفي عام 745 ق.م.، استولى تجلات بلاصر الثالث، حاكم نمرود على العرش في انقلاب دموي، وقتلَ العائلة المالكة. وحكَم بين عامَي 745 و727 ق.م.، واستولت جيوشه على الجزء الأكبر من العالم الذي كان معروفاً من سكّان بلاد ما بين النهرين في تلك الحقبة. ثم قام خلفاؤه بتأسيس الأمبراطورية التي ضمّوا لها مصر.

**أسباب القوة العظيمة الجديدة للإمبراطور تجلات بلاصر:**

1. تطبيق سياسة مركزية السلطة التي كان يمسكها بيده.

2. تحويل الجيش لمؤسسة نظامية محترفة ذات خدمات ومراسيم وقوانين ومراتب محددة وراسخة.

3. بناء الهيكلية الإمبراطورية الحقيقية الأولى في التاريخ وهي هيكلية مختلفة عن ما عرفته الإمبراطوريات التي ظهرت قبله وذلك باعتمادها على فرق صغيرة من الجنود النظاميين(المطوّعين) تشكل نواة الجيش الصلدة وعلى أعداد كبيرة من الجنود (المكلفين) الذين يجري تجنيدهم موسمياً من الآشوريين ومن الشعوب المحتلة. وتشكيل فرق متفانية في عملها تعمل على الإستفادة القصوى من الطاقات البشرية للشعوب التي يتم احتلالها وضمّها للإمبراطورية الآشورية.

4. إتباع أسلوب الإرهاب والترهيب التي كانت تروّع نفوس الأعداء وتجعل معنوياتهم منهارة قبل وأثناء وبعد الحرب.

5. شنّ حملات النهب والاستيلاء على الغنائم، وجعلها تستفيد مع الدولة منها.

6. الشروع بسياسة تهجير الجماعات المتمردة وغير المتمردة بأعداد غفيرة، حيث بدأ الملوك الآشوريون يطبّقونها منذ القرن الثالث عشر ق.م.، من أجل نشر الهدوء في الأراضي التي يتم غزوها، وزيادة أعداد السكان في معقل الأمبراطورية. وقد زعم الملك سنحاريب (705-681 ق.م.) بأنه قام عام 701 ق.م.، إبان حملته الثالثة لقمع الثورات في ساحل المتوسط، بترحيل 208000 شخص، وهو عدد كبير في ذلك الزمان قياساً لكثافة السكن في المدن آنذاك. وبقدر ماكان هناك وجه حيوي لتدعيم سلطة المركز في هذا القرار لكنه أصبح، فيما بعد، واحداً من أهم الأسباب التي أسقطت الإمبراطورية الآشورية، فحين كانت ترتخي قبضة الإمبراطورية بوفات إمبراطورٍ قوي وتنصيب آخر ضعيف، فسرعان مايُحدث ذلك اضطراباً كبيراً في بنية الإمبراطورية ويصبح كالصدع الزلزاليّ الذي يؤدي لتقويض الحكم الإمبراطوري كله عن طريق استقلال الشعوب وانفصالها عن مركز الإمبراطورية بحيث تعمل الشعوب المهجرة دوراً كبيراً في مثل هذه الحالات.

**الإرهاب والقسوة الآشورية**

كان الغرض من القسوة الآشورية هو إرهاب الأعداء وسكان المستعمرات الآشورية وإجبارهم على الخضوع لجبروت الآشوريين، ومن مظاهر هذا الإرهاب:

**1.التهجير القسري:**

«وردت كلمة التهجير في قاموس أكسفورد بصيغة (Deport أُبعد ـ Deportation تهجير - Deportee مُبعد) تشير الكلمة الأكدية (aloku) للدلالة على (انطلق، حرك،

ذهب) ويقابله بالسومرية المصطلح (Du Gin, ra). كما وردت كلمة التهجير بصيغ أخرى (Babalu - ablu - (w)asu(m) - Nasu) وتعني يجلب أو يحمل أو يهجر وينقل. ويعتقد أن كلمة التهجير وردت بصيغة إجلاء في الأكدية (Gallutu) في النصوص، والتي تعني نقل السكان من منطقة إلى أخرى والتي غالباً ما تتسم بالعنف والقوة.

**التهجير اصطلاحاً:** أحد أشكال الهجرات والانتقال الجغرافي للسكان غير الطوعي يحدث في مناطق عدة ولأسباب شتى. وعلى هذا الأساس يمكن إعطاؤه تعريفاً يتلائم وخصائصه، على أنه النزوح الإجباري (الاضطراري ـ اللااختياري) للسكان بصورة فردية أو جماعية لأسباب طبيعية أو اقتصادية أو سياسية قاهرة يترتب عليها تغيير محل الإقامة بصورة مؤقتة أو دائمة. (الأعرجي والكعبي 2017: 265).

أصبح التهجير، في القرون الثلاثة الأخيرة من عمر الإمبرطورية الآشورية ، ستراتيجية عسكرية ثابتة في منهجهم الحربي، وكان مصدر هلع وخوفٍ للشعوب المهددة بالتهجير بسبب اقتلاعهم من مكانهم التاريخي ووضعهم في مكان لايعرفون عنه شيئاً، «يعد التهجير من الوسائل المهمة التي عملت على اضعاف واسقاط الدول والممالك، فمثلاً أن الدولة الآشورية في القرون الثلاثة الأخيرة من حكمها قامت بتهجير ما يقارب الأربعة إلى خمس ملايين شخص، وقامت بتوطينهم في أماكن مختلفة من مناطقها، فضلاً عن بعض عواصم المدن الآشورية، سواء أكان هؤلاء المهجرين تم جلبهم بصورة قسرية أم طوعية، لا بد أنه كان هناك زيادة كبيرة في الاختلاط العرقي يقابله اضعاف الخصوصية العرقية، (باستثناء الحالات التي احتفظت بذلك عن قصد بوسائل دينية كما في يهودا)، لكن التهجير كان يحمل في طياته بذور الضعف والانحلال للمملكة الآشورية، التي عملت جاهدة من أجل مزج شعوب الشرق الأدنى القديم بعضهم ببعض.» (الأعرجي والكعبي 2017: 267).

لم تكن سياسة التهجير تعود بالنفع على آشور بل أصبحت عبئاً ثقيلاً عليهم، وتداعت فكرة أشرنة العالم بسبب ما استبطنها من قهر وقسوة مع الشعوب، «ومن النتائج الأخرى التي ترتبت على عمليات التهجير هي زيادة الأعباء المالية على العراق القديم، مما أسهم في إثقال كاهل الدولة وبالتالي مهد إلى سقوطها، لاسيما وأن المدن في العراق القديم كانت تضم أمّا مهجرين أو أسرى تم جلبهم من مواطنهم الأصلية إلى العراق، مما أجبر السلطة على توفير السكن والمواد الغذائية لهؤلاء المرحلين، وأدى ذلك إلى زيادة الكثافة السكانية لتلك المناطق. وأصبح المهجرون يحلون محل الشعب الاشوري، وينتزعون أمكنته سلمياً في عصر بلغت فيه القوة الحربية الاشورية أوجّها، وأن قلة عدد السكان الاشوريين مقارنة ببقية الشعوب، المقيمة في بلاد آشور، كان الثمن الذي استلزمته النزعة العسكرية، برهن في نهاية المطاف أنه قاض على كيان المملكة الاشورية.» (الأعرجي والكعبي 2017: 268).

### 2.التعذيب المفرط والهمجي:

استمر التعسف في عصر آشور ـ ناصر ـ بال الثاني (883-859 ق.م.)، مؤسّس الأمبراطورية الآشورية الجديدة، فقد ذكرت حولياته جرائم نُفذت بحق السجناء مثل قطع أقدام وأيادي وآذن وأنوف وشفاه بعضهم، وهناك نصوص تذكر كيف أن هناك أكوام من آذان الشباب، وأن هناك أهراماً من رؤوس الشيوخ، وأنا هناك جلوداً من الأعداء كانت تُسلخ وتغطي جدران قصر آشور بنيبال.وقد تجلت القسوة الآشورية بالمظاهر الآتية:

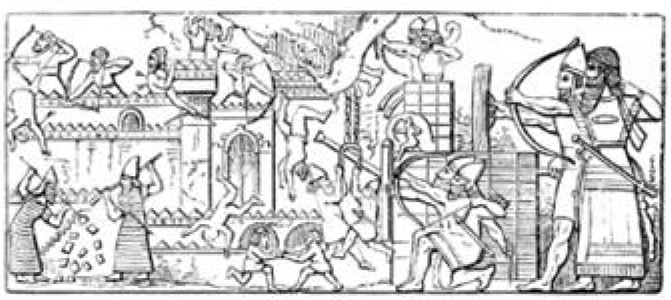
أ. عسكرتاريا المجتمع والشعوب المغلوبة، وجعل النزعة العسكرية في ظل الإمبراطوريتين الآشوريتين هي النزعة الغالبة، وهو الأمر الذي يشيع القسوة ويؤدي في النهاية الى انهيار المجتمعات.

ب. التعصب العرقي من خلال جعل الآشوريين والإله آشور أسياداً لغيرهم.

ج. ظهور الإرهاب الموجه نحو الشعوب المقهورة.

د. التشدد مع النساء وحجب حقوقهن، وهو الأمر الذي كرّس الذكورية وجعل المرأة هي المغلوبة على أمرها والضحية الأولى داخل المجتمع.

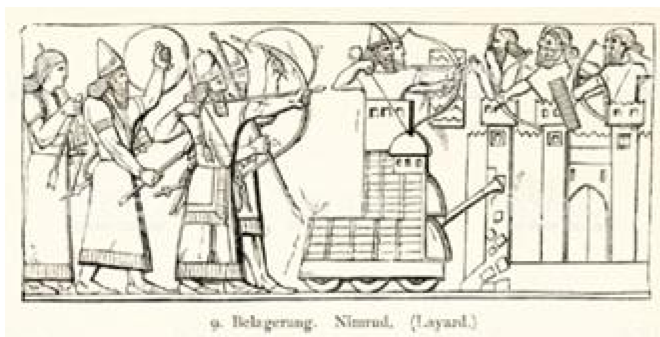
هـ. الغنائم والسلب والنهب: تطورت مع الزمن فكرة اعتماد الآشوريين على عمليات السلب والنهب والغنائم لتتحول إلى مصدر اقتصاديّ مهم في حياة الفلاحين والمقاتلين الآشوريين بل والبلاط الآشوري نفسه «وأفاد الملك سنحاريب (704 ـ 681 ق.م) في حربة مع حزقيا، برفد البلاد بالغنائم التي حصل عليها، فضلاً عن ذلك أن عمليات التهجير التي مورست بحق المدن والقرى التابعة للملك حزقيا قد اسهمت بشكل كبير في إضعاف روح المقاومة لديهم، إذ جاء في حوليات الملك سنحاريب: ((أما حزقيا اليهودي فأنه لم يخضع لنيري فحاصرت ستاً وأربعين من مدنه القوية وحصونه المسورة وعلى القرى الصغيرة المجاورة التي لا حصر لها.... وقد سقت منهم مائتي ألف ومائة وخمسين صفاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً، وأخذت خيلاً وبغالاً وحميراً وجمالاً وماشية لا تحصى كغنيمة)). كان لعمليات التهجير التي اتخذها الملوك الآشوريون دور كبير في اضعاف روح المقاومة لديهم، لا سيما وإنهم قاموا بنقل عناصر جديدة بدلاً عن السكان المرحلين، لكي لا يكون هناك عنصر مقاومة تجاه السلطة الآشورية.» (الأعرجي والكعبي 2017: 269).



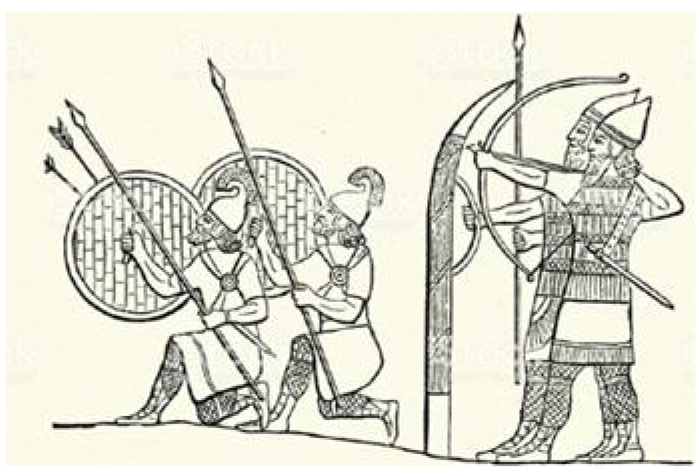
**الحصار الآشوري للمدن**



**حصار المدن وأسر الأعداء وقطعانهم**




**حصار المدن وتحطيم أسوارها**



**رشق السهام أثناء حصار المدن**

# الفصل السادس: المظهر المدني



## المبحث الأول: المجتمع المدني ونظام السلام في آشور

### أولاً: المجتمع المدني

قضى الشعب الآشوري قرابة 1560 عاماً (2600 ـ 911 ق.م) في حالة من الاحتلال والدفاع عن نفسه، والسلام في فترات استقلاله، وكان أعداؤه يحيطون به من كل الجهات، ومن المؤسف أن ينسى المؤرخون هذه الفترة الطويلة من حياتهم المسالمة، بصفة عامة، وبنائهم لمجتمع مسالم مدني الطابع، ويركزون على فترة الإمبراطورية الآشورية الواسعة

في العصر الحديث (911 ـ 611 ق.م) أي لثلاثمائة سنة كونها تمثل صورة التوسع والجبروت الآشوريّ.

ومع ذلك نقول إن المجتمع الآشوري، وإن شهد تجنيده القسري في هذه الفترة، لكنه كان يتململ منها ولا يؤيد كل ما فيها، فقد كانت قسوة الملوك الآشوريين هي الطاغية عليه والمسيّرة له.. وقد مرّت كلّ شعوب العالم وفي كل الفترات بفترات قسرية كهذه.

نودّ هنا دراسة الطبيعة المدنية للمجتمع الآشوري القديم والوسيط، بشكل خاص، لكي نعطي فكرة عن هذا الشعب المكافح الذي شغلت حياته الزراعة والتجارة لكي يبني طابعه المدنيّ.

على الرغم من ظهور الحديد كعامل حاسمٍ في حياة الآشوريين، لكنه لم يؤثر مباشرة وبشكل مفاجىء على حياة الفلاحة والتجارة عندهم، وربما ظهرت تأثيراته البطيئة على الزراعة والاقتصاد في أوقات لاحقة. المستوى الاجتماعي الآشوري يشير إلى الفقر، أو الركود في عصريه القديم والوسيط.

كانت التجارة الآشورية منتعشة في تلك العصور، ولكنها غير قادرة على الازدهار في جو المقاومة المستمرة والتمردات التي سادت الإمبراطورية الآشورية، وكانت الجزية التي فرضتها الحكومة الآشورية مرهقة للغاية لتترك الكثير من الثروة للتجارة. ولا يظهر السجل الأثري أي مدن مزدهرة خارج المدن الآشورية المركزية.

ازدهرت داخل الوطن الآشوري القديم والوسيط، المدن الكبرى وعمّت الحياة الاقتصادية التي كانت تنمو تدريجياً، ونشأ مجتمع مدني بمواصفات لا تختلف عن المجتمعات البابلية والسومرية.

ينقسم المجتمع الآشوري إلى ثلاث مجموعات كبرى:

1. الآشوريون الأحرار وهم غير الخاضعين للعبودية من قبل غيرهم، من الذين يتمتعون بالعيش الكريم كلّ حسب موارده الاقتصادية وسعاداته الشخصية دون مضايقة من أحد وفق نظام الحقوق والواجبات.

2. المعالون بوضع اقتصادي معين أي الذين يعيشون من عملهم مرتبطين بغيرهم ممن يعيلهم بالمال كمقابل لهذا العمل.

3. العبيد الذين هم تحت وطأة العبودية كمديونين لم يستطيعوا الوفاء بديونهم أو كأسرى من البلدان التي دخلت المعارك والحروب مع الدولة الآشورية.

كانت هناك حقوق محددة في القانون الآشوري لكل الفئات الثلاث، وحتى العبيد لم يكونوا على مستوى واحد من المساواة. وفي العصر الإمبراطوري الحديث لم تؤد الفتوحات الآشورية واسعة النطاق إلى تجارة الرقيق الواسعة بحيث تم تداول البشر في السوق الحرة. وأصبح السكان المحتلون رعايا أحراراً للملك الآشوري، حتى لو تم ترحيلهم إلى منطقة أخرى داخل الإمبراطورية.

العائلة المالكة الآشورية تزعمت الأرستقراطية المهيمنة على المجتمع الآشوري وحدّت من غلوائها وجشعها الكبيرين. ومع ذلك فقد تم اختيار الجزء الأكبر من الوزراء والقادة وحكام المقاطعات وكبار المسؤولين منهم وكان لديهم عقارات داخل آشور وتناثرت في جميع أنحاء الإمبراطورية. كانت الأرض تُزرع من قبل العمال غير الحرفيين، سواء الأقنان أو العبيد. ومع ذلك، يبدو أن غالبية الآشوريين أنفسهم كانوا مزارعين فلاحين أحراراً يجيدون فن الزراعة بإتقان ويمتلكون قطع أراضيهم الخاصة. كان هؤلاء هم الذين قاموا بالخدمة العسكرية بتوفير المجندين لقلب الجيش الآشوري.

المجتمع الآشوريّ طبقيّ الطابع، وهو أمر مألوف في كل مجتمعات التأريخ القديم، ولا تنفرد آشور به، بل أنها امتلكت قانوناً صارماً كان يحدّ من الإعتداءات والتجاوزات.

الأرياف كانت مسكونة بالفلاحين المثابرين، والمدن والبلدات كان يسكنها الحرفيون والعمال، وكانت هناك مجموعة النخبة من المواطنين البارزين، المكونين من الكهنة، والكتبة، والتجار والحرفيين البارزين، بالإضافة إلى عائلات أولئك الذين يمتلكون العقارات. وهذه صفات مجتمع متمدن قديم من دون أدنى شك.

أما في العصر الآشوري الحديث فقد كانت الممالك والمحافظات التابعة، فقد استمرت المجتمعات الموجودة فيها كما كانت من قبل، نستثني من ذلك المجتمعات المهجرة التي تم استيعابها في المجتمع الآشوري ومنحها الهوية الآشورية، ولكنهم سيكونون أقل حقوقاً بلا شك، حتى تم استيعابهم بالتدريج بعد عدة أجيال في مجتمع الإمبراطورية الآشورية.

ثانياً: سارية الحرب والسلام

هناك أكثر من سارية آشورية للحرب والسلام، فبالإضافة لسارية وثابت آشور الذي سنتحدث عنه في رموز آشور وهو رمز آشور الذي يفرد جناحيه على العالم بسلام ويُشرع قوسه وسهمه كمحارب، هناك رمزه الموضوع على ساريته وهي الشجرة الآشورية المقدسة.

آشور وأشيرا

يعود بنا التشابه بين إسمي آشور وأشيرا (الإله وشجرته) إلى التأمل طويلاً في العلاقة بين الخصب والقوة، بين التكاثر والموتى، وهو ما جسدته الكثير من الثنائيات الإلهية في عبادات وادي الرافدين، وكذلك في العبادات السورية القديمة وخصوصاً العبادات الكنعانية والآرامية، ونرى أن تلازم آشور وإشيرا قد كان مصدراً مهما لاستلهام اسم إسرائيل، المتكون من مقطعي (إسيرا + إيل) وهما (إشيرا الشجرة المقدسة + آشور الإله المتعالي الكبير الذي احتل مكانة أعلى من إله السماء(إيل))، ولاشك أن الكنعانيين والعبريين لن يستخدموا اسم آشور فوضعوا بدلاً عنه أسماءً عامة للإله وهو الإله القومي لهم في الوقت نفسه.

ثالثاً: أشرنة العالم بين الحرب والسلام وحقوق المواطنة

الآشوريايو Aššurāyu (الإثنية القومية واستيعاب الأمم الأخرى):

الشعب الآشوريّ يطلق على نفسه مصطلح آشورياو Aššurāyu، وهو مصطلح قومي يعني ال (آشوري)، ونجده مكرساً بشكل رسميّ في الوثائق اليومية الآشورية، وكان يطلق، في بداية الأمر، على طبقة عامة الآشوريين الأحرار الفقراء. أما وثائق الدولة فتعني بهم طبقة النخبة الإمبراطورية الآشورية.

الأمر يختلف بالنسبة للشعوب خارج الآشوريين، فبقدر ما يُعتبر الآشوريايو هو الشعب الآشوريّ الأصلي الذي سكن بلاد آشور منذ القدم، لكن الأمر اختلف عندما توسعت الإمبراطورية الحديثة، من خلال قوانينها، باعتبار كل الشعوب المهجرة والمحتلة آشورية من حيث الحقوق والواجبات. ففي عصر الإمبراطورية الحديثة منحت صفة الآشورياو لكل الشعوب المهجّرة والتي انضوت تحت الاحتلال الآشوري ووضعت كإمارات تابعة للعرش الآشوري، وكان لهؤلاء جميعاً الحقوق والواجبات التي تُمنح للآشوري الأصيل، وهو أول إجراء تقوم به دولة قديمة بهذه الطريقة إيماناً منها أن للشعوب الحق في مشاركتهم هذه المواطنة، ولم يكن في هذا الموضوع أي تعسفٍ دينيّ يقضي بإجبار المتأشرنين عبادة الآلهة الآشورية، لكن الدولة اشترطت عليهم احترام الإله آشور وجعله شعاراً لهم.

ستأخذ الدولة المقدونية ثم الممالك الهلنستية ثم روما بهذا الإجراء، مع خصوصياتهم الجديدة، وسيصبح موضوع كوزموبوليتية العالم أمراً شائعاً وبديهياً، ولكن آشور كانت أول من فعله في التأريخ.

الملوك الآشوريون المسالمون

(المؤسسة الدينية ودورها الديني والدنيوي ـ الاقتصادي في السلام)

لم يكن كلّ الملوك الآشوريين أباطرة فاتحين معززين بعقائد الفتح والإستعمار والتوسع والأشرنة، بل اقتصر الأمر على ملوك وأباطرة العصر الآشوري الحديث، لكن أغلب ملوك العصرين القديم والوسيط كانوا مسالمين وساهموا في توازن السلام والتمدن في تلك المراحل العصيبة من التاريخ يوم كانت الدول والإمبراطوريات القوية تحوم حولهم، فقد ارتبطوا بمعاهدات سلامٍ كثيرة، ومعاهدات اقتصادية واسعة، ومراكز تجارة عالمية مهمة.

وكان للمؤسسة الدينية دورها الكبير والواضح في استتباب السلام وانتعاش الاقتصاد، وكان الملك الآشوري هو الذي يترأس هذه المؤسسة ويوجهها.

الآلهة آشور وآشوريتوم (عشتار آشور)، الإلهان الرئيسيان في مدينة آشور. مسكا بالأمور منذ بدايتها من ذلك المعبد المزدوج لكليهما، لكن آشور لم يكن زوجاً رسمياً للإلهة آشوريتوم، بل نزه الآشوريون آشور عن الزوجة والأب والإبن، رغم أن هناك ما يشير عندنا يؤكد زواجه من زوجة إنليل وهي ننليل، لكن هذا الإجراء يبدو من أجل تكريس استيلائه على وظائف إنليل، ومن ضمنها زوجته، أكثر من كونه زواجاً إلهياً بالمعنى المعروف.

كان آشور يأتي الملوك بأحلامهم ويوجههم ويحذرهم من ظلمهم واختلال سلوكهم، وقد ازدهرت آشور في المرحلة الآشورية القديمة، وهي الفترة التي كانت فيها آشور إله المدينة الأم لعدد من المستعمرات التجارية في سوريا والأناضول. وشهدت أشور بالتأكيد نصيبها من الموت والكوارث. كانت دولة-مدينة تعتمد على مكانها في شبكة التجارة البعيدة. خلال المرحلة الوسيطة من تاريخ الآشوريين أصبحت تخضع سياسياً من قبل دولة أو إمبراطورية كبيرة هي الدولة الميتانية، والتي كانت في شمال سوريا وجنوب آسيا الصغرى. ولانعرف كيف كان آشور قادرًا على تحرير نفسه، ولكن حوالي عام 1350 قبل الميلاد كان أول ذكر للأرض التي تسمى آشور، «أرض آشور»، مما يشير إلى أن إنشاء دولة إقليمية. وفي الفترات المتأخرة تم تقسيم المدينة القديمة بشكل واضح إلى مناطق متميزة، مع المباني الرسمية (المعابد، الزقورة، القصر) ويبدو أن بقية المناطق الحضرية قد

تم استيعابها في جميع الفترات من خلال متاهة من الشوارع الضيقة والمنازل الخاصة المزدحمة.

كانت مدينة آشور قد صنعت السلام في تلك الفترات الأولى من تاريخها، ويوم هجرها الملوك لعواصم أخرى ظهرت نزعة التوسع لديهم، كأنهم كانوا يهربون من نبراتها المسالمة تلك، ومع ذلك فقد استخدموا اسم إلهها آشور كشعار توسع وأشرنه للشعوب، مثلما كانوا يذرعون بأنه الذي كان يحمي السلام.

# المبحث الثاني: نظام السلام

أولاً: أنظمة الدولة والسلم الإجتماعي

تحولت دولة أشور القوية الى أول إمبراطورية عظيمة في العالم منذ ثلاثة آلاف عام. فخلال المرحلة الإمبراطورية الحديثة كان هناك تحوّل نوعي في نمط الإمبراطوريات في العالم وفي مفهوم الإمبراطورية بشكل عام، فقد امتدت من جبال زاجروس ومناطق غرب إيران حتى البحر الأبيض المتوسط، ومن جنوب بلاد الأناضول حتى الخليج العربي، وضمّت ما يعرف، الآن، بالعراق وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين بل ومصر أيضاً (أي المشرق القديم بأكمله مع محيط متاخم له)، كانت هذه الدولة الإمبراطورية كبيرة بشكل غير مسبوق، ونوعية في جغرافيا الشرق الأدنى القديم المميز، وكان لابد من وجود نظام اتصالات متماسك يعمل بالآليات والاستراتيجيات التقليدية والمبتكرة. لقد ميزت بعض هذه التقنيات الإمبراطورية على كيفية تنظيم الآشوريين إمبراطوريتهم من خلال تحليل الجوانب الرئيسية، وهي:

1. الرئيس التنفيذي ـ الملك، زعيم ديني وسياسي وعسكري، مكلف بالحكم من قبل سيده، الإله آشور. 2٠ وزارة الداخلية ـ القصر الملكي في المنطقة الوسطى والديوان الملكي الذي يشكل المركز الإداري للدولة ٠

3. المدراء الإقليميون ـ الحكام وحكام العملاء الذين يتم تفويض السلطة المحلية إليهم

4. الموارد البشرية ـ إن شعب الإمبراطورية هم أغلى أصولها وعملائها ومنتجها الرئيسي، حيث كان الهدف من المشروع الإمبراطوري هو إنشاء «آشوريين»؛ نهج مع تداعيات دائمة لا تزال يتردد صداها في الشرق الأوسط اليوم.

5. ثمار الإمبراطورية: كانت الإمبراطورية الآشورية مسؤولة عن شعبها وعن الشعوب التي انضوت تحت قيادتها، وهذا ثقل كبير ومسؤولية لا حدود لها. وكان الثمن الذي دفعه الآشوريون مقابل هكذا إمبراطورية كبيراً، كان مُسكراً لقادتها، ولكنه كان معذباً لأهلها من المدنيين من جميع القوميات وبضمنها القومية الآشورية.

تعتبرُ حياة ومصير المدنيين، في وقت الحرب، مسألة إنسانية، عانى العديد من المدنيين وما زالوا يعانون من آثار الحرب. لكن الحديث عنهم وعن ظروفهم، من خلال ما يعانوه بشكل مباشر، أمر صعب بسبب صمتهم وعدم وجود ما يوثق معاناتهم بتفاصيلها. ولا يزال المدنيون جانبًا خفيًا من الحروب القديمة بشكل عام، لسبب بسيط وهو أننا لم نقرأ شهاداتهم المباشرة من خلال التدوينات الآثارية.

كان الآشوريون يذكرون المدنيين في الوثائق المسمارية، وغالبًا ما كان يتم تمثيلها على النقوش البارزة. حيث يُعاملون كزخارف «حشو» ممثلة ومسجلة كسجناء الحرب، وكجزء من الغنائم التي استولى عليها جنود الجيش الملكي الآشوري.

«في العصر الآشوري الحديث، تشير كل من المصادر المكتوبة والمرئية إلى وجود مدنيين في سياق الحرب، وهم أسرى حرب قتلوا وأسروا ورحلوا وأعيد توظيفهم في إدارة الدولة الآشورية. لكنهم المصادر آشورية تصورهم، بالضرورة، كنوعٍ من المبعدين من وجهة نظر المنتصرين، وبالتالي ليس لدينا صوت مباشر للأشخاص المهزومين لتزويدنا بالمعلومات عن واقع حياتهم وأفكارهم وآمالهم. لكن هذا يعتمد على قدر عنصرين متعارضين: أحدهما سيتغلب على الآخر دائمًا في ساحة المعركة وفي التاريخ، إذا أردنا وجهات نظر المدنيين

والسجناء على حالتهم كما الأسرى، حيث تظهر النقوش البارزة واقع حياة الأشخاص الذين تم أسرهم، مع مشاهد مألوفة للنساء والأطفال (الأمهات مع أبنائهن وبناتهن)، حيث تتحدث النساء عن بعضهن البعض، والرجال يتوسلون من أجل الرحمة من الجنود الآشوريين تشهد التماثيل على حياة هؤلاء السجناء في مشاهد غير مكتوبة (مرسومة) » (Nadali et al 2014: 109).

كان المدنيون جزءاً من الغنائم التي يستولى عليها الجنود الآشوريون بمجرد غزو المدينة. وكان من الصعب الوقوف بوجه الجيش الآشوري الذي كان يخشاه الجميع، ولذلك كان الخوف والأسى ظاهراً على وجوههم.



**قطع الجنود الآشوريون لرؤوس الأسرى، وقتل السجناء الآخرين (يسارًا). من النقوش التي تصور حصار لخيش، الرسم الموجود في قصر جنوب غرب سنحاريب في نينوى.**

يمكننا تقسيم الغنائم البشرية الآشورية من الشعوب الأخرى أثناء الحرب إلى نوعين أساسيين هما:

**1.الأسرى (السجناء):**

تسجل المستندات المكتوبة قوائم بأسماء وأماكن (المناطق والمدن) للأسر تم نقلهم داخل أراضي الإمبراطورية الآشورية والأنشطة والمهام (العسكرية والمدنية) التي كانوا يقومون بها. على العكس من ذلك، كان أسرى الحرب، من المدنيين والعسكريين، يتم إعادة تأهيلهم ودمجهم في القوات الآشورية بكل صنوفها حسب إمكانياتهم ومقدرتهم ومواهبهم.

وبسبب من سريّة أسماء وأعداد هؤلاء فلم يتم الكشف عنهم، ولذلك تفتقر الوثائق السرية الآشورية لجرودات بهم إلاّ ماندر. وكذلك من أجل عدم إعطاء انطباعٍ بدورهم في الإنتصارات الآشورية.

## 2.المهجّرون قسراً:

كانت العمليات المخططة والمنهجية لترحيل سكان المدينة التي تم الاستيلاء عليها تمضي لتجنب أي احتمال من الثورات المستقبلية وإعادة تنظيم السلطة السابقة. كانت المواكب الكبيرة والطويلة من المدنيين العزل (النساء والأطفال والرجال)، على النقوش البارزة للمساكن الملكية الآشورية في نمرود ودور ـ شروكين ونينوى، تشهد على هذه الآلية السياسية للترحيل من أجل استبدال وإعادة التوطين من المناطق المحتلة لأسباب سياسية واقتصادية لأن الحفاظ على المدينة وأراضيها وهي خالية من السكان الأصليين لها سيُضيف للإمبراطورية الآشورية مصدر ثروة جديد يسهم في ارخاء الأرض والإمبراطورية الآشورية. أما التدمير الكامل لها وجعلها مهجورة فسيجعلها غير مجدية من وجهة نظر اقتصادية.

لدينا نوعان من الوثائق تحت تصرفنا لدراسة حياة المدنيين في وقت الحرب في الفترة الآشورية: النقوش المكتوبة والرسومات البارزة.

النقوش الملكية تصف، بطريقة أكثر تقنيناً، معاملة المدنيين بقوائم بأعداد كبيرة من القتلى أو المرحلين اليوم، فهناك مستندات (رسائل) مكتوبة توضح تفاصيل الحركات والاستبدال من الناس داخل الأراضي الآشورية بواقعية أكبر. وتتحدث عن العواقب والمشاكل التي يتعين على الإداريين والمسؤولين الأشوريين مواجهتها في التعامل مع أسرى الحرب ورعايتهم. طبيعة.أما النقوش الملكية فلا تستفيض بشرح هذه الأمور.

الرسومات البارزة هي الفئة الثانية التي تعرض صورًا للمدنيين، خاصة في الحرب حيث يتم تمثيل الناس في مواكب طويلة سيرا على الأقدام أو على المركبات بعد خوض

المعركة، ومعهم قطعان حيواناتهم الأليفة، حاملين ممتلكاتهم الخاصة من (الجرار الصغيرة أو أكياس الخرج الخاصة بالماء والطعام وبعض العناصر). تظهر مشاهد أخرى مدنيون على قمة الجدران الدفاعية لمدنهم، تحت هجوم الآشوريين الجنود، يرفعون أيديهم فوق رؤوسهم مطالبين الاستسلام. أغلب من يكون عند الجزء العلوي من أسوار المدينة من النساء.



**الأسرى والمهجرون، والملك الآشوري المنتصر**

**The Seven Great Monarchies: Assyria (Part 4) by George Rawlinson**

ثانياً: التربية والتعليم: تعزيز السلم الاجتماعي

1.التربية والتعليم في مقابل القتال والحروب

أصبح واضحاً، اليوم، أن التربية والتعليم في آشور لم تكن إلزامية ولم تكن شائعة، على المستوى الشعبي، ولذلك تُرك الناس لأخلاق متوراثة ولتواصل عادات مع الشعوب المجاورة.

«أما التعليم الرسمي، في بلاد آشور، فكان مقتصراً، في المقام الأول، على الطبقات العليا، وكانت تديره مؤسسات البلاط. بينما كان التجار وأصحاب الحرف اليدوية متعلمين ولا سيما في بلاد بابل. أما المدارس التي كانت تطمن حاجاتهم فكانت مؤسسات خاصة ذات طبيعة تعليمية. أما التعليم العالي، مع بعض الاستثناءات، فقد كان حصراً من نصيب الإداريين النساخين والنبلاء. أما أبناء الأسرة الملكية مثلاً، فكانوا يرتادون (بيت ريدوتي) أو (بيت السلالة الملكية) التي كان مركزها في (تاربيسو) في (شرف خان) على نهر دجلة، على مبعدة أميال قلائل شمالي نينوى، حيث كانوا يعدون هناك للقيام بوظائفهم الملكية، والعسكرية والإدارية التي فوضت إليهم بشكل تدريجي. بينما بعض الأمراء كان من نصيبهم أن يتلقوا تعليماً متكاملاً. فمثلاً، يتبجح آشور بانيبال بالتدريب الدراسي والعسكري كما يلي: (حصلت على فن الأستاذ آدابو: الكنز الخفي لجميع المعارف النسخية، وعلامات السماء والأرض ودرست السموات مع الأساتذة الحكماء المختصين بالكهانة، وحللت مشكلات التقسيم والضرب المرهقة التي لم تكن واضحة لدي، وقرأت الكتابات السومرية، والكتابات الأكدية الغامضة التي تصعب السيطرة عليها، كما سررت بقراءة الأحجار التي يعود تأريخها إلى ما قبل الطوفان... هذا ما فعلته في كل أيامي)» (لوكاس 1980: 78).

إن عدم شيوع التربية والتعليم أضعف من النزعة الحضارية والسلمية في المجتمع الآشوري وساعد في تقبّل نزعات الحرب والعنف فيه.

2.منهج التسامح والمواطنة

رغم أن أشرنة العالم كان مشروعاً توتالتارياً متعسفاً، لكنه كان مبطّناً بالدعاوى الشكلية بالتسامح والمواطنة، وكان هذا يتم عن طريق اعلام مباشر وغير مباشر في المدن الآشورية الكبرى، «وكان من الواجب القيام بهذا عن طريق إظهار القوة الشاملة لآشور من جهة ومن جهة أخرى عن طريق الدعاية، ولم تكن هاتان الوسيلتان منفصلتين أو غير متصلتين، هذا وإن إظهار قوة آشور بما فيه معاقبة أولئك الذين أذنبوا بالنسبة إلى آشور

وأهانوها، لم تكن موجهة ضد أولئك الذين عانوا بشكل مباشر فحسب بل أيضاً ضد الذين سمعوا بتلك الإهانات عن بعد. وهناك مراجع متكررة في الحوليات الآشورية تشير إلى الملك الذي صب جام غضبه على الأعداء ما يمكن أن نترجمه بأنه سوف يسبب الخوف الرهيب، ولقد استعملت عدة كلمات أكادية للدلالة على هذا ولكنها جميعاً تمتلك نوعاً من الفارق الدقيق فهي تشير إلى نوع من الفزع المملوء بالخوف الذي يأتي من مقابلة شيء على المستوى الإلهي.» (ساغز 2008: 373).

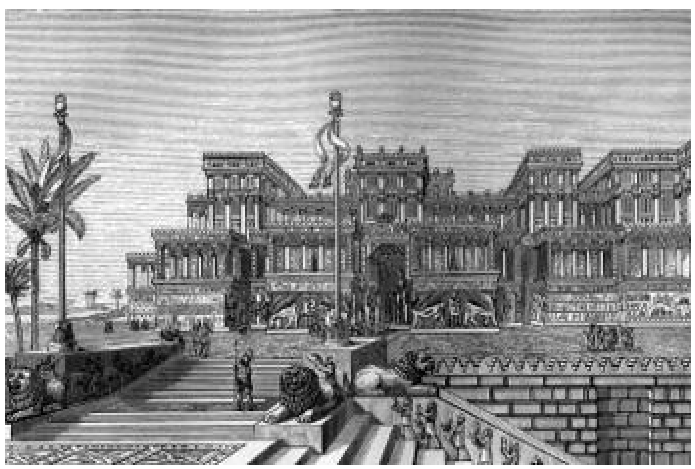
كانت هذه المشاهد مؤثرة وحاسمة سواء بالنسبة للأهالي أو للغرباء والزوار، فقد شعر الأهالي بزهوٍ قاسٍ وبطولةٍ غاشمة هيأتهم لخوض معاركهم التي سرعان ما أصبحت مملّة ومكررة، لكنها سفكت دماءً كثيرة من الشعوب التي طالتها، وكذلك أعطت انطباعاً بالقوة والعظمة بالنسبة لزوار المدينة من الأجانب والتجار والسياسيين فجعلتهم يرهبون آشور ويخافونها، «لقد أظهر المظهر النفسي للحروب الآشورية عن طريق الأسلوب الذي استعمل في تصوير النقوش النافرة لمشاهد الحروب، ففي قصر آشور ناصر بعل في كالاخ كانت مشاهد الحرب هي السائدة والنقوش النافرة ولكن في القاعة التي كانت تستخدم كفرقة اجتماع المستمعين فقط. وإنه لاستنتاج معقول أن نذكر أن سيادة المشاهد الحربية إنما كانت للتأثير على رؤية ووعي الزوار من الحكام والسفراء لعظمة آشور وقوتها العسكرية، أما في الغرف الأخرى في القصر فقد كانت مخصصة للموضوعات الدينية أو الاحتفالية. » (ساغز 2008: 375).

3.البناء والعمران

أحبّ الملوك الآشوريون البناء والعمران وشاركهم شعبهم هذا المسعى أكثر من مشاركته لهم في الإنخراط بالغزوات والحروب. وهكذا تشيدت الأسوار والبيوت والقصور الكبيرة الرائعة والمعابد والمباني العامة الأخرى، ووضعوا حدائق ملكية جميلة. قام البعض منهم ببناء عواصم جديدة بالكامل، والبعض الآخر بتوسيع وتجميل العواصم القائمة. وربما كانت نينوى أعظم مدينة في يومها حيث تلائم مكانتها كعاصمة أقوى قوة في العالم.

أنتج الآشوريون عمراناً استثنائياً لم تشهده العصور السابقة، وكذلك أنتج فناً عظيماً امتاز بالفخامة والجمال والهيبة، وكانت الأفاريز(العتبات المعمارية) متعددة النوعية وفريدة بشكلها وطرازها ومضمون منحوتاتها، وهي نابضة بالحياة، وكانت بعض النقوش معروضة على الماني العمرانية والأسوار وعلى الجدران الخارجية للقصور. تم تصميم الآخرى للظهور على الجدران الداخلية، حيث يمكن رؤيتها عن قرب. وكانت هذه معقدة ودقيقة ومرسومة بألوان زاهية. واهتم الآشوريون بالحدائق الواسعة بالقرب من قصورهم وحولوا الأنهار لسقيها.

انتشر الفنانون في آشور من نحاتين ورسامين وموسيقيين، وانتعشت الحرف والمهن في بلاد آشور وهي جزء مهم من أجزاء التحضر والتدن في البلاد.



**قصور آشور وحياتها المدنية (إعادة تركيب لقصر سنحاريب)**

4.الرأفة بالحيوان

لم تكن، في كل أنحاء العالم القديم، رأفة بالحيوانات المدجّنة أو المتوحشة. ورغم أن بعض هذه الحيوانات نجت من القسوة والتدمير بفعل الصدفة التي التصقت بهم كنوع من القداسة الدينية. لكن معظم الحيوانات نالت قدراً كبيراً من العنف البشريّ.

كان الآشوريون قساة على الحيوانات الأليفة التي اعتاشوا على لحومها ومنتجاتها، وهو أمر ربما جرى تبريره بسبب طبيعة حياة الشعوب. لكنهم مارسوا قسوتهم بإفراط ضد الحيوانات البريّة لكي يستعرضوا قوتهم وبأسهم.

يحتوي الفن الآشوري على بعض أكثر الصور المروعة التي تم إنشاؤها على الإطلاق. في أحد المشاهد، تمزقت الألسنة من أفواه السجناء. وذلك سوف يكتم صراخهم عندما يكونون في المرحلة التالية من تعذيبهم على قيد الحياة. في حالة ارتياح أخرى، يوشك جنرال مُسلِّم أن يقطع رأسه، وفي سجين ثالث يضطرون إلى طحن عظام آبائهم قبل إعدامهم في شوارع نينوى.

الفن الآشوري فن الحرب حيث كل العضلات والحركة والتأثير. يصور الناس والحيوانات كرسوم متحركة شرسة للقوة التي لا ترحم. لاشك هو ابداع فنيّ مذهل، ولكنه لا إنسانيّ تماماً، وقد قلدته روما بعدهم في أبشع صورة.

**رياضة الدم:**

كان لدى آشور بانيبال ما يلزم لمحاربة الأسود، فقد كان يخدمه الخصيان الذين يعتقد أن تحررهم من الطموح الأسري يجعلهم موظفين حكوميين مثاليين.

كان الصيد الملكي للحيوانات الشرسة، وهو ما يعرف برياضة الدم للملك، هواية ملكية آشورية، فلم يصطد آشوربانيبال وعائلته الغزلان المتباعدة أو الخنازير البرية المتناثرة. لقد قاتلوا الأسود لإثبات رجولتهم الفائقة وقدرتهم على إخضاع المتوحشين. كان يتم تصوير الأسود، التي تم تصويرها بدقة وضربها بالسهام والرماح والسيوف من مسافة قريبة الرقبة أو الصدر أو الأطراف، وحمل أجسادها عاليا من قبل الخدم. إنها معركة أكثر من شرسة حيث تقوم الأسود بمهاجمتهم وتحاول مواجهة الرجال على ظهور الخيل، ليتمّ قتلها في نهاية الأمر.



**الملك آشور بانيبال (حكم بين 668 ـ حوالي 627 ق.م) يطعن أسداً، تفصيل من حجر ضخم منحوت لريليف من جدار القصر الملكي في نينوى**

**(Black, Jeremy & Green , Anthony 2004: 32)**

## 5.السلام في الحياة الآشورية

سادت لغة السلام ومفرداتها في العصور القديمة والوسيطة لآشور، وكان هناك نوع من التوافق في اللفظ والمعنى لكلمة السلم والسلام، بين اللغات السومرية والساريّة والعربية معاً. «إذ تعني كلمة السِلم والسلامة في اللغة العربية، العافية والبراءة من العيوب، والبعد عن الاقتتال، أي الصُلح والوفاق. وهو ما يخص الصحة الجيدة للفرد والجميع كحالة خاصة، وأمن المجتمع واستقراره كنظام عام. وجاءت في اللغة السومرية بنفس المعنى، بشكل سيليم أو سيليم ـ ما (sllim)، (sllim-ma). ليقابلها في اللغة الأكدية عدة مفردات، منها كلمة شلامو (shalamu)، التي تعني سلامة الصحة وسلامة البلاد والمدينة، وفي ذلك إشارات كثيرة. فضلاً عن كلمات أخرى لتعني السلم والسلامة، منها كلمة ساليمو (Salimu)، وسلامو (Salamu)، وسولومو (Sulummu). وكل منها يعني السلام والصلح والوفاق، وعلاقات للصداقة والتحالف، والابتعاد عن الحرب، والمصالحة بين الأفراد، وكذلك الوفاق بين المدن والأقاليم، وربما يكون موضوع (أسس السلام ومناهجه في العراق القديم) من

أهم المواضيع التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث.» (حسين، أثير أحمد 2018: 254). مظاهر الوفاق والسلام في المجتمع العراقي القديم.

رغم التواتر الحضاري في بلاد الرافدين وبلاد آشور، لكنها لم تشهد فترات سلام ورخاء طويلة. لقد كان لتنافس الشعوب داخل وادي الرافدين أثره على ندرة فرص الرخاء والسلام، وكذلك انفتحت عيون الحضارات والدول والثقافات المجاورة لوادي الرافدين على ثرواته الثقافية والمعرفية والتجارية والعمرانية، ولذلك «تعرض شعب العراق القديم، في طور بناء حضارته الكبيرة، إلى محن وصعوبات ومشاكل عدة. وقد استطاع ذلك الشعب المكون من ثقافات عدة، لا سيما الثقافة السومرية والثقافة الأكدية، ضمن الألف الثالث قبل الميلاد، من التغلب على تلك المحن، بوحدته الفكرية والعقائدية، ضمن وفاق اجتماعي متآخي، في مجتمع ساده العدل والحق، وحب الحياة وطلب السلم، من خلال حب الآلهة وخدمتها، وبالتالي خدمة المجتمع. وهي إحدى الإرادات الإلهية المهمة، كواجب ملقى على عاتق العراقي القديم. دفعه ذلك إلى البناء والارتقاء والابداع في كافة أنشطة المجتمع. على الرغم من قسوة الحروب والنزاعات بسبب الرؤى والاستراتيجيات السياسية، وأثرها السلبي على الشعب العراقي القديم، الذي حمل وزرها كشعب موحد متآخي. ونستنتج: تميز العراق القديم، بأرضه المعطاء، ومياه أنهاره الوفيرة، التي جعلته نقطة استقطاب لنزوح الشعوب المختلفة، وبودقة لانصهار ثقافاتها، في حضارة واحدة ومجتمع كبير موحد. إذ كون لحمة ذلك المجتمع أكثر من شعب، لا سيما شعب الفراتيون الأوائل والشعب السومري والأكدي. تعايش تلك الشعوب بوفاق اجتماعي متناغم، لا سيما في الجانب الفكري والعقائدي، ضمن نظام يحكمه القانون انطلاقاً من مبدأ العدالة والسلام للجميع. سعى العراقي القديم للسلام في رؤياه للحياة، مستجدياً له ولعائلته ولملوكه الحياة الطويلة الآمنة. من الآلهة التي حكمت عقائده الاهوتية، متودداً لها بكل السبل، حباً بها وبالحياة، كارهاً للموت وعالمه الأسفل البغيض. دفع ذلك إلى اجتهاده في العمل والبناء، وطلب السلم والسلام، والابتعاد عن الحروب قدر الإمكان. وبصرف النظر عن الرؤى

السياسية، لأصحاب السلطة آنذاك، في حملاتهم الحربية، إلاّ إن إنجازاتهم الحضارية من بناء وإعمار، كان له أثره الأعم والأهم في المجتمع. (حسين، أثير أحمد 2018: 258).

**ثالثاُ: العرقية والإنتماء العرقي في الإمبراطورية الآشورية**

**تعامل الآشوريين مع الأسرى والمهجرين**

كان المدنيون، من مختلف الأعمار والأجناس، يتعرضون للكثير من الفظائع التي تسبق وقت الترحيل نحو أماكن جديدة وحياة جديدة، في حالة نجاتهم من رحلة التهجير.

المدنيون هم الهدف الثاني للحرب، بعد الجنود المقاتلين، وهم يعانون من الهجوم وخسائر الحرب التي تغير وضعهم من أحرار إلى سجناء، لقد أعيدت برمجة حياتهم بالكامل وفقًا لضرورات المنتصر. المصادر الآشورية لا تعطي كلّ التفاصيل (باستثناء بعض المعلومات وصور المدنيين في المخيمات الآشورية) ولكن كان يمكن استخدام المدنيين للوظائف الاستراتيجية خلال عرض العمليات العسكرية للحصار، فهناك مدنيون يعملون لحساب الجيش الآشوري أو الأسرى ربما تم استخدام المدنيين من الجانب المقابل في التجسس والاختراق في مدينة العدو، وبذلك تكشف عن خطط وأسرار وترتيب انقسامات جيش العدو الرئيسية داخل المدينة إلى القوات المحاصرة.

يمكن أن يختاروا الاستسلام العفوي للجيش الآشوري في مقابل ضمانات بقائهم على قيد الحياة، اعتمد الآشوريون في كثير من الأحيان على هذه الآلية لإجبار مدينة العدو للاستسلام عن طريق التسبب في ثورات داخلية من خلال اختراق مثيري الشغب بعد المعركة، تم التعامل مع المدنيين كجزء من الغنيمة وكانوا جزءاً من توزيع البضائع المسروقة بين المسؤولين والجنود. وكان كل جندي يرافق مجموعة من الأسرى سجلهم الآشوريون المسؤولون، وربما حصلوا على مكافأة عند انهاء مهمتهم بنجاح.

هذا هو وضع الأجانب، الشعب الذي واجهه الجيش الآشوري، حارب وهزم وأسر. ماذا عن الآشوريين أنفسهم؟ كما لدينا سبق أن ذكرنا، ليس لدينا معلومات تفصيلية عن المدنيين الذين عملوا في الجيش الآشوري في زمن الحرب؛ على العكس من ذلك، هناك القليل من البيانات متاح لدراسة حالة المدنيين الآشوريين خلال الجيش حملات الملك الآشوري: بالنسبة للبعض الحملة العسكرية السنوية قد تكون فرصة اقتصادية للحصول على وظيفة مدفوعة الأجر، وفي النهاية، كجزء منه توزيع الغنائم. ولاشك أن وضع المدنيين الآشوريين يجب أن يكون مختلفًا تمامًا عن حالة مدنيي الأعداء فلم يعاني المدنيون الآشوريون مباشرة من آثار الحرب، كن هناك تداعيات غير مباشرة تمضي نحوهم، فغالبًا ما مات الجنود الآشوريون في معاركهم وسبّب ذلك الحزن والأذى لعوائل هؤلاء الجنود. وهناك رسالة من الملك يطلب فيها تسجيل أرامل الجنود الذين سقطوا، وأن يتم الاعتناء بهم، هناك مايشير لوجود مفقودين لايعرف مصيرهم.

لا يُعرف شيء عن مصير المدنيين في الحرب، ففي آخر عاصمة للإمبراطورية الآشورية، نينوى، اكتشفت ألواح تتحدث عن مصير بعض الأشوريّين المحظوظين الذين حاولوا الفرار من حصار الجيوش الميدية والبابلية عام 612 ق. وقد أدت الحفريات الأثرية لبوابة حلزي إلى اكتشاف اثني عشر فرداً الذين ماتوا، على الأرجح، أثناء محاولتهم الفرار: بينهم 29 فرداً، كان هناك أربعة أطفال بعضهم من الرضّع، وهو ما يذكّرنا في وضع مشابه جدًا لحالة مشاهد الأسرى المألوفة عند الآشوريين في النقوش البارزة.

# الفصل السابع: المظهر الاقتصادي



**النخلة والشجرة الآشورية المقدسة والمحراث في منحوتة حجرية آشورية**

## المبحث الأول: الصفات العامة للإقتصاد الآشوري والهرم الاقتصادي

**أولاً: الصفات العامة للإقتصاد الآشوري**

1. تطوّر الاقتصاد الآشوري من الزراعيّ إلى التجاريّ إلى الحرفيّ وأخيراً الحربيّ، لأسباب سنذكرها في الفقرة القادمة، وبقدر ما يعني هذا تنوعاً واضحاً لكنه يعني هجراً للإقتصاد الذي يعتمد على العمل الاقتصادي الأساسي كالزراعة، والذي أصبح يعتمد على التجارة والحروب في نهاية الأمر.

2. امتازت بلاد آشور بخصائص جغرافية متميزة جعلتها بلاداً قائمة على الاقتصاد الزراعي في منطقة شهدت ظهور أولى القرى الزراعية في العالم القديم آنذاك، لكن ذلك لم يساعدها على قيام دولة مزدهرة لأنها افتقرت الكثير من المواد الأولية من المعادن والأحجار الثمينة والأخشاب الجيدة، وهو ما جعل الآشوريين يجمعون بين التجارة والحرب للحصول عليها من خارج آشور.

3. كانت بلاد آشور حلقة اتصال للتبادل التجاري بين بلاد الأناضول وبلدان البحر المتوسط وبين الأقسام الوسطى والجنوبية من أرض العراق من جهة أخرى، وكانت مدينة آشور قد برزت كمركز تجاري هام في المنطقة إذ لعب تجارها دوراً كبيراً في الحياة التجارية في شمالي سورية وآسيا الصغرى (بلاد الأناضول) وقد شهدت انتقال الكثير من التجار الآشوريين آنذاك إلى تلك البلاد وإقامتهم جملة من المراكز التجارية الخاصة بهم وقد اشتهر من بين تلك المراكز مركز كول تبه، كانش القديمة، وبوغازكوي (خاتوشا) وعلي شار(أنكوفا) الحيثية.

4. أصبحت العملة الآشورية ناضجة التكوين، وكانت هي المصدر الأول للعملة الليدية التي يعتبرها بعض العلماء أول عملةٍ في التاريخ، فقد كانت تحمل صور آلهة المعابد التي تبعت لها، وتحمل قيمة وزنها بالفضة أو النحاس، وسادت في التعامل على كل التعاملات الأخرى كالمقايضة ووزن الشعير.

5. ظهور مظاهر حيوية جعلت من الاقتصاد الآشوري مرناً ووظيفياً في المنطقة كلّها، مثل اقتصاد السوق والقروض والربا والضرائب والأسعار والأجور المعمول بها في الأسواق وغيرها.

6. النشاط الواسع والقوي للتجارة الداخلية والتجارة الداخلية ونشوء المراكز التجارية ومحطاتها ووسائل نقلها، ومرونة التعامل بالمعادن والأخشاب والأحجار الكريمة وغيرها.

7. انتعاش المهن وتوسعها وظهور المصانع الصغيرة جعل من الاقتصاد الآشوري يبتكر حقل الصناعة بموازاة حقلي الزراعة والتجارة.

**ثانياً: التطور التاريخي للإقتصاد الآشوري**

**1.الإقتصاد الآشوري المبكر الزراعي (3000 ـ 2000 ق.م)**

نشأت آشور في وسط قرى الزراعة الأولى التي ظهرت في العالم منذ 8000 ق.م في شمال وادي الرافدين، وكانت الزراعة هي مهنة الآشوريين منذ نشوء قراهم ومدنهم الأولى، وكانت مزروعاتهم هي أنواع الحبوب من الحنطة والشعير والذرة والسمسم، وكذلك الفواكه كالتفاح والمشمش تزرع في مدينة (نمد ـ عشتار) وهي منطقة (تل عفر غرب نينوى)، وكانوا من أفضل مربي الحيوانات كالأغنام والماشية والحمير والجمال.

**2.الإقتصاد الآشوري القديم التجاري (2000 ـ 1720 ق.م)**

خلال الفترة الآشورية القديمة (حوالي 1940-1720 قبل الميلاد)، حصل تحول كبير في الحياة الاقتصادية الآشورية فقد أصبح مصدر الثروة الرئيسي هو التجارة وليس الزراعة. وصدر الآشوريون القصدير إلى الأناضول، والمنسوجات التي تم صنعها من قبل زوجات وأخوات وبنات التجار في آشور. وحمل الآشوريون شحنات من الفضة والذهب والقصدير والبرونز وتاجروا بها. وبدأ الآشوريون يهتمون بالتجارة وأنشأوا المراكز التجارية وطرقها في بلاد الأناضول.

**3.الإقتصاد الآشوري الوسيط الحرفي (1720–911 ق.م)**

انتعشت الحرف والمهن في بلاد آشور بسبب تراكم الخبرة وحاجة التجارة لها، وظهرت الحرف والصناعات المعدنية والفخارية والجلدية وغيرها.

**4.الإقتصاد الآشوري الحديث الحربي (911–612 ق.م)**

**المفارقة الآشورية**

المؤرخ مارك هيلي Mark Healy استخدم مصطلح المفارقة الآشورية بشكل دقيق ونوعيّ.

فهو يرى أن صعود العسكرية والإمبريالية الآشورية (من القرن الخامس عشر قبل الميلاد) جاء بسبب هشاشة نواة الآشوريين الأولى التي ظهرت في بداية تأريخهم واستمرت لغاية القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً حيث كانوا داخل المثلث المحدد بين مدن نينوى وآشور وأربيل وكانت تضاريس مكانهم غنية بأراضي الحبوب، ولكنها كانت مفتوحة للنهب من معظم الجوانب المحيطة بها، بالإضافة لوجود المخاطر المحتملة التي تشكلها القبائل البدوية، وأهل التلال، والقوى المتنافسة القريبة. وقد أثر ذلك بدوره على ظهور إجراء إحترازي داخل المجتمع الآشوري أدى إلى تطوير نظام عسكري فعال ومنظم جيدًا يمكنه التعامل مع حالة العدوان والصراعات والغارات المستمرة، فنشأ عن ذلك جيش قويّ أدى بالنتيجة إلى تحوله من جيشٍ دفاعي إلى جيشٍ هجوميّ قوي. لذلك صاغ الآشوريين نظرية «الهجوم أفضل استراتيجيات الدفاع»، وأصبحت الدول القريبة تعيش حالة أشبه بالحرب، مما أضاف إلى قائمة الأعداء للجيش الآشوري للغزو. ونتيجة لذلك، تمكن جيشهم من استيعاب المزيد من ستراتيجيات وخطط القوى الأجنبية، وتضخمت وارداتها التي كانت من المعادن والخيول والمهارات البشرية. واستكمل ذلك بالسيطرة على طرق التجارة الحاسمة مما أدى إلى نطاق من التطور والمرونة، وأصبحت ميول المرونة والانضباط ومهارات القتال المذهلة هذه هي السمة المميزة للجيش الآشوري الذي انتصر على معظم الممالك القوية المحيطة به في وادي الرافدين وفي غرب آسيا بحلول القرن الثامن قبل الميلاد.

هكذا تحولت الحرب إلى أعظم نظام إقتصادي للآشوريين، وأصبح التوسع العسكري الآشوري مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالازدهار الاقتصادي للعالم الصاعد. في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وكان هذا النظام العسكري ضرورياً لحماية ضعف الأراضي الآشورية

المحصورة بين دول ميتاني القوية شمالاً وبابل جنوباً، والتي دعمت الاستقرار الاقتصادي للأرض. ومع مرور الزمن، تحولت آشور إلى حاصدةٍ عسكرية واقتصادية جبارة في الشرق الأدنى القديم وغرب آسيا.

ثانياً: الهرم الاقتصادي الآشوري

**1.المرتبة الاقتصادية العالية:**

**أ. الملك والعائلة الملكية:** كان الملك وأسرته والبلاط الآشوري يملكون أكبر الثروات ويتحكم بها، فهم من يوجه حركة الحياة الاقتصادية.

**ب. الأعيان وأصحاب الأملاك الزراعية:** استثمرت الطبقة الأرستقراطية من الأعيان وأصحاب الأملاك الزراعية نفوذها ووجاهتها وحصلت على مقاليد أمور التجارة والزراعة في البلاد.

**1.المرتبة الاقتصادية الوسطى:**

**أ. الصناعيون المرتبطون بنقابة:** تكونت الطبقة الوسطى من الصناعيين والحرفيين المرتبطين بنقابة خاصة بمدنهم والتي كانت تحميهم وتعمل على احتكار المهن والصناعات لصالحها، وشكل هؤلاء رأس المرتبة الوسطى.

**ب. الصناعيون والحرفيون والمزارعون:** تشكل هذه الفئات عامة الطبقة الوسطى، وهي الكثرة الأكبر من الآشوريين الأحرار.

**3.المرتبة الاقتصادية السفلى:**

أ. الأقنان المربوطون بالمزارع الكبرى: ويشكّل هؤلاء القسم الفقير من الشعب الآشوري وأغلبهم من الفلاحين.

ب. الأرقاء وأسرى الحروب وسجناء الديون: ويشكّل هؤلاء العبيد والأسرى من الشعوب الأخرى وهو يباعون ويشترون مع الأرض.




**الهرم الاقتصادي الآشوري (طبقات المجتمع الاقتصادية)**

# المبحث الثاني: الزراعة والري

أولاً: الزراعة

الزراعة هي المصدر الاقتصادي الأول لآشور التي كانت حافلة بالسهول الزراعية الخصبة وبالمياه التي تأتي عن طريق الأنهار والقنوات والأمطار الغزيرة. وكانت الأرض في العصر الوسيط عبارة عن أملاك اقطاعية لبعض العائلات الكبيرة.

وقد شهدت هذه المرحلة الوسيطة انتعاشاً للملاك الجدد في المجتمع الزراعي دون أن تختلّ فكرة الملكية، بل تعززت للوارثين الجدد الذين أصبحوا يساهمون في خدمة المجتمع.لكن تقسيم المجتمع إلى أغنياء وفقراء كان يؤثر في هذه الملكية واستثمار الخدمات المتاحة، فالأغنياء هم الذين تمتعوا بها أكثر من الفقراء الذين فُرضت عليهم

واجبات كثيرة وأصبحوا يُعاملون كأجراء في أراضيهم رغم أنهم كانوا يملكون الأرض بالوراثة وهم العنصر الفاعل فيها.

لكن الأمر تغير في الدولة الحديثة حيث أصبح أصحاب الأرض هؤلاء أقناناً يباعون مع الأرض حين تباع.. لكنهم لم يكونوا عبيداً.

كان العبيد يسمون (أردو) الذين كانوا من أسرى الحروب والخدم، ومع أنهم لا يملكون شيئاً لكنهم ظلوا أحراراً في حياتهم اليومية. وكانوا ينجزون أغلب الأعمال الزراعية.

كانت الأدوات الزراعية كثيرة وشملت الأدوات البسيطة كالفأس والمسحاة، أو المركبة كالمحراث وهو على أنواع منها لشق الأرض ونوع للبذر، وتجر بواسطة الثيران والحمير بشكل عام.

**المحاصيل الزراعية المهمة:**

**1. الشعير:** يعتبر أهم محصول زراعي بسبب وفرته وتعدد فوائده حيث يستعمل كخبز وكمادة لإنتاج البيرة واستخدم في تقييم أثمان السلع وحساب الأجور والخدمات إلى جانب الفضة والنحاس.

**2. الحنطة:** وهي على أنواع وكان يستفاد منها لصنع الخبز بالدرجة الأساس.

**3. الذرة:** «وتبدو في كثير من نصوص العصر الآشوري أنها واحدة من أكثر المحاصيل النباتية زراعة في بلاد آشور إبان هذا العصر اذ كانت تمثل في حينها ضريبة الدخل المفروضة من قبل المملكة على مالك الحقول الزراعية باستثناء من اعفي منها وعلى الرغم من اننا لا نمتلك في الوقت الحاضر اشارات نصية واضحة بخصوص بيع الذرة وشرائها من هذا العصر ذلك ان الحاجة لم تكن تقتضي في كثير من الاحيان كما في الوقت الحاضر تدوين مثل هذه الامور، لكن لا يخفي هذا النقص حقيقة أن سكان بلاد آشور تعاملوا تجاريا بالذرة ولعل خير دليل على ذلك ما جاء في احد النصوص الادارية من كلخ إذ يسجل اسعار

بعض انواع السلع والحاجيات من ضمنها الذرة حيث جاء فيه العبارة الاتية (1 بلت من الفضة دفعت للذرة) (جاسم 2006: 113).

كانت الذرة توازي، في أهميتها، الشعير والحنطة، فقد كانت تخصص مساحة من كل الحقول لزراعة الذرة، في الركن الثالث من أركان الاقتصاد الزراعي الآشوري، حيث «تعتمد القوى الرئيسة في اشور القديمة على أراضيها الخصبة المزروعة بالذرة، ففي كل منطقة من مناطق اشور هناك بقع من الأرض مزروعة بالذرة، ولكن هناك منطقتين كبيرتين بصورة خاصة متميزتين بالقدرة على الإنتاج وقد كانتا دوماً بهذا الشكل إحداهما سهل أربيل الذي يوصف بأنه افضل منطقة منتجة للقمح في العراق، أما المنطقة الثانية فهي منطقة سهل الموصل، وإلى الغرب من نهر دجلة هناك حزام مزروع بالذرة الجيدة، وفي الجزيرة الواقعة إلى الجنوب من جبل سنجار يستطيع المرء أثناء السنوات الخصبة رؤية نبات الشعير ا لنامي في ذلك السهل، مع أنه يقل حالما ينتقل المرء جنوباً حتى يصل إلى الخط الواصل بين الحرة وقلعة شرقاط (وهي موقع عاصمة آشور القديمة).» (ساغز 2008: 10).

ثانياً: الثروة الحيوانية

**الأسماك:** عرف وادي الرافدين 324 إسماً من الأسمالك، وعثر على مايقرب من 90 نوعاً مختلفاً، كان عدد الأسماك النهرية هو 20 نوعاً، و40 نوعاً من الأسماك البحرية. وكان الشبوط أكثر الأنواع الذي يقدم للمعابد، وقد جاء وصف بعضها في النصوص الآشورية مثل سمكة (مور) وهي سمكة الجري كما يلي:

«1. برأس (يشبه) ثغرة المعول وأسنان (تشبه) المشط.

2. عمود فقري (يشبه) خشب التنوب.

3. أكياس هواء أو حويصلة (تشبه) بشرة أو جلد الجزء السفلي من جسمه يشبه الماء (بشكل خاص: ماء الصحارى) ويعني هذا الماء المحمول بقربة أثناء السفر في الصحاري

وهذا يعني الكيس الجلدي).

4. (ب) جلد مدبوغ (من نفسه) لكنه لا يزال لا يخدم شيئاً.

5. (بـ زعانف) ذيلها النحيف المنقط بوضوح هي سوط الصيادين.

6. السمكة القفازة ذات الجلد المدبوغ من نفسه.

7. احشاؤه ليست في أنفه.

8. سمكة مذكرة تمسك أو تقبض على أعدائها بذراعها وأرجلها.

9. الشوكة النهائية أي في المؤخرة، يمكن تحويرها إلى أضفر.

10. محرمة في مقام أو ضريح مقدس (لأية) مدينة لا تقدم كوجبة يومية.» (النعيمي 2018: 136).

ويبدو من وصفها أنها سمكة قبيحة ومحرم تقديمها في الطقوس الدينية كوجبة غذائية.

تتواجد الأسماك في العراق في نهري دجلة والفرات والأنهر الصغيرة وأن للنحاتين الآشوريين ما يبرز وصفهم للمياه والأنهر والبحيرات أو المستنقعات حيث كانت مليئة بالأسماك وبمختلف أنواعها. وفي الفن تم رسم أنواعاً عديدة ومختلفة من الأسماك بحيث أنه من الممكن تمييز هذه الأنواع المختلفة حتى أنه من الممكن في بعض الأحيان تمييز المياه العذبة من المياه المالحة على الرغم من أن النوعين تم وصفهما في المياه نفسها. وتم العثور على قطعة من الخزف في الأربجية عليها رسم سمكة ذات ذنب طويل ولكن هناك من الأسباب التي تبرر أن أن القشرة تم استيرادها من سامراء حيث تم هناك رسم أسماك تسبح على حافة خارجية لإناء أو أنه تم اصطيادها بواسطة الصنارة في حين هناك رسم لسمكة سوداء كبيرة في داخل الإناء ولكن من المؤسف أن هذه السمكة من دون رأس لأنه مغمور في الموجات.» (بوتيرو 2014: 198).

## الشكل رقم 8 من الإقتباس أ، صياد السمك

ومن الأسماك التي وصفت في النصوص الآشورية فرس البحر (نحيرو)، والكوسج (كوشوجو)، والسرطان (ألّوتوم)، الجري (جريتو)، شلاك (شلانجيتو)، الشبوط (بورادو).

يختلف شبوط بورادو الموجود في آشور عن شبوط الأهوار (أرشوبّا) الموجود في سومر وبابل، فهو مقدس في آشور لأنه يرمز لكهنة الأبكالو وكائنات الأبكالو باعتباره رمزاً من رموز الإله إيا الذي كان إله المياه والخليقة والحضارة.

كان الصياد يسمى في اللغة السومرية ب (شوحا أدونا، شوحاداكو) ويسمى بالأكدية (شوهادا) وهي قريبة من لفظة (صياد) العربية. وكان صيد الأسماك شائعاً في بلاد آشور ليس بالنسبة للصيادين المحترفين بل لعامة الناس، وكان يتم صيد الأسماك باسهام في المياه الضحلة وبالشباك في المياه العميقة، وقد ظهرت مشاهد صيد السمك في رسومات النحت البارز في نمرود (كالخو).

كانت إلهة الصيد هي نانشة، والتي تسمى أحياناً في آشور ب (ناشي)، وكان السمك أحد أفضل وجبات الطعام في آشور. وكانت تستخدم كعلاجٍ حيث تستعمل بيوضها ودهنها لهذا الغرض.

كانت الأسماك طعام الملوك والناس، وكذلك طعام الآلهة، فهي تقدم كقرابين للآلهة في المعابد، وكان هناك تحذيرات من أكلها في بعض الأحيان كما في هذا النص:

«(أنه سوف) مثل إله (إلى...) دعه يدخل حانة أنه سيطيل حياته أنه يجب أن يأكل حنطة عيمار وأنه يجب أن يشرب خمر حنطة عيمار، أنه يجب أن لا يأكل لحم بقر أو ضأن، أنه يجب أن لا يأكل الثوم أو الكراث أو السمك.يشير النص أن الفؤول قد عالجت أمور تخص حياة الإنسان ومن أهمها هي المأكولات التي يتناولها يومياً وعلى الدوام وكان السمك من بين تلك المأكولات ولا بد من الإشارة إلى أنه لا زال التحذير موجود في مجتمعنا الحاضر

من أكل السمك مع مأكولات أخرى كاللبن والذي يعتقد أنه يسبب حساسية مفرطة في بشرة الإنسان.» (النعيمي 2018: 141 ـ 142).

كانت تجارة الأسماك داخلية فقط وتباع في الأسواق المحلية، بسبب تلفها حين تبقى لوقت طويلٍ.

«وأن الرجل السمكة قد اعتقد بأنها تمثل الإله (داكَان الفينيقي) إلاّ أن هذا التحديد دُحض وأن هذا الشكل ظهر على مسكوكات يرجع تاريخها إلى القرن الرابع ق.م، من (أرخاد) أحدى الجزر التي حددها المشهد البحري الخاص بسرجون وأن الاتصالات بين منطقة ساحل البحر المتوسط وما وراء ذلك لعلها تكون قد أجراها الاشوريون بشغف مدركين أصناف الأسماك الكبيرة التي عاشت في البحر، ويعد الرجل السمكة حسب رأي بعض الباحثين يمثل إله الماء (إيا) وبذلك فإن عالم هذا الإله يمتد إلى مياه البحر المتوسط الأكثر بعداً. وتبين لنا منحوتة أخرى بأن الطبيب كان يرتدي ما يشبه جلد السمكة للدلالة على اتصاله بالإله أياه إله الماء أو الشفاء والاستعانة به في طرد العفاريت إذ ظهر طبيبان يرتديان زي السمكة وقد عمدوا إلى استخدام أسلوباً فنياً لإخراج العفاريت من جسم المريض وذلك عن طريق اعطاءه هدايا وعطايا رمزية في حالة موافقته على الخروج من جسم المريض، وقد أفاد هذا الأسلوب العراقيين القدماء في إخراج العفريت (lamastu) من أجساد المرضى وقد صور على لوح برونزي وهي تمثل هدايا متمثلة بمجوهرات وحلي.» (النعيمي 2018: 146).

«لقد كان ذلك الأثر عبارة عن وعاء مستطيل مزين في الوسط ومن كل جانب وعند الزوايا بصورة إله يضم إلى صدره مزهرية فوارة، ويتساقط الماء منها على الأرض منها نجد للمرة الثانية صورة أربعة جداول تصب في ذات الأناء، وإلى جانب كل إله رجل يرتدي جلد سمكة ويحمل في يده سطلاً. انظر الشكل (6).ويصعب علينا تعيين تاريخ لهذا الأثر أو لم تبرهن الكتابات المتقطعة على الجانبين بأنه صنع في عهد سنحاريب (704 ـ 681 ق.م) ومع أنه ليس من اليسير إعطاء تفسير له، إلاّ أنه من الممكن قوله المقصود هنا هو إشراك

(إله الماء) و(أيا) مع ساكنيها الطبيعيين أي الأسماك والذين كانوا يرتدون جلد الأسماك هم من الكهنة. وتؤكد لنا المنحوتة في الشكل رقم (7) بأن الكهنة كانوا يرتدون جلد سمكة، إذ تبين لنا كاهن اشوري من عصر سنحاريب يرتدي زياً بهيئة سمكة فوق بدلة قصيرة يحمل بيده اليسرى دلواً يستعمل للطقوس الدينية. كما شوهد الصياد الذي سبق وأن تحدثنا عنه وهو يقوم بعملية الصيد في الشكل رقم (8) وهو يعود إلى عصر سنحاريب. شوهد وهو يرتدي بدلة قصيرة ويتمنطق بحزام عريض، أما على الرأس فيرتدي عصابة تضيق بعض الشيء عند الحلق ويمسك خيطاً ينتهي بسمكة كما يشاهد على ظهره سلة تظم صيداً. وتوضح المنحوتة في الشكل (9) والتي تعود كذلك لعصر سنحاريب بأن الأنهار العراقية كانت تزخر بالأسماك إذ شوهدت بكثرة في مشهد لنقل المنحوتات بـ(القفة) ويقوده أربعة من الجذافين. وقد عثر على قطعة أثرية من البرونز تعود للفترة ما بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد كانت تستخدم لطرد الأرواح الشريرة وتبين المنحوتة كاهن يرتدي زي سمكة ويمسك بيده دلواً كما مبين في الشكل (10). » (النعيمي 2018: 147).



**الشكل رقم 6 من الإقتباس أعلاه، الرداء السمكي للأبكالو المرجع الأصلي: (بارو: 90).**

**(مظلوم 1971: 81 و123)**

«تم اكتشاف اسماك مزججة وموضوعة أمام الدرج المؤدي إلى غرفة العبادة في معبد (Assuritu) وقد تمت اقامته من قبل (Tululti) نينورتا في آشور. ويذكر أن الحكام الآشوريين عمدوا إلى تغطية الجدران التابعة للغرف الرئيسة في قصورهم ببلاطات أو

ألواح عبارة عن ديكورات للزينة. وكذلك كسجل مصور يعكس حملاتهم. وتظهر لنا هذه الصور الأنهار والجداول والبحيرات التي تتضمن مختلف أنواع الأسماك. وهنالك أيضاً مشاهد تظهر لنا الجنود على قوارب في البحر والمياه مملوءة بأنواع مختلفة من الأسماك الكبيرة والصغيرة فيها مثل الجري (أو الأتنقليس) والسرطان ونجم البحر و(قنديل البحر) وهنالك رسوم بارزة في قصر سنحاريب تظهر لنا السرطانات في المستنقعات والأنهار. وهناك رسم آخر للسرطان بالإضافة إلى قصر سنحاريب في نينوى هناك رسم للسرطان على ختم اسطواني موضوع بالقرب من أغصان شجرة وبالتأكيد يمثل الرموز الخاصة بالحقل.» (بوتيرو 2014: 197 ـ 198).

ثالثاً: الريّ

تطورت هندسة الري كثيراً في بلاد آشور، وصنع الملوك الآشوريون مشاريع ريّ واسعة وبنوا قنوات الريّ، فقد قام آشور ناصربال بذلك في مدينة آشور، وسرجون في مدينة دور ـ شروكين، وسنحاريب في نينوى. فعلى سبيل المثال هناك القناة بين دجلة وأعالي الزاب، وهو الجزء الوحيد من آشور الذي تم فحصه بدقة، بحيث توجد بقايا متميزة لقنوات آشورية، يتم العمل من خلال أكثر أرض مرتفعة عن طريق الأنفاق، وقناة بطول ثمانية أميال على عكس المسار الطبيعي لكل تيار في المنطقة. تنظم السدود والسدود، وقد تمكن السكان الأصليين من استخدام التمرير اليدوي للماء والذي كان معروفًا بالتأكيد، ومن المحتمل جدًا أنه تم استخدام آلات أخرى أكثر تفصيلاً، وقد تم الحفاظ في العصر الآشوري على بعض شبكات المياه الفعالة.

«وفي بلاد آشور، حيث من الصعب إرواء الحقول والبساتين بمياه النهر عن طريق شق الجداول والترع نظراً لانخفاض مناسب المياه في النهر عن مستوى الأراضي المجاورة، لذا كانت طريقة الزراعة الشائعة هي الزراعة الديمية، اضطر بعض الملوك الآشوريين إلى جلب الماء إلى المدن من أماكن بعيدة لكي يمكن أرواء الحقول والبساتين الخاصة بالمدن المهمة كمدينة نينوى ومدينة أربيل ومدينة تربيصو، لذا قام سنحاريب (705 ـ 681 ق.م) بجلب

المياه من مسافة تبعد أكثر من خمسين ميلاً إلى مدينة نينوى وأقام من أجل تنفيذ ذلك المسناة والسدود والقناطر التي تعد من أروع المنجزات التي قام بها سنحاريب، ويتحدث سنحاريب عن ذلك نفسه فيقول: «لقد حفرت قناة: إلى مروج نينوى وأقمت جسراً من الصخر عبر الوادي العميق وتركت المياه تعبر فوقه» وقام سنحاريب بمشروع آخر جلب بواسطته المياه إلى مدينة أربيل.» (سليمان 1988: 220 ـ 221).

قام سنحاريب ببناء شبكة ري واسعة حول نينوى، وزرع أشجاراً ضخمة، لم تكن موجودة في بلاد آشور، ونباتات مثل القطن، الذي جلبه من الخارج لصناعة القطن، في أماكن محددة، أما الزراعة التقليدية في نينوى فقد كانت للمحاصيل الزراعية المرتبطة بالطعام وللأعلاف

«يعد نهر الخوصر واحداً من الروافد القديمة المهمة لنهر دجلة والذي ما تزال آثار واديه شاخصة للعيان في مدينة نينوى إلى الوقت الحاضر، وبحسب الأدلة الكتابية المكتشفة فإن أول إشارة إلى ذكر نهر الخوصر في النصوص المسمارية وردت في مدونات من العصر الآشوري الوسيط وتحديداً من عهد الملك توكلتي ـ آبل ـ ابشرا (تجلاتبليزر) الأول 1115 ـ 1077 ق.م. إذ وردت تسمية النهر في نصوص هذا الملك بصيغة (خسر) gsur، وأحياناً تلفظ بصيغة خوسر guser، واستمرت هذه التسمية كما يبدو تطلق على النهر عبر قرون وأجيال متعاقبة وإلى يومنا هذا ما يزال النهر يكنى بـ(الخوصر) على الرغم من مرور أكثر من 3000 سنة من الآن على تدوين هذه الكلمة في النصوص الآشورية. وعلى الرغم من قلة المعلومات التي توضح أسباب تسمية النهر بالخوصر في النصوص المسمارية، وهل أنها ترتبط بعدد منابع العيون التي تُجهز النهر بالمياه، كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين، إلا أن الرأي الراجح في هذه التسمية كما يبدو أنها اشتقت من شكل النهر وتخصره عند موقع (تل قوينجق) بعد اختراقه الجدار الشرقي لمدينة نينوى القديمة فاكتسب النهر هذه الصفة وانفرد بها عن غيره من الأنهار أو الروافد الأخرى لنهر دجلة.» (عبد الرحمن 2012: 159).

**حفر القنوات المائية:**

### 1.قناة كيمسيري:

«سبقت الإشارة إلى أن المرحلة الأولى ضمن مشروع الملك سين ـ آخي ـ اربيا الإروائي في نينوى تضمنت إلى جانب إنشاء السدود على نهر الخوصر، القيام بحفر قناة مائية عند أحد السدود الواقعة أعالي نهر الخوصر عرفت في المصادر الآشورية باسم «قناة كيسيري، وتعد هذه القناة من أبرز القنوات التي وردت الإشارة إليها ضمن تلك المرحلة، ويبدو أن من الأسباب الرئيسة التي دفعت الملك إلى حفر هذه القناة هو انخفاض منسوب نهر الخوصر وعدم إمكانية الاستفادة منه لإرواء الحقول والبساتين الزراعية القريبة من ضفافه ولا سيما تلك الواقعة من جهة الغرب، ولأجل ذلك كان لا بد من حفر قناة تأخذ المياه من أمام السد وتسير بها بمحاذاة النهر غرباً إلى مدينة نينوى ومن خلالها كان يتم إرواء معظم الحقول والبساتين الواقعة ضمن مسارها أو القريبة منها، ويتوضح ذلك من إحدى كتابات الملك التي أشار فيها؛ «ولكي يعمروا البساتين وزعت الأراضي القريبة من المدينة إلى مقاطعات... على مواطني نينوى وملكتهم إياها ولكي أجعل تلك البساتين عامرة وزاهية حفرت قناة بفؤوس من حديد ممتدة من التلال والوديان من مدينة كيمسيري إلى سهول نينوى وجعلت ماء القناة يجري في الخوصر مسافة (نصف بيرو) أي (16) كم ثم حفرت سواقي تتفرع إلى البساتين من تلك القناة. » (عبد الرحمن 2012: 168).

### 2.قناة سين ـ آخي ـ آربيا:

«من المؤكد أن السد الذي أقامه الملك سين ـ آخي ـ آربيا على نهر الكومل والمشار إليه آنفاً لم يكن ليحقق الغرض الذي من أجله أقيم دون وجود قناة مائية تأخذ المياه من أمام السد إلى الجانب الغربي لنهر الكومل وتسير بها نحو نهر الخوصر ومنه إلى مدينة نينوى، وقد وردت الإشارة إلى هذه القناة في إحدى كتابات الملك إذ نقرأ بهذا الخصوص.... وحفرت لها (أي نينوى) ثماني عشر قناة أجريت المياه فيها إلى نهر الخوصر... وسميت القناة باسمي. ولا شك في أن هذه القناة التي اقترن اسمها باسم الملك شخصياً قد نالت شهرة واسعة أكثر من غيرها من القنوات ربما بسبب تسميتها، فضلاً عن كونها أضخم وأطول قناة

أُنجزت ضمن المشروع الإروائي الخاص بالعاصمة القديمة نينوى. إذ بحسب المعلومات المتوفرة طول القناة انطلاقاً من نقطة مشورعها على نهر الكومل القريب من قرية (جروانه) وانتهاءً بمدينة نينوى يقدر بنحو (80 كم) وأنا ضمن مسارها كانت تمر بالعديد من القرى ومنها: جفته، بيران، مامرشان، باقصره، بيت نار، محموردان، مقبل، كندالة، شيفثيرين. وعلى بعد كيلومتر ونصف من قرية شيفثيرين عثر المنقبون على معبر للقناة تم من خلاله الاستدلال على عرض القناة في ذلك الموقع بنحو (19 متراً). ومن أجل السيطرة على مياه القناة جُهزت فوهة القناة بناظم وبوابة لتنظيم كميات المياه التي تجري في القناة وكان يتحكم بآلية هذا الناظم شخص مسؤول عن ذلك يتولى مهمة فتح الناظم وغلقه كلما تطلب الأمر ذلك وكلما دعت الحاجة إلى تنظيم انسيابية المياه نحو القناة. » (عبد الرحمن 2012: 168).

ميزوبوتاميا ونهري دجلة والفرات https://www.academia.edu/39879129/

«أن الروافد الرئيسة لنهر دجلة في جزئه الشمالي داخل العراق هي أنهار الزاب الكبير والزاب الصغير والعظيم. ينبع الزاب الكبير من الجهة الشرقية لجبال طوروس. وهو نهر متدفق وغزير المياه ويميل منسوبه للإرتفاع بصورة كبيرة ومفاجئة وعادة ما يبلغ أقصى منسوب له في نهاية نيسان وفي مايس وتصل ذروة فيضانه عادة إلى نقطة مصبه في نهر دجلة بصورة مبكرة عن فيضان الأخير. ويحصل أحياناً أو تتزامن ذروتي فيضان النهرين في نفس الوقت مما يسبب زيادة في حجم الفيضان في نهر دجلة بعد الملتقى بحوالي الثلثين. ويكون حوض تغذية الزاب الصغير في حزؤة داخل كردستان أقل مناسيباً من حوضي تغذية كل من الزاب الكبير ودجلة وتصل فيضاناته إلى الأخير بصورة مبكرة عن فيضان النهرين السالفي الذكر ويتحقق أعلى فيضان له في بداية شهر نيسان. وأخيراً فإن كميات الهطول المطري والمسقط الثلجي على حوض تغذية نهر العظيم يعتبران الأقل عن الأحواض الأخرى كما أن مجرى النهر قد يجف أحياناً إضافة إلى أن مساهمته في مياه دجلة تعتبر قليلة نسبياً.» (اليسون 2020: 2).

«ومن الجدير بالذكر فإن العديد من مشاهد الأهوار ظهرت في المنحوتات البارزة الآشورية خاصة تلك التي مثلت حملات الملك الآشوري سنحاريب. كما جاء ذكر الهور في حملة سنحاريب الرابعة في معرض وصف هزيمة الملك الكلداني شوزوبي (Suzubi) الذي كان يدعى أيضاً (موشيزب ـ مردوخ) Musezib - Marduk ملك بابل الذي عاش بعدها هارباً في وسط الهور. ومما جاء أيضاً في وصف حملة سنحاريب الرابعة هو ما قام به الملك سنحاريب من ترحيل مواطني بيت ياكن (Bit - Yakin) من وسط الهور والقصب. لذا يبدو لنا بأن مساحات واسعة في القسم الجنوبي من مملكة بابل كانت عبارة عن أهوار خلال الفترة الآشورية الحديثة Assyrian ـ Neo وكان بالإمكان استخدام هذه الأهوار ملجأ للعصاة والملوك المهزومين.» (اليسون 2020: 25).

### 3.مشروع قناة النكوب (النقوب):

«قام الملك آشور ـ ناصر ـ ابلي الثاني بحفر قناة للمياه عند إكماله بناء وترميم مدينته كلخو (نمرود) وترميمها. فكانت قناة النكوب التي سمّاها (باتي ـ خيكالي) لإرواء سهول مدينة كلخو لأن ماء الزاب الأعلى أنقى من ماء نهر دجلة، ولأن مناسيب الزاب أعلى من دجلة مما يسهل وصول الماء إلى المدينة. وقد ذكر الملك آشور ـ ناصر ابلي الثاني في كتاباته «وحفرت قناة من الزاب الأعلى قاطعاً التلال إلى المصب وسميتها باتي ـ خيكالي، الأرض الزراعية التي تقع على جاهنبي دجلة وروافدها وزرعتها بالبساتين وزرعت فيها كل أنواع الفواكه وقدمتها إلى الإله آشور، سيدي والي معابد بلادي.» (العبادي 2006: 98).

«يعد مشروع سنحاريب لإرواء منطقة نينوى من أضخم مشاريع الري القديمة وأهمها والتي أنشأها الملك سين ـ أخي ـ اربيا في شمال العراق، وهو بالتأكيد من المشاريع العظمى التي يتجلى فيها الفن والإبداع، مما يدل على تقدم الآشوريين في الفنون على اختلافها ولا سيما في شؤون الري. ذكر الملك سين ـ أخي ـ اربيا في حولياته أنه حفر قناة لتزويد حقول مدينة نينوى التي أصبحت أرض جرداء لا حياة فيها (سقيت حقولها ـ نينوى ـ والتي تحولت إلى خرائب بسبب عدم وجود الماء، جلبت الماء في نهر الخوصر (الخوسر)، وذلك

من خلال ثماني تسير هذه القناة نحو الغرب حتى تصب في نهر الخوصر وتصب أمام السد الذي بناه الملك سين ـ اخي ـ اربيا في المرحلة الأولى، إذ تسير المياه من أمام السد في قناة كيسيري، كما شملت الأعمال إكمال مشروع الإرواء بجمع مياه العيون في منابع النهر في المنطقة الجبلية المعروفة باسم جبال القوش والتي تبعد عن قرية (خنس) بما يقارب 30 كيلومتراً.» (العبادي 2006: 99 ـ 100).

**4.قناة سنحاريب لري نينوى:**

وهي قناة أكتشفت حديثاً، ونحن في مخاض تأليف هذا الكتاب، حوالي منتصف شهر كانون الثاني 2020، من قبل بعثة ايطالية في دهوك، شارك في إدارته البروفيسور دانييلي، وهي قناة بطول 50 كيلومتر، وتجلب المياه من جبال دهوك إلى نينوى، وربما كان لها علاقة بـ(الجنائن المعلقة) التي بناها سنحاريب في قصره وكانت تسقى من قناة الري هذه، ولعل من أعظم ما ترافق مع اكتشافها هو ظهور عشرة نقوش صخرية جديدة تُظهر ملوك آشور وآلهة آشور، والتي ستتحول إلى معلم سياحي كبير سواء في مكانها أو في المتاحف التي ستحلّ فيها.

/https://www.archeostorie.it/rilievi-assiri-di-faideh-scoperta-epocale



**جزء من قناة سنحاريب في فايده**



**لوحات مواكب الآلهة الصخرية المرافقة لقناة سنحاريب**

**https://www.archeostorie.it/rilievi-assiri-di-faideh-scoperta-epocale/**

# المبحث الثاني: الصناعات والمهن والحرف

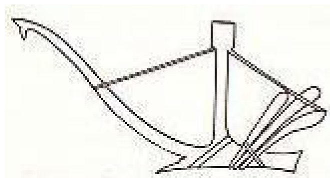
### أولاً: الصناعات والمهن والحرف الزراعية والري والحصاد

### 1. الصناعات والمهن والحرف الزراعية

**الفلاحة والبستنة**

**1. صناعة الفؤوس:** أداة عريقة في وادي الرافدين صنعها الآشوريون بإتقانٍ ومهارة، وكانت واحدة من أدوات الفلاحة والبناء. وكانت تستعمل في الحفر، وفي تنظيف التربة وإزالة الأدغال قبل الحراثة وهو مايسمى ب (العزق)، والشخص الذي يقوم بها يسمى العازق، ويسمى باللغة السومرية (كَش. أل.أك) وبالأكدية (رابيقو) أو الرابق وتعني حرفياً (الرجل الذي يعمل بالفأس).

**2. المحراث:** سمي المحراث بالسومرية (أبن)، وفي الأكدية (إبينّو)، **و**تطور المحراث منذ العصر الكاشي فأصبح يحمل المبذرة، وهي وعاء يربط بالمحراث ويعمل على رشّ وبذر الحبوب أثناء الحراثة، وقد تطور هذا المحراث البذريّ في العصر الآشوري الحديث وأصبح كبير الحجم، وهناك صورة له على أحدى أحجار الحدود (كودورو) تعود لزمن الملك أسرحدّون.



37 A seeder plough; Assyrian, first millennium B.C.

## المحراث الآشوري البذري في الألف الأول ق.م

**3. المسحاة:** سميت المسحاة بالسومرية (أل) وبالأكدية (ألّو)، وكانت تستعمل في كثير من الأمور كالتنظيف والحراثة، وحمل الطين من الضفاف وغيرها.

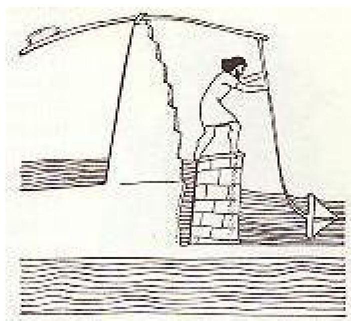
**4. المسلفة:** وهي آلة لتفتيت كتل التراب الكبيرة وتسوية سطوح الحقول، تسمى باللغة السومرية، (كَش.أور.را) وبالأكدية (مشكاكاتو)، وتتكون من دعامة خشبية ثقيلة تُجر على سطوح الحقول المحروثة.

**2. الصناعات والمهن والحرف المرتبطة بالريّ**

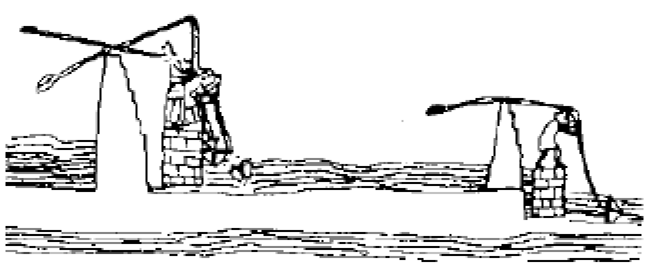
**1. الدلو:** سمي الدلو بالسومرية (لو.آ. بال) وبالأكدية (دالو)، ومعناها الساقي وهو يستخدم لرفع الماء من قعر الآبار، أما الأرض التي تسقى بواسطة الدلو فسميت (بت دالو).

**2. الدالية The Dali:** آلة بسيطة تعتمد على رفع الماء بواسطة ثقل في نهاية خشبة، بينما دلو الماء يغطس في الماء وكأنها تتبع قانون العتلات الفيزيائي في رفع الأثقال «هي إحدى وسائل السقي بالواسطة وتسمى (الشادوف) عند المصريين، والدالية معروفة عند

السومريين والأكديين وسميت باللغة السومرية (Gis - zi-Ri,.QUM/QUm) وباللغة الأكدية (Ziriqu) أي الدالية أو الشادوف. والثانية عبارة عن وعاء يوجد في نهاية عمود (خشبي) أفقي طويل موضوع على منصب عمودي، يغطس الوعاء والعمود ليمتلئ بالماء ثم يتم رفعه بمساعدة ثقل يوجد في الجهة المقابلة يعادل ثقل الوعاء الممتلئ. أما في العصر الآشوري الحديث القرن الثامن قبل الميلاد، فقد ظهرت الدالية على منحوتة جدارية من قصر سنحاريب في تلك قوينجق، إذ ظهرت الدالية أكثر تطوراً وهي عبارة عن عمود يرتكز على دعامة بنائية وقد عمل رأس الثقالة بشكل مقبض منحرف، وفي المنحوتة يُرى هناك داليتان في وقت واحد، واحدة ترفع الماء من النهر إلى ساقية مرتفعة، والثانية وهي عبارة عن دالية مزدوجة ترفع الماء إلى ساقية أخرى أعلى من الأولى.» (طاهر ومحمد 2019: 363).



21 Irrigation, the basis of Assyrian agriculture



**الدالية**

**3. الناعور:** يسمى بالأكدية (نا. آرو) وهو جهاز قديم عرفه أهل الرافدين منذ الألف الرابع قبل الميلاد، يتكون من عجلة ضخمة مزودة بأوعية كثيرة من الفخار، ومثبت بعمودين متوزيين، ويتحرك مع تيار الماء في النهر، ووظيفته رفع مياه النهر للأعلى وسكبها في ساقية على الضفاف تتولى تقسيم الماء على الأراضي الزراعية.

**4. الكرد (البكرة):** وهو جهاز بسيط، مطوّر عن الدالية والناعور معاً، لرفع ماء النهر بواسطة بكرة مثبتة وسط عمود أفقي مسنود بعمودين جانبيين ضخمين، وهناك حبلان مربوطان بالبكرة يرفع أحدهما وعاء الماء من النهر ويوصله الى الساقية ويصبّه هناك، ويتحكم بكل هذه الحركات شخص يقود زوجين أو أكثر من الحيوانات التي تدور.

3. مهن الصناعات والمهن والحرف المرتبطة بالحصاد

كانت هناك صناعات واسعة موروثة لأدوات الحصاد مثل المنجل والجرجر والمذراة، وغيرها كثير، استعملها الفلاحون الآشوريون وكانوا يصنعون أغلبها بأيديهم.

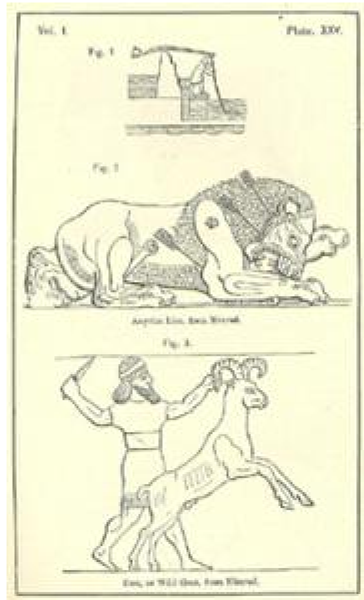
ثانياً: الصناعات والمهن والحرف الحيوانية

مهن الصناعات والمهن والحرف المرتبطة بالصيد

**أدوات صيد الحيوانات:** الأداة الرئيسية لصيد الحيوانات البرية والأليفة هي القوس والسهم، وربما كان يستعمل الرمح، والعصا وغيرها.

**أدوات صيد الطيور:** وهي الشباك والسهام بشكل خاص.

**أدوات صيد الأسماك:** وهي السنارة والشباك والرماح.



**التمرير اليدوي للمياه والأسد المرشوق بالسهام والماعزالبريّ المهيأ للذبح في بلاد آشور (Rawlinson 2016)**

## ثانياً: الصناعات والمهن والحرف الصناعية

### 1. مهن الصناعات والمهن والحرف الغذائية

#### صناعة حفظ الطعام

كانت عمليات حفظ الطعام أساس الصناعات الغذائية ولذلك اهتم بها الآشوريون، وكان المبدأ العام لحفظ الطعام هو التمليح والخزن في الأماكن الباردة، وكانت اللحوم تحفظ بالتمليح أو بالتجفيف بالشمس (التقديد) ثم تحفظ، وتحفظ الجلود بإضافة بعض التوابل لها. أما الفواكه فتحفظ وتكبس على شكل أقراص وتتغطى بقماش لتُعزل عن الشمس والهواء، والبقوليات كانت تجفف وتحفظ في الشمس.

#### صناعة الألبان

توارث الرافدينيون صناعة الألبان عن بعضهم، والتي شملت صنع الجبن والخاثر والقشطة والقيمر واللبن «وبالرغم من استخدام الحليب ممزوجاً مع بعض المواد الأخرى كوجبة للطعام، إلا أن العراقيين استخدموه بشكل أوسع في الوصفات الطبية وأغلب الظن أنهم كانوا يحولونه إلى منتجات أخرى لحفظها إلى فترات أطول والطريقة المستخدمة لذلك وبخاصة بالنسبة للجبن أو الدهن تتمثل في تعبئة تلك المنتجات في قرب معمولة من جلود أو معد الحيوانات يمكن أن تفرغ من الهواء بعد كل استعمال ويعاد ربطها وتعليقها. وما تزال بعض القرى العراقية وبخاصة في المنطقة الشمالية تعمد إلى استخدام نفس هذا الأسلوب في حفظ الجبن.» (الراوي 1985: 348).

**صناعة الأملاح**

1. الجبس (كبريتات الكالسيوم): وتستخدم في تجبير الكسور وصناعة التماثيل وتزيينها وفي طلاء البيوت والأدوات.

2. ملح الطعام (كلوريد الصوديوم): يحصل عليه من الواحات أو البحيرات الملحية بعد تنظيفه من الشوائب والتراب. ويفيد في الطعام وصناعة الأدوية ودباغة الجلود.

3. الصودا (كاربونات الصوديوم): ويتخلص من رماد النباتات المحروقة وإذابة الصودا وترشيحها وتجفيفها، وتفيد في عمل الصابون والعطور والطب وأغراض الزينة.

4. نترات البوتاسيوم: ويحصلون عليه من المياه الآسنة وتفسخات البول، ويعزل ويصفى ويغلى، ويفيد في صناعة الأدوية مثله مثل ملح للطعام.

**صناعة البيرة**

كانت البيرة هي المشروب المنعش والمفضل، سواء في مائدة الطعام أو في حالات السمر والشراب لدى العراقيين القدماء والآشوريين بصفة خاصة، وتحضر البيرة بالخطوات الآتية:

1. تنقيع الشعير في الماء ثم يسخن المنقوع بدرجة معتدلة لتنشيط الانزيمات الضرورية للتخمير.

2. يجفف الشعير بالفرن ويفصل عنه النشاء والقشور بواسطة الغربال.

3. تعاد عملية تنقيع الشعير وتنقيته ومن ثم يرفع ويترك ليخمر في جرار مغلقة لعدة أيام.

**صناعة النبيذ**

يقول سرجون الثاني: «كان العنب يتساقط مثل المطر، وكان النبيذ يتدفق مثل ماء النهر». وفي أقدم المعلومات التاريخية التي وصلت إلينا، تشير إلى تقنيات تصنيع مختلفة من النبيذ والبيرة. وهذا ما يفسر شيوع صناعة النبيذ في آشور.

في وقت الإمبراطورية الآشورية كان النبيذ الآشوري واسع الإنتشار في المستوطنات الآشورية مثل هضبة طور عابدين. وقد ذكرته ألواح الطين في مدن بلاد ما بين النهرين القديمة. وقام مزارعو النبيذ المحليون بتربية أصناف العنب الأصلية الخاصة بهم.

كان النوعان من النبيذ الآشوري (الأحمر والأبيض) يصنعان من العنب وبذور السمسم والتمر والتين والزيت والخميرة التي توضع في الماء وتضاف لها التوابل والعطور ورحيق العسل.

**صناعة الزيوت والشحوم والشمع**

1. الدهون النباتية: مثل زيت السمسم والخروع. وكانوا ينقعون بذورها في الماء، ثم يسحقونها ويستخرجون منها الزيت.

2. الدهون الحيوانية: مثل دهن الكلى ودهن عظم الغزال ودهن العصفور ودهن الخروف.

3. الشمع: يستخرجونه من أوراق الشجر، وشمع العسل.

**صناعة طحن الحبوب**

كانت المطاحن الحجرية (الرحى) هي الوسيلة الأساسية لطحن الحبوب، وهي قريبة من الرحى الشعبية التي كانت تستعمل محلياً، واستعمل الهاون للطحن.

**صناعة المنظفات والصابون**

المنظفات في وادي الرافدين كثيرة وقد توارثتها الأزمان والأجيال وهي كما يلي:

1. البول المتفسخ لوجود مواد محللة فيه وتكوينه للرغوة اذا ما خلط مع الدهون.

2. الطين خاوه.

3. الصودا المستخلصة من الرماد بواسطة الماء.

4. صمغ الشجر.

5. الصابون الذي يصنع بواسطة الزيت والشحم مع هيدروكسيد الصوديوم ثم فصل الكليسيرين عن الصابون،. أو بإضافة الكبريت للزيت أو المواد الصمغية.

**صناعة العطور**

استخدمت زيوت العطر في الطب وصناعة الصابون والأغذية، وكانت مفيدة في وفي إقامة الطقوس الدينية وممارسة السحر، حيث تستخدم الزيوت مع ماء الورد.

تبدأ بعمليات التنقيع أو التعطين للمواد المطلوب استخلاص العطر منها. وترشح بواسطة قطعة من القماش المخرم، وقد يضاف لها عود الريح أو عود المر، وقد ترشح مرات متعددة، ثم تمزج هذه مع الماء أو الزيت.

على المستوى الشعبي شاع ماء الورد المستخلص بطريقة بسيطة ما تنقيع الورد لعدة أيام في الماء وتنقيته.

## 2. الصناعات والمهن والحرف المرتبطة بالنباتات

### صناعة الخشب

كانت حاجة الآشوريين للأخشاب كبيرة جداً فهي تستعمل في بناء السقوف فغالبية السقوف كانت من الخشب حيث الروابط الخشبية الغليظة الممتدة على الجدران تغطيها الألواح الخشبية المستوية أو الحصران من القصب. والشبابيك والصناعات الفنية من الخشب، وكانت أهم الأخشاب هي الأرز الذي كان يستورد من لبنان، كذلك كانت هناك أخشاب الصنوبر والجوز وغيرها، ولم تستخدم أخشاب النخيل لهشاشتها.

وهناك صناعات كثيرة من غير الأخشاب تدخل في هذا المضمار مثل صناعة السعف والحصران والسلال والخوص وغيرها.

## 3. مهن الصناعات والحرف الحيوانية

### صناعة الجلود

يسمى الجلد بالسومرية (كُس) وبالأكدية (ماسكو)، وكانت صناعة الجلود واسعة الإنتشار قياساً لأغلب الصناعات والمهن الآشورية فقد دخلت في عمل الأحذية وقرِب الماء وحقائب الأطباء والحلاقين وأغمدة الخناجر والسكاكين والخوذ الحربية والدروع وسروج الخيل، وكذلك في صناعة الملابس.

كانت مراحلها بعد ذبح الحيوان وسلخ جلده ونشر الجلد وتعريضه لأشعة الشمس لكي تتفسخ وتتأكسد مواده البروتينية ويجف، ثم تتم معالجته بماء مشبع بالأملاح في حوضٍ كبير، ثم تنظيفه من الشحوم والأوساخ، ثم إزالة شعره عن طريق تغطيسه في أحواض

البول الحاوية على اليوريا والأمونيا والتي ترخي التصاق الشعر بالجلد، ثم يحك الجلد، وتبدأ عملية دباغته أما بواسطة الزيوت النباتية لنبات المرّ، أو عن طريق استعمال الشبّ. أو إضافة مسحوق العفص أو غلاف ثمرة البلوط والسماق والطين.

استخدمت الجلود في صناعات كثيرة منها الأحذية والملابس والهراوات وجعاب السهام والمقلاع (المحكال) وسروج الخيل والقفف والقرب والأدوات الموسيقية «أما بالنسبة للطبول عند الآشوريين فقد استدلت الآثار على منحوتة جدارية عثر عليها في القصر الشمالي بنينوى. وتصور هذه المنحوتة مشهد احتفال الملك آشور-باني-ابلي مع زوجته وشربه نخب انتصاره على ملك العيلاميين، ولم يبق من هذه المنحوتة سوى جزء من الطبل وكفّي العازف فقط، ويدل القسم المتبقي من الطبل على أنه كان على شكل (القمع) تقريباً، أي ضيق من الأسفل وواسع من الأعلى، وقد ثبت عليه الجلد كما يستدل على ذلك من الدوائر الأربع التي تدل على المسامير المرسومة بين إطاريين رفيعين لتثبيت الجلد. فضلاً عن ذلك فقد عثر على منحوتة تعود إلى زمن الملك آشور ـ باني ـ ابلي (668 ـ 627 ق.م) في نينوى، تبين مجموعة من العازفين من ضمنهم عازف على طبل شكله اسطواني صغير الحجم يحمله العازف على بطنه، وهو معلق بوساطة شريط في عنقه ويقرع عليه بكلتا يديه. وثمة اعتقاد يشير إلى وجود الجلد في المنطقة العلوية فقط، وآخر يشير إلى وجوده من الأعلى وإلى الأسفل.» (الصوفي 2004: 137).

**صناعة الغزل والنسيج**

كانت هذه الصناعة منتعشة في آشور، وكان الناس يمارسونها في بيوتهم يدوياً عن طريق المغزل التقليدي والحياكة التقليدية، وكانت هناك ورش لصناعة الغزل والنسيج، ولعب الصوف ثم الكتان الدور الرئيسي في هذه الصناعة. وجاءت زراعة القطن في بلاد آشور متأخرة جداً حين جلب الملك سنحاريب عام 694 شجرة القطن من خارج بلاد الرافدين (ربما من الهند!)، لكننا لا نلمس أي ذكرٍ لنمو انتاج القطن وصناعته في بلاد آشور بعد هذا التأريخ.

لعبت صناعة المنسوجات الدور الحيوي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية لمدينة آشور والمنطقة المحيطة بها، وكان يظهر اهتمام التجار الآشوريين القدامى بها إلى حد كبير فلدينا معلومات حول العديد من أنواع المنسوجات وكمية الصوف اللازمة لتصنيع المنسوجات، بالإضافة إلى السجلات التي تثبت الجودة والتشطيب وتفاصيل مهمة أخرى حول المنتجات النهائية. بالإضافة إلى الإنتاج المنزلي، وقد تم تصدير العديد من المنسوجات إلى الأناضول ومن آشور أتت صناعة نسيج راقية المكانة، وقد اقترح أن هذه الصناعة، التي تعود سجلاتها إلى الفترة الآشورية الوسطى، ربما بدأت خلال الفترة الآشورية القديمة وأن التوسع فيه جاء القطاع نحو إنتاج موجه للتصدير بسبب الحجم الكبير.

كانت كمية الصوف التي تتلقاها مدينة آشور من مزارعي الأغنام المحليين. قد أصبحت أساس صناعة النسيج المحلية وعاملاً هامًا في التنمية الاقتصادية للإمبراطورية الآشورية الجديدة. وقد تنوعت تشكيلة المنسوجات المنتجة محليًا والموجهة لتلبية احتياجات الطبقة السائدة والدولة الآشورية من خلال المنسوجات المستوردة من الخارج والتي دخلت آشور كمواد فاخرة. كان التوسع الآشوري خلال الألفية الأولى قبل الميلاد قد سمح بفتح آفاق جديدة وكان تداول البضائع (مثل المواد الخام وكذلك منتجات المنسوجات الجاهزة) والحرفيين (المتخصصين في المنسوجات) في الأراضي الإمبراطورية مفضلاً من خلال إنشاء نظام طرق فعال، وهي بنية تحتية تربط مدن الوطن بمراكز المقاطعات وكذلك المناطق الريفية قرى الأطراف البعيدة، وأكثر سيطرة واسعة النطاق على الجهاز الإداري. ولا يمكن اشتقاق فكرة الثروة وأهمية صناعة النسيج المحلية هذه إلا من مصادر كتابية وفن مرئي: النقوش الحجرية التي تزين القصور الملكية والآثار بالإضافة إلى العديد من القطع الأثرية التي يعود تاريخها إلى الألفية الأولى قبل الميلاد توضح لنا كيف تبدو الملابس الآشورية. ومع ذلك، لا توجد بقايا مادية للمنسوجات الآشورية، باستثناء بعض قطع النسيج الموجودة في المواقع الآشورية الجديدة في نمرود وآشور. بشأن القبور الملكية في نمرود.



**لوحة نحت بارز آشوري لامرأة تغزل**

## صناعة الخياطة

هي من المهن والحرف العريقة في وادي الرافدين، والتي توسعت في صناعتها وتخصصاتها حتى وصلت ذروتها في العصر الآشوري. «ويذكر في المصادر الأثرية بأن حرفة الخياطة خلال الفترة الآشورية كانت تحت تنظيم متطور مع وجود نوع من التنسيق المنظم بين ما كان يعرف بـ(رب الصنعة) أو الأسطة وهو شيخ الخياطين، وربما يكون هذا اللقب سيد الخياطين في مجموعة الخياطين الذين يشتغلون للمعبد أو للقصر. ومن التعبير الآخر «بيت الخياطة» نفهم بوضوح أن مكاناً خاصاً كان مخصصاً لاشتغال الخياطين ويكون هذا المكان دكاناً أو بيتاً أو ورشة كبيرة تجمع مجموعة منهم ويشتغلون تحت أمرة سيد ماهر متخصص. وقد يكون هذا المكان في القصر أو المعبد أو مستقلاً في حي معين كما هو الحال بالنسبة إلى المختصين بالنساجة مثلاً. وهكذا نلمس شيوع مهنة الخياطة في وادي الرافدين منذ زمن السومريين حتى آخر عهد الفترة البابلية الحديثة وما بعدها. فقد وجدت مصانع محلية صغيرة خاصة بالعوائل تنتج ملابساً حسب الطلب، وكان حضور المرأة واضحاً في مثل هذه المصانع الصغيرة، وذكر أن بعضهن تخصصن بتطريز الملابس.» (حبة 1969: 67).

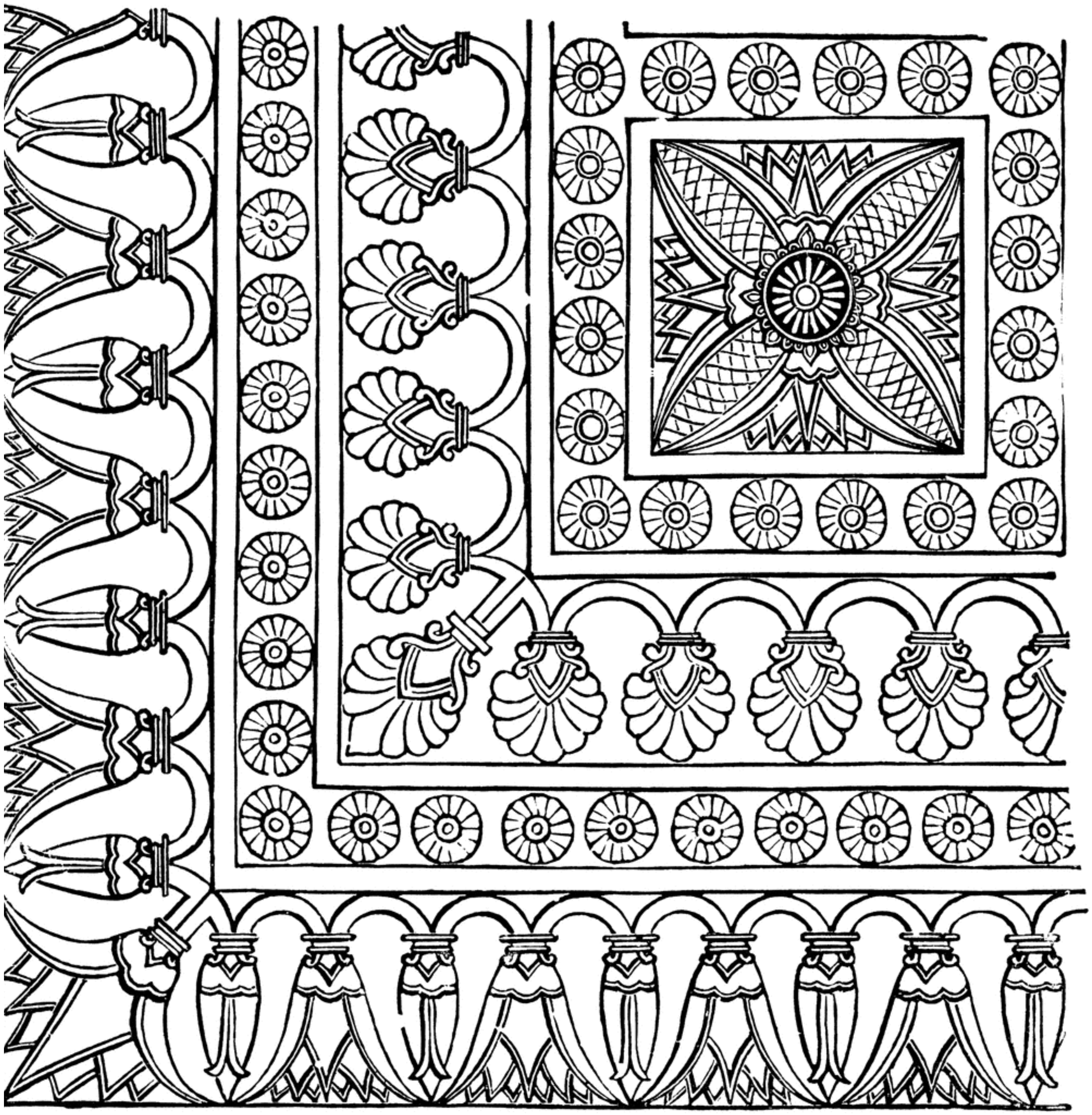
مع الآشوريين شهدنا استخداماً واسعاً لتطريزات الذهب والفضة في ملابس الآلهة والملوك، فقد خصص أسرحدون ما يقرب من ستة كيلوغرامات من الذهب صياغة الورود على ملابس أحد الآلهة.

**صناعة السجاد**

انتعشت صناعة السجاد في آشور بقوة في العصر الآشوري الحديث، وكانت هناك صور منها على بعض اللوحات الجدارية الآشورية، وهناك رأي يقول أن هذه الصناعة انتقلت لبلاد فارس وأصبحت صناعة معتبرة تفوق فيها الفرس على مر الزمان.

كانت القصور الآشورية مليئة بالسجاد الناعم المعلّق على الجدران، ولكن لم يبق منها شيء، فمع مستويات الرطوبة المتقلبة والملوحة العالية جدًا في كثير من الأحيان، فإن التربة في بلاد ما بين النهرين ليست مناسبة تمامًا للحفاظ على المواد العضوية.

وهنا شكل، معاد التصميم، لواحدة من السجادات التي توضع عند عتبة الباب تم استخدامها في المداخل داخل القصور الآشورية اللاحقة. فهي حل للمشكلة العملية اليومية لاستخدام السجاد في مساحة واسعة وواضح أن جميع النقوش الآشورية تنطوي على عمل صعب ويستغرق وقتًا طويلاً.



**بعض نقشات السجاد (الكاربت) الآشوري في حدود القرن السابع ق.م**

## صناعة الأصباغ

كانت صناعة الأصباغ واسعة عند الآشوريين بسبب مجالات استعمالها الواسعة، فهي تدخل في صناعة الثياب والمفروشات وفي الفنون واللوحات والحليّ والأزياء وفي تلوين جدران

البيوت والقصور من الداخل والخارج وغيرها من الإستعمالات المعروفة.

تحتاج صباغة الأنسجة، إضافةً إلى توفير المواد الملونة وأصباغها، مواد خاصة أخرى تسمى بمثبتات الأصباغ وذلك لضمان إدامة بقاء الألوان.

«تتلخص عملية الصياغة بتنقيع المادة النسيجية في خلاصة الشعير (البيرة) ثم وضعها في إناء نحاسي وتسخينها تدريجياً على نار واطئة وتضاف إليه الصبغة الملونة المطلوبة مع المثبتات المناسبة لها ويتم تحريك المادة خلال عملية الصياغة ليتم توزيع الصبغة بشكل متجانس على الأقمشة أو الغزول. هذا وقبل إخراج الصوف من الإناء النحاسي يضاف إليه الماء البارد لكي يخفف ثم يغسل بالماء الصافي ويجفف.» (حبة 1969: 59).

ونرجّح وجود أجهزة وورش للصباغة، وقد تعددت الألوان ومصادرها من الخامات وطريقة تنقيتها واستعمالها والتي نجدها ملخصة مكثفة في هذا الجدول والتي تتضمن أغلب درجات هذه الألوان والتي كان يتم خلطها مع بعضها لتوليد ألوانٍ جديدة وسنرتبها هنا وفق شيوع استخدامها وسنلاحظ أن أكثر مصادر الصبغات هي من النباتات:

## جدول الصبغات ومصادرها في وادي الرافدين وعند الآشوريين بصفة خاصة

**مثبتات الأصباغ:**

1. الشب: كبريتات الألمنيوم

2. الطمي الذي يحتوي على أملاح الحديد والألمنيوم.

3. مادة الترتر (حامض الترتاريك أو الليموندوزي شعبياً)

4. التانين: وهو من المثبتات النباتية ومصدره أشجار العفص والبلوط وقشور الرمان وقلف أشجارها وكذلك أشجار الفستق والجوز وغيرها.

## 4. الصناعات والمهن والحرف الحجرية والطينية والفخارية

### الصناعات والمهن والحرف الحجرية

اختار الآشوريون، بالإضافة للطين والآجر، الحجر كمادة أساسية للبناء، واستخدموها في التعبير عن فنونهم التشكيلة من تماثيل ولوحات حجرية منقوشة وبارزة ورسومات وتخطيطات وأدوات للفن التطبيقة (الفنون الصغرى)،

«وقد وجد الآشوريون المادة الضرورية لأبنيتهم ومنحوتاتهم الكثيرة في الأحجار المتيسرة في بلادهم، مثل حجر الحلان المشهور بنوعيه، أحدهما الضارب إلى الحمرة والثاني الضارب إلى الصفرة، وكلاهما من حجر الكلس. وكانوا يستخدمون هذه الأحجار في إنشاء أبنيتهم وقصورهم وقلاعهم وأسوار مدنهم. وقد استخدم الآشوريون النحت البارز بكثرة في تجميل جدران القصور الملكية. كما استعملوا الآجر المزجج في منحوتاتهم. وأخذ الفن الآشوري طابعه الخاص أخيراً في العهد الآشوري الحديث 911 ـ 612 ق.م، حيث طغى عليه تمثيل مشاهد الحروب والصيد والشؤون الملكية الأخرى، والتي كانت تزين قصورالملوك. هذا وقد بلغ فن النحت البارز أوج إبداعه في تمثيل المشاهد الحية، وقد وجدت منه قطع يحق لها أن تأخذ مكانها اللائق بين روائح الفن العالمي مثل مشاهد الصيد المنحوتة كالأسد واللبوة الجريحين ومطاردة الخيول الوحشية وغيرها.» (حبة 1969: 28).

الصناعات والمهن والحرف الفخارية والخزفية

شملت هذه الصناعات فخاريات الطعام والماء والزيوت والخمر وخزن الحبوب وفخاريات الطقوس الدينية، وهناك فخاريات المناجل والزراعة، وكانت هناك أنواع من الطابوق الفخاري الذي يستعمل في حالات خاصة. وكان أساس الصناعة الفخارية هو طين الصلصال النقي الخالي من الشوائب، أما أداته الرئيسية فهي دولاب الفخار رغم أن بعضها كان يُصنّع يدوياً.وكانت الصناعة تستوجب بعض المستلزمات الضرورية كالألوان

والمرصّات وعمليات الحفر والتشذيب.وكانت هناك كور خاصة وأفران لحرق وشواء الفخار.

المصانع الآشورية في هذا المجال كانت في بلاد آشور والمستعمرات الآشورية وهي عبارة عن مؤسسات واسعة النطاق تضم عمالًا متخصصين في شركة خاصة، كانت تدار من قبل متخصصين وتستعمل فيها أدوات وحيوانات خاص لهذا الغرض. وكانت أكبر مصانع الفخار الآشورية في العصر الوسيط للآشوريين هي مصانع الفخار في تل صابي أبيض الذي يقع على نهر البليخ في سوريا، وهو جدول معمر صغير يمتد جنوبًا من سهول أورفه جنوب تركيا باتجاه الرقة على نهر الفرات في سوريا.

**صناعة الأختام الأسطوانية**

تميزت صناعة الأختام الأسطوانية الآشورية بالدقة، وبالإسلوب الواقعي في رسم مضامينها، وشيوع استعمال المثقب والقطع والإسلوب التخطيطي.

وفي هذا الختم الأسطواني الآشوري الذي يُظهر ملكاً أو ثرياً بالملابس الطويلة المزينة بالتطريز. وهو يركب عربته ويصطاد أسداً بسهامه.



## طبعة ختم أسطواني آشوري

**صناعة الزجاج**

كانت صناعة الزجاج قديمة في وادي الرافدين، وقد برع الآشوريون في صناعته، وكانوا يصدرونه لمصر، وكانت عجينة الزجاج تصنع من الرمل وتسخن وتصب في قوالب معدنية حسب نوع الحاجة لها.

5. الصناعات والمهن والحرف المعدنية

دخلت الصناعات المعدنية في حياة الآشوريين بصورة واسعة في الصناعات الأساسية للأواني والأوعية والمطاحن والمدقات والمصافي والمرشحات والبوتقات الحرارية والأفران. ودخلت في الصناعات التكميلية للأسلحة والمركبات، وفي الصناعات الثانوية كمواد الزينة.

في الفصل الثالث عشر ناقشنا كيمياء صناعة المعادن الثمينة (الذهب، الفضة، القصدير، البرونز) والمعادن الرخيصة الثمن (النحاس، الرصاص، الحديد)، فيرجى العودة لها.

**صناعة القار والإسفلت**

استعمل القار في وادي الرافدين منذ حوالي الألف الرابع قبل الميلاد في مناطق بلاد آشور وماحولها، حيث القار كمادة إكساء عازلة للمياه في أرضيات البيوت، والإسفلت في الحمامات وأحواض المياه، كما استخدم كمادة للربط القوي بين الطابوق وغيره من مواد البناء والآجر، ولعزل المياه الجوفية التي كانت ترتفع أحياناً تحت البيوت والقصور ولإكساء مخازن الحبوب وأماكن وحفر خزن الطعام.

«وقد ترك الملك الكلدي نبوخذنصر الثاني وصفًا مسهبًا لقصره الجنوبي في إحدى الرقم الطينية فيقول: «أنا وضعت أسسه الصلبة، ورفعته بالقار والآجر بعلو الجبل، وأنا أمرت بجلب الأرز العظيم ليمتد على طوله لأجل سقوفه، ووضعت في أبوابه المصاريع من الأرز المغطى بالنحاس، المداخل والمحاجر من البرونز» (محمد 1983: 100).

وتعتبر مدينة «هيت» من أهم مصادر القار في العراق القديم، حيث كانت، ولا تزال، تنتشر فيها عيون القا ر التي ينبعث منها القار السائل المشتعل ممزوجًا بالدخان.

### 6. الصناعات والمهن والحرف المرتبطة بالبناء

#### صناعة اللّبِن والطابوق (الطوب)

تم إنتاج الطابوق الطيني بشكل مكثف وجعل المدن الآشورية تشهد بناءً واسعاً خلال ما يمكن تسميته بالنهضة الآشورية.فقد أنتج الآشوريين الابتكارات والتحسينات الجديدة، وتشير المؤشرات المعمارية للقياسات في النقوش إلى عدد الطوب المستخدم، فقد كانت جدران نينوى بسمك 40 طوبة وسمك 180 طابقا. أما قصر سنحاريب، فقد وصل ارتفاع شرفة الطوب الطيني إلى 180 دورة من الطوب. يبلغ حجم طوب الطين القياسي الذي تم العثور عليه خلال حفريات نينوى حوالي 37 × 37 × 12 سم، ووفقًا لهذه الأبعاد، من الممكن تصور بناء الارتفاع الأصلي لجدار نينوى (حوالي 22 مترًا بحد أقصى للارتفاع 25 مترًا) والهيكل المهيب لشرفة قصر سنحاريب (حوالي 22 م).

تم إنتاج الطوب على نطاق واسع وفقًا لأبعاد قياسية. كانت هناك أنواع مختلفة من الطوب وبالأشكال المختلفة. ونتيجة لذلك، تم استخدام الطوب في الإنشاءات إما كجزء من ارتفاع المباني أو زخرفة الواجهات الخارجية. في هذا الصدد، تم رسم أحد جوانب الطوب وتلوينه برسومات هندسية وتمثيلات للإنسان والحيوان، وفي بعض الحالات الخاصة، تم تشكيل الطوب وتزيينه بزخارف بارزة. لتقنية وتصنيع الطوب المزجج في آشور.



# الطابوق الآشوري لبناء مداخل المدن

## صناعة الجص والمواد الكلسية

دخلت صناعة الجص والمواد الكلسية في عمليات زخرفة العمران، التي عمّت زخرفة القاعات الداخلية، والكساء الخارجي لواجهات المباني الخارجية أو الداخلية المطلة على حدائق القصور والبيوت والزخرفة في الرخام والحجر وغيرها من المواد البنائية. وازدهرت صناعة الجص والمواد الكلسية في آشور بصورة ملفتة للنظر.

## رابعاً: الصناعات والمهن والحرف المرتبطة بالنقل التجاري

صناعة السفن والقوارب الخشبية

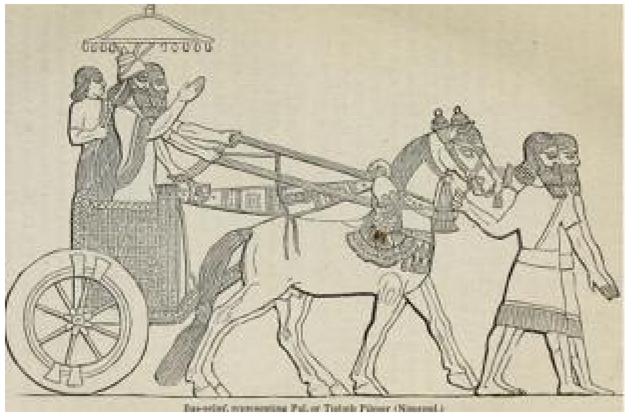
وكانت وسائل النقل المائية القديم ة تتألف من القوارب والسفن والقفف والعبارات. وأوسع هذه الأنواع استخدامًا هي القوارب والسفن الشراعية وغير الشراعية.

«وتظهر مشاهد السفن على المنحوتات الجدارية التي تعود إلى فترة الملك الآشوري سنحاريب(704 ـ 681 ق.م) إذ تم العثور عليها في قصره الكائن في مدينة نينوى، ويتوضح عليها استخدام القوات الآشورية بقيادة الملك لهذه السفن الحربية على نهري

دجلة والفرات، للتقدم نحو الأجزاء الجنوبية من العراق وتحديداً توجهها نحو منطقة الأهوار ومن ثم إلى بلاد عيلام، فقد أشار الملك سنحاريب في حولياته إلى قيامه ببناء أسطول بحري، جلب لبنائه العمال الفينيقيون والسوريون والإشراف على إبحاره. وكانت هذه السفن الآشورية مبنية بطابقين، الأول منها خصص للملاحين والثاني كان مخصصاً للجنود واستخدمت في قسم من السفن المجاذيف في تسييرها، في حين استخدمت الأشرعة في القسم الآخر، ويعد الملك سنحاريب من الملوك الآشوريين الذين استخدموا السفن على نطاق واسع في حملاتهم العسكرية. ويبدو واضحاً من مشاهد هذه المنحوتات الجدارية أن السفن قد صنعت على غرار السفن الفينيقية التي استخدمت في الملاحة على البحر المتوسط وأعالي الفرات.» (الحمداني 2002: 90).

صناعة المركبات العامة والعسكرية

بدأت صناعة المركبات العامة منذ وقت مبكر وكانت محصورة بالملوك والأمراء، ثم تحولت لصناعة عامة، واستخدمت في الحروب مع تغييرات تقنية في تكوينها «لقد تفوق الاشوريون في صناعة العربات حقاً وهذا التفوق كان ناتجاً عن كونها تمثل أحدى التشكيلات العسكرية الأساسية في الجيش الاشوري، إذ كانت العربة سلاحاً فعالاً في ساحة المعركة وقد أحدثت بدخولها تغييراً جذرياً في أساليب النقل، ومكنت الجيش من التغلب على عامل الزمن في سرعة حركته، كما أعطت مرونة أكبر في الانتقال من منطقة إلى أخرى. وكانت العربات الحربية تُصنع وفق تقنية معقدة لذا فقد أنتصرت على الدول التي تملك جيوشاً قوية مدربة كالدولة الآشورية. لقد امتازت عربات العصر الاشوري القديم والوسيط بصفات أساسية عربات العصر الآشوري القديم والوسيط بصفات أساسية وهي أن صندوق العربة قد عمل بشكل هيكل مشبك يخرج من أسفله عمود مركزي ينتهي من طرفه الأخير بالنير الذي يحكم بط الخيول إلى العربة أما حجم العجلة فهو صغير نسبياً والعجلة مثبتة في القسم الأخير من صندوق العربة، والعربة تحمل راكبين هما المحارب والسائق وتُسحب بواسطة زوج من الخيول.» (الحمداني 2002: 67).





**(Rawlinson 2016)**

# المبحث الثالث: التجارة

**أولاً: التجارة الداخلية**

**حيوانات النقل والحمل:** استخدمت أنواع محددة للنقل والحمل بسبب من تحملها الأثقال وقدرتها على السير طويلاً في البئة التي تناسبها، ونلخّص في هذا الجدول أسماء هذه الحيوانات بالسومرية والأكدية واستخداماتها عند الآشوريين.

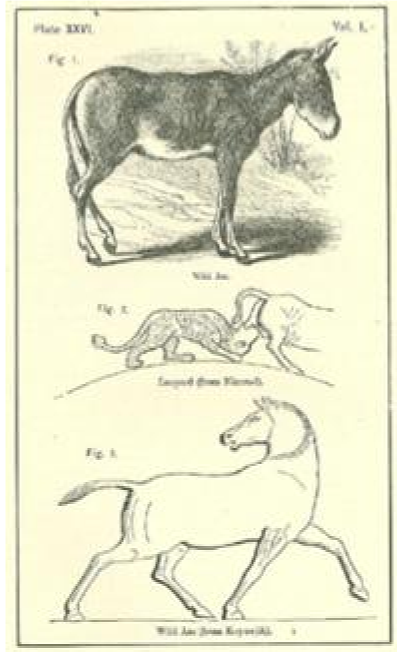
«استخدمت الحمير في تشكيلات الجيوش عبر التاريخ، ولا سيما في تشكيلات الجيش الآشوري، وكما هو معروف أن الآشوريين قد قاموا بالعديد من الحملات على المناطق الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، وفي جنوب آسيا الصغرى، وقد اتسمت هذه المناطق بتضاريس صعبة، يسهل على الحمار سلوكها، فقد أشارت النصوص إلى نوع من العربات الحربية التي تجرها الحمير بـ Anse ps Gi Gir انشي على كي. كير وبالأكدية Nar ـ kab ـ tu، ويأتي دور الحمير في الجيوش بحمل الطعام والمؤن لأفراد الجيش، مع العلم أن الحملات قد تستغرق أياماً عديدة في المسير، وكانت تهيؤ أعداد هائلة من الحمير لهذا الغرض، فضلاً عن جلب الغنائم بعد الانتصار.» (سعيد 2008: 33).

عرف الآشوريون في الجيش أنواعاً عديدة من الخيول منها: «الخيول السريعة التي تعرف (Ku-sa-a-a) وهي تستخدم للفروسية ويعتقد بأنها ضخمة وأكبر من الخيول الأخرى، وقد جلب أعداد منها من مصر. ومما تجدر الإشارة إليه أن الخيول السريعة كانت تستخدم لجر ا لعربات في حين تستخدم الخيول الضخمة لركوب الفرسان في الجيش الاشوري، بخلاف استخدام الخيول في الفترات الميلادية، إذ أن الخيول السريعة استخدمت في صنف الفرسان والكبيرة في صنف العربات، وسبب ذلك كما أشرنا سابقاً في أن سلاح العربات أقدم عهداً من سلاح الفرسان، وأن العربات السريعة لعبت دوراً هاماً في ساحة المعركة، إذ مكنت الجيش من التغلب على عامل الزمن في سرعة حركته وأعطت مرونة أكبر في الانتقال من منطقة إلى أخرى وأن سلاح الفرسان أو الخيالة كان له دور مهم في الألف الأول ق.م، إذ يذكر الملك شروكين (شروكين الآشوري) في حملته ضد بلاد أورارتو بأنه لم يكن معه سوى عربة واحدة وألف خيال.» (سعيد 2018: 41).

«كان المسؤول عن تربية الخيول ورعايتها وتدريبها رئيس الاسطبلات وهناك طب خاص بالخيول وأطباء بيطريون مختصون لعلاجها ورعايتها. وفي العصر الآشوري ازداد اهتمام الآشوريين بتربية الخيول، وقاموا بترويض البري منها وذلك لحاجتهم المتزايدة التي فرضتها العمليات العسكرية المتتالية التي شنّوها ضد الأقوام المعتدية التي جاءت تريد النيل منهم، فقد ورد في حوليات أغلب الملوك الآشوريين بأنهم فرضوا الخيول على أنها

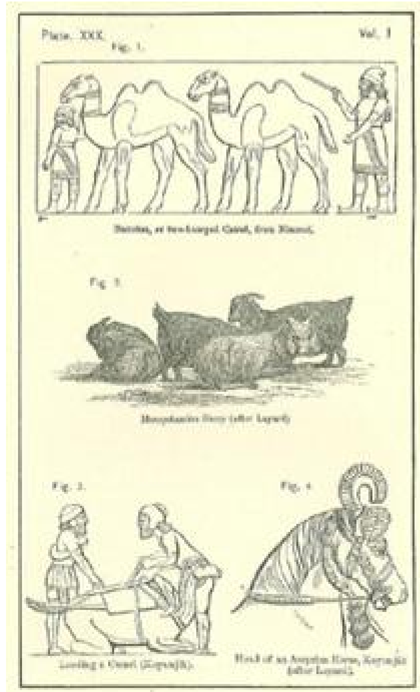
إتاوة على الشعوب المغلوبة، أو استلموا الخيل على أنها هدايا ففي رسالة سن ـ أخي ريبا. إلى والده شرو ـ كين (سرجون الثاني 721 ق.م) يستفسر منه عن الجياد التي حصل عليها وأن يرسلها إلى بابل أم إلى العاصمة آشور. وقد حضر آشور بان ـ ايل حملته الأولى ضد مدن عديدة منها ميليد وتايال التي تقع على مرعش إلى سوريا، على أنهما يشكلان المصدر الأساسي للخيول الجيدة التي استلم منها أعداداً ممتازة على أنها هدية وفرضت عليهم إتاوات سنوية من تلك الخيول أيضاً. ولدينا رسومات عديدة لمنحوتات آشورية تصور استخدام الآشوريين العربات منها من يجرها حصان واحدة، ومنها ما يجرها أكثر من حصان، وقد استخدمت تلك العربات في السباقات الرياضية، وفي ممارسة رياضة الصيد وفي العمليات العسكرية الآشورية.» (علي 2006: 112 ـ 113).

«وقد تفاخر الملوك الآشوريون بمجاميع الجمال البكيرية التي جلبت من المناطق الشمالية الشرقية، ولكنها كانت بأعداد قليلة مقارنة بالجمال العربية، وذلك يعود إلى طبيعة الجمل البكتيري الذي يتسم بسرعة هيجانه وحقده الكبير على من يسيء إليه حتى أن العرب قد تعاملوا مع هذا الحيوان بحذر شديد. ويعتقد أن الملك أدد نيراري الثاني أول من قام بجلبها على شكل جزية ورباها على شكل قطعان من المناطق التابعة للدولة الاشورية.
وهي تقطع (3) أميال في الساعة وهي محملة، وبذلك تفوق الثيران التي تسحب العربات وبتميز هذا النوع من الجمال بقدرته على القيام بأكثر من رحلة في السنة، ويتحمل أربعة أضعاف حمولة باقي حيوانات الحمل ويتطلب سواقاً أقل، فضلاً عن أنه يسير حافي القدمين. » (سعيد 2008: 51 ـ 52).




**الحمار البريّ والفهد من نمرود ونينوى (Rawlinson 2016)**

«إن استخدام الجمل واسطة للنقل في العراق القديم كان له أهمية كبيرة في فتح آفاق جديدة أمام التجارة الخارجية التي لم تكن معروفة من قبل إلاّ في حدود ضيقة، فقد خدم الجمل مجال التنقل والمبادلات التجارية بين المراكز التجارية القديمة في بلاد الرافدين ومناطق البوادي البعيدة في أقسام الجزيرة العربية لذلك ليس غريباً أن تبدأ بسماع أخبار قبائل العرب وبلادهم منذ مطل العصر الاشوري في حدود القرن التاسع ق.م، فبعد أن كانت الاتصالات بينهم وبين الآشوريين مقطوعة، أصبحت بعد هذا التاريخ نشيطة نتيجة توفر الجمال بوصفها واسطة نقل رئيسة لدى القبائل العربية، وللأسباب نفسها أيضاً بدأ الآشوريون يكثرون من حملاتهم على مناطق الجزيرة العربية، لا سيما وأن تلك الحملات أثمرت في الحصول على مواد وأموال ثمينة جداً للآشوريين كالذهب والأحجار الكريمة.»(الحمداني 2008: 61).



**الجمل والحصان والأغنام في منقوشات آشورية (Rawlinson 2016)**

الحمار الأخدري (حمار السهوب، الحمار الوحشي) كان صعب التدجين، وقد استخدم في انتاج هجائن سريعة من تزاوج ذكر الحمار مع أنثاه، واستخدم المدجن منه في النقل والحمل، وظهر في أقفاص حدائق القصور الملكية الآشورية.ويبدو أن عملية تهجين الحمار الأخدري قد توقفت في بلاد آشور لأسباب منها:

«1. أن عملية صيد الأخدري لم تكن بالسهلة خاصة أن الأخدري يتمتع بسرعة تفوق سرعة الخيل بحسب ما أشار إليه زينفون.

2. أن طبيعة الحيوان المهجن تكون برية إذ يحتفظ بطباع أسلافه البرية، واستخدام السلسلة الحديدية بين منخري الحيوان يدل على ذلك، وليس غريباً في أن يحتفظ بتلك الطباع إذ إن فترة التهجين تعد قصيرة جداً مقارنة بتهجين البغال من الحمير، وكذلك الخيول والتي ما زالت في الوقت الحاضر تحتفظ ببعض الطباع البرية، وهذه الطبيعة

أثرت في الاستعدادات الأكثر أهمية، وانعدام المشاهد التي تدل على استخدامها في الصيد أو الرياضة.

3. أن ظهور الخيل في الألف الثاني ق.م، وازدياد أعداده وإنتاج البغال كان له الأثر في التحول إلى استخدام هذه الحيوانات بدلاً من الأخدري.» (سعيد 2008: 26).

**النقل النهري:** استخدمت وسائل كثيرة للنقل النهري يمكننا وضعها في هذا الجدول المبسط موضحين أسماءها الأكدية وطريقة صناعتها.

الأسواق الآشورية

ورد ذكر الأسواق في نصوص رافدينية كثيرة وشهدت عليها مفردة (سوقو) الأكدية، ومنها نصوص آشورية، وكان تخطيط المدن يقضي بترك طرقات وفضاءات ومساحات بين المباني السكنية كما هي الحال في مدينة نينوى خلال الألف الأول قبل الميلاد إذ أظهرت التنقيبات الأثرية فيها ساحة مكشوفة واسعة إلى درجة أنها كانت تكفي لإقامة مهرجانات وأعياد وأسواق.

«ويرى بعض الباحثين وبضمنهم الباحث المتضلع في الأمور الاقتصادية لبلاد وادي الرافدين بولياني أن لا وجود لسوق محلية مقننة الأسعار ويعارضه الباحث البريطاني ساكز محاولاً إثبات وجود مثل تلك السوق المقننة للأسعار عبر ما تشير إليه النصوص المسمارية وما أمدتنا القرائن الآثارية من أوزان وحجوم مقننة استناداً للمعابد أو الآلهة أو الحكام، بينما يتحدث الباحث أوبنهايم عن تكامل اقتصادي مؤثر إلى حد كبير إضافة إلى وجود خزين في المعابد والقصور على أن ذلك لا يمثل الوسائل الوحيدة الموجودة للتكامل الاقتصادي لأنه يبدو أن أنواعاً من الترابط قد تم بين مراكز الخزين وبين عامة الشعب المنهمكين بالنشاط الاقتصادي المستقل والتركز بأيدي الأفراد أو المجمعات من ذوي المكانة المتكافلة واستحسن استخدام النقود (الفضة مثلاً) لتشعب وتباين المراكز الاقتصادية، حيث أن «النقود» أو ما يعادلها من البضائع كانت تستخدم في مثل تلك

الظروف باعتبارها أداة ووسائل لممارسة الضغط الاقتصادي عن طريق تأجيرها أو جعلها بضاعة من الممكن الدفع بواسطتها. واحتاج الاقتصاد المخزون أصلاً إلى وسائل الاتصال بالعالم المحيط به لتوفير المواد الخام غير الموجودة في بلاد وادي الرافدين كالأحجار الكريمة والمعادن والخشب.» (الراوي 1988: 250).

ولعل ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود الأسواق ونشاطاتها في بلاد آشور هو وجود الموانئ أو المراكز التجارية كارم Karum. «فقد كان الميناء يؤلف جزءاً مهماً من تخطيط المدينة العراقية القديمة بين سورها الخارجي والنهر المجاور لها إذ كانت البضائع تنتقل إليه من مختلف المراكز التجارية على امتداد أرض العراق، وخارجها. كما كان يتم فيه عقد مختلف عمليات التبادل التجاري من بيع وشراء وتقديم الخدمات وتنظيم شؤون النقل من تفريغ البضائع وتحميلها، كما تفصح عن ذلك رسالة بعث بها شخص يدعى ات ـ شمش ـ بلاط

Itti - samas - balatu إلى الملك نصت على ما يأتي: «سيدي الملك يعلم طبيعة البلاد، التي وظفني سيدي الملك فيها. اكلو Ikkilu لا يدع القوارب تأتي إلى ميناء سيدي الملك، وحول كل التجارة لنفسه، ويجهز كل شخص يأتي إليه ويقتل أي شخص يرسو على الميناء الآشوري ويسرق قاربه. وهو يدعي قائلا بأنهم كتبوا إليه من القصر: اعمل فقط ما تراه جيداً لك». (جاسم 2006: 47).

«تشير المعلومات المتوفرة أنه كان هناك عدد من هذه المراكز التجارية التي كان يسمى كل منها (كارم) منتشرة في آسيا الصغرى وتؤلف شبكة واسعة من المراكز التجارية الصغرة والكبيرة التابعة لمدينة اشور والمنتشرة في أرجاء بلاد الأناضول وشمال سورية إذ ورد في النصوص المسمارية أسماء عدد كبير من تلك المراكز ولكن الباحثين لم يتمكنوا من تحديد موقعها وكذلك التقيبات لم تكشف أو تحدد مواقع معظم هذه المراكز التجارية بدقة. كانت هيئة كارم ترتبط من الناحية الإدارية بالسلكة الآشورية ويمثلها نائب خاص في مجلس مدينة آشور بُخر أشور، وكان يدير كل هارم هيئة سميت بـ بيت كارم BITKARM إذ كانت تؤدي وظيفة المحكمة ومجلس للشورى، ونظراً لأهمية كارم فقد

حظي بعناية كبيرة من لدن السلطة الاشورية في العاصمة، إذ كانت اشور ترسل مندوباً كلما اقتضى الأمر إلى كارم كانيش للتشاور مع الموظفين بخصوص الشؤون الإدارية والمالية الخاصة بالتجارة. » (العبادي 2012: 86 ـ 87).

ثانياً: التجارة الخارجية

المراكز التجارية الآشورية خارج بلاد آشور

**1.المراكز التجارية الآشورية في كبدوكيا:**

وهي مراكز مهمة شملت مدينة كانش (كول تبه) ومدينة خاتوشا الحيثية وهي (بوغازكوي) ومدين أنكوفا (علي شار). تناولت هذه النصوص تنظيم القواقل وحساباتها وإجراء الصفقات التجارية المختلفة. كما تظهر هذه النصوص أن التجار الآشوريين كانوا يعيشون في مناطق أو مراكز خاصة بهم في ضواحي المدن أطلق على الواحدة منها تسمية كاروم (معناها رصيف أو ميناء)، ومحطاتها التجارية بينها وتسمى (أوباروم أو وبارتوم). وقد بلغ عددها أحد عشر مركزا تجاريا (كارم) وعشرة مراكز أخرى من نوع (وبارتُم) امتدت من بلاد آشور حتى سهل قونية في الجنوب الغربي من بلاد الأناضول.

**2.المراكز التجارية الآشورية في كليكيا:**

وهي مراكز تجارية مهمة كان هناك تنافس آشوري أوراراتي عليها، فقد تمركزت في مناطق غنية بالمواد الطبيعية في شمالي سورية وجنوبي كليكيا والمناطق الواقعة جنوب شرق بحيرة أورميا خاصة وان سورية كانت ذات أهمية تجارية كبيرة بالنسبة للآشوريين كونها محطة نهائية لعدة طرق تجارية لكلا الطرفين في حين كانت تمثل السيطرة على كليكا الاستحواذ على مصادر الحديد فضلا عن فتح الطريق المؤدية نحو المراكز اليونانية في آسيا الصغرى

**3.المراكز التجارية الآشورية في نوزي:**

عثر في نوزي، القريبة من كركوك، على وثائق تجارية تعود لبعض الشخصيات التجارية التي تحمل أسماءً آشورية مثل بوزور آشور وسين رابي، يرجح أنهم تجار من مدينة آشور بدلالة ورود الإشارة إلى عبارة في المدينة (اِنَ آلِم) والتي تظهر دائما في وثائق المراكز التجارية الآشورية في كبدوكيا وفي مراسلات الملك شمشي ادد الأول ضمن رسائل ماري (تل الحريري). وكان الأشخاص الذين تاجروا معهم مواطنين محليين كما يمكن استنتاجه من خلال الأسماء التي وردت في الوثائق أمثال قشباك رابي. ويرجح أن تاريخ هذه الوثائق المكتشفة في نوزي تعود إلى بداية سنوات الحاكم الآشوري إل ـ شوما وولده إرشم الأول في نهاية القرن العشرين قبل الميلاد. (أنظر الأحمد 1977: 187).

الكارم (الكاروم) الآشوري

الكارم أو الكاروم هو المركز التجاري معناها الرصيف الذي يشير لسوق التداول التجاري عند الرصيف الذي يزدحم بالبضاع القادم والخارجة من مكان ما، وكان أغلب هذا النوع من مراكز التجارة قد بناه الآشوريون في بلاد الأناضول وأصبح علامة دالة على نفوذهم في هذه البلاد.

«أطلق الاشوريون على كل من مراكزهم التجارية الهامة تسمية (كاروم) (karum) وجمعها: (كارو Karu)، وهي تسمية تعني أصلاً في اللغة الأكدية (رصيف) أو (حائط) ميناء يقع على نهر أو قناة وتجمع عنده ضرائب الدخل على الوارد (mlksi kari neberi)، ثم اتسع مفهوم الكاروم ليعني السوق على جانب الرصيف، ثم مجموعة تجار المدينة. ونلاحظ أن استخدام الاشوريين لتعبير «كاروم» في نصوص الألواح القبادوشية لم يقصد به ميناء نهري غالباً إذ لم يقع أي من كاروم كانش أو خاتوش، ورمبا أيضاً ما لم يتسن تحديد موقعه تماماً من هذه الكاروم مثل كاروم تاوينيا Tawinia نكاروم (بوروشخادوم) وكاروم (واخشوشانا) (Wakhshushana) على نهر. ويعني هذا التبعير (كاروم) في النصوص القبادوشية غالباً مجموعة الرجال الذين تولوا إدارة المركز التجاري وهم من أصحاب رؤوس الأموال والتجار الاشوريين. ومقار (الكارو) المعروفة في آسيا الصغرى هي (كانش)

التي كانت لها الصدارة على غيرها من هذه المقار وفقاً لما سيتبين من دراسة، ثم (بوروشخادوم) التي كان لها وضعها المتميز؛ و(اخشاوشانا) و(خانوش) و(زاليا) و(خوراما) و(دورخوميد)، و(تاونيا) و(خاخيوم) و(اورشو) في الشمال السوري و(نيخريا) في شمال اشور وربما على نهر دجلة. وبالنسبة لتحديد مواقع هذه الكارو، فسبقت الإشارة إلى مواقع كانش (كول تبه) وبوروشخادوم وربما قرب (كول تبه) وخانوش (بوغاز كوي) وزالبا (الاحاهويوك).» (علي 1984: 73 ـ 74).

كانت أهمية بلاد الأناضول كبيرة جداً بالنسبة للآشوريين فهي مكان المعادن والخامات الأخرى وهي مكان رواج البضائع الآشورية وحركة التجار الآشوريين.

«عندما بلغ الآشوريون بلاد الاناضول، ربما منذ بدء قيام دولتهم اشور في شمال أرض النهرين في القرن العشرين ق.م، كانت هذه البلاد مقسمة إلى عدد كبير من حكومات المدن، مما يسر للاشوريين إقامة مراكزهم التجارية في كنف هذه الوحدات السياسية الصغيرة، وبإذن من الحكام المحليين بلا شك، إذ كان لهؤلاء الحكام اهتمام حيوي بالتجارة ووجدوا في إقامة هذه المراكز التجارية الآشورية ما يحقق منفعتهم أيضاً. وقد شيد الاشوريون مراكزهم التجارية في المنطقة السهلية عند سفح المدينة العلوية والقلعة، مقر المواطنين الاناضوليين وحاكمهم الوطني الذي أطلق عليه الاشوريون في نصوص الألواح القبادوشية لقب rubaum أو (rubaim)، وهو لقب يعني «العظيم دائماً»، وميز به الاشوريون الأمراء الوطنيين الذين ارتبطوا معهم بمصالح اقتصادية وبالتحالف بحكم الجوار ولم يكن علماً على كل الأمراء الاناضوليين. وقد انتحل الملوك الاشوريون هذا اللقب أحياناً في النصوص القبادوشية من فترة كول تبه، كما سبق أن تعرفنا على بعض من حمله من الأمراء الوطنيين.» (علي 1984: 72).

أصبحت التجارة أهم مهن الآشوريين هناك وأصبح بعض التجار أعلاماً واشتهرت أسماؤهم، وهذا تطور نوعي في طبيعة التجارة الآشورية واتجاهها نحو تجارة السوق وحرية التداول.

«من الواضح أن العصرين الأموري والخوري بالأناضول قد حظيا بتقدير الآشوريين إذ كان الخوري (انيشرو)، وهو صهر للآشوريين كما ذكرنا، من أكبر تجار كانش، كما تعامل الآشوريون مع خوري آخر هو (ايروى شاري) كواحد منهم. وكان الأموريون أقرب العناصر للآشوريين وأكثرهم ارتباطاً اجتماعياً ودينياً بهم. وقد اعتمدوا عليهم بدرجة كبيرة في مزاولة نشاطهم التجاري. أما عن السكان الوطنيين من العناصر الهندواوروبية خاصة، فقد نظر إليهم الاشوريون بازدراء وأطلقوا عليه صفة (برابرة) (muau) وفقاً لما يتبين من بعض فقرات النصوص القبادوشية إذ تشير إحداها إلى تخليص بعض الآشوريين من (بيت البربري)، وفي نص آخر يعبر أحد التجار عن احتقاره لزميل له قائلاً إنه (يتصرف دائماً كبربري). وقد خصص الاشوريون أحياناً (برابرة) مدينة اناضولية معينة بأن أضافوا إلى تعبير nuaum (بربري) أو جمعه nuau اسم المدينة الاناضولية التي ينتمي إليها.» (علي 1984: 56).

«ويفيد أحد النصوص المبكرة من مدينة آشور لإريشوم الأول (من حوالي 1906 ـ 1867 ق.م)، ابن إيلو شوما، بأنه أقام حرية الحركة للفضة والذهب والنحاس والرصاص، فضلاً عن القمح والصوف وسلعتين أو ثلاث سلع أخرى رخيصة وأرخصها هو التبن. ولا شك في أن هذا الامتياز قد منح اساساً للتجار الاشوريين، وقد انتهى به احتكار الدولة الاشورية بيع النحاس وغيره من المعادن والسلع الأخرى التي وردت في النص. ويعبر هذا في وضوح عن مدى ما أولاه إريشوم الأول من اهتمام بالغ بالنشاط التجاري وعدم تقييد حركته، ذلك النشاط الذي اتسع مجاله في عهد هذا الملك ليشمل ـ بشكل قاطع مدعم بالدليل المادي ـ آسيا الصغرى التي أقيم بها عدد من المراكز التجارية الاشورية في وسط الأناضول وعلى رأسها «كول تبه»، «كانش القديمة» قرب قيصرية والتي عثر وكشف فيها عن آلاف الألواح الطينية المكتوبة بالخط المسماري الأكدي واللغة الاشورية القديمة ويتصل معظمها بالنشاط التجاري للآشوريين. وإريشوم الأول هو أول ملك اشوري ورد اسمه في تسجيلات كتابية بالأناضول، فقد كشف عند موقع كول تبه عن نسختين لنص مفصل لهذا الملك يعبر فيه عن إيمانه القوي بالإله اشور ويصف قلقه من أجل معبد هذا

الإله بمدينة اشور وما قام به من نشاط بنائي في هذا المعبد. كما كشف في كول تبه عن نقش طويل لهذا الملك وجد في مبنى اتخذ كمدرسة للكتبة ويتناول النص بناء «الموشلال المقدس» الذي قد يعني في تعبيرنا الحديث مبنى المحكمة العليا.» (علي 1984: 21).

«أن الحيثيين استقروا في البداية حول مدينة نشا وأطلقوا على لغتهم تسمية «نشيلي) نسبة إلى هذه المدينة، وهذا يعني أن أنيتا لم يكن مسئولاً عن هذا التدمير الذي انتهى به وجود الكاروم الاشوري بكول تبه، ويتسنى بذلك تفسير رأس الحربة التي تحمل اسم انيتا كسلاح للدفاع عن مدينة كانش / نشا وقصر أميرها العظيم، لا كسلاح للهجوم والتدمير. أما عن نهاية الوجود الاشوري بالمراكز التجارية الاشورية القديمة بوسط الأناضول، فيمكن القول بأن هذا الوجود أنتهى بفرض سيادة انيتا على كل منطقة وسط الأناضول وفقاً لما أوضحه نص انيتا، وقد حدث ذلك بعد انتهاء عهد شمشي أدد الأول ملك ا شور القوي، ربما في العقد الأول من عهد أبنه ايشمي داجان (حوالي 1780 ـ 1740 ق.م) الذي لم تكن له كفاءة أبيه، وبعد أن استعاد زيميري ليم عرش ماري وفقدت اشور سيادتها على وادي الفرات وانقطع اتصالها بآسيا الصغرى وفقاً لما سبق أن أشرنا. ويعني هذا أنه يستفاد من المادة النصية السابق عرضها أن الاستيطان الاشوري القديم بالمراكز التجارية الاشورية بوسط الاناضول قد استمر لفترة زمنية تقدر بنحو 170 عاماً، ربما منذ بداية عهد ايلوشوما في حوالي 1940 ق.م، إلى نهاية العقد الأول من عهد إيشمي داجان عام 1770 ق.م.» (علي 1984: 33).

الأوباروم الآشوري

**الطرق التجارية** (أوباروم) هي شبكة واسعة وطويلة من الطرق البرية والبحرية، كان أغلبها يسمى باسم سلعها، التي تربط الأسواق التجارية في الحواضر والمدن مع بعضها، نشأت في العصر القديم لنقل البضائع والسلع التجارية ويتفرع عن الطريق التجاري الرئيس سلسلة من المسارات والتوقفات المستخدمة في النقل التجاري للبضائع. يمكن استخدام المصطلح أيضًا للإشارة إلى التجارة على المسطحات المائية. يسمح الطريق للوصول إلى

الأسواق البعيدة، ويحتوي مسار التجارة الواحد على الشرايين لمسافات طويلة، والتي قد تكون مرتبطة أيضًا بشبكات أصغر من طرق النقل التجارية وغير التجارية.بعض هذه الطرق عرفها الآوريون وبعضها ليس من المؤكد أنهم عرفوها. وفيما يلي أشهر الطرق التجارية في العالم القديم هي:




**طريق الحرير**

# المبحث الرابع: ظواهر إقتصادية آشورية

**أولاً: المقايضة**

استمر التعامل بالمقايضة في بلاد آشور، من العصر الأشوري القديم وفي العصر الآشوري الحديث، رغم وجود عملة معدنية بالوزن، وتوضّح بعض نصوص هذا العصر من ذلك على سبيل المثال احدى كتابات الملك آشور ـ بان ـ أَبلِ، نقتبس منها العبارة الآتية: «الأراضي الزراعية المتماسكة انتجت حصاداً وفيراً ومحاصيل ناضجة، البساتين انتجت فواكه غزيرة، المواشي ولدت من الان مواليدها بنجاح، في حكمي أصبح ازدهاراً، في سنواني اصبحت الوفرة عائمة، 12 حمل حمار من الشعر الصالح للاكل (بسعر)، 2 حمل حمار من الخمر، 12 قا من الزيت (بسعر) 1 بِلتُ من الصوف ((بهذا)) أصبح سعر السوق منتشراً في بلادي» (جاسم 2006: 61).

ثانياً: العملة الآشورية (داريكو)

كانت المقايضة هي النظام السائد في التعامل التجاري الآشوري القديم، وتغير الأمر مع الإمبراطورية الحديثة، حيث بدأ الملوك الآشوريون باستعمال الشيقل الفضي، الذي كان يستعمله البابليون، كنوع من العملة البسيطة. وهناك تأكيدات واضحة من الأعمال والعقود الخاصة والقوائم التجارية والإيصالات، وحين ظهرالشيقل الرافديني كموضوع زحزح الكثير من القناعات السابقة وأعاد السؤال الجديّ: هل امتلك الآشوريون نقوداً معدنية؟ وكان الجواب التقليدي، استناداً لماذكره هيرودوت، بأن الليديين كانوا أول من استخدم العملات المعدنية، وجاء بعده بعض العلماء ليأكدوا، بمواربة واضحة، تأكيد ذلك من أجل حرمان السومريين والبابليين والآشوريين من اجتراحهم الواضح لأول النقود في التأريخ.

اقترب الآشوريون من استخدام العملات المعدنية، لكنهم لم يتخذوا الخطوة النهائية لجعل هذا الإستخدام حاسماً في تبدّل نوعيّ في الدرجة التي ترقى لجعله اختراعاً خاصاً بهم. يمكن العثور على موازٍ مثير للاهتمام لهذا من تلقاء نفسها قد يكون آشور قد استخدموا عملات معدنية محتملة دون التعرف على أهمية ما فعلوه في تحويل شيقل الفضة من وزن لعملة حقيقية إلى عملة منفصلة لا علاقة لها بوزنها، رغم أنهم سكّوا نقوداً ممهورة بصورة وبرقم واضح عن قيمتها النقدية.

«هناك نصوص تاريخية تشير إلى أن النقود سكت في بلاد ما بين النهرين في العصر الآشوري الحديث (911 ـ 612 ق.م) إذ جاء في نص من عهد الملك الاشوري (سنحاريب) (704 ـ 681 ق.م) ((لقد أمرت بصنع قوالب من الطين وأن يصب البرونز فيه لصنع قطع نصف شيقل))، ويمكن القول واستناداً لهذا النص أن المسكوكات النقدية ظهرت للتداول منذ هذا الوقت، والذي دفع الآشوريين للقيام بهذه الخطوة المهمة في المجال الاقتصادي هو للسيطرة على جودة ونقاوة المعدن المستخدم في التعاملات التجارية، لاسيما وأن هذا المعدن تختلف درجة نقاوته نسبة لكمية الشوائب الموجودة في سبيكته، لذا فقد أقدم الآشوريون على سك أقراص معدنية معلومة الوزن ونقشوا عليها صور للآلهة شمش أو

عشتار، لتكون البداية الحقيقية لظهور العملات النقدية المعدنية، ويرجح أن يكون للامتداد الواسع للامبراطورية في منطقة الشرق الأدنى القديم أثر واضح في إقدامهم على سك عملات معدنية نقدية لتسهيل عملية التبادل التجاري مع المحيط. مع أن النصوص المسمارية تشير بوضوح إلى أن الفضة كانت المعدن الرئيس الذي استعمل في صناعة أشكال النقود الأولى في الألفية الثانية وما بعدها لأن الفضة كانت المعدن المفضل لطبقة التجار وربما للسلطة أيضاً، إلا أنها لم تكن المعدن الوحيد في العصور البابلية القديمة، إذ نجد معادن أخرى تستخدم في سك العملات النقدية بصورتها الأولى مثل النحاس والقصدير، إلاّ أنها كانت تستعمل لأغراض تسديد الديون، وتجدر الإشارة إلى أن النحاس كان يستعمل من قبل التجار الاشوريين إلى جانب معدن القصدير، ويبدو أن الفضة استعملت عند الاشوريين (كمعيار للمحاسبة) إلى جانب الذهب الذي استعمل لهذا الغرض أيضاً بعد ذلك، ويبدو أن الفضة والذهب أصبحا المعدنين الأهم في صناعة النقود فيما بعد، إذ بقي هذان المعدنان يحتفظان بقيمتهن كعملة بحد ذاتهما.» (الجنابي 2014: 37).

استخدم الآشوريون، دون تغيير لمدة خمسة عشر قرنا، اسم (داريكو) للدلالة على عملتهم، وكان البابليون يستخدمون عملات معدنية لم يعطوها أي اسم خاص. لقد تم صنع القطع النقدية عن قصد من حجم ووزن لتناسب المعايير البابلية. وقد تحدثوا عن الأسماء القديمة التي تنتمي إلى أوزان السبائك القديمة التي سبقتها. إذا كانت الأموال الجديدة ذات وزن وقيمة مميزين بالشيقل والمقياس القديم، لما كان من الممكن تحديد الأسعار بشكل واضح بدون تسمية تلك العملات. هذا الاستنتاج يحمل معه عواقب أخرى. إذا استخدام الآشوريون العملات المعدنية بعد نضج المحاولة البابلية، تم تطبيق نفس الأسماء عليها كما تم إعطاؤها لمكافئاتها المتداولة، ثم لم يتم البحث عن أي دليل على مثل هذه المقدمة في بيان الأسعار. إذا كان مثل هذا الاختراع مثل العملة الأصلية، وحدث من خلال التغييرات التدريجية في استخدام كتل المعادن، من المؤكد أنها تميزت بالحجم والشكل، وكانت مختومة بعلامة وبعض العلامات المميزة وتم ختم سبيكة شيقل لأول مرة بعلامة الجودة

أو القيمة، كانت العملات المعدنية التي يتم ختمها برأس ثور تسمى «الثيران» وهي شيقل مختوم برأس ثور.

«وكانت أوزان الفضة قد اتخذت على شكل قطع تستخدم في التداول التجاري بمثابة العملة. وكانت هذه الأخيرة تختم بعلامة مميزة وكان يحضر صهر مثل هذا النوع في حالته هذه والمخالف كان يعرض نفسه لطائلة العقوبات.وكانت هذه القطع المخصصة لمثل هذا النوع من التداول تخلط مع نسب معينة من معادن أخرى بصورة تصبح النتيجة غير مفضلة في الصياغة والصناعات الأخرى من اختصاص المعدنين.» (الجادر 1985: 253).

ربما كان اسم العملة الآشورية الأولى (عشتار) أو (رؤوس عشتار) لأنها تحمل رأسه عشتار نينوى، ولذلك لابد من إعادة النظر بالكلام الذي يتكرر، من قبل الباحثين، على لسان هيرودوت من أن ليديا كانت أول من استخدم العملة. وهو أمر مشكوك فيه اليوم؛ لأن عملة حقيقية من العملات الآشورية التي لا جدال فيها وحدها يمكن أن تضع المسألة دون شك.

ثالثاً: الأسعار والأجور

كانت الأسعار تتحدد، غالباً، وفق قانون العرض والطلب وأن المشتري هو الذي يحدد سعر البضاعة بعد التراضي مع البائع. ولعل ما يثبت صحة سيادة قانون العرض والطلب في الأسواق الآشورية في العصر الآشوري الحديث ما جاء ذلك في بعض النصوص الآشورية، «فعلى الرغم من رأي الباحث الإقتصادي الأمريكي كارل يولاني القائل بافتقار مدن العراق القديم إلى ما يعرف باقتصاد السوق أي تثبيت أسعار السلع والحاجيات المختلفة استنادا إلى قانون العرض والطلب وأن أسعار تلك السلع كان بالتثبيت من قبل الدولة عن طريق الإعلان بحيث أن ذلك لم يتح للتجار أن يستفيدوا من فرق الأسعار وتحقيق الأرباح والخسائر في عملياتهم التجارية وبموجب ذلك لم يكن ينجم عن تلك الممارسات التجارية أية مخاطر فإن الأدلة المستوحاة من النصوص المسمارية من مختلف العصور العراقية القديمة تبيّن لنا بما لا يقبل الشك أن الأسعار في العراق القديم كانت تتحدد في أغلب الأحيان على وفق قانون العرض والطلب وأن المشتري هو الذي يحدد سعر البضاعة بعد

التراضي مع البائع. ولعل ما يثبت صحة سيادة قانون العرض والطلب في الأسواق الآشورية في العصر الآشوري الحديث ما جاء ذلك في بعض النصوص الآشورية من عبارات تبين حقيقة هذه المسألة » (جاسم 2006: 50).

ويبدو أن الأجور كانت معتدلة وتزداد مع طول مدة خدمة العمل، وكانت تدفع بالمنو والشيقل من الفضة أو النحاس.

رابعاً: القروض

الإشارة الصريحة في النصوص الآشورية حول القروض جاءت من عبارة (سعر السوق: أكايما ـ هيري) والتي وردت في عقود القروض الكثيرة، حيث يشترط الشخصان على دفع المال حسب سعر السوق في القرض المحدد. ومنها هذا النص «21 حمل حمار من الشعير (بمكيال) سوت 9 قا العائد للإله نابو والذي تحت تصرف سُكي. أخذ (المبلغ) كقرض سيعطي 5 سوت لكل حمل حمار في (موعد) التذرية. سيعطي 50 حزمة من التبن مع رأس (المال من الشعير) إذا لم يعط (المبلغ وفائدته في موعده المقرر) فسيزداد طبقا لسعر السوق» (جاسم 2006: 52).

وهذا يشير إلى تسديد المبلغ وفوائده، حيث كانت الأسوق تخضع للعرض والطلب رغم وجود سيطرة بسيطة لرقابة الدولة.

خامساً: الضرائب

هناك نوعان من الضرائب التي ظهرت في الإمبراطورية الآشورية الحديث وهما:

1. **ضريبة أرض آشور:** وهي الضريبة التي تدفعها المقاطعات التابعة للإمبراطورية الآشورية والتي يحكمها حكام من الأسر الآشورية الحاكم في آشور، في الغالب، والتي دمجت بأرض الإمبراطورية ولم يعد لها كيان مستقل، لكنها لك كذلك قبل هذا الدمج، فهي بخلاصة العبارة بلاد محتلة ومحكومة مباشرة من قبل الآشوريين. وكان عليها أن تدفع

الضريبة لمركز الحكم الآشوري. والضريبة هنا قد تكون أموالاً أو غلةّ أو ماشية أو هدايا للبلاد أو للمعابد الآشورية، وهي ضرائب يفرضها الحكام على هذه الولايات أو المقاطعات.

كانت (بيوت كاروم) مركزًا للاستيراد والتصدير الآشوريين، فهي مراكز التجارة الأساسية والمسؤولة عن الضرائب والرسوم وإيداع التجارة الجماعية. وعندما كان التجار الآشوريون يقترضون من بعضهم البعض ولم يكن بمقدورهم الدفع في تاريخ الاستحقاق، كانت غرفة التجارة في (بيت كروم) هي الضامن للمقرض لأن جميع التجار الأشوريين لديهم حسابات ائتمانية في غرفة التجارة. كانت هذه البيوت تتولى تنظيم وترسيم الضرائب الآشورية في أرض آشور.

**2. ضريبة أرض نير آشور:** وهي الضريبة التي تدفعها الممالك العميلة للإمبراطورية الآشورية والتي يحكمها حكام مستقلون في بلدانهم لكنهم يدينون بالولاء والخضوع للإمبراطورية الآشورية وفق معاهدات مكتوبة بينهم، وهم يأتمرون بما تقرره لهم الإمبراطورية وقد تجبرهم على تقديم المساعدات العسكرية والإستخبارية لهم. ولذلك كان تفرض عليهم ضريبة النير، والنير كلمة تدل على العبد المقيد من رقبته من قبل شخص آخر. وقد تكون الضريبة أو الجزية التي يدفعها أهل النير مباشرة للملك كالمعادن الثمينة والحيوانات أو التخصصيات الأخرى.

# الفصل الثامن: المظهر الأدبي والفكري



**كاتب آشوري وكاتب آرامي**

## المبحث الأول: اللغة الآشورية

اللغة الآشورية هي الفرع الشمالي الشرقي من مجموعة اللغات الساريّة (الساميّة). ودوّن أغلب تراثها بالكتابة المسمارية والقليل منها بالحرف الأرامي المبكر. وهي بمثابة اللهجة الثانية من اللغة الأكدية فالآشورية (لغة بلاد آشور) والبابلية (لغة بلاد أكد وبابل) وهما الفرعان الأساسيان لهذة اللغة.

أقدم الأدلة على وجود اللغة الآشورية هي أسماء الملوك والحكام الأوائل في المدن السومرية. وتنقسم اللغة الآشورية إلى ثلاثة فروع هي:

1. **الآشورية القديمة 2000-1750 ق.م:** نصوصها قليلة، وأغلبها ملكيّ، وبعضها اكتشف في المراكز التجارية الآشورية في كبدوكيا في آسيا الصغرى وأهمها في كانيش، وهناك مايشير إلى وجود لهجات فرعية فيها.

2. **الآشورية الوسطى 1500-1000 ق.م:** وهي لغة النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وأهمها نصوص مدينة آشور، ونصوص القوانين الآشورية، وبعض النصوص الأدبية والملكية التي تحمل مؤثرات بابلية.

3. **الآشورية الحديثة 1000-600 ق.م:** وهي لغة الكتابات الآشورية الأكثر، التي وصلت وتشمل المراسلات الملكية والدبلوماسية والمعاهدات والإتفاقيات والرسائل الشخصية التي اكتشفت في العواصم والمدن الآشورية الفاعلة، وهناك الوثائق القانونية والإقتصادية، وتظهر عليها تأثيرات اللغة الآرامية واضحة.

وبدءاً من عهد سرجون الآشوري ثم عصر الدولة البابلية الحديثة أصبحت الآرامية تنافس الأكدية، لكن مع ذلك بقيت اللغة الأكدية في الدولة الآشورية الحديثة هي لغة توثيق الكتابات الرسمية وذلك بكتابتها على الرُقم الطينية بالخط المسماري.

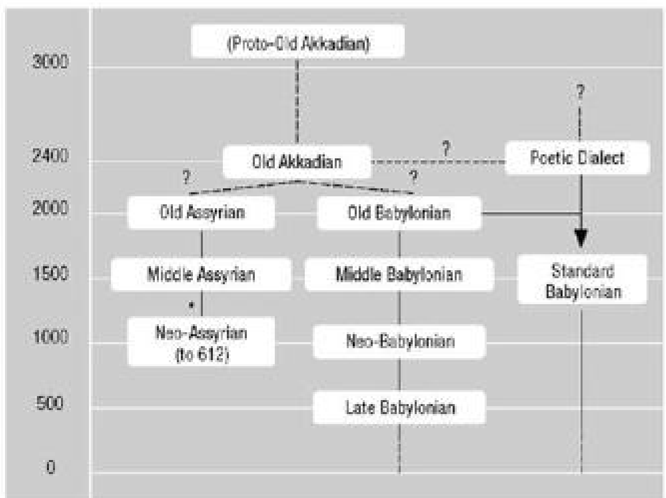
«وهناك لهجة أكدية أخرى استخدمت في الفترة بين (1400 ـ 600 ق.م) لتدوين النصوص الأدبية والحوليات الملكية في كلّ من بلاد بابل وآشور ولم تكن لغة هذه النصوص تستخدم للتخاطب بل اقتصر استخدامها على التدوين فقط. ولذلك حوت بعض الأساليب والصيغ النحوية التي لا تستخدم في اللغة الأكدية الإعتيادية إطلاقاً.» (سليمان 1985: 299).

استمر استخدام اللغة الآشورية بعد سقوط نينوى وتم اكتشاف نص مسماري مدون بالآشورية يعود إلى القرن الميلادي الأول (العام 76 م).

**لغة السورث:** خلال تاريخها الطويل امتزجت، اللغات السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والآرامية، ومع اتساع استعمال الآرامية، ظهرت لغة ثالثة، ذات طابع أبجدي آرامي ـ سرياني، قام بعض المهتمين بتنظيمها وتثبيت قواعدها والكتابة بها ومن أهم مشجعيها في القرن العشرين توما أودو والملفان يوسف قليثا وظهرت دراسات وكتابات في تدريس أصواتها كلغة حية سميت (سورث) أي لغة الآشوريين الحديثة وأصبح كل من الآشوري والبابلي والكلداني والآرامي يجد فيها لغته ولذلك فإن لا أحد من الآشوريين أو الكلدان أو السريان يستطيع أن ينفرد بالقول بأن لغة السورث هي خالصة له وحده، فهي اللغة الجامعة لكل هذه الشعوب الرافدينية. يرى أدوارد كيبرا بأن لغة الآشوريين القدماء هي الأكدية وهي تختلف كلياً عن لغتهم الدارجة في الوقت الحاضر. ويرى الدكتور بهنام أبو الصوف أن الآرامية هي سبب ظهور لغة آشورية معاصرة، حيث يرى أن الآرامية حلت «في معظم بلاد الرافدين وكل بلاد آشور تدريجياً واستخدم الآشوريون الكتبة الآراميين فتجد مع الكاتب الآشوري بالمسمارية على الطين مدون آخر آرامي بيده جلد غزال يكتب بالآرامية، وفي فترة معينة أصبحت هناك لغة ثنائية (آشورية بالمسماري وآرامية بالآرامي) حتى سقوط آشور, الذين كانت تجاورهم اللغة البهلوية (لغة الدولة الاخمينية) المنتصرة التي احتلت بابل في 539 ق.م، وبسبب هذه الأحداث لم يتبق في بلاد الرافدين أية لغة آشورية أو كلدية بابلية عدا مخلفات قليلة كهنوتية في المراكز الدينية المحافظة، وهذه أيضاً كانت في طريقها إلى الانقراض، كما انقرضت قبلها بأكثر من ألف سنة السومرية، وآخر كيان سياسي للأشوريين بعد سقوط نينوى كان في حرّان حيث قضى عليه نبوخذ نصّر، وتأسيساً على هذا فمن كان يتكلم باللغة الآشورية، لغة الحاكمين في الإمبراطورية الآشورية، انقرضوا تماماً في مطلع القرنين الخامس والرابع ق.م وما بعدهما حتى مجيء المسيحية حيث كانت اللغتين السائدتين هما الآرامية واليونانية.»

http://www.arabtimes.com/portal/article_display.cfm?Action=&Preview=No&ArticleID=41238

تنبع أهمية اللغة الأكدية الآشورية من كونها المستودع الأكبر لتراث وادي الرافدين، فقد كانت تمثل واحدة من أكثر صفحاته قوة وتحضراً وحضوراً في التاريخ، ولاشك أن هذه اللغة انتشرت في الشرق الأدنى القديم بحكم توسع الإمبراطورية الآشورية، وبحكم تكلّم الشعوب والمدن التي انضوت تحت الحكم الآشوري بها، وهذا جدول مبسّط يبين تفرعات اللغة الأكدية وتاريخ تطورها:




**تطور اللغة الأكدية وولادة وتطور اللغتين الآشورية والبابلية منها قبل الميلاد**

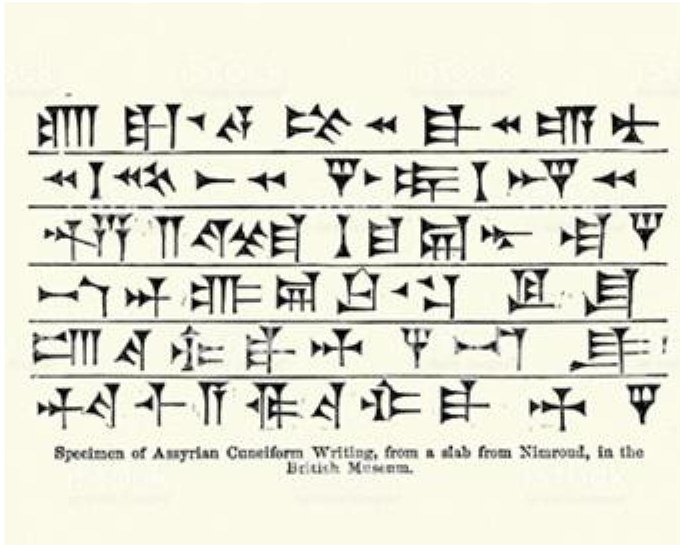
# المبحث الثاني: الكتابة الآشورية

دُونت اللغة الآشورية بالكتابة المسمارية كما هو حال جميع اللغات المتفرعة عن الأكدية، وقد كان السومريون هم أول من استخدموا الكتابة المسمارية للغتهم المقطعية، فكانت تناسبها كلغة إلصاقية، بينما لا تتناسب الكتابة المسمارية مع لغة أبجدية كاللغة الأكدية وتفريعاتها ومنها الآشورية، ومن هنا فقط وجد الأكديون والبابليون والآشوريون صعوبة

في تطويع الخط المسماري للغاتهم الأبجدية «وعندما أراد الأكديون تدوين لغتهم بواسطة الكتابة المسمارية واجهوا صعوبات جمّة في التعبير عن أصوات وألفاظ لغتهم حيث أن اللغة الأكدية على العكس من اللغة السومرية تزخر بالأصوات الحلقية والمشددة شأنها في ذلك شأن بقية أفراد عائلة اللغات العربية القديمة التي تنتمي إليها، كاللغة الآرامية واللغة العبرية. ولنا أن نفترض أن اللغة الأكدية بصيغتها التي نطق بها الأكديون كانت تضم الأصوات التي ترمز لها عادة بالرموز ح وع وغ وت وط وص وض وظ وث وذ أسوة ببقية اللغات القديمة ولا سيما العربية. وحيث أن الكتابة المسمارية لا تضم علامات تعبر عن هذه الأصوات، فقد اضطر الكتبة للتعويض عن هذا النقص إما باستخدام علامات ذات مقاطع صوتية قريبة من حيث النطق إلى تلك الأصوات الأكدية أو أنهم خصصوا بعض العلامات المسمارية للتعبير عنها وتعارفوا على ذلك أو أنهم استحدثوا علامات جديدة لسد النقص الموجود في الكتابة المسمارية وتشير النصوص المسمارية الأكدية إلى أنهم فعلوا ذلك جميعاً فاستخدموا المقاطع الصوتية التي تضم صوت ت أو د للتعبير عن صوت ط الأكدي، كما استخدموا العلامات الخاصة بحروف العلة للإشارة إلى بعض الأصوات الحلقية القريبة منها من حيث النطق وخصصوا بعض المقاطع الصوتية لتدوين الأصوات الحلقية والمشددة. وكان من نتائج استخدام الكتابة المسمارية في تدوين اللغة الأكدية أن فقدت اللغة الأكدية تدريجياً بعض خصائصها الصوتية في صيغتها المدونة على أقل تقدير، وابتعدت عن بقية أفراد عائلتها التي استخدمت نظماً كتابية أكثر ملاءمة للتعبير عن أصواتها.» (سليمان 1985: 301-302).

قام علماء اللغة الغربيون بحلّ المشكلة من خلال مايعرف باللفظ العابر للغات ووضعوا رموزاً وإشارات جديدة أضافوها للحروف اللاتينية لكي يتمكنوا من تدوين الأصوات الخاصة بالأكدية، ويمكننا من خلال هذا الجدول معرفة كل هذا، والذي يوضح حروف لفظ اللغات السامية القديمة (البروتوسامية) وحروف لفظ اللغة الأكدية وما يقابلهما في اللغة العربية، من خلال الحروف اللاتينية العادية والمحوّرة ببعض الإشارات:

وهذا نموذج للكتابة المسمارية الآشورية من مدينة كالح (نمرود):




**كتابة آشورية من نمرود**

كانت الكتابة الآشورية قد ترادفت مع اللغة الآشورية في مراحلها التي ذكرناها في المبحث السابق، وكان لها ذلك التاريخ التطوري الذي يتفاوت في أسلوب الكلام وبعض القواعد، لكن الإطار العام للكتابة بقي كما هو. وقد ناقشنا في كتابنا (الحضارة السومرية) مراحل اكتشاف وخط الكتابة المسمارية.

# المبحث الثالث: الأدب الآشوري

يرى أي.ليو. أوبنهايم، أن مجموع نصوص الأدب المسماري المكتوب باللغة الأكدية (البابلية والآشورية) يبلغ نحو 1500 نص، ويوجد ما يقارب نصفه على شكل شظايا مبعثرة، ويعود أغلبه للألفية الأولى قبل الميلاد، وتتضمن أشهر الأنواع نصوص الطوالع، والقوائم المعجمية، والتعاويذ الشعائرية، والتعاويذ الشافية والحامية من تأثير الشر، والملاحم التاريخية والأسطورية، والخرافات، والأقوال المأثورة.

يعتبر الأدب الآشوري امتداداً للأدب البابلي، فقد كُتب هو الآخر بلهجة أكدية ولذلك فإن التواصل بين الأدبين البابلي والآشوري أمرٌ طبيعي، مثلما ساهمت شعوب مختلفة في إنتاج الحضارة البابلية ساهم الأموريون والسوبريون (والأكديون) وقبلهم السومريون في انتاج الحضارة الآشورية.

استبدل الأدب الآشوري بعض الآلهة البابلية الكبيرة بالآلهة الآشورية المفضلة مثل (آشور، عشتار، نبو، أدد...إلخ) ونرجح مثلاً أن أسطورة الخليقة البابلية كانت متداولة في آشور، لكن بطلها لم يكن مردوخ البابلي بل آشور، وكان عيد الأكيتو يؤدى نصوصاً وطقوس من خلال الآلهة الآشورية المميزة.. وينطبق هذا على الكثير من القطع البابلية التي حوّلها الآشوريون إلى نصوص تحتفي بالآلهة الآشورية.

«إن معظم النتاجات الشعرية والأدبية السومرية والبابلية، تخلو من أسماء مؤلفيها الكتبة. باستثناء عدد قليل جداً منهم والتي لا تتجاوز عدد أصابع اليد ومع أن بعضاً من تلك النصوص الأدبية مذيلة بأسماء، إلاّ أنه يعتقد أنهم كانوا نساخاً أو جامعين لتلك النصوص، وقد يكون البعض منهم كتبة تلك القطع الأدبية أو نقحوها بصيغتها النهائية وربما يسوغ عدم ذكر أو إغفال تدوين أسماء أولئك الكتبة الأدباء في تلك النصوص على أنه القسم الأعظم من النتاج الأدبي في حضارة بلاد الرافدين دون على هيئة تراث قومي على مر الأجيال وشاركت في إنتاجه أجيال كثيرة من الشعراء والأدباء ولم ينفرد بإنتاجه شاعر أو أديب واحد على غرار ما نعرفه في الآداب الحديثة. لذا فقد ظلت أسماء أولئك الأدباء مجهولة رغم جهودهم المضنية في تدوين تلك القطع الأدبية الرائعة. هذا وهناك بعض الحالات القليلة التي برزت فيها بعض القطع الأدبية التي ذيلت في نهايتها أسماء الكتبة ومنهم (سن ـ ليقي ـ اونني SIN - leqe - uninni) أحد جامعي نصوص ملحمة جلجامش والكاتب (نور أيا) الذي ارتبط اسمه بإحدى قصص الطوفان البابلية.(الجميلي 2001: 88).

ومع أنه من الصعب القول بوجود أدب آشوري مميّز لكننا استطعنا جمع بعض القطع الأدبية الآشورية الخاصة بملوك أو آلهة آشورية حصراً ويمكننا تمييزها إلى نوعين أساسيين هما

الدين والدنيوي.

القسم الأول: الأدب الديني (كالا)

أولاً: أدب الصلوات

هو أدب ديني تتجلى فيه العلاقة بين الإنسان وإلهه، وقد كان هذا الأدب منتشراً بين الملوك بشكل خاص، ولكل إله من الآلهة صلواته الخاصة، وسنتناول هذه النماذج المهمة:

**1.صلاة لكل إله:**

«إن هذه الصلاة لم توجّه إلى إله معين ولكن إلى جميع الآلهة بصورة عامة، حتى إلى تلك الآلهة التي قد لا تكون معروفة، وغرض الصلاة هو طلب الخلاص من عذاب يعتقد الكاتب أنه ينتج عن انتهاك ما لحرمة القانون الإلهي. ويسند طلبه إلى حقيقة كون تجاوزاته لم تقترف عمداً، وأنه حتى لا يعرف الإله الذي ربما أساء إليه. وأكثر من ذلك يدّعي بأن العنصر البشري بأجمعه جاهل بطبيعته للإرادة الإلهية، وبنتيجة ذلك فإنه يقترف الذنب باستمرار. وعلى هذا فلا ينبغي أن يفرد للعقاب. جاء اللوح من مكتبة آشور بانيبال (668 ـ 633 ق.م). واستنتج عن أصل أقدم. ولكن يوجد عدد من صفات النص السومري التي هي صفات مميزة للفترة المتأخرة ومن المحتمل أن لا ت كون كتابة النص الأصلي أقدم بكثير من عهد آشور بانيبال.

النص:

عسى أن يهدأ هياج قلب ربي نحوي

عسى الإله الذي هو مجهول أن يهدأ نحوي

عسى الآلهة التي هي مجهولة أن تهدأ نحوي

عسى الإله الذي أعرفه أو لا أعرفه أن يهدأ نحوي

عسى الآلهة التي أعرفها أو لا أعرفها أن تهدأ نحوي

عسى قلب إلهي أن يهدأ نحوي

عسى قلب آلهتي أن يهدأ نحوي

عسى الإله (الذي غضب عليَّ) أن يهدأ نحوي

عسى الآلهة (التي غضبت عليَّ) أن تهدأ نحوي

(الأسطر من 11 إلى 18 لا يمكن إعادة تركيبها بدقة)

بجهل قد أكلت ما هو ممنوع من إلهي.

بجهل قد وضعت قدمي على ما هو محرَّم من آلهتي

أيها الرب، تجاوزاتي عديدة، وذنوبي عظيمة.

أيا إلهي، تجاوزاتي عديدة، وذنوبي عظيمة.

أيا آلهتي، تجاوزاتي عديدة وذنوبي عظيمة.

أيها الإله الذي أعرفه أو لا اعرفه، تجاوزات (ي) عديدة وذنوبي عظيمة.

أيتها الآلهة التي أعرفها أو لا أعرفها تجاوزات (ي) عديدة وذنوبي عظيمة.

الخطيئة التي اقترفتها حقاً لا أعرفها،

الذنب الذي اقترفته، حقاً لا أعرفه.

الشيء المحرّم الذي أكلته، حقاً لا أعرفه.

(المكان) الممنوع الذي وضعت عليه قدمي، حقاً لا أعرفه.

(30) الرب نظر إليّ بغضب قلبه،

الإله واجهني بهياج قلبه،

عندما كانت الآلهة غضبى عليَّ، جعلتني أمرض.

الإله الذي أعرفه أو لا أعرفه قد اضطهدني

الآلهة التي أعرفها أولا أعرفها قد ألقت عذاباً عليَّ.

على الرغم من أني أطلب على الدوام عوناً، لا يأخذ بيدي أحد.

عندما أنتحب، إنها (أي الآلهة) لا تأتي إلى جانبي.

إنني أنطق بالرثاء، ولكن لا يسمعني أحد.

إنني قلق، إنني مقهور، إنني لا استطيع أن أرى.

أيا إلهي، الرحيم، إنني إليك أوجّه الصلاة، «مل دائماً نحوي»

(40) إنني أقبّل قدمي آلهتي، إنني أزحف أمامك.

(أغلب الأسطر من 41 ـ 49 مكسورة ولا يمكن إعادة تركيبها بوجه التأكيد).

(50) حتى متى أيا آلهتي، التي أعرفها أو لا أعرفها، قبل أن يهدأ قلبك المعادي؟

الإنسان أبكم، لا يعرف شيئاً

البشر كل الموجودات، ماذا تعرف؟

أكان مقترفاً إثماً أو فاعلاً خيراً

إنه لا يعرف حتى ذلك

أيا سيدي لا تكسر بخاطر عبدك،

إنه منغمر في مياه مستنقع، خذ بيده

الذنب اقترفته، حوّله إلى خير،

الهفوة التي ارتكبتها، دع الريح تحملها بعيداً،

وسيئاتي العديدة تنزع عني كالرداء.

أيا إلهي، خطيئات (ي) سبع سبعات أرفع خطيئاتي،

(60) أيا إلهتي خطيئات (ي) سبع سبعات، ارفعي خطيئاتي،

أيها الإله الذي أعرفه أولا أعرفه، خطيئات (ي) سبع سبعات ارفع خطيئاتي،

ارفعي خطيئاتي وسأغني بمجدك.

عسى قلبك، كقلب أمّ حقيقة أن يهدأ نحوي

كأمٍ حقيقية (و) أب حقيقي عسى أن يهدأ نحوي.» (قاشا 2008: 111 ـ 114).

2.صلاة آشور ناصر بال الأول للإلهة عشتار:



## آشور ناصر بال الثاني

/http://www.mingyuen.edu.hk/history/1baby

تعتبر هذه الصلاة تكريساً دينياً لسلالة جديدة كان آشور ناصر بال (1049 ـ 1030) ق.م يرى أنها تشكل دورة أسرات تحت رعاية الإلهة عشتار. ولذلك فهي تكتسب أهمية دينية قام لأجلها آشور بانيبال بإعادة نسخها، بعد ثلاثة قرون، لأهميتها في الأعراف الدينية الملكية لملوك آشور. وفي هذه الصلاة يتذّلل الملك لعشتار لكي تحميه وترعاه ولكي تكف عن غضبها عليه. وسنقتطف هذه الأبيات الأخيرة منها:

«مري، وبأمرك ليعد الإله الغاضب فيصبح صديقاً،

ولتعد إليّ الآلهة التي كانت بغضبها قد ارتدت عني،

ليضيء من جديد موقدي المظلم والمدخّن،

وليضطرم مشعلي الذي هو اليوم مطفأ،

لتجتمع قرابتي التي هي اليوم مشتتة:

لتردد حظيرتي وتتوسع افنيتي!

تلقّي سجودي بفرح، واصغي إلى صلواتي،

أنظري إليّ بثقة، (وتقبلي تضرعاتي)!

إلى متى يا سيدتي، ستكونين غاضبة ووجهك مرتد،

إلى متى، يا سيدتي، ستكونين حانقة ونفسك غاضبة؟

الفتي رقبتك التي كنت تردينها عني بغير مبالاة، وارتضي بكلمة مؤاتية.

مثل الجزء الهادئ من مياه النهر، تهدأ نفسك من أجلي،

لكي أستطيع أن أطأ، مثل الأرض، الذين يتغطرسون عليّ!

والذين يظهرون لي غضبهم، أخضعيهم لي واجعليني أطأهم تحت قدميّ!

لتكن مرضية لديك صلواتي وابتهالاتي،

ليحل عليّ غفرانك العذب، لكي يمجّد أسمك الذين يرونني في الشارع

ولكي أذيع أنا ذاتي لذوي الرؤوس السوداء مجد الوهيتك وبسالتك:

«أجل، عشتار هي سامية، أجل عشتار هي الملكة،

أجل، سيدتي هي سامية، أجل، سيدتي هي الملكة،

يا إيرنيني، ابنة سين البطلة، لا منافس لك» (بوتيرو: 1988: 308).

**3.صلاة آشور بانيبال للإله الشمس (شمش):**



**الإله شمش والملك آشور بانيبال**

**http://www.flickriver.com/photos/elissacorsini/tags/mesopotami/a/**

كتب آشور بانيبال بنفسه هذه الصلاة إلى الإله شمش وهي تبجيلة لهذا الإله ولدوره وأهميته ويختتمها الملك بخاتمة نصوص الشكر واللعنات التي تنقش عادة على نصب الملوك والحدود:

«أنا آشور بانيبال، عبدك الذي أمرتَ بتعيينه ملكاً، لدى ظهورك في حلم.

أنا العابد المتعبد لقداستك، الذي يعلن عظمتك، وينقل مديحك للكل.

أحم في قضيتي، وجه خطاي نحو الازدهار.

أبقني في رفعة وعظمة، واكتب لي السلامة في كل يوم.

دعني أحكم بالحق إلى الأبد على شعبك الذي أوكلتني به.

وفي البيت الذي أشدته وأسكنتك فيه بفرح،

ليبتهج قلبي، وأسعد في سلطاني، وأقر عيناً بعيشي.

إن كل من ينشد هذا النص ويذكر اسم آشور بانيبال،

بالعدل والوفرة سوف يحكم على شعب إنليل.

إن كل من يتعلم هذا النص ويعظِّم قاضي الآلهة،

عسى أن يثري شمش أيامه ويسهل حكمه على الشعب.

ولكن كل من يبطل هذه الأغنية، ولا يعظم شمش نور الآلهة،

أو من يغير اسم آشور بانيبال الذي أمر شمش بتعيينه ملكاً لدى ظهوره

في حلم، ويضع بدلاً عنه اسماً ملكياً آخر،

لتكن أنغامه التي يعزفها على الهارب (القيثارة) بغيضة، وغناؤه أشواكاً وحسكاً.» (السواح 2006: 344).

**4.صلاة التقدمة لإله القمر:**

«وقد جاءنا نص من مكتبة آشور بانيبال في نينوى يتضمن صلاة ترافق التقدمة المعمولة في اليوم الثالث عشر من الشهر والخاص بعيد إله القمر. هذه الصلاة تعود إلى النموذج الشائع للصلوات الذي يستعمل في طقوس رفع اليد SU.IL.LA حين يصلي المتضرع للحصول على مغفرة الخطايا وللعيش بخير وسعادة.

يا سين، يا ننار، المبجل

سين المتجدد دوماً إذ لي يصنع الضياء

بك يعطى كل نور مشع للناس

متألقٌ هو مشعلك مثل «لمعان» النار

ضياؤك الباهر يملأ الأرض الواسعة

وبالكبرياء يتنافس البشر في رؤيتك

لا أحد يستطيع أن يتصور تفوقك، نورك مثل نور الشمس

الآلهة العظام راكعون أمامك

وقرار البلاد يعود إليك

يا سين المتلألئ يسألونك وتعطي الكلام للآلهة

في المصيبة التي ينبئ عنها خسوف القمر الذي حدث في اليوم الفلاني والشهر الفلاني

في المصيبة التي تخبر عنها العلامات والفؤول الرديئة وغير المؤاتية

في اليوم الثالث عشر هو عيدك، يوم البهجة لألوهيتك

يا سين الذي لا يضاهى في القوة والذي لا أحد يعرف مشورته

سكبت لك تقدمة ليلية نقية، سكبت لك الحصة الفاخرة

أنا راكع، ها أنا ذا أشتاق إليك

أنزل عليَّ رغبات الخير والسعادة والعدالة

لعل إلهي وإلهتي اللذين غضبا عليَّ منذ وقت طويل

ليتصالحا معي بثقة ونزاهة ليكون طريقي سالكاً وسبيلي بهيجاً

بعد أن أرسل (زاكور) إله الأحلام

حل خطاياي خلال الليل وجعل ذنوبي مغفورة

لعلني أسمع خلال الليل مغفرة خطاياي

لتجعل ذنبي يُسكب خارجاً

إذ ذاك سألهج بمدائحك إلى الأبد.» (قاشا 2008: 208-209).

**5.صلاة رفع اليد:**

«إن صلاة رفع اليد إلى الفم يشهد عليها لغوياً وفنياً، أنه نشاط صلواتي ذا نمط خاص يرتبط بالتعويذة أو الرقية لرفع اليد INIM.SU.IL.LAKAM والتي تتعلق بالأحزان الفردية حيث تشكل رسائل اتصال مع السماء أو مع الجانب الإلهي، وهذه الأقسام الخاصة بالشكوى مسبوقة بتحية أو ابتهال إلى إله معين ومقدمة عن النائب، ومن ثم يتبع ذلك توسلات المصلي من خلال أداء معين يذكر فيه خصاله وطلبه الخاص، وتنتهي بالتشديد على عرفانه الذي يُعبَّر عنه بطريقة مادية من خلال إزجاء المديح والثناء للإله، استباقاً لتحقيقه دعوات المصلي. وكنموذج لهذه الصلاة...» (قاشا 2008: 209).

**بدايات فلسفة الشك:**

«نص (صلاة الصالح المعذب إلى الإله نابو) حيث يصف النص الألم لأي معذب صالح والذي يعتبر ما ناله كعقاب إلهي ولكن في الوقت نفسه يعتبر نفسه بريئاً، ومن الشواهد الداخلية والمتوازيات يمكن أن نقترح أنه وضع لملك آشوري وقد اقترح الباحث (دياكونوف) أن الملك المعني ربما يكون أسرحدون (680 ـ 669 ق.م):

آه نابو لتجنبني الخطيئة، آه ابن بيل لتجنبني الإثم

اللوم لأبوي وأخوتي، الذين أهملوا وتجاهلوا (...)

أنا اشتقت إلى (إيزيدا) الأرض الشامخة، هذا المعبد...

أنا اشتقت في طفولتي للجلوس في بيت الرقيم

أنا... التقدمات للمعبد العزيز، لنابو، أنا أفكر باستمرار في أشيائه الجميلة نار (ايزيدا) تحرق قلبي.

أنا حصلت على الثروة بوقت مبكر، أنجزت هدفي (لكن) الشيخوخة قيدتني إلى سريري قبل وقتي

أنا انتهيت من خلال الألم، كأني لم أشعر بألوهيتك،

أنا بكيت (لأني) لم أشعر بجمال حياتي

أصبحت أصغر من الصغير، أوطأ من الواطئ، امتدت يداي حتى إلى المعوز

أنا صليت للعبد والعبدة، من أساوي في الميزان،

ركضت إلى العدو (السحرة) شطفت المياه قوتي

أنا بُترت من مدينتي، أعداء سلالتي الحاكمة أحاطوا بي

الحزن الدائم والمرض جلب الوهن لي

أنا أبكي باستمرار لآلهتي البعيدة رافعاً يدي في خضوع

أنا لم أرَ.... الموت يتملص مني مثل الكتروم ثمين

أنا صعدت مراراً إلى السطح من أجل أن أسقط (نفسي) إلى الأسفل

لكن حياتي ثمينة، أرجعتني إلى الخلف...

أنا أعطيت الشجاعة لنفسي، لكن أي شجاعة أنا حصلت عليها لأعطيها

أنا عرفت لكن أي عقل عندي لكي أعزم وأقرر

آه نابو، أين هو غفرانك، آه ابن بيل أين هي توجيهاتك، أين هو نسيمك اللطيف ذو الأريج (الذي) يذهب فوق الأشخاص الضعفاء...

سيدي عندما كنت في صباي كان هناك ظلمة، شمس أشرقت فوق البلد لكن لأجلي (...)

الأمطار الغزيرة على الشعب، لكن علي... الأمطار (سم) ومرارة

حياتي انتهت، أين أستطيع أن أذهب، أنا وصلت إلى بوابة الموت،

نابو لماذا تركتني

ألم يتخلّ عني سيدي، حيث هناك كثيرون يرغبون في مرضي، ألم تتخل عني

أنا شخص في حالة ضعيفة، من يخيفك، ألم تدعني أحضر إلى شمش

أنا واحد (من الذين) يحرسون الحقيقة، ألم تحطم الحقيقة التي أنا حرستها

لعل الشخص الوحيد الذي استدعى إليك، سيدي، لا تموت

أمسك يد المعدم الذي يتضرع إلى ألوهيتك

أنقذ حياة الشخص الضعيف، حيث ضيّق الحاقدون الخناق عليَّ،

فوق قدرة المرء، النساء الحقودات غسلن مثل الماء سحرهن

في نفسك لعل الشخص من يكون مثل حي ميت

لعل حياته المنتهية ترجع ثانية » (قاشا 2008: 210 ـ 211).

**6. صلاة الملك آشور بانيبال:**

«أيها العليّ، ملك السماوات والأرض،

الذي بأمره خُلق الإنسان

أقبل طلبتنا

وجمّل لي الحكم الرحيم

أقدم لك طلبتي، وأصعد لك التمجيد

إن الشر الذي يأتي بعد خسوف القمر

ظلم قوات السماء..

والأخبار السيئة... والأمراض الخبيثة..

إهمالي العدالة،

الشر والخطيئة في جسدي

لأن روحاً شريرة ربطت نفسها بي

أنت تقبل تضرعاتي

يا رب أمل أذنك إليَّ واستمع صلاتي

كل أنواع الشرور التي ترعب حياتي

أبعدها عني

وهب لي روحاً نقية مباركة على الدوام

واجعلها على هامتي

اتركني أعيش بأوامرك

اجعل شخصي يعلو

بعظمتك.

عن لوحة مسمارية محفوظة في متحف لندن رقم 29 هذه الصلاة كان يصليها آشور بانيبال ما بين سنة (688 ـ 626 ق.م)» (قاشا 2008: 295-296).

ثانياً: أقوال عشتار

وهي مجموعة من القصائد التي تخاطب فيها الإلهة عشتار ملوك آشور وتوطد عروشهم، ويضع الملوك هذه الأقوال بفخر على أنها مباركةٌ من قبل الإلهة المسؤولة عن الملوكية لهم. وفي هذا النص نجد عشتار وهي تخاطب الملك أسرحدون وتصفه بأنه الملك الشرعي وأنه إبن الإلهة ننليل (إلهة الهواء زوجة إنليل) فهو إبن إلهة رغم أن أباه هو ملك بشري.

«أنا عشتار أربيل

يا أسرحدون، ملك آشور!

في مدن آشور ونينوى وكالح وأربيل،

سأعطي أسرحدون، ملكي،

أياماً طويلة وسنين أبدية!

أنا قابلتك العظيمة،

أنا مربيتك العطوف!

لأيام طويلة وسنين أبدية

وطدت عرشك بثبات

في أسفل السماوات الفسيحة،

وعليه أسهر، في حضن السماوات

على بساط من الذهب

سأشرق نور العنبر

أمام أسرحدون، ملك آشور.

سأسهر عليه

كما على تاج رأسي.

قلت لك: «لا تخش شيئاً، أيها الملك!»

إني لم أخذلك

كنت قد أكدت لك عوني:

لا أتركك عرضة للذل،

أجعلك تجتاز النهر دون ضرر،

يا أسرحدون، الوريث الشرعي، ابن نينليل..

بيدي سأبيد أعداءك...

يا أسرحدون، ملك آشور،

في آشور، سأعطيك

اياماً طويلة وسنين أبدية.

يا أسرحدون، في أربيل،

إن ترسك المؤاتي،

يا أسرحدون، الوريث الشرعي، ابن نينليل!» (بوتيرو: 1988: 310).

القسم الثاني: الأدب الدنيوي (نار)

لا يحفل الأدب الآشوري الديني بالكثير من النصوص الشعرية فالشعر قليل نسبياً، وهو يؤكد على القصص والملاحم التاريخية، أما الرسائل فهناك نماذج لا تتعدى المذكرات أو السير وبعض نصوص تؤكد على صفة الحاكم العادل وبعض الأمثال الآشورية.

أولاً: الأدب الملحمي والقصصي

1.ملحمة جلجامش (النسخة الآشورية)

يعتقد علماء الآشوريات أن الكاهن (سين ـ ليقي ـ أونيني) هو الذي جمع قصص ملحمة جلجامش وصاغ منها ملحمة جلجامش الوسيطة المكونة من 11 لوحاً، فيما كان الأصل البابلي القديم لها مكوناً من 7 ألواح، وهذا الكاهن والأديب هو رجل دين من صنف (مشماشو) وهم المطهرون الذين يستعملون الزيت العطري في عملهم التطهيري داخل المعابد وفي القصور ونرجّح أنه عاش في بابل، ربما في الفترة ما بين 1300 ـ 1000 قبل الميلاد. ويعتقد أنه جمع أفضل نسخة من ملحمة جلجامش المحفوظة. واسمه مدرج في النص نفسه، وهذا أمرغير تقليدي للأعمال المكتوبة بالخط المسماري. وتُعرف نسخته بسطرها الأول أو «شا نقبا إيمورو » («من رأى العمق» أو «من رأى الهاوية»). ويعتقد أن معنى اسم (سين ـ ليقي ـ أونيني) هو (إله القمر يتقبل صلاتي). أما مدى اختلاف روايته عن النصوص السابقة يكمن في جعله الملحمة بأحد عشر لوحاً، أي أنه أعاد إنتاج الملحمة البابلية القديمة وأضاف لها أربعة ألواح جديدة.

النسخة التي عُثر عليها في مكتبة آشور بانيبال، وهي النسخة الآشورية، تتكون من 12 لوحاً، فقد أضيف لها اللوح الثاني عشر الذي يتعلق بهبوط أنكيدو إلى العالم الأسفل، وهو موضوع زائد عن الملحمة بعد نهاية الملحمة في اللوح الحادي عشر بعودة جلجامش الى أوروك وتشييد أسوارها.

ربما تكمن الملحمة في إضافة هذا اللوح الثاني عشر في أمرين أولهما جعل الملحمة بعدد مقدّس من الألواح وهو 12 لوحاً، أما الثاني فهو مؤشر لقرب موت جلجامش ونهايته عن طريق ظهور شبح أنكيدو من العالم الأسفل وإخباره بأحوال ذلك العالم، خصوصاً أن هناك لوح آشوري آخر يخبرنا عن موت جلجامش ووجوده في العالم الأسفل مقرباً من آلهة ذلك العالم.

اللوح الثاني عشر هو ترجمة أكدية لقصيدة / حكاية سومرية سابقة بعنوان (جلجامش والعالم الأسفل) الغرض منها هو أن يتعرف جلجامش على مصائر الموتى المختلفة في ما بعد الموت، والإشارة لمكانة جلجامش هناك كملك العالم الآخر، وهو تتويج درامي حيث

تنتهي الملحمة من اثني عشر لوحاً على الموضوع نفسه، وهو موضوع «الرؤية» أو الفهم والإكتشاف والحصيلة.

وقد أعطى الفن الآشوري صورة (آشورية) لجلجامش تختلف عن صورته البابلية والسومرية، فهو يظهر بملابس وهيبة آشورية وهو يحمل أسداً أو شبلاً بيده اليسرى، وهراوة بيده اليمنى، ويبدو وجهه وقد تشبّه بوجوه الملوك الآشوريين.

2.الملاحم التاريخية الآشورية

## 1. سيرة أدد كبّي:

أدد ـ كبّي الكاهنة العليا في معبد الإله سين في مدينة حرّان، وهي والدة الملك البابلي الأخير (نبونائيد)، وقد عاصرت الملك الآشوري آشور بانيبال ورعت معبد سين في حران باسمه وشهدت سقوط الإمبراطورية الآشورية ونشوء الإمبراطورية الكلدانية (البابلية الحديثة) ورأت أول سنين حكم ولدها نبونائيد في بابل، وقد ماتت عن عمر يناهز 104 سنوات حسب نصها. وقد عثر على هذا النص مدوناً على مسلتين هما شاهدنا قبر أدد ـ كبّي وفي النصف الأول من النص سيرة أدد كبّي على لسانها أما في النصف الثاني (التذييل) فيصف وفاتها والمراسيم الجنائزية التي أقيمت لجنازتها. ولذلك يقترب هذا النص من السيرة في موضوعه، وسنقتبس منه جزئين من سيرتها ووفاتها (التذييل). وهذا قسم من سيرتها:

**نص أدد كبّي:**

«أنا أدد ـ كبي، أم نبونائيد، ملك بابل، المنذورة للآلهة سين، ننجال، وسادرنونا، آلهتي الذين، منذ طفولتي، ألوذ بألوهيتهم دائماً. فأنا التي في السنة السادسة عشر من عهد نبو بلاصر، ملك بابل، حين غضب الإله سين، ملك جميع الآلهة، على مدينة حران ومعبده، وصعد إلى السماوات، وعمّ القنوط المدينة وناسها، ذهبتُ إلى مزارات الآلهة: سين، ننجال، نسكو

وسادرنونا في المدينة وبقيت منذورة لألوهيتهم. أنا التي تمسكت بأهداب ثوب الإله سين، ملك جميع الآلهة، واتخذت من ألوهيته العظيمة ملاذاً لي في كل صباح ومساء. أنا التي كرست بخشوع حياتي كلها إلى الآلهة سين، شمش، عشتار وأدد في السماوات وفي العالم السفلي. وعلى كل ما وهبوني من ملك ثمين شكرتهم بتقديم القرابين صباحاً ومساءً، شهوراً وأعواماً.

تمسكت بأهداب ثوب الإله سين، ملك جميع الآلهة، وتطلعت عيناي إليه صباحاً ومساءً. ركعت أمامه في التضرع والصلوات متوسلة: إذا عدت لمدينتك سيتعبد جميع سود الرؤوس لألوهيتك. من أجل تهدئة إلهي وآلهتي لم أدع جسدي ينعم بأي كساء من الصوف الناعم أو الحلي الذهبية والفضية، ولا بأي رداء جديد أو عطر أو زيت زكي الرائحة. لبست ثوباً بالياً، وحين تركت (بيتي). كان الصمت يخيم عليه. أنا على الدوام ابتهلت إليهم، وكان التسبيح لإلهي وآلهتي في خاطري، وانقطعت إلى خدمتهما، ولم أدع ما هو نفيس إلا وجلبته لهما.

منذ السنة العشرين من عهد آشور ـ بانيبال، ملك بلاد آشور، حين ولدت، حتى السنة الرابعة والعشرين من عهد آشور ـ بانيبال، السنة الثالثة من عهد ابنه آشور ـ ايطل ـ ايلاني، السنة الحادية والعشرين من عهد نبو بلاصر، السنة الثالثة والأربعين من عهد نبوخذنصر (الثاني) السنة الثانية من عهد اويل ـ مردوخ، السنة الرابعة من عهد نرجلسر، خلال هذه السنوات الخمس والتسعين التي واصلت فيها زيارة معبد الإلوهية العظيمة لسين، ملك جميع الآلهة في السماوات والعالم السفلي، كان ينظر بعطف إلى أعمالي الورعة، ويصغي لصلواتي ويتقبل نذوري.

(التذييل:)

«رحلت إلى مصيرها في السنة التاسعة من حكم نبونائيد، ملك بابل. سجى نبونائيد، ملك بابل، الابن الذي انجبته، جثمانها ليرقد مكتسياً أردية من الصوف الناعم والكان الأبيض الناصع. أودع جثمانها في ضريح مستور مع الحلي الوفيرة من الذهب المرصع بالأحجار

الجميلة، أجار...، عقود من الحجر الثمين، حاويات الزيت المعطر، و.... نحر الخراف السمان وجمع في حضرته سكان بابل وبورسبا سوية مع ناس من المقاطعات البعيدة. لقد دعى ملوك، امراء، وحكام من حدود مصر، على البحر العلوي، إلى البحر السفلي للحداد.

.... فأقاموا مناحة عظيمة، نثروا الطين على رؤوسهم. وكانوا لسبعة أيام وسبع ليال يسيرون مطأطأي الرؤوس، معفرين بالتراب، متجردين من ملابسهم الفخمة. في اليوم السابع... حلق كل أهل البلاد ونظفوا أنفسهم، نزعوا أثواب الحداد... جلبت لهم صناديق من الملابس الفخمة إلى أماكن إقامتهم، قدمت لهم الطعام والشراب، جهزتهم بسخاء بالزيت الفاخر، نثرت الزيت المعطر على رؤوسم، وجعلتهم في رضى وبمظهر حسن. جهزتهم جيداً من أجل سفرهم الطويل، وعادوا إلى بيوتهم.

إنك أيا من تكون، سواء ملكاً، أميراً، أم... اتخذ من الإلوهية العظيمة للإله سين، ملك جميع الآلهة، سيد آلهة السماوات والعالم السفلي ملاذاً لك. تعبد للآلهة: شمش، أدد، عشتار أسياد السماوات والعالم السفلي الذين.... الآلهة الذين يقيمون في غيساجلا وايزيدا وتضرّع لهم... فإن كلمة الإلهين سين وعشتار هي التي تنقذك.. تحفظ نفسك وذريتك سالمين، إلى أبد الآبدين.» (حنون: 2006: 60 ـ 63).

### 2. صفة الحاكم العادل:

يعود تاريخ هذا النص إلى العصر الآشوري الحديث وقد عثر عليه في مكتبة آشور بانيبال «ويبدو أن النصائح التي وضعت لحماية حقوق المواطنين في بعض المدن البابلية وبوجه خاص (سبّار) و(نفّر) و(بابل) إزاء الضرائب الاعتباطية وعمل السخرة الإجباري وسلب أموالها. أما الملك المخصوص بتلك النصائح فيرجح أن يكون ملك بابل (مردوخ ـ بلادن)، (مردوخ ـ إبلا ـ أدنا) المعاصر للملك سرجون الآشوري الثاني (721 ـ 705) ق.م

وارتأى باحثون آخرون أن الملك الآشوري «سنحاريب» (704 ـ 681) ق.م هو الملك المقصود، ومهما كان الأمر فإن الدلة الداخلية، من شكل الخط والأسلوب اللغوي تشير إلى

زمن يرقى إلى ما بين 1000-700 ق.م» وفيما يلي مقطع منه:

«إذا لم يعبأ الملك بإقامة العدل، فستعم الفوضى شعبه وتخرب بلاده،»

«وإذا لم يعمل على نشر العدل في مملكته فأن الإله «إيا»، سيد المصائر والأقدار، سيبدل مصيره، ولن ينفك عن مطاردته.

وإذا لم يستمع إلى نصح أمرائه فستكون حياته قصيرة وإذا لم يأخذ بنصح مستشاريه فستثور عليه بلاده. وإذا أطاع الأشرار فستبدل مصائر بلاده. وإذا احتال على الإله «إيا» فإن الآلهة العظام سيلاحقونه ويحاكمونه.

وإذا حكم على مواطن من نفر ظلماً من أجل الرشوة فإن «إنليل»، سيد الأقطار، سيسلط عليه جيوش الأعداء.

وإذا سلب أموال أهل بابل واختزنها في خزائنه، وإذا نظر في قضية لأهل بابل ولكنه لم يقسط في حكمه فإن «مردوخ» رب السماء والأرض، سيسلط عليه أعداءه ويسلم أمواله وكنوزه إليهم.

وإذا فرض الغرامات على أهل «نفّر» أو «سبار» أو «بابل» أو إذا أودعهم السجن اعتباطاً، فإن المدينة التي فرضت على أهلها الغرامة ستخرب. وإذا جمع أهل سبار ونفّر وبابل وفرض عليهم عمل السخرة، فإن مردوخ، حكم الآلهة، سيسلم بلاده إلى أعدائه، فيفرضون على جنده وأتباعه عمل السخرة».(باقر: 1968: 160 ـ 161).

### 3.ملحمة بين بابل وآشور:

يروي النص الصراع البابلي الآشوري من وجهة نظر آشورية محضة، فيسرد حرب «توكلتي ننورتا الأول» مع نظيره الكاشي «كشتلياش الرابع» ملك بابل، الذي خان العهد وحنث اليمين الذي أقسمه أمام الآلهة لذلك هبَّ الملك الآشوري لتأديبه.

كما تتغنى سطور الملحمة بعظمة «توكلتي ننورتا» صاحب الإنجازات الكبيرة في آشور خلال فترة حكمه المظفر، فقد اهتم بالتراث الكتابي بما فيه من نصوص أدبية وعلمية وطبية كاهتمامه بالحياة العسكرية والاقتصادية والدينية، ولا سيما بالإله آشور وآلهة «الإيجيجي»، فبنى المعابد الشهيرة، وبذلك أضحى ملكاً متميزاً لا نظير له بين الملوك كما تعبّر سطور الوجه الخلفي من اللوح (B).

تم العثور على ستة ألواح للملحمة وهي كالتالي:

A.B.C آشورية وسيطة عُثر عليها في معبد الإله «نابو» في نينوى.

D آشوري وسيط عثر عليه في «آشور».

E آشوري وسيط عُثر عليه في «آشور» أيضاً في فترة متأخرة.

F آشوري حديث عُثر عليه في «نينوىّ» مكتبة «آشور بانيبال».

والألواح جميعاً موجودة حالياً في المتحف البريطاني بلندن.

سطور الملحمة كاملة تقارب السبعمائة سطر، وقد نجا منها نسبياً حوالي أربعمئة سطر في ألواحها المختلفة. (جبور 2017: 116).

اللوح (F)

العمود الأول:

«1. (توكلتي ننورتا) مجّ الأسلحة

2. ممجدة قوته، تلذع الشجعان من الأمام والخلف

3. تهور اندفاعه، يحرق العاقين شمالاً ويميناً

4. مخيفٌ إشراقه، يدمر كل الأعداء.

5. هو ملك الجهات الأربع، كل الملوك يعيشون برعب منه.

6. عندما يزأر كعاصفة مدوية ترتعد الجبال.

7. عندما يرفع اسلحته «كننورتا» تضطرب كل جهات (الأرض).

8. بقدر الإله «نديمود» تكون مع جسد الآلهة.

9. بقرار سيد البلدان انبثقت هيئته داخل الرحم الإلهي.

10. هو الذي على صورة «إنليل»: الأبدية، الذي يسمع الناس، مستشار البلاد.

11. كما أذيع سابقاً، تعيّن قائداً لجيش سيد البلدان

12. إنليل عظّمه كأب بعد ولادة ابنه البكر.

13. إنه نفيس في كفاءته، حتى أن ساحة المعركة تقدمه حماية (للآخرين).

14. لا يماثله أحد بين الملوك كلهم في القتال.

15. لا (أحد) يقف منافساً له في الحرب. » (جبور 2017: 137 ـ 138).

**4.ملحمة «إلى أوراتو»:**

يتألف النص من خمسة وستين سطراً منقوشة على وجهي رقيم مسماري:

الوجه الأمامي: اثنان وثلاثون سطراً.

الوجه الخلفي: ثلاثة وثلاثون سطراً.

وقد كُتب النص باللغة الآشورية الحديثة بكتابتها المقطعية، ومن الملاحظ أن النص اتكأ كثيراً على الرموز السومرية التي زادت على الستين رمزاً وهذا يدل على اعتماد النسّاخ على اللغة السومرية القديمة جنباً إلى جنب مع الأكدية المقطعية بعد أكثر من ألف عام على غياب السومريين عن مسرح الأحداث السياسية كقوة فاعلة في المنطقة.

عثر على الرقيم في موقع (خوزيرينا) سلطان تبه في تركيا ونشره جورني Gurney في ألواح سلطان تبه (STT 43). قام لمبرت Lambert بنشر قراءته وترجمته إلى اللغة الإنكليزية عام 1961، ثم ترجمها جرايسون Grayson في عام 1996.(جبور 2017: 166).

«6. الإلهان «بل وآن» سلمّاك (الجبال) البعيدة.

7. (هزما) (عبد) «بيت عديني» العنيد، وحفاؤه.

8. مدينة «تل برسيب» الحصينة القوية (أحرقاها) بالنيران.

9. أحرقا ديار ملوك «بلاد ختّي».

10. تحدث (شلما نصّر) إلى «آشور بن جين» قائد الجيش (قائلاً):

11. ليت المدن الحصينة تُعهد إليك، ليتَ حمايتك تكون منيعة.

12. ليت تنظيمك يكون قوياً، خُذ أتاواتهم.

13. ملوك بلاد «ختّي» وضعتهم تحت قدمي.

14. ليتني أذهب إلى بلاد الأورارتيين لأرى معركتهم.

15. ليتني أرد إقليم الماء، وأن لم تكن فيه مياه.. ذَكَرَ.

16. اخضع «آشور ناصر بال» بلاد نائيري.

17. التقى برجاله العظام حدر (جنوده المدججين) من الإهمال، قائلاً:

18. قسّم أبطالي إلى تائب.....

19. سأسلك درب الإله آشور للسلب (حمّسوا) قلوبكم.

20. لتكن السيوف الحديدية قاعة في أياديكم...

21. سهامكم حادة ضمن (جعابكم).

22. الدروع الحديدية فوق الخيول (معقودة).

23. قواتكم المتحدة لا (تُهزَم).

24. إنها المعركة ضد العبيد الأوراراتيين.

25. الإله اشور حضّني (على السير) في (الدرب) (إلى أوراراتو).

26. شعب بلا آشور صاح (مادحاً) ذكري:

27. أنت الأجود، الأكثر بركة، الأجدر بالسيادة (على خصومك).

28 تقدم يا سيد الملوك جميعاً، دس على (رؤوسهم).

29. ليسر الإله نرجال أمامك، والإله جيرّا (خلفك).

30. لأوامرك (ننصاع).

31. خرجوا نظموا أسلحتهم بسرعة.

32. المعركة مثل....» (جبور 2017: 169 ـ 173).

ثانياً: الأدب الغنائي

لم نجد أدباً حوارياً واضحاً في الأدب الآشوري كالذي ظهر في الأدبين السومري والبابلي من نوعي أدمندوكا (المناظرات) ونصوص الجدل مثل نص السيد والعبد.

يفتقر الأدب الآشوري للشعر الوجداني (شيرو)، ولأدب المدائح والمراثي والفخر، وهناك القليل من قصائد الغزل والحب الآشورية، و«كان الحب والغزل في الشرق الأدنى أكثر من كونه انفعال عاطفي عابر يشعر به الشخص تجاه الآخرين، أنه لم يكن مقسماً بين المقدس والدنيوي، البشر والآلهة، الانفعالي والجسدي. فالحب يغمر الرجل والمرأة، الآلهة والمتعبدين، الحكام والمحكومين، الآباء والأبناء، ويبدو أن التمييز الجنسي بين (الذكر والأنثى) لم يكن مهماً عندما يظهر الحب والانفعال بين شخصين، وفي بلاغتنا نميل لتمثيل عاطفة الحب كشيء أنبل من الجنس الجسدي، لكن في القديم يبقى مجاز الحب جسدياً »(Westenhol, 1995, p. 2471 عن (الاسود 2008: 13).)

ولاشك أن الكثير من أناشيد الحب والغزل الآشورية ضاعت أو مازالت غير مكتشفة، فالرسومات الآشورية توحي بها «والحبيب المذكور هنا دائماً يدعى (البستاني) ولم تكن مهمته في البستان فقط، لكن له دلالة على قوة واجتذاب جنسي حيث كانت البساتين دائماً رمزاً للخصوبة في الأراضي الصحراوية لبلاد الرافدين، وكان هذا انعكاساً من فكر المملكة السومرية في مبدأين مبجلين للملك (كبستاني وكحامي للقطيع)، وقد طور الملوك الآشوريون هذه الفكرة إلى البستان الملكي المملوء بالزرع والحيوانات من كل المناطق المعروفة للإمبراطورية، إنها نماذج حديثة للفردوس مع مخازنها النباتية والمساحات الواسعة للصيد، كان البستان رمزاً للخصوبة عند الملوك الآشوريين ونجاحهم كخالقين للحضارة هي بالأحرى تأكيد على طلب الكون الكامل» (Novak,2002,p.444-456). عن (الأسود 2008: 194 ـ 195).

ثالثاً: الأدب الأخلاقي

1.الأمثال

**الأمثال الآشورية:**

ليس هناك فاصل واضح بين الأمثال الأكدية والبابلية والآشورية، فقد كانت تستخدم كلّها في آشور. ولذلك سندرج هذه المجموعة من الأمثال المكتوبة باللغة الأكدية (ومنها ما هو آشوري صرف):

أنت والعبادة:

عليك أن تسجد في الصباح ووجهك يلمس التراب وأن تبتهل إلى الآلهة ذلك يُشعِر المرء بازدياد قواه

التُقى يجلب النعمة.. والقرابين تجعل حياتك نجاحاً.. وتكسر الصلاة قيود الخطيئة.

أمثال مختلفة من مكتبة آشور بانيبال:

ـ الخادم يصبح سيداً في مدينة أجنبية

ـ من يموت جوعاً، لا يشبعه صندوق فضّة أو ذهب

ـ لبذر سيء، حصاد سيء.

ـ قوة الرجل الثمل تضاهي قوة دودة أرضية

ـ استوليت على حقل عدوّك والآن يأتي عدوّك، ويستولي على حقلك

ـ كيف يسمن من يأكل

-الصديق الحقيقي يتذكر من ينساه.

ـ إخشَ إلهك ومجد ملكك.

ـ لا ترتكب جرماً، فلا تفترسك خشية (إلهك).

الاستدانة سهلة ولكن:

سهلة هي الاستدانة كما هو سهل العمل الجنسي

ولكن إيفاء الدين يضاهي بصعوبته انتظار مولود.

المساواة أمام الموت:

عد إلى خرائب الماضي وانظر إلى ما حولك،

ترى جماجم المتواضعين وجماجم العظماء

أيٌّ منها كان لرجل شرير

وأيٌّ منها كان لرجل خير؟

العناق الخانق:

حادثة لم تقع منذ أقدم الأزمنة

امرأة صبية تفقد أنفاسها

بينما يعانقها زوجها.

لكل شيء سببه:

لا تأكل دهناً، فلا تجد في برازك دماً.

العروس وحماتها:

أيتها الفتاة، كما تُعاملين حماتك.. كذلك (في المستقبل) تعاملك النساء.

البداية تتحكم بالنتيجة:

إذا كانت عصارة الجعة مخلّلة

فكيف يمكن للجعة أن تكون حلوة؟

الحكمة اليائسة:

الآلهة وحدهم خالدون أبداً

تحت الشمس الإلهية

أما البشر، فأيامهم معدودة

وليست أعمالهم إلا هباءً.» (الشواف: 1999: 350 ـ 354)

**2.الرسائل**

طغت الرسائل السياسية والدبلوماسية على أدب الرسائل الآشورية، وقد ذكرنا الكثير منها في أمكان مناسباتها في هذا الكتاب، و«تكمن أهمية الرسائل في تسليط الضوء على بعض الجوانب من تأريخ بلاد الرافدين، وقد كشفت التنقيبات عن أعداد كبيرة من الرسائل في مدن مختلفة، لاسيما من العصرين البابلي القديم والآشوري الحديث، إذ تتضمن تلك الرسائل الأوامر والإرشادات والقرارات المهمة الموجهة من قبل الملوك إلى موظفيهم أو إلى الحكام التابعين والملوك المعاصرين، والعكس صحيح، ومن الجدير بالذكر أن تلك

الرسائل تظهر المتابعة الدقيقة لشؤون البلاد من قبل الملوك، وحرصهم الشديد على ضمان أمن البلاد واستقرارها ورفاهيتها. تضمنت تلك الرسائل دلالات ومضامين مختلفة، بعضها سياسي أو ديني أو اقتصادي أو اجتماعي. ومن الجدير بالذكر أن العاملين في المجال الدبلوماسي كانوا ممن يتمتعون بالمكانة الاجتماعية والوعي والإدراك العاليين للحد الذي يمكنهم من إدارة العلاقات بشكل إيجابي مع الطرف الآخر. وقد كرس الدبلوماسيون حياتهم لنشر الود والمحبة بين تلك الممالك فكان احترامهم واستقبالهم وضيافتهم أمراً واجباً من الدول الأخرى.» (سعدو وسهيل 2019: 531).

ضمت مكتبة آشور بانيبال على العديد من تلك الرسائل التي كتبت بالبابلية وبالأشورية. بعضها وصف مجموعة من الأمور الغريبة ذات الطابع التنجيمي، ومنها الخطاب الذي أرسله «نابوا «المقيم في آشور إلى الملك: «إلى الملك مولاي من خادمه «نابو» فليكن الملك مولاي موضع عطف الالهة. في السابع من كسليمو دخل ثعلب إلى المدينة وسقط في بئر في الغابة المقدسة بآشور وقد أمسك به وقتل» (أبو بكر وآخرون د.ت: 354).

وهناك رسالة من آشور بانيبال، يبدأها بذكر أسماء الالهة الكبيرة، ويذكر فيها الإزدهار الذي عمّ البلاد حين تم تتويجه ملكاً:

«آشور، سن، شمش، ادد، بعل، عشتار أربيلا،... نرجال، ونوسكو، وضعوني على عرش من أنجبني، أرسل ادد امطاره، وفتح ايا فمه، ونمت الحبوب، وكثرت المحاصيل، في عهدي كان هناك اكتفاء يصل إلى حد الامتلاء، وفي سنوات عهدي عمّ الإزدهار» (Frankfort 1969: 310).

«تمثل رسائل العصر الآشوري الحديث استمراراً للنضج الدبلوماسي الذي بدأ في العصر البابلي القديم، إذ تتكون هيكلية الرسائل في الغالب من مقدمة ومتن وخاتمة، وتبدأ مقدمة الرسالة بذكر اسم المرسل إليه ومن ثم تذكر اسم المرسل، بعدها تستعرض محتوى متن الرسالة التي جاءت مختلفة تبعاً لطبيعتها ودلالاتها، أما الخاتمة فكانت تحمل توصيات أو حلول ومعالجات للأمور، وقد تميزت رسائل العصر الآشوري الحديث بطولها وسرديتها

لأنها غالباً ما كانت متبادلة بين الملك وأتباعه من الموظفين أو قادة الجيش في أماكن بعيدة عن بلاد آشور، لذا حرصوا على شرح تفاصيل الأمور وحزئياتها. نقرأ في رسالة مرسلة من قبل الموظف الآشوري المسؤول في مدينة صور المدعو (قوردي ـ آشور ـ لامور) إلى أحد الملوك الآشوريين، يتبين أن الرسالة رداً على رسالة سابقة للملك الآشوري يستفهم بها عن الوضع في صور، بعد أن حدث عصيان وتمرد من قبل أهلها الذين ثاروا ضد جامع الضرائب وقاموا بقتله، إذ يذكر (قوردي ـ آشور ـ لامور)، أنه استعد ضد وحدة عسكرية قامت بتأديبهم، واستعادة الأمن والاستقرار وفرض الضرائب عليهم، ويخبر الموظف الآشوري ملكه أنه عمل على استمرار عملية نقل الأخشاب والمتاجرة بها، ومنع أهل صيدا من المتاجرة مع المصريين والفلسطينيين، فضلاً عن رده على رسالة أخرى مرسلة إليه من قبل الملك الآشوري تخص وضع مدينة كاشبوتا وتحصيناتها وتشديد الحماية حولها، ذلك يوضح لنا المتابعة الدقيقة من قبل الملوك الآشوريين لشؤون رعاياهام والمدن التابعة لنفوذهم، فضلاً عن حرصهم الشديد على رفاهية البلاد الاقتصادية وأمنها وسلامتها.» (سعدون وسهيل 2019: 539).

نص الوجه الأمامي للرسالة:

«إلى سيدي الملك خادمك قوردي ـ آشور ـ لامور، بخصوص أهل صور، الذين قال عنهم الملك هكذا: «اجب، هل الأمور جيدة معهم»، جميع الأرصفة قد امتلأت بالناس، إن الرعية (أي، أهل صور) الموجودين فيها (أي، الأرصفة) يدخلون (و) يخرجون من المستودعات، يسلمون (و) يستلمون (بالمقايضة)، يصعدون (و) ينزلون جبل لبنان الذي يقع أمامها (أي، صور) كما سيفعلون، (و) ولقد أنزلوا الخشب إلى هنا. لقد فرضت ضريبة (عليها من) أولئك الذين أنزلوا الخشب. (وبما يخص) جامعي الضرائب (الذين كانوا) بالقرب من أرصفة جبل لبنان، فإن أهالي صور قد هاجموهم وقتلوهم. لقد عينت بعدها، عندما جاء إلي، جامع ضرائب (كان) في مستودعات صيدا. لقد هاجمه أهالي صيدا بعدها. وبهذا الشأن فقد أرسلت ايتوا (وحدات عسكرية) للطوارئ إلى جبل لبنان: لقد جعلوا الناس يقفزون من حولهم! بعدئذ (عندما كان الناس) قد هربوا (و) وعندما عاد جامع الضرائب (و) بعد إرسالي

له إلى صيدا، تحدثت إليهم بهذا الاسلوب: من الآن فصاعداً سيتم إنزال الخشب إلى هنا، قوموا بعملكم وفقاً لذلك، (لكن) لا تبيعو للمصريين (أو) الفلسطينيين".

نص الوجه الخلفي للرسالة:

«خلافاً لذلك فإني لن أحرركم (و) ولن أدعكم تذهبون إلى الجبل، بخصوص مدينة كاشبونا والتي قال عنها الملك:"لماذا أخرت التحصين» في حين أنهم لم يرسلوا أي رسالة من القصر لقد تصرفت (بالقضية بنفسي) وأنجزت العمل كما ينبغي، بعد ذلك، عندما أرسلوا لوح مختوم، فإنه لم يصل إلي. وبالتالي فإني أزلت الأنقاض المحيطة بجانب الجدار، من الجهة القريبة إلى البعدية، ولقد أصلحت بالفعل البوابة الكبيرة للـ(جدار) الداخلي. لقد جمعت (أي، كاشبونا)..... ـ أربع جنود تحت تصرف (ي). لقد أخذت عشرون منهم (تحت تصرفي و) قد ذهبوا معي: الضابط الملكي (الذي هو) رئيس القوات الحامية الذي عينته عليهم. جعلت ثلاثون جندياً اعتيادياً يدخلون إلى وسط (مدينة كاشبونا): الذين سيبقون للحراسة. سيتم إراحة الجنود بثلاثين آخرين، بما يخص ما قاله الملك، الذي هو، «سبب دخول عشرة أسر إلى كاشبونا»، الماء هنالك «مؤذي» (و) الناس يمرضون، عندما يجهزون أنفسهم كما ينبغي بمائهم الخاص المأخوذ من أيميو سوف أجعلهم يدخلون..... إلى كاشبونا» (سعدون وسهيل 2019: 541).

رابعاً: نصوص الحكمة

لم نعثر على نصوص حكمة واضحة في النصوص الآشورية، ونود الإشارة إلى أننا لن نتناول الحكيم (أحيقار) هنا لأنه حكيم آرامي ونصوصه آرامية، وسنأتي على ذكره مفصلاً في كتاب آخر.

«ومن الكتبة الذين اقترنت الحكمة باسمهم (أحيقار الحكيم) وهو كاتب حكيم ويفترض الباحثون أنه آرامي الأصل عاش في بلاط الملك سنحاريب (704 ـ 681 ق.م) فقد كان حكيماً ومستشاراً للملك ولما لم يكن لديه أبناء يخلفونه في مهنة الكتابة والحكمة فإنه أخذ

ابن أخيه (نادن) ووضعه عند بوابة القصر ليكون كاتباً وحكيماً وحاملاً لختم الملك وعلمه معارف الحكمة التي عرفت بـ(حكم أحيقار) وقد وجدت هذه الحكم مدونة باللغة الآرامية (من القرن الخامس ق.م). هذا وقد وردت في النصوص المعجمية مصطلحات عدة عن كتبة الحكمة منها: (apkallu): AKK: SUM (NUN.ME.DU) (Gi. BUR) الذي يعني الكاتب الحكيم، الكاهن. وجاء في نفس النص المعجمي مصطلح: (TUPSAR EMQI) SUM: (DUB.SAR.KU.ZU) AKK الذي يعني كاتب الحكمة.» (الجميلي 2001: 89).

وهناك أصناف أخرى من الكتبة:

«وردت إشارات متفرقة في النصوص المسمارية لأصناف ثانوية من الكتبة، ومنهم (كاتب المعرفة NUPSA - MUDUU): SUM: (DUB.SAR.GAL.ZU) AKK و(- tupsar SUM: (dub.sar.dun.Na) Akk (saltu الذي يعني حرفياً (الكاتب الحر) أو الكاتب المتواجد دائماً (تحت الطلب). و(tupsar - pihuu: SUM: (DUP.SAR.HU.RU) AKK الذي يعني (كاتب أوعية السوائل).»(الجميلي 2001: 90).

# المبحث الرابع: الفكر الآشوري (مقدمة في الفلسفة الآشورية)

### أولاً: الآشورايا (العالمية الآشورية، الفلسفة الآشورية، الكلانية الآشورية)

حين وضع الآشوريون مصطلح (آشورايا) لضرورة سياسية تخص توسيع إمبراطوريتهم وإمكانية ضمّ شعوب الأرض فيها، فإنهم استندوا، في ذلك على أساس ديني بالدرجة الأساسية يتعلق بالمرتبة الدينية التي وضعوا فيها الإله (آشور)، فقد تحوّل الإله آشور من إله قومي للآشورين عن طريق التفريد (هينوثيزم)، ثم رفعوه لمقام أعلى عن طريق الشمولية (بانثيزم) حين جعلوه إله الكون والعالم وليس فقط إله الآشوريين، وكانوا يلمّحون ضمناً أن العالم يجب أن يكون وحدة واحدة تقودها آشور.

هذا الفهم كان متقدماً وجديداً في زمنهم، وقد قلّده الإسكندر المقدوني حرفياً حين جعل نفسه ملك العالم الذي تقوده مقدونيا وبدأ يركّب أشكالاً لزيوس مع الآلهة القومية للشعوب.

هذا الإجراء الذي عملوا عليه لثلاثة قرون لم يترصّن بقوانين وشرائع تناسبه، وبقيت القوانين السابقة تتحكم فيه، ولذلك اختل ميزان الواجبات والحقوق في الكوزموبوليتيا الآشورية، واختلت الأخلاق أيضاً بسبب العنف المفرط، وذهبت هذه الجهود سدىً.

لاشك أننا بحاجة لمباحث مفصلة وعملية من النصوص الآشورية لتوضيح الجوانب المتعددة للآشورايا في جوانبها الإيجابية والسلبية، وسنجد في الفصل الآخير من هذا الكتاب محاولة متواضعة في هذا الشأن.

ثانياً: الفلسفة الآشورية كما نراها

في محاورة (بروتاجوراس) أشار أفلاطون بأن الفلسفة تخصص قديم جداً ولم يعمل الإغريق على اختراعه. وهذا يطابق مانراه ونلمحه في تاريخ الحضارات حيث الحكماء والفلاسفة يملأونها من الصين والهند وحكمة سومر وبابل ومصر.

يبدو لنا أن تأريخ التخصص في حقول الإبداع والمعرفة قد شهد تراثاً جمعياً، في بداية الأمر، يكتبه النسّاخ والكهنة دون أن يضعوا أسمائهم عليه كمؤلفين، وهذا أمر صحيح ويتناسب مع ماحصل. وحين بدأت بوادر التأليف الخاص ظهرت نزعة التخصص وتكوّنت حقول المعرفة بوضوح أشد بفعل إسهامات فردية تراكمت ونجمت عنها تلك الثقافات والعلوم التي نعرفها.

ومع ذلك لابد من الحذر وعدم التعميم، لأن أول نصّ فكري وأدبي مكتوب في التأريخ هو نصّ (وصايا شروباك) السومري المكتوب بالمسمارية في مدينة شروباك التي حصل فيها الطوفان المنسوب لنوح، وشروباك هو اسم مدينة وملكٍ معاً كان يسمّى (شكور لام). أي أن هذا النص الأول حمل اسم صاحبه.

وبشكل عام يمكننا القول أن فلسفة لاوتسي مدونة باسمه وكذلك فلسفة كونفوشيوس، لكن الإغريق جعلوا الأمر ملزماً حين بدأ ظهور الحكماء ومحبي الحكمة (الفلاسفة) بالظهور، وحين تمّ تدوين تاريخ البشرية على مراحل من قبل الغربيين بعد عصر النهضة أهملوا بدايات الفكر والفلسفة في الشرق، وحددوا مهدها في اليونان بسب كونها تمثل جذورهم القديمة.

ما يعنينا أن آشور كان لها فكر فلسفي مضمر في تداولها الديني والروحي، وقد أبدى الملوك الآشوريون اهتماماً بالمعرفة وجمع الألواح «ويحتمل أن يكون الملك الآشوري (تجلاتبليزر الأول 1115 ـ 1077 ق.م) قد اتقن الكتابة أيضاً لأنه عد من بين الملوك العراقيين القدماء الذين أسهموا في تطور المكتبات حيث جمع ألواحاً كثيرة في أجنحة قصره في كلخ (النمرود). كما يعد الملك آشور بانيبال أشهر الملوك في بلاد الرافدين من الذين اهتموا بفنون الكتابة وناصروا الكتبة، إذ افتخر بمعرفته فنون الكتابة قائلاً في أحد النصوص: «استقيت المعارف الخاصة بالكتبة وحذقت آيات السماء والأرض ودرست ظواهر السماء وتمكنت من حل قضايا صعبة في القسمة والضرب واتقنت فن الكتابة السومرية والأكدية الصعبة جداً، وكنت أحب أن أقرأ الأحجار والأنصاب المكتوبة من أزمان ما قبل الطوفان...» وكذلك ذكر في نص آخر ما يأتي: «.. كتبت هذا الرقيم في مجلس المتخصصين استناداً إلى كلمات الرقم وألواح الكتابة (التي ترقى) أصولها إلى بلاد آشور وبلاد سومر وأكد. لقد دققتها وقابلتها ووضعتها داخل قصري لمطالعاتي الملكية وكل من يمحو اسمي ويكتب اسمه، عسى نابو، كاتب الكون، أن يمحو اسمه». ومن الجدير بالذكر أن هذا الملك تعلم الكتابة منذ الصغر، وأن والده الملك أسرحدون قد اهتم برعايته والإشراف عليه بنفسه، حيث بدأ بتخصيص معلم يشرف على تربيته وتهذيبه وكان اسم معلمه (نابو ـ اخ ـ اريب NABU - AHHI - EREBA) الذي أشرف بشكل مباشر على تهيئته وتطوير معارفه. هذا وقد عرف عن الملوك الآشوريين وخاصة المتأخرين منهم أنهم اعتادوا تنشئة أولياء العهد من أبنائهم تنشئة خاصة وتربيتهم وتثقيفهم ثقافة ملكية في قصور تشيد لهذا الغرض خارج العاصمة أطلق عليها قصر ولاية العهد (بيت ـ ريدوتي). وقد اشار الملك أسرحدون

في عدد من النصوص المسمارية إلى أنه قام بتجديد هذا القصر في مدينة (تربيص) من أجل ابنه وولي عهده آشور بانيبال.» (الجميلي 2001: 110-111).

1. الكوسمولوجيا (علم الكون)

أصل الكون وفلسفة نشأة الوجود

النسخة الآشورية من أسطورة الخليقة (إينوما إليش) أجرت تغييرات شكلية على النسخة البابلية الأصلية، ومع ذلك احتوت على أمور في غاية الأهمية، فقد نسخها كهنة متمرسون كانوا يؤسسون لتوجه جديد سرعان ما اتّضحت معالمه، فيما بعد، وأصبح أساس نظرة الآشوري للكون والوجود.

**أولاً: الكوسمولوجيا (علم الكون)**

كان الكون الأول البدئي هو الكون القديم الذي نشأ من الماء الهيولية العتيقة وكانت تكوّنه رفقة الزوجين تيامت وأبسو، ثم ظهر ابنهما (ممّو)، وكان اسم ممّو يعني (نظام الكون العاقل)، لكن الكون الجديد هو الذي حسم الأمر وظهرت فيه المكونات الثمانية المسماة كآلهة شكّلت صيغته الطمييية الأولى وهي (الطمي، الطمية) ممثلة بالإلهين (لخامو ولخمو) ونتج عنهما الأفق الذي تشكل من (الأفق الأعلى والأفق الأسفل) ممثل بالإلهين (أنشار وكيشار).

لابد من التوقف عن (إنشار: الأفق الأعلى) والذي أغوى الآشوريين، بسبب قرب تشابهه اللفظي مع الإله آشور، فطابقوه مع آشور لكي يجعلوا من آشور أباً للعناصر الأربعة أي للكون الجديد، فكأن آشور بدا مثل بذرة الكون الأولى.

**العناصر الأربعة:** هكذا أصبح آشور خالقاً للكون كلّه فظهرت العناصر الأربعة (النار، الهواء، الماء، التراب) والتي كان يمثلها الآلهة (آنو، إنليل، إيا، كي)، ومعروف أن نظرية العناصر

الأربعة كانت جوهر الفلسفة الرافدينة العميقة، وقد تناوب ظهور الوجود بتجلياته وفق نظامٍ خفي للعناصر الأربعة التي كانت تحرك كيمياء الوجود إذا صح التعبير.

**الكواكب السبعة:** ظهرت من تمازج هذه العناصر مخلوقات الكون كله، وأول ما ظهر من تزاوجها واختلاطها الكواكب السبعة. ومن المدهش أن تكون ستة من الكواكب السبعة من أصل مائي (أبناء وأحفاد الإله إيا إله الماء) وكان كلّ كوكب مسؤولاً عن قيمةٍ أو طبعٍ من الطبائع وكما يلي:

1. المريخ (الذي يمثله الإله نرجال) هو الوجه المعتم والقاسي من الوجود والحاضن للشرور والخطايا والذي أصبح مكانه العالم الأسفل.

2. المشتري (الذي يمثله مردوخ) وهو الذي يمثل القوة والسلطة.

3. عطارد (الذي يمثله نبو) وهو كوكب المعرفة والحكمة.

4. القمر (يمثله الإله سين) وهو كوكب الزمن والتأريخ.

5. الزُهرة (تمثله عشتار) وهي كوكب الحرب والخصوبة والتكاثر.

6. الشمس (يمثلها شمش) وهو كوكب العدالة والحق والشرائع.

أما الكوكب السابع فهو الكوكب البعيد زحل الذي انحدر من نسل هوائي (من الإله إنليل) ويمثل الحرب والعواصف والطقس بشكل عام، ويتماهى إنليل مع آشور في تأثير هذا الكوكب الذي يمثله الإله ننورتا أو أدد، والحقيقة أننا سنجد سبعة من آلهة الطقس تتداخل شخصياتها مع بعضها وكلهم يمثلون الطقس والحرب وهم (ننورتا، أدد، نينيب، زبابا، رامان، فول، نن (بار، نندار إب)، هؤلاء يسيطرون على الحياة في آشور لأنهم مستعدين للحرب دائماً ولنصرة الجيوش الآشورية.

وهكذا مثلت آلهة الطقس فلسفة الحرب والموت، بينما مثلت الكواكب الستة فلسفة السلام والحياة.

الأرض: التي مثلتها الإلهة كي، ننكي.. كانت تمثل عنصر التراب، وهي الإلهة الأم.

النار: مثلها إله السماء آنو ثم اتضح تجليها في الإله جبيل والضوء في نسكو،

العالم الأسفل: وهو عالم الظلام، والذي يضم قوى الشرّ، وكان نرجال مع بقية الآلهة يشكل عنصراً من عناصر الحياة لكنه حين رحل إلى العالم الأسفل وتزوج إله الموت أرشكيجال (لاز) وأصبح هو إله الموت وإله الشمس المختفية في الليل تحت الأرض. وهناك من نسلهما مجموعة قليلة من آلهة الأمراض والموت.

وفي العالم الأسفل شياطين ناريون وترابيون يحمونه ويدافعون عنه ويشكلون مصدر الشر والظلام فيه، كما أن فيه أرواح الموتى (أطيمو).

2.الأنطولوجيا (علم الوجود)

يتكون الوجود من قسمين أساسيين هما الطبيعة وما وراء الطبيعة.

**أولاً ـ الطبيعة (فيزيقيا):** هو العالم الواقعي المرئي الملموس المتكون من الأرض والسماء ومابينهما، وهو العالم الذي تسيطر عليه الآلهة بشكل خاص.وربما تظهر فيه الشياطين وأرواح الموتى لأسباب معينة معروفة وكان يتم طردها بالتعازيم والأضاحي. **ومادام هذا العالم مادي فهو فاسد وآيل للزوال.**

**ثانيا ـ ماوراء الطبيعة (ميتافيزيقيا):** وهو العالم الغيبي المكوّن من الآلهة والشياطين والكائنات الثانوية التابعة لهما.وهو العالم الذي يسيطير على العالم الطبيعي ويرسم مصيره عن طريق الألواح السبعة للقدر والتي كانت بيد ملك الآلهة مردوخ.كانت الفلسفة البابلية

ميتافيزيقية بالدرجة الأساس تُمجّد العالم الغيبي وآلهته القوية. ويمثل هذا العالم الآلهة والنور والضياء والخلود، فهو العالم الذي لايزول.

3.الإبستمولوجيا (علم المعرفة)

يتكون عالم المعرفة من إله المعرفة نبو وكوكبه عطارد باعتباره إله الكتابة والألواح، ومعه قيم القدر والخلود، وتدخل فيه العلوم والتقنيات. ولأنه علم إلهي تسيطر عليه العلوم الباطنية كالسحر والتنجيم والعرافة والخيمياء وتفسير الأحلام.

«إن ما يخلق الرابط بين الفأل والقول الخاص بالتنبؤ هو، في بعض الحالات، مجرد تشابه في اللفظ أو نوع من «التلاعب بالألفاظ». فمثلاً أن الذي يتلقى في حلمه حماراً (في الأكدية ايميرو) يوعد برؤية (ايميرتو) أولاد. أن هذه الصيغة الغريبة، وهي نادرة على ما أعلم، للإشارة إلى أنه سيرى أولاداً حوله وأنه سيكون له أولاد، قد أُختيرت بكل وضوح بسبب شبه تطابق الصوت مع (أيميرو). وفي جملة شرطية فُقدت جزئياً، حيث قد بقي الفعل الرئيسي على الأقل، يرى الحالم أنه يأكل «اكالو» (شيئاً)، ويعده جواب الشرط أولاً بأنه سيأكل «اكالو» حلوى (حرفياً: خبزاً، والمعنى العام هو أنه سيتغذى جيداً). ثم في عبارة مختلفة أو كنتيجة، (سيأكل) الظلمة («اتكولو»). ومن يذهب في حلمه إلى بلاد لابان (لبنان؟)، سيبني بيتاً، لأن اسم هذه البلاد يذكّر باسم «لبانو»: صنع طابوقاً، ولفظة «ختو»: فزع، هلع، ورد في جواب شرط مخروم لحلم يرى فيه صاحبه أنه يسافر إلى بلاد ختّي (أي عند الحثيين). إلا أن الأمر ههنا لا يتوقف...» (بوتيرو 1990: 161).

4. الأكسولوجيا (علم القيم)

تمثل الأخلاق والعدالة (بقيادة شمش) والقيم التي تمثلها الكواكب الأخرى هذا الجانب.

**خامساً: علم العقل**

العقل عند الآشوريين هو الإله الذي في الإنسان، لأنه صفة الإدراك والفهم لا تتم إلا من خلال الآلهة صاحبة الإدراك الواسع في الكون.

**سادساً: فلسفة الإنسانيات**

العلوم الإنسانية في آشور والأخلاق والسياسة تمثل هذا الجانب، وقد خصصنا لها فصولاً كاملة في كتابنا هذا.

# الفصل التاسع: المظهر الاجتماعي



## المبحث الأول: المجتمع الآشوري وطبقاته

**أولاً: الميزات الأساسية للمجتمع الآشوري**

1. لم يكن المجتمع الآشوري متجانس الأصل، فقد جمع في تكوينه شعوباً كثيرة بحكم سعة انتشار الإمبراطورية الآشورية فضلاً عن الأصول السامية المختلطة له من أموريين وبقية الشعوب السارية (الساميّة) التي كانت قد ظهرت في المناطق القريبة من آشور، والقليل من الأقوام الحورية وغيرها. ولذلك لا يرى الآشوريون أنفسهم على أنهم عرقٌ إثني بقدر ما هم أمه يجمعها الإله آشور ويسبغ نعمته عليها وهو الإله القومي لهم.

2. تخلصوا، بسبب ما ذكرناه، من أي مشاعر عنصرية، ولذلك اعتبروا اختلاطهم مع الشعوب الأخرى طبيعياً بل وأساسياً، ولذلك فهم كانوا يتعاملون مع الشعوب الأخرى باحترام، وحتى حين اتبعوا سياسة تهجير الشعوب من وإلى آشور فأنهم كانوا يتعاملون مع الشعوب المهجرة التي تستوطن كما يتعاملون مع الآشوريين تماماً.

3. كان لسياسة التهجير وجهان، الأول سلبي يتمثل في اقتلاع مجموعات كبيرة من الشعوب من أرضها ومجتمعاتها وما يترتب على ذلك من أذى وتعسفٍ اجتماعيين كبيرين، والثاني إيجابي لأن الآشوريين كانوا يتعاملون مع هذه الشعوب بشكل طبيعي، ويعملون على دمجهما مع المجتمع الآشوري، دون عزلها أو سجنها أو تمييزها، وكان هذا يعطي للشعب الآشوري مصدراً جديداً، فكان في الغالب يعطي للشعب المهجر، بعد أجيال، فرصة الإندماج بشعب عريق ومتحضر كالشعب الآشوري والمساهمة في بنائه.

4. أغلب المجتمع الآشوري من المزارعين والفلاحين الذين كانوا يحبون مهنتهم ويسعون لتطويرها، لكن النزعة العسكرية التي تضخمت في العصر الآشوري الحديث انتزعتهم من أرضهم ودفعتهم لسوح المعارك والحروب، وأصبح الإعتماد على غنائم الحروب، تدريجياً، هو العمل الشائع بين الفلاحين، وهذا ما أضعف مهنة توفير القوت اليومي للشعب الآشوري الذي كان من الصعب الحصول عليه بالغزوات، ولذلك حين حلّ الجفاف في العقود الأخيرة من تاريخ الآشوريين لم يستطع الفلاحون الصمود بوجهه لأنهم لم يدّخروا ما يكفي من الطعام والشراب للوقوف بوجهه، فتلاشى المجتمع وانهار الجيش وأصبح لقمة سائغة في فم الأعداء.

5. لعبت التجارة دوراً بناءً في نهضة المجتمع الآشوري ونمو طبقة مهمة من التجار الذين اهتموا بتصدير واستيراد الحاجات المهمة للنهوض، لكن هذه الطبقة لعبت دوراً انتهازياً في تملقها للملك وحاشيته من الأمراء والمنتفعين ولم تقف مع الشعب الآشوري عندما بدأت تتضح معاناته مع تزايد عمليات التجنيد القسري والحروب، فكانت سبباً في انهيار المجتمع بسبب تكديس ثرواتها وضيق مصالحها ووقوفها في صف الطبقة الحاكمة كليّاً.

6. لعبت طريقة الاعتقاد بإلههم (آشور) دوراً كبيراً في محاولة دمج الشعوب مع بعضها، فقد كانوا يرون أنه إله العالم بأكمله وأن سلطته تمتد إلى جميع الشعوب ولذلك كان الملك الآشوري مكلفاً بدوره جعل الشعوب محمية وخاضعة للإله آشور، أي أن الملك لا بد أن يصون السيادة العالمية للإله آشور ليس بالشكل الديني بل بالشكل الاجتماعي والسياسي والحضاري.

7. تميز الشعب الآشوري بالقسوة والغلاظة رغم تحضره، فكان ميله للاحتلال والفتوحات والتوسع علامة بارزة من علاماته، وكان يتطرف في أحيان كثيرة في قسوته مع الشعوب الأخرى وأقرب مثال لذلك هو قسوته مع بابل وشعبها التي أحرقها عدة مرات وحرث أرضها بالملح وسبى أهلها.

8. تولع الآشوريون بأخبار التأريخ وتتبع آثار وأخبار الأمم السابقة لهم وعاصرتهم (كالسومريين والأكديين والبابليين القدماء) والشعوب المعاصرة لهم في وادي الرافدين وغيره من الحيثيين والمصريين والعيلاميين والعرب والعبريين وقد دونوه بمختلف الطرق أهمها ما يعرف بالسجلات الآشورية (ليمّو) فضلاً عن ما قام به آشور بانيبال من جمع وإعادة تدوين التراث الرافديني القديم. فهم أمة تحترم التأريخ وتشعر به وتتعامل معه بدقةٍ وأمانة.

9. التميّز والتفوق في حقول الفن المعماري والنحتي والتصوير والفنون الصغرى، وتميزها بالجلال والهيبة والقوة ، وكانت والعظمة منحوتات الآشوريين للملوك والثيران المجنحة خير مثال ظهورهم المهيب في التأريخ واحترامهم للعظمة والحضور الباذخ، فضلاً عن لوحات النحت البارز والفاخر التي تزيّن قصورهم والتي تمتد لعشرات الأمتار.

10. أول شعب في التاريخ يهتم بالمعلومات وجمعها عن ما حوله من الشعوب، ربما كان ذلك بسبب نزعته التوسعية، وهو أول شعب استخدم الإعلام والدعاية في نصوصه وأعماله الفنية، وستصبح صفتا المعلومات والإعلام من أساسيات الحضارات الدينية الوسيطة، وكعلوم وعناصر فاعلة في الحضارة الغربية الحديثة.

ثانياً: الهرم الاجتماعي الآشوري وطبقاته

اختلف الباحثون في عدد الطبقات الاجتماعية للمجتمع الآشوري، ورأى بعضهم أنه يتكوّن من طبقتين، وبعضهم أنه يتكون من ثلاثة أو أربعة، و«المجتمع الآشوري يتكون من طبقتين إجتماعيتين هما طبقة الأحرار التي تضم بدورها مختلف فئات المجتمع من ضمنها الفئة الحاكمة والكهنة والقادة في الدولة وملاك الأراضي والمقاطعات، بالإضافة إلى الأطباء والتجار والحرفيين والمهنيين على اختلافهم، والطبقة الثانية التي أو آشورايا aššuri ضمها المجتمع الآشوري هي طبقة العبيد، كما ورد مصطلح آشوري aššuraia أو آشورايا aššuraia في القوانين الآشورية الوسيطة دون التمييز بين طبقات معينة، إذ إن الرأي القائل أنهم جماعة الآشوريين من مختلف الدول رأي لا تدعمه الأدلة، إذ لا توجد لدينا نصوص تؤكد ذلك، ولا يمكن اعتبارها طبقة إجتماعية في المجتمع الآشوري لأن القانون لم يهتم بها ويخصص لها عدداً من موادِه، ومن ألمرجح عدم وجود طبقة إجتماعية أُخرى في المجتمع، لأن القوانين والمراسيم الملكية وقضايا المحاكم والعقود والوثائق اليومية على إختلافها لا تشير إلى طبقة إجتماعية أخرى ولو وجدت لكان عددها يفوق أو يوازي أي من الطبقتين الآنفتي ألذكر، لذا لم تعالج القوانين القضايا الإجتماعية والإقتصادية الخاصة بها.» (العلوش 2010: 91).

ونرى الهرم الاجتماعي الآشوري يتكون من خمس طبقات أساسية هي:

**1. الطبقة المالكة:** وهي طبقة محدودة تتربع على رأس المجتمع الآشوري، يرأسها الملك أو الإمبراطور الآشوري وعائلته وحاشيته والبيت الملكي. وامتيازاتها كبيرة وكذلك ثروتها والقصور التي يسكنها أفرادها، وتزداد هيمنة الملك الاجتماعية بسبب من كونه الكاهن الديني الأعلى، فهو يتمتع بسلطتين الاجتماعية والدينية.

«كان الملك يتميز، ويكتسب شرعية حكمه ـ قبل ذلك ـ من خلال مهامه كمدير لشؤون البلاد وكاهن للإله آشور، ثم ظهرت في المشهد السياسي علامة أخرى مميزة، وهي أن الفكر السلالي الوراثي بات مبدأ سائداً مهيمناً على الحكم الملكي. وارتبطت في الأذهان فكرة

توارث إحدى القبائل السيادة من جيل إلى جيل، مع التصورات عن الطفولة الإلهية، والتشابه الشكلي مع الإله. لقد كان الحكام الآشوريون يصفون أنفسهم بـ(المخلوق) من قبل أحد الآلهة أو إحدى الإلهات. وكان الناس يرون الملك في صورة مماثلة للآلهة. هذا ما نقرؤه في رسالة إلى الحاكم، جاء فيها ما يأتي: (الملك، سيد، هو المختار من قبل الآلهة الكبرى. ظل الملك، سيدي، يجلب الخير لكل شيء، ولكل إنسان (....). ثمة مثل شائع يقول: الإنسان ظل الإله. ولكن أمن الممكن أن يكون الإنسان ظلاً لإنسان آخر..؟ إن الملك هو على صورة الإله تماماً.

بهذا الشكل تم تمييز الملك من بين جموع الناس الآخرين. تفوق عليهم بالقوة والحكمة وجمال الشكل، ولكنه بالطبع لم يرق إلى درجة الإله.» (كانجيك وشباوم 2008: 106-107).

**2. الطبقة الحاكمة (أميلو، عايلو، إلو، بيلو)** (belu أو a ilu / amilu) وتعني الرجل الحر أي غير المرتبط بعمل وهي طبقة النبلاء والأحرار المميزين والقريبين من الطبقة المالكة ويشمل جهاز الدولة المؤلف من كبار الموظفين وصغارهم، مدنيين وعسكريين، وكانوا كلّهم بمثابة (خدم الملك العظيم القدير ملك بلاد آشور، ملك الكون). ولم يكن هناك وزير أو وزارة للملك بل كان هناك مستشارون، ويقف معهم الأمراء وحكام الأقاليم والقادة.

**3. الطبقة الأرستقراطية (ماري بنوتي):** وهي طبقة الأحرار المتحكمين بثروات وأموال المجتمع وتشمل الأثرياء والإقطاعيين والمتنفذين والتجار الكبار. وربما توازي هذه الطبقة ما عرفناه بطبقة (أويلم).

في القوانين الآشورية الوسيطة على أنه رجل حر، فهو مالك الأرض awilum «وقد ورد ذكر و رب الأسرة والأخ وما إلى ذلك، وكان يترتب عليه التزامات تجاه الدولة من حيث دفع الضرائب وأداء الخدمة العسكرية وكانت ملكيته تقسم في حال وفاته بين أولاده. كما ورد في المادة 26 من القانون الآشوري الوسيط: إذا كانت امرأة تعيش في بيت أبيها

وزوجها ميت، فإذا كان لزوجها أولاد، يأخذون جميع الحلي التي أعطاها إياها زوجها. وإذا ليس لزوجها أولاد، فستأخذها هي.» (العلوش 2010: 87).

4. **طبقة التابعين (مشكينو)**: وهم أضعف طبقياً من طبقة الأحرار والذين كانوا يمثلون (الطبقة الوسطى) في المجتمع البابلي، لكنهم هذه الطبقة ضعفت عند الآشوريين بسبب عسكرة المجتمع. وهي تضم الحرفيين والصناع والتابعين للمعبد والحائكون وأصحاب المهن والفلاحين والمساكين الأحرار. وبين الطبقتين الارستقراطية والمشكينو ما يعرف بطبقة (آشوريو) التي هي طبقة ظهرت في العصر الآشوري الحديث.

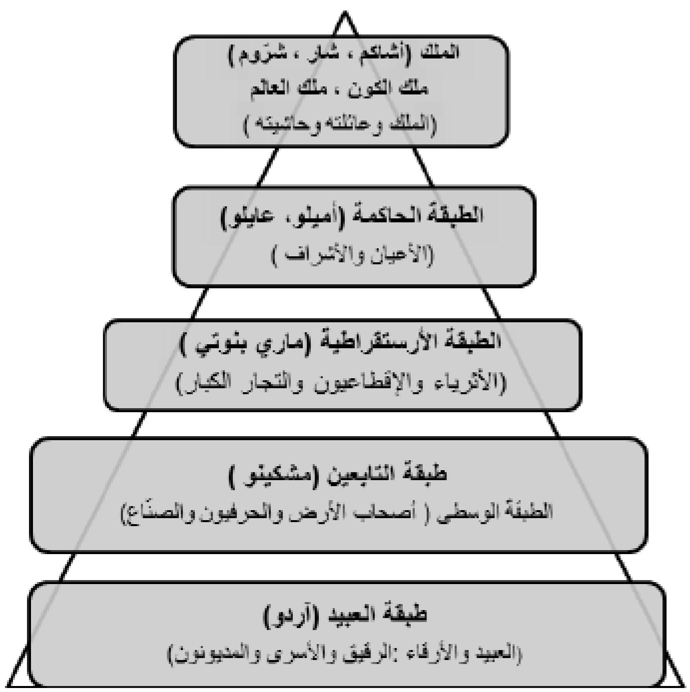
مصطلح آشُورايُو LU.KURasurayu (الاشوري) aššuraia/ aššuri. كان في القوانين الآشورية في العصر الآشوري الوسيط يدل على الرجل الآشوري الحر، لكن بعض المواد القانونية أصبحت تضع فروقاً في معاملة الآشوري وآميلو amilu وهو المصطلح الدال على الرجل الحر فقط، أي أن الآشوري كان رجلاً حراً من أصل آشوري معروف ومحدد. وقد ذكرت القوانين الآشورية الوسيطة أنه لايجوز لزوجة الرجل الآشوري أن تخرج للشارع العام دون غطاء على رأسها، أي أنه يمكن تمييز الآشوري من غطاء رأس زوجته.

ولم يحدد معنى هذا المصطلح في الواقع، فمن الباحثين من يرجح أنهم جماعة الآشوريين من مختلف الدول الخاضعة أو المتحالفة مع آشور، أي أنهم من غير الآشوريين أي عندما وضع ملوك الدولة الآشورية ضمن خططهم ذات العلاقة بالاستراتيجية العسكرية سياسة ترحيل بعض سكان المناطق المجاورة من منطقة إلى أخرى للحد من قيامهم بإثارة الفوضى والفتن ضد الدولة الآشورية، أو نقل سكان المقاطعات المتمردة إلى المدن الآشورية نفسها وابدالهم بنقل السكان الآشوريين أنفسهم إلى مناطقهم، فعلى سبيل المثال ما جاء في احدى كتابات الملك الآشوري شلمنصر الثالث (858 ـ 823 ق.م) بترحيل 87.500 منحتي وعدّهم من سكان بلاد آشور » (العلوش 2010: 89).

**5. طبقة العبيد (أردو، أوردو، وردم، أمتوم) (urdu / wardum وamtum):** وهي طبقة الرقيق والأسرى والمديونين والتي أغلب افرادها من أسرى الحروب، ويعملون في الحرف

والصناعات اليدوية لصالح سادتهم. وهم ليسوا أحراراً بطبيعة الحال بل هم ضمن أملاك من يتملكونهم.

وكانت هناك فروق فيما بينهم أنفسهم، ولعل أكثرهم حرماناً من الحرية والاستقلالية هم الذين يُسمّون في النصوص بتسمية أوردو Urdu (wardu). تعّبر صفة أوردو عن حالات مختلفة من الارتباط والتبعية، تختلف من حيث مدتها الزمنية وظروفها. ولذلك فأن الترجمة الشائعة لها اصطلاحياً «العبد» ليست دقيقة. لقد كان من الممكن أن تكون هناك حالة عبودية دائمة نتيجة النسب، أي الانتماء إلى اسرة تتوارث العبودية، أو في حالات مصيرية ناشئة عن عمليات الأسر خلال الحروب، أو أن يكون العبد جزءاً من أسلاب الحروب أو الجزية المفروضة. إضافة إلى ذلك كانت تتم المتاجرة بأشخاص مستوردين من الخارج إلى بلاد آشور ليكونوا عبيداً. وقد تؤدي إلى العبودية حالات عجز أسر عن دفع ديون مستحقة عليها أو تعجز عن الوفاء بضمانات مالية، فتقدم شخصاً أو أكثر ليخدموا كعبيد لفترة زمنية محددة حتى تبرئ ذمتها، وإذا ما عجزت عن ذلك صاروا عبيداً دائميين يمتلكهم الدائن.» (كانجيك وشباوم 2008: 104).



# المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاجتماعية

أولاً: البيوت الآشورية

لم تكن البيوت الآشورية على نمطٍ واحدٍ من حيث البناء والسعة والرفاهية بسبب العوامل الاقتصادية، فقد «كان الاقتصاد ولا زال يلعب دوراً في تنوع واختلاف الأبنية الموجودة في مراكز المدن عن تلك التي توجد في أطراف المدن أو في القرى والأرياف، إذ يتحدد نوع وطراز البناء وشكله ومكملاته حسب موقعه ووظيفته فعندما يكون البناء في مراكز المدن فمن البديهي جداً أن يحمل ذلك البناء، معالم التمدن هذا من جانب، ومن جانب آخر يفترض أن يكون ملائماً للوظيفة التي يؤديها كأن يكون مبنى إدارياً أو اجتماعياً.. إلخ وبالتأكيد أن لكل من هذه الجوانب طراز وشكل يختلف عن غيره فالمبنى الإداري على سبيل المثال يمتاز بضخامته وكثرة تحصيناته وربما نجد مثل ذلك في الأبنية الاقتصادية بينما لا نجد مثل هذا الخصائص العمارية في الأبنية الاجتماعية (البيوت أنموذجاً) إذ يتم التركيز فيها على استغلال مساحة البيت لأغراض السكن وأداء الأعمال اليومية فضلاً عن فكرة التحفظ الاجتماعي والذي يجعل من البيت منغلق على نفسه (غير مكشوف) على الشارع أو الأبنية الأخرى.» (علي 2018: 635).

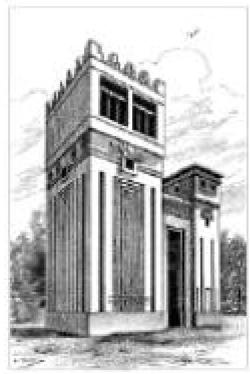
الشكل العام للبيوت:

اختلفت منازل الأشوريين القدماء حسب طبقتهم الاجتماعية. فالفئات العليا من المجتمع حصلت على بيوتٍ مصنوعة من الطابوق الطيني أو الطين المشوي (الآجر)، أو المجففة بالشمس. وهو على نظام الحوش أو الفناء الداخلي مع تعدد الغرف حسب الحاجة.

أما الطبقة الدنيا فيعيش أهلها في منازل مصنوعة من القصب، وهي نباتات ليفية طويلة تنمو في المستنقعات. رخيصة التكلفة نسبيًا وسهلة البناء، لكنها لا تصمد أما ظروف البيئة

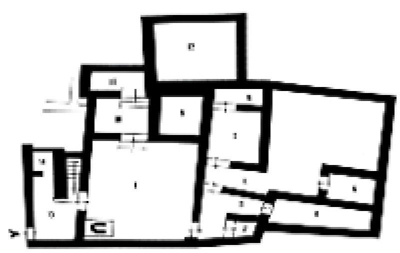
الإستثنائية أو أمام تقادم الزمن.

أغلبها عبارة عن صندوق مربع أو مستطيل مشيدة جدرانه باللبن، وسقفه بالعوارض الخشبية المغطاة بطبقة من القش وأغصان الأشجار والطين، وهناك في الجدران فتحات للتهوية والإنارة.



**واجهة من الواجهات الآشورية الفاخرة**

**المخطط الأرضي للبيت:** البيوت الجيدة التصميم كانت تتمتع بالكثير من الغرف والمرفقات.



**مخطط أرضي لبيت واسع من كانش مكون من 14 مرفق**

**المياه والصرف الصحي:** كانت مصادر مياه الشرب والاستعمال تأتي من نهر دجلة وروافده القريبة من المدن الآشورية. ويضاف لذلك الجهد الهندسي الجبار الذي قام به

الآشوريون لجلب المياه من الجبال، أو لمد شبكات المياه الفخارية من الروافد والأنهار البعيدة. أما في الأماكن الخالية من كل هذا فكان يتم تزويدها بالمياه عن طريق الآبار.

برع الآشوريون في بناء الآبار العامة، كما في نمرود، والآبار المنزلية. وكانت تستعمل قدور ضخمة معلقة بالحبال ومربوطة لعمود يدور به حمار قوي في أعلى البئر. ثم ينقل المياه بأواني خشبية لأماكن استعمالها.

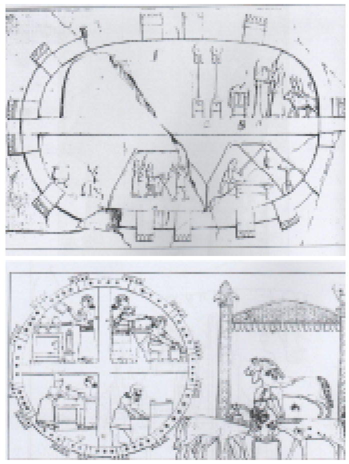
**آثاث البيت:** تحتوي جميع المنازل على أثاث لتلبية الاحتياجات الأساسية للعيش كالأسرّة(إيرشو) والطاولات (باشّورو) والكراسي (كسّو) ومصادر الإنارة. كان للفئة الدنيا حصائر من القصب وضعت مباشرة على الأرض. كانت الطاولات والكراسي هي نفسها نسبيًا بين الفصول، على الرغم من أن الطبقة العليا أضافت أذرعًا للكراسي وأغطية المائدة إلى الطاولات. تم توفير الإضاءة من خلال مصابيح صغيرة تعمل بزيت السمسم.

**الإنارة والتدفئة في البيت الآشوري:** أصداف المحارات كانت تستخدم أيضاً لغرض الإنارة. ثم استعملت المصابيح الفخارية (المسارج) للإضاءة المنزلية، والتي كانت تحتوي على زيت بذور الكتّان، يتغذى منه فتيل من القصب أو النبات وربما الصوف. وصنعت المصابيح من المعدن أيضاً.

القصور كانت تُضاء بالمشاعل المتوهجة المصنوعة من القصب المغطس بالزيت والتي تعلق في الجدران بمكان مناسب أو يحملها الخدم.

كان في كلّ بيت آشوري تنّور (تنّورو) لصناعة الخبز في زاوية من زوايا البيت المكشوفة وهو من الطين المجفف بالشمس.

المطبخ في يكون، عادة، غرفة منفصلة في البيت الآشوري وهو مجهز بأدوات المطبخية اللازمة والاتي صنع أغلبها من الفخار والخسب، وكان هناك الكأس(كاسات) للشرب وللزيت.



## رسومات تخطيطية لبعض آثاث العائلة الآشورية

### ثانياً: الأسرة الآشورية

تتكون الأسرة الآشورية من ثلاثة أركان رئيسية هي (الأب، الأم، الأبناء):

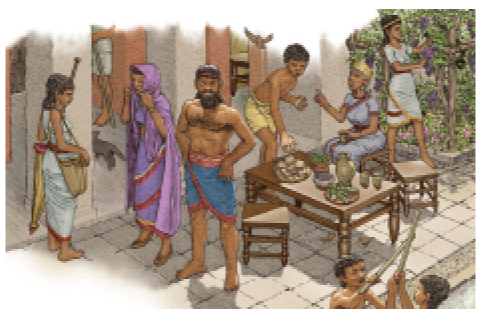
1. الأب (Abu): وهو رأس العائلة ومديرها والمسؤول عن توفير احتياجاتها الرئيسية، وكان احترامه واجباً على جميع أفراد أسرته، وكان له الحق عند الحاجة في رهن أملاكه وبيع زوجته وأبناءه وعبيده.
2. الأم (Umu): شريكة الأب في مسؤولية وإدارة البيت وإعداد الطعام والملابس والعناية بالحيوانات المدجنة، ولها أعمال أخرى مثل الغزل والطحن.
3. الأبناء (Maru): وهم البنون والبنات من أبناء الأب والأم الطبيعيين أو بالتبني أو الذين يعيلهم من الأقارب أو أبناء إماء.

الحجاب: إذا كان الزوجان ينتميان إلى طبقة المواطنين الأحرار فإن الزوج حين يتسلم زوجته من عائلتها يضع على وجهها الحجاب بحضور شهود ويعلن بأن هذه المرأة هي زوجته، أي أن الحجاب هو علامة على زواج المرأة الحرة».. يحدد القانون الآشوري أهمية الحجاب، الطي كان مثار مرير من البحث، وتفسيره بأنه العلامة

المميزة للمرأة الحرة، وأن من واجب أي فرد يصادف رقيقة أو عاهرة ترتدي الحجاب أن يفضحها (كونتينو1986: 23).

لكن الحجاب لا يغطي الوجه بعد ليلة الزواج بل يكون موضوعاً على رأس الزوجة وأطرافه تتدلى على أكتافها ونصفها الأعلى.

كانت الأسرة أبوية الطابع بشدة حيث الأب هو رأس العائلة ويأتي بعده الإبن الذكر، وكانت سلطة الذكر تصل لحد قتل الزوجة إذا خرجت عن طريقها، ويكون لوالد الزوج الحق بالزواج من المرأة الأرملة. كانت المرأة في عائلتها خاضعة لزوجة وحماها وابنها، ولا تخضع لوالدها طالما كانت متزوجة.



**أسرة آشورية (Hunt 2009: 70)**

1.الزواج الآشوري

تميزت إجراءات الزواج الآشوري بالكثير من التفاصيل، فقد كانت موافقة ذوي الشاب والفتاة ضرورية جداً، لأن القوانين الآشورية تنصّ على عدم شرعية الزواج إذا لم يكن مشفوعاً بموافقة والدي الفتى والفتاة. وكانت تقاليد الخطوبة والزواج متوارثة، حيث «كان هناك عدة هدايا ومدفوعات مختلفة متصلة بالزواج، ففي وقت الزواج كان الزوج يقدم المجوهرات للعروس، مع أن هذه الهدايا لا تصبح في ملكيتها الخاصة وإنما تبقى ملكاً لزوجها، وفي حالة وفاته فإنها تنتقل للورثة، وإذا لم يكن له

ورثة فإن الزوجة تحتفظ بها. وما دام هناك أولاد فإن الزوجة لا تعتبر وريثة للزوج، ومن الممكن أن يخصص شيئاً من أملاكه لنفقة الزوجة في حالة وفاة الزوج وصيرورتها أرملة، مع أن هذه الأملاك جزء من أملاكه ما دام على قيد الحياة. ويقدم مبلغ آخر لوالد العروس ولكن ينبغي إرجاع هذا المبلغ في حالة وفاة الزوجة دون مولود ذكر. ويتبجح بعض الحقوقيين والمختصين بالعلوم الإنسانية على اعتبار هذا المبلغ مهراً، ولكن بالحقيقة أنه ليس كذلك، ومن الممكن أن تجلب الزوجة بعض الممتلكات مساهمة في عملية الزواج كنوع من المهر.» (ساغز 2008: 198).

كان صبّ زيت العطر على رأس الفتاة المخطوبة إشارة دينية مهمة على الإقتران بينهما، لأن صب زيت العطر كان يعني نوعاً من التعميد الديني والإجتماعي، وهو يخص التنصيب الملكي بمعناه الروحي العميق والذي كان يقوم به كاهن المشماشو، ويقول النص الآشوري:

«إذا صبّ الزيت على رأس ابنة رجلٍ في عطلةٍ

أو جلب المأكولات أو الوليمة، لن يسترجعوا (الهدايا) من بعد ذلك » (علي 2006: 22).

وهذا يعني أن هذا الطقس كان بمثابة مايعرف ب (قطع المهر) في تقاليدنا المعاصرة، رغم أنه لابد من تدوين عقد الزواج حتى يكون الزواج قانونياً.

«وفي بلاد آشور، كما في بعض المجتمعات الأخرى كان يجري التفريق بين مرحلتين مختلفتين وهي مرحلة تحرير العقد (أي عقد الزواج) الذي قد ينفصل بمدة من الزمن عن الزواج الفعلي، كما يجري حالياً في الأسر العراقية، كأن يعقد عقد قران شاب على شابة، ويكتمل الزواج بعد فترة قصيرة تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج أو أن يؤجل إنتقال الزوجة بعد عقد القران لحين إكمال الترتيبات اللازمة للزواج من إعداد البيت وتأثيثه، أو لصغر سن الفتاة، وتبقى الأخيرة في بيت أبيها متمتعة بجميع حقوقها

باستثناء الدخول فيها استناداً إلى المادة 27 من القانون: «إذا كانت امرأة تعيش في بيت أبيها (و) كان زوجها يزورها باستمرار، فله أن يأخذ أية هدية زواج كان زوجها قد أعطاها (و) لا يقرب أي شيء يعود لبيت أبيها» (علي 2006: 23 ـ 24).

**هدايا الزواج:**

1. الترخاتم: مال ومواد عينية يقدمها الزوج أو والد الزوج إلى والد الزوجة بعد الإنتهاء من الاتفاق على الزواج، ويكون من حق الزوجة وملكاً لها في حالة الطلاق.

2. الشريكتم: مال ومواد عينية يقدمها أب وأم الفتاة للفتلة أثناء زواجها، وتمثل حصة الفتاة من مال عائلتها.

3. البيبلوم (زبولّو): مال يقدمها والد الزوج إلى والد الفتاة، كهدية للعلاقة بينهما.

4. النودنوم: مال ومواد عينية كهدية من الزوج لزوجته.

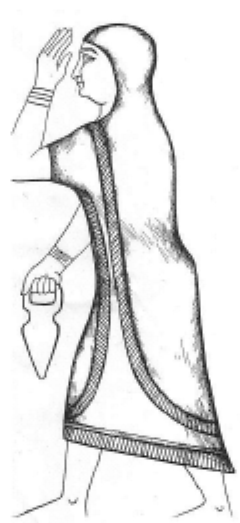
وهناك شروط جزائية في حالة نقض الزواج، أو تعطله بسبب وفاة الزوج أو الزوجة ينظم ما يترتب على الطرفين من حقوق وواجبات (راجع لائحة قوانين لوح أ الوسيط).

**الحجاب:**

ظهر الحجاب مع الآشوريين، ولم يكن حجاباً كما هو معروف الآن بل كان عبارة عن شالٍ خفيف يغطي رأس الزوجة من زوجات ما عرف بفئة الرجل الآشوري التي ناقشناها في الطبقات الاجتماعية وكان مجرد إشارة اجتماعية، وليست دينية، إلى كون هذا المرأة متزوجة.

«وكما ذكرنا سابقاً، يمكن للرجل أن يرفع مقام خليلته إلى مقام الزوجة. وتذكر قوانين الفترة الآشورية الوسطى كيف كان يجري ذلك بالتفصيل. فإذا ألبس الرجل

الحجاب لخليلته فإنه يكلف خمسة أو ستة من جيرانه بالقدوم ويلبسها الحجاب أمامهم، ويعلن أن هذه زوجتي وتصبح عند ذاك زوجته. إن الإشارة إلى الحجاب يظهر في سياق القانون الذي سبق هذا القانون الذي يحدد بالتفصيل أي النساء ينبغي أن يتحجبن والتي لا يجب أن يفعلنَّ ذلك. كان الحجاب من أشرف الأوضاع، فمن جهة ينبغي أن تلبسه المرأة المتزوجة علناً أمام الجمهور، بينما كانت العاهرات ممنوعات منعاً باتاً من الحجاب، فإذا اكتشف أن إحدى العاهرات كانت تسير وهي محتجبة فإنها تتعرض لعقوبات شديدة بما فيها خمسين جلدة بالعصا وصب القطران على رأسها.» (ساغز 2008: 196).



**رسم تخطيطي لشكل من أشكال الحجاب الآشوري (سلمان 1971: 123)**

**تعدد الزوجات:** كان الرجل يتزوج امرأة واحدة فقط، وهناك حالات استثنائية قليلة تعتمد على وضع الرجل الاقتصادي وعلى قدرته الجسمية. رغم أن أعراف العصر الآشوري القديم تمنع الزواج بامرأة ثانية ولكنها تبيح له ما يستطيعه مع المحضيات. فضلاً عن ذلك كانت بعض العقود تشير الى إمكانية زواج الرجل، في حالة عدم قدرة المرأة على الإنجاب، من أمةٍ يسجل ابنها باسم الزوجة.

كان من حقوق الزوج على زوجته هو حسن سلوكها والحفاظ على شرفها وشرف بيتها وعفتها، وبدون ذلك كان يحق للزوج النيل منها وإنزال العقوبة البدنية بها، ولم يتطرق القانون لحقوق المرأة في هذا المجال، باستثناء منع الرجل من قتل زوجته ماعدا حالة الزنا.

هناك جانب واحد مهم لصالح المرأة وهو غريب مع القوانين الآشورية المتزمتة، فللزوجة حق العيش مع رجل آخر في حالة غياب الزوج عن بيته غيبة طويلة دون أن يترك لها ما تعيش عليه، والقانون يحدد مدة معين قبل ذلك، فإن استمر غيابه فتذهب لتعيش مع زوج آخر تختاره وفق قوانين الزواج المرعية. ولنقرأ هذا النص القانوني للمادة 36 من القانون:

«إذا كانت امرأة تعيش في بيت أبيها أو أن زوجها اسكنها (في) بيت وحدها وذهب زوجها إلى الحقل دون أن يترك لها زيتاً ولا صوفاً ولا ملابس ولا طعاماً ولا أي شيء ولم يحمل لها ح تى ولا سنبلة (حب) من الحقل، ستبقى تلك المرأة مخلصة لزوجها لخمس سنوات ولا تسكن مع زوج (آخر). إذا كان لها أولاد (و) يؤجرون أنفسهم ويأكلون، ستبقى المرأة تنتظر زوجها خمس سنوات وفي بداية السنة السادسة لها أن تذهب لتعيش مع زوج تختاره. وعند مجيء زوجها لا يقربها هي حرة لزوجها الآخر. وإذا استطاع أن يثبت أنه لم يتأخر عن السنوات الخمس من نفسه، إما لأن عدو مسكه وهرب أو أنه مسك خطأ أو حجز، عند مجيئه يثبت ذلك، عليه أن يعطي امرأة مثل زوجته ويأخذ زوجته. وإذا كان الملك قد أرسله إلى بلد آخر وتأخر عن السنوات الخمس، على زوجته أن تنتظره (و) لا تعيش مع زوج (آخر). وإذا عاشت مع زوج (آخر) قبل (نهاية) السنوات الخمس وولدت، يأخذها زوجها عند مجيئه وأولادها كذلك لأنها لم تنتظر استناداً إلى الاتفاق وأخذت للزواج (من آخر). (علي 2006: 41).

وكان يحق للآشوري أن تكون له امرأة أمة أو سرية أو عشيقة شرعية وما عرف بملك اليمين، ويسمى هذا بالعربية بال (تسري)، والذي نظمته القوانين، ورفعت منها كزوجة في حالة وجود 5 ـ 6 شهود على ان تتحجب بشال الزوجية على رأسها.

«ومما يلفت الانتباه في القوانين العراقية القديمة فيما له علاقة بتعدد الزوجات، النظرة الإنسانية التي أولتها تلك القوانين للإماء فهنَّ في كل الأعراف والقوانين ملك اليمين ويحق لصاحبها أن يفعل بهنَّ ما يشاء ومتى ما شاء، والتسري حق من حقوق صاحب الأمة، ولكن التسري قد يثمر أبناء عندها يتدخل القانون لمنع حالة الضياع التي يتعرض لها هؤلاء الأبناء، ويحفظ حقوقهم ومنها حقوقهم الوراثية، وهذه الحالة مشابهة لما ورد في القوانين العراقية الأخرى ومنها قانون حمورابي. وتعدد الزوجات لم يكن لدى الآشوريين فقط وإنما كان لدى البابليين ثم الآشوريين والمصريين والعرب وغيرهم من الأقوام، وإن الإسلام لم يكن أول من سنَّ هذا النظام بل كان موجوداً في الأمم القديمة. » (علي 2006: 46).

**الطلاق (إيزيبو):** يحق للزوج (وليس للزوجة) تطليق زوجته وفق ضوابط وشروط معينة، وربما كان أهمها أن تكون عاقراً لا تنجب وربما إذا أخلّت بشرفها ومستلزمات حياتها الأسرية. ويجب على الزوج إعطاء حق زوجته المادي إذا كان الطلاق بدون سببٍ أو بسببٍ واهٍ، واذا كان لأسباب أخرى فهو من يقرر ذلك.

2.المرأة الآشورية

الأدلّة الأساسية التي نمتلكها عن وضع النساء في بلاد آشور القديمة مصدرها وثائق إدارية ومدوّنات قانونية، والصورة التي ترسمها عن المرأة هي أنها كانت خاضعة للرجل في مختلف ميادين الحياة. يمكننا أن نقول، انطلاقاً من الأدلة المتوافرة لنا، أن دور المرأة في آشور القديمة، لم يكن مختلفاً إلى حد كبير عن دور المرأة في بابل (في جنوب العراق)، أو في مناطق مجاورة أخرى. لكن يبدو أن معاملتها في القانون وعلى أيدي الرجال كانت أكثر همجية إلى حد كبير.

المصدر الأفضل للاطّلاع على وضع المرأة الآشورية مدوّنة قانونية تسمى (لوح أ) تعود إلى حكم الملك تجلاث بلاصر الأول (1115-1077 ق.م.) في الحقبة الآشورية الوسطى، والتي ترجمناها في كتابنا هذا. وموضوع المدوّنة هو المرأة حصراً، وترسم صورة قاتمة عن وضعها نظراً إلى طبيعة الأدلّة غير المكتملة، من الصعب أن نحدّد بالضبط إلى أي درجة كان القانون أشدّ قسوةً على النساء من الرجال، غير أن أحكام المدوّنة القانونية عن المرأة تُظهر بوضوح أن القوانين كانت فعلاً أشدّ قسوة على النساء. كان يمكن أن تتعرّض المرأة للعقاب ليس فقط عن تجاوزات ترتكبها بنفسها إنما أيضاً عن جرائم يرتكبها أنسباؤها وذلك عملاً بمبدأ «العين بالعين»:

«إذا أمسك رجل بالقوة بعذراء تقيم في منزل والدها، واغتصبها... يأخذ والد العذراء زوجة المغتصِب ويسلّمها للاغتصاب؛ ولا يُعيدها إلى زوجها، بل يتّخذها لنفسه»

وكانت ضحية الاغتصاب تُرغَم على الزواج بمغتصبها، ومن العقوبات التي تُفرَض على المرأة العديد من الجنح الأخرى التي قد ترتكبها المرأة قطع أذنها و/أو أنفها، وربما اقتلاع عينَيها أو سلخ حلمتَيها، مع أنه لا يمكن تأكيد هاتَين العقوبتين نظراً إلى التلف اللاحق بالنص.» (باين 2017: المرأة والأصولية والإرهاب: أصداء من بلاد آشور القديمة، ترجمته من الإنكليزية نسرين نادر، موقع بيروت الشرق الأوسط).

القانون يذكر أن صحة المرأة الجسدية رهنٌ بأهواء زوجها فقد نص القانون أن بإمكان الرجل أن يجلد زوجته، أو يقتلع شعرها، أو يبتر أذنَيها، أو يضربها؛ ولا تترتّب أية عقوبات عن سلوكه هذا، كانت المرأة تبدو مواطِنة من الدرجة الثانية.

كانت المرأة الآشورية تعيل عائلتها وتنظم أسرتها بالدرجة الأساس، وهي واقعة تحت سلطة الرجل الآشوري، لكنها كانت تشارك زوجها وعائلتها وأولادها في العمل العائلي أو العمل الخاص.

«ومع ذلك فقد كان يحق لها ممارسة الأعمال والمهن المختلفة والقيام بواجبات ضمنها لها المجتمع، مثل وظيفة شكنت Sakintu التي تعد أهم وظيفة في جناح الحريم في القصر الآشوري، إذ تكون هي المسؤولة عن حركة ووجود الخدم وتـأديتهم لعملهم بالشكل الصحيح، وقد تم العثور على عدد من النصوص المسمارية التي تسجل لنا نشاطات تلك الموظفة ومعاملاتها الاقتصادية في جناح الحريم في كلخو (نمرود الحالية) فقد كان لها على ما يبدو نشاطات إقتصادية على نطاق واسع، ومن هذه النشاطات بيع وشراء وقرض ورهن.» (علي 2006: 16).

حياة النساء الآشوريات الثريات

كانت نساء العائلة المالكة، في العصر الآشوري الحديث بشكل خاص، يتمتعن ببعض الحقوق الإستثنائية ويعشن، نسبياً، بطريقة مستقلّة اقتصادياً، ويأتي هذا بسبب مكانتهن في المجتمع الآشوري وقربهن من العائلة المالكة، ومن حقوقهن الخاصة:

1. شراء وبيع الأراضي والممتلكات الخاصة بهنّ.

2. إرسال واستقبال الرسائل الخاصة بهن.

3. استُخدِمت النساء المسؤولات لحماية طهارة النساء المنتميات إلى العائلة المالكة، ثم في حقبة لاحقة تمت الاستعانة بالذكور المخصيين لتولّي هذه المهمّة.

**الإجهاض:** الإجهاض ممنوع في القوانين الآشورية ويحاسب من كان سبباً فيه حساباً قاسياً جداً.

**التبني (ماروتوم):** نظّمت القوانين الآشورية أمور التبني بطريقة مفصّلة، ودونت شروط الإخلال بالتبني ومايترتب عليها من جميع الأطراف. رغم وجود حالات تحايل وتسويف في هذا الموضوع، لكن التبني، عموماً، يعكس حالة حضارية في

جعل رابطة الأبوة والأمومة من خلال الثقافة والإتفاق وليس من خلال الدم، وهذا تطوّر حضاريّ كبير.

**الإرث (زيتو):** كانت تركة الوالدين تقسم بين بين الأولاد بالتساوي على أن يحصل الولد الكبير (وهو الوارث الأكبر) بحصة مضاعفة، ربما بسبب كونه سيحمل اسم العائلة ويقوم بمستلزمات ذلك. أما حصة البنات من الإرث فيبدو أنها كانت تقتطع من الإرث قبل تقاسمه، فالمتزوجة منهن تكون قد حصلت عليه من هدية الوالدين أثناء حياتهما، وغير المتزوجة لا يعرف مصير إرثها.

**الأرملة:** تراجع وضع النساء في بلاد آشور عن ما كان عليه في عصر السومريين وحتى البابليين، اعماداً على وثائق إدارية ومدوّنات قانونية، فقد كانت المرأة خاضعة للرجل في مختلف مرافق وجوانب الحياة. يمكننا أن نقول، انطلاقاً من الأدلة المتوافرة لنا، أن دور المرأة في آشور القديمة، كان معاقاً من قبل الرجال الآشوريين العتاة.

نالت المرأة، في بلاد آشور عموماً، بعض حقوقها لكنها، رغم ذلك، كانت مواطِنة من الدرجة الثانية. وكانت تعتبر أداة للمتعة وللإنجاب. أما نساء البلاط الملكي. في الفترة الآشورية الجديدة (883-608 ق.م.)، فقد تمتعن بحياة مختلفة عن معظم النساء الأخريات. وأصبحن ثريات وكان بإمكانهن شراء وامتلاك الأراضي، والتراسل مع الآخرين.

هناك إشارات على أن الصبيان من الفتيات والفتيان يتزوجون وهم بسن العاشرة. ومن الغريب أن موضوع عذرية المرأة عند الزواج لم يكن مهماً عند الآشوريين. يمكن العودة لنص القانون الآشوري الوسيط (أ) في كتابنا هذا والذي يتحدث أغلبه عن المرأة وزواجها.

المدونة القانونية المخصصة لوضع المرأة، بشكل عام، هي تلك التي تعود إلى حكم الملك تجلاث بلاصر الأول (1115-1077 ق.م.) من العصر الآشوري الوسيط. فهي تعطي صورة قاتمة عن وضعها. حيث تُظهر بوضوح أن القوانين كانت أشدّ قسوة على النساء. حتى أن المرأة يمكن أن تتعرّض للعقاب سواء عن جرائم ارتكبتها هي أو عن جرائم ارتكبها أقاربها، كانت المغتصبة تُجبر على الزواج من مغتصبها، ولم تكن تُنصف هي بعد اغتصابها بل يحصل والدها على الثمن باغتصاب زوجة المُغتصب والزواج منها!! حيث نقرأ في هذا النص «إذا أمسك رجل بالقوة بعذراء تقيم في منزل والدها، واغتصبها... يأخذ والد العذراء زوجة المغتصِب ويسلّمها للاغتصاب؛ ولا يُعيدها إلى زوجها، بل يتّخذها لنفسه» (Stol 2016: 680 - 681)

كانت المرأة تتعرض لقطع أذنها و/أو أنفها، وربما اقتلاع عينَيها أو سلخ حلمتَيها، فالقانون نفسه يذكر بوضوح أن جسد المرأة رهنٌ بأهواء زوجها. فقد نص القانون على ما يأتي: «إلى جانب العقوبات التي تُفرَض على الزوجة [المشار إليها آنفاً]... بإمكان الرجل أن يجلد زوجته، أو يقتلع شعرها، أو يبتر أذنَيها، أو يضربها؛ لا تترتّب أي عقوبات عن سلوكه هذا» (Stol 2016: 680 - 681).

كانت المرأة تخضع لسلطة زوجها بالدرجة الأولى، ولسلطة ابنها بالدريجة الثانية، ولسلطة والد زوجها بالدرجة الثالثة، ولذلك فهي مقيدة بثالوث ذكوري عتيد وقوي. بل أن للزوج الحق في معاقبة وزجته قانونياً لدرجة الأذى والتشويه الجسدي. ونادرا ما كان له الحق بقتلها، ماعدا حالات الزنا، أو بيعها. لكن هناك حالات لصب الزيت على رأسها وربما كان ذلك طقساً دينيا.

الطلاق موجود عند الآشوريين، وكان يحصل في أوقاتٍ وأماكن معينة، ويحصل إذا أراد الزوج ذلك وليس الزوجة، ويقوم الرجل في الطلاق بتمزيق حاشية ثوب المرأة أما شهودٍ رسميين. ولا تحصل المرأة على المؤخر أو التعويض بل يمكنها الإحتفاظ بهدايا الزواج فقط. وحين تصرّ المرأة على طلب الطلاق فستُطرد من البيت دون أي

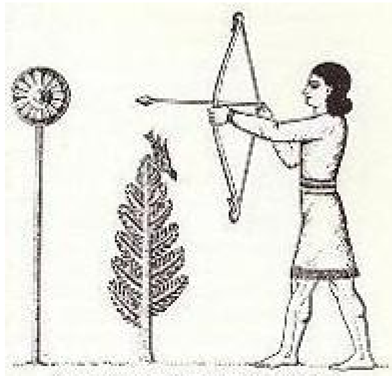
شيء. أما إذا غادر الزوج المنزل دون ان يعطي زوجته نفقة أو مالاً ولم يكن لها أولاد يعيلونها فيحق لها، بعد خمس سنوات على هذا الحال، أن تتزوج من رجلٍ آخر. ولا يحق للزوج الأول، إن عاد، مطالبتها بشيء.

الحالة مختلفة عندما تكون المرأة أرملة، فستكون لها حرية أكبر، بحيث ورد في أحد القوانين الآشورية الوسيطة أن أرملة تعيش مع مع رجلٍ دون عقد زواجٍ، ويمكنها أن تصبح زوجة رسمية للرجل بعد مرور سنتين بحماية القانون لها رغم عدم وجود العقد.

3.الأطفال

يتم مساعدة الأم في الولادة من قبل قابلة تخفف من آلام الولادة من خلال تدابير طقوس سحرية، وبمساعدة الأرواح الطيبة التي تنحدر من السماء وبالماء والزيت المقدس. وربما يكون هناك مساعده من كاهنة أو كاهن. وبعد الانتهاء من الخطوات اللازمة واستكمال الإجراءات السحرية، يتم إدخال الطفل إلى غرفة النوم، وهناك يحمل الوالد ابنه، وهذا يعني قبول شرعيته. وتقوم الأم بإرضاعه لسنتين.

وحين يصبح صبياً يتم تعليمه الجلوس على الحصان والتمشي به. بعد ذلك يدرب على استخدام القوس، ويرمي على الأهداف في منافسة مع أصدقائه أو نفسه في السعي إلى لعبة صغيرة. وفي سنّ العاشرة من عمره يقوم كاهن أو كاتب محلي بتعليمه أساسيات قراءة وكتابة النص المسماري. وليتمكن من الكتابة والتعامل مع الحسابات، ولم يكن جميع الأطفال والصبيان في آشور قادرين على التعلم لأن هذا يكلّف العوائل الفقيرة المال الكثير. لكن التعليم الرسمي يحضى به المقربون من البلاط والأثرياء، ويقوم الأب بإرسال هدية جديرة للمسؤولين المناسبين لكي يكمل الإبن تعليمه.



54 Assyrian boy shooting at a target

## صبي آشوري يمارس رياضة رمي السهم على الهدف

كان أغلب الأبناء من الأولاد والبنات يعملون بمهن آبائهم وعوائلهم، فهم يرثونها منهم، وكانت أغلب المهن شيوعاً هي الزراعة وأعمال الحقل، وهناك بعض المهن والحرف التي تحدثنا عنها والتي يحرص الآباء أن يورّثوها لأبنائهم ليعيشوا منها. أما الأعمال والمهن في الباط الملكي والمحاكم والقصور والمعابد فكانت تتطلب تحصيلاً ودراسة طويلة الأمد، ولم تكن كل العوائل المتوسطة قادرة على إنجازها، ولذلك نراها متوارثة أيضاً في أسر الطبقات العليا المقربة من الحكّام والملوك.

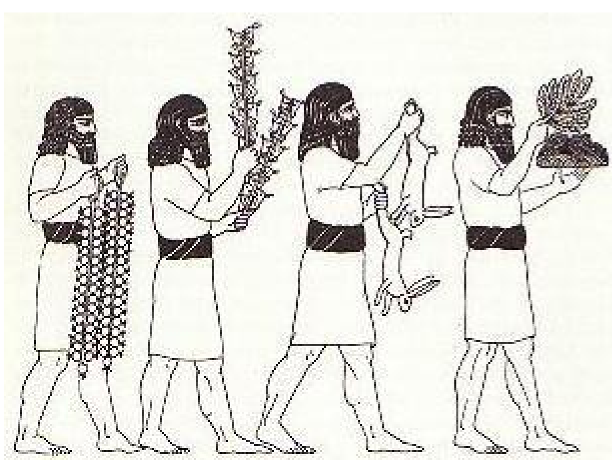
ثالثاُ: الهدايا

غالبًا ما كانت هذه مناسبات روتينية، ولكن في بعض الأحيان كانت هناك إثارة، كما هو الحال عندما أرسل حاكم من أرض بعيدة هدايا من مخلوقات غير عادية، مثل فيل أو تمساح أو إبل ذات حدين.

سيكون هناك إثارة أخرى عندما عاد الجيش الآشوري المنتصر من حملة محملة بالغنائم. سيكون هناك موكب عبر العاصمة إلى المعبد الرئيسي، وبعد أن قدم الملك تقريره إلى الإله وتفاني، سيتم تثبيت بعض الغنيمة داخل القصر، ربما من الذهب

الخالص أو الأواني البرونزية من أورارتو (أرمينيا) أو أثاث عاج منحوت من سوريا. في وقت Ashurbanipal مسلة أعيدت مرة واحدة من مصر لعرضها في العاصمة.

«هناك كدورو من مدينة سوسة محفوظ الآن في متحف اللوفر وقد عرف باسم الكدورو غير الكامل لأنه مزين لكنه غير مكتوب، يصور موكباً من الأجانب يحتفون بمنتجاتهم من أوطانهم، من أشهرها صندوق يضم شجيرة مغطاة بالأزهار. كذلك كان الأشخاص أيضاً يقودون حيوانات لأن ملوك آشور كانوا جد مغرمين بحدائق الحيوانات التي كانوا يحفظون فيها أنواعهاً نادرة تم جلب توابعها وكانت موضوع بحث نشط. هناك منحوتة مؤرخة من عهد آشور بانيبال (القرن التاسع قبل الميلاد) تصور بعض الملزمين بدفع الجزية وهم يجلبون القردة، في حين أن الهدايا التي كان السكان الخاضعون لبلاد آشور يشاهدون وهم يجلبونها إلى شلمناصر، على مسلة سوداء، كانت تشتمل على نوع من حيوانات ذات قرون ربما كان الفيل من أبرزها. فعندما كان ملك آشور يتجه بحملاته العسكرية غرباً، ويتخذ طريقه بعيداً حتى شاطئ البحر الابيض المتوسط، لم يكن يتوانى عن القيام برحلة بحرية قصيرة لغرض أن يرمز إلى سيطرته على المحيط، وأن أحد المتحدثين يضيف إلى هذا أن الملك اصطاد حيواناً بحرياً يدعى «الدلفين». » (كونتينو 1986: 199).



53 Men carrying hares, locusts and fruit

**رجال يحملون الهدايا**

**رابعاً: اللهو والألعاب والرياضة**

كانت الملاكمة والمصارعة قديمة في وادي الرافدين، وهي من مصادر الترفيه الشهيرة عند الآشوريين. وحفلت بعض الجدران في بلاد ما بين النهرين كان بها منحوتات من لاعبين يتصارعون ويتنافسون بعضهم البعض ليخرجوا خصومهم. وقد ظهرت في بابل مجموعة من الألعاب الشبيهة بلعبة الماجور (الركبي) والبولينغ والبولو ولكنها لا تتطابق معها في التفاصيل، وربما يكون بعضها قد انتقل للآشوريين.

كانت الرياضة البدنية هي المفضلة عند الآشوريين بسبب تكوينهم البدني الضخم، وبسبب استعداداتهم العسكرية المبكرة، وأهمها المصارعة والسباحة.

لكن اللهو والألعاب الرياضية الشائعة كانت في الفروسية والصيد، فقد كان الصيد رياضة ولهواً في بلاد ما بين النهرين القديمة، وكان الملوك الآشوريون من أكثر ملوك العالم القديم ولعاً بالصيد وكانت نقوش الصيد منتشرة في جميع أنحاء جدران القصور القديمة. الملك الآشوري كان يصيد الأسود والفيلة والنعام وكذلك الحيوانات الأليفة والطيور.

اشتهر الآشوريون بصناعة وسائل الإيقاع بالفريسة واصطيادها، واستخدموا أدوات الصيد كالرماح لصيد الأيائل والحمر الوحشية والفيلة والضباء والأسود. أما السهام فكانت لاصطياد الغزلان والطيور، والصنارة لصيد الأسماك.

كان الصبيان يتعلمون الرماية مبكراً، وكانوا يتقنوها مع الزمن فهي تخدمهم في حالات الدفاع عن النفس وفي أداء خدمة العسكرية وفي صيد الطيور والأرانب وغيرها.

وكانت السباحة للترويح عن النفس والنظافة وفي المعارك، ولذلك كان الرجال يجيدونها في حياتهم اليومية. وكذلك كان ركوب الخيل والعربات.

وقد حفلت الجداريات الآشورية بمشاهد المصارعة حيث البطل يصارع الأسود والثيران، أما مصارعة الرجال فيما بينهم فقد كانت موجودة ولها ضوابط تحكمها، وهناك قطع أثرية حملت صور مصارعين.

خامساً: الزينة والنظافة

كانت الزينة والنظافة ملازمة للحياة اليومية للآشوريين، لكنها تتضح أكثر في أيام الأعياد والاحتفالات، سواء كانت خاصة أو عامة. وقد كانت هناك منها في مواسم الحصاد، وفي حفلات الخطوبة والزواج، وحفلات تتويج الملوك والنصر، وفي الفعاليات الرياضية العامة.

سادساً: البيرة والنبيذ والخمور

تسمى حانة بيع الخمور (أشتامّو)، ويسمى صاحبها (شابو) وصاحبتها (شابيتو). وكانت البيرة (الجعة) حاضرة، في موائدهم اليومية للطعام، والتي تسمى (شيكارو) ومنها جاءت كلمة السكر. وكذلك كان النبيذ (جشتن مش بالسومرية وزيكوشا بالأكدية) بأنواعه المختلفة.

**البيرة:** كانت البيرة ملازمة للمائدة الآشورية اليومية، ولم تكن نسبة الكحول فيها كبيرة، وكانت هناك أنواع كثيرة من البيرة حسب نوع الشعير الذي تنتج منه. وهناك أنواع فاخرة من البيرة تصنع من الحنطة. لكن البيرة المسكرة كانت موجودة في الحانات، أي أن نسبة الكحول فيها عالية.

**النبيذ:** كان النبيذ شائعاً في الموائد الآشورية، وفي الحانات، وكان يصنع من العنب الأحمر والأبيض، وأحياناً يصنع من فاكهة أخرى تكون غنية بالسكّر.

**سابعاً: الحب والجنس**

**أوضاع الممارسة الجنسية:**

تزودنا الأختام الإسطوانية بعدد من صور ومنحوتات توضّح أنواع الممارسة الجنسية وأوضاعها:

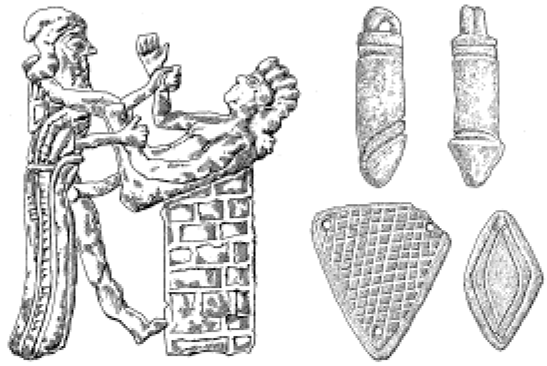
1. ممارسة الوجه أمام الوجه: وهو الوضع الطبيعي الشائع.

2. ممارسة الخلف (من الفرج أو الشرج): وهو موجود في الأختام وفي النصوص. وتكثر ممارسة الشرج في حالة بعض الكاهنات من المرتبة العليا منعاً للحمل الذي هو ممنوع بالنسبة لهن.

3. وضع المرأة الفارسة: حين تكون المرأة فوق الرجل، وقد ورد في بعض النصوص.

4. الممارسة وقوفاً: وكان يتطلب اللعب بالأعضاء الجنسية وإثارتها.

«وإن تقبيل ومداعبة الثديين مذكور في النصوص، وقد صوّر هذا الوضع الأخير. وكذلك نجد ذكراً لبعض النساء وهن يمارسن العادة السرية وهنَّ يتبادلن النظرات مع الرجل. وكان كل من الرجل والمرأة على السواء يلجؤون إلى دهن أعضائهم الجنسية بقصد تسهيل الجماع والإيلاج. وكان منع الحمل ساري المفعول أيضاً أحياناً، لأننا نجد نصوصاً تشير مثلاً إلى (الناديتو) وهنَّ جماعة من خادمات المعبد، يحافظن بطرق بارعة على عدم دخول المواد المنوية إلى أرحامهنَّ. ولكن لا نعرف ما هي تلك الطرق البارعة في مثل هذه الحالة، وفي حالات أخرى نجد بعض المعلومات الخاصة حول وجود سدادات توضع داخل الفرج لهذا الغرض، وكانت الرقى والأعشاب تستخدم للغرض ذاته.



**تمثال رئيسي على شكل مشهد جماع، يحدث على مذبح في معبد عشتار من العصر الآشوري الوسيط، وهناك نماذج من الأعضاء الجنسية الذكرية (قضيب من الصخر) والأنثوية (مثلث عانة وفرج من الفخار المشوي) مع ثقوبٍ لتعليقها.**

**المثلية الجنسية:**

كان هناك ممارسات للمثلية الجنسية بين الذكور في آشور، ولكن القانون كان يعاقب عليه بقسوة بالغة. ففي آشور: كانت القوانين تنص أنه إذا وجد شخص يمارس اللواطة مع شخص آخر فإنه أولاً: تمارس اللواطة على هذا الشخص، ثم يتعرض هذا الشخص إلى الإخصاء. وليس من الواضح فيما إذا كان هذا القانون يعالج اللواطة بالنسبة لجميع الحالات المكتشفة أم أن الإشارة كانت بالنسبة إلى الاغتصاب الجنسي اللواطي. وبالنظر إلى المبدأ القديم الذي يجعل العقوبة مناسبة للجرم وأن الجاني كان يتعرض بنفسه إلى الاغتصاب فإن الوضع الأخير كان هو السائد.» (ساغز 2008: 204).

**الخصيان (الطواشين):**

كان هناك من يولد وهو خصيّ، أما بغياب أعضائه الجنسية أو ضعفها، وهو يختلف عن الشخص الذي أخصي قسراً بعقوبة أو حادثٍ، وهذا قليل الحصول، أما المألوف فهو الإخصاء القسري للصبيان لكي يعملوا في القصور والبلاطات الملكية.

كان الخصيّ يسمى (شا ـ ريش) وهو من النوع الذي يخدم في البلاط، أما الموظفون العاديون فكانوا يسمون (شا ـ ذقني) أي (أبو لحية).وهم من غير المخصيين.

**الدعارة الدنيوية والدينية:**

ويشمل الدعارة الذكورية للذين لم تنمو وظائفهم الجنسية أو أعضائهم، فيكونون عرضة للممارسات اللواطية، سواء أرادوها أم أجبروا عليها، وهناك الدعارة الأنثوية الشائعة في بلاد آشور وبابل.

وعندما كانت نساء الناديتو وغيرهنَّ من خادمات المعابد يمارسن الجنس بشكل فوضوي كانت محاولتهنَّ لمنع الحمل تبوء بالفشل، لأن هناك ذكر لولادة أطفال لهن فإذا ولد أطفال غير مرغوب بهم (ليس فقط بالنسبة لنساء المعابد) فإن هؤلاء الأطفال كانوا يلقون في الشارع ليموتوا أو لتأكلهم الكلاب. ولكن كانت مثل هذه القسوة تحدث ضمن النوايا الحسنة، وقد ذكر عن شخص يختطف طفلاً من فم أحد الكلاب في الشارع.» (ساغز 2008: 202-203).

**الحب والرقى السحرية:**

كان الحب والممارسات الجنسية تتلازم مع السحر بحكم كونها طاقات ذات شحنة قوية قد يتمكن السحر، وهو شحنة طاقة قوية، من التأثير فيها والمساعدة في حل مشكلاتها، و«كانت بعض الطقوس السحرية مضمونة، مثلاً أن بعضها يدّعي أن الرجل إذا قام بإتمامها فإن المرأة سوف تتكلم معه عند مقابلته لها، وسوف تصبح فاقدة الإرادة فلا تستطيع المقاومة، ومن الحكمة للرجل أن يمارس الجنس معها. فإذا حدثت الخصومات بين العاشقين كانت المرأة المحرومة تلجأ إلى رقى وتعاويذ، ولهذا كنا نجد بعض الوصفات بالنسبة للسيدة التي تصادف مثل هذه الأحوال، وتقول الوصفة. (إنه ولوجود هذا السحر فإن المرأة سوف لا تنام وحيدة، بل إنها سوف تكون محبوبة)، ولكن كان للرجال مشكلات أخرى في هذا السياق وبينها ظهور

الشيب، والعجز الجنسي، والقذف السريع، وقد كان شيب الشعر يعالج بالسائل المستعمل للصباغ والتعاويذ. وكان هناك سلسلة من الطقوس ومستحضرات طبية مختلفة بما فيها المراهم والمنشطات كانت متوفرة لمعالجة العجز الجنسي، ولكن وبينما هناك إشارات إلى القذف المبكر إلاّ أنه لم تتوفر أي علاجات لهذه القضية، ومن المعتقد أنه قد تم قبول هذا الوضع بصفته شيئاً سوف يعالجه الزمن والممارسة.» (ساغز 2008: 2006).

ثامناً: الصحة العامة (صحة المجتمع)

في عام 1997 قضى عالم الأمراض الحفرية مايكل شولتز (من جامعة غوتنغن) عشرة أيام في المتحف العراقي يفحص بقايا الهياكل العظمية لـ 17 فردًا من المدافن في تسعة توابيت عُثر عليها في مقابر الملكات الملكية. وفي بعض التوابيت، كانت البقايا مدافن جماعية ثانوية تحتوي على عظام مختلطة وممزقة. إلى جانب ضعف حفظها، وكان هناك عدد قليل من الهياكل العظمية الكاملة.

على الرغم من ذلك، اكتشف شولتز مجموعة من الحالات المرضية المألوفة تمامًا بما في ذلك مشاكل الأسنان ونزلات البرد والحساسية والمفاصل الصلبة وضعف العظام وأمراض الطفولة والصداع والمشاكل العصبية المحتملة.

لم يكن لدى الآشوريين أطباء أسنان لملء التجاويف وإصلاح الخراجات، أو أخصائيو صحة الأسنان للتخلص من الترسبات الكلسية عليها. لكن النصوص تُظهر أن طبيب أشيبو استخدم نباتًا لتنظيف أسنان المريض. وتشخص النصوص الأخرى الأسنان القلقة واللثة الحمراء والنزيف. ويعتقد أن التجاويف ناتجة عن الديدان غير المرئية التي تأكل السن. تترجم كلمة «تجويف الفم «إلى «ثعبان الأسنان»، ولكن على الرغم من أمراض اللثة وحفنة من الخراجات والتجاويف، لاحظ شولتز أن صحة الأسنان بشكل عام جيدة، كما ينبغي أن تكون للأشخاص الذين يتناولون الطعام في الديوان الملكي الآشوري.

المرض الالتهابي المزمن، (مثل مشاكل الجيوب والبرد أو الحساسية) هو حالة شائعة يمكن استنتاجها من خلال وجود نمو عظمي جديد في تجاويف الجيوب الأنفية. تستجيب الجيوب الأنفية لدينا للضغوط من خلال إنتاج مخاط مزعج. تسبب مجموعة متنوعة من المحفزات، مثل التغيير المفاجئ في درجة الحرارة أو الرطوبة، أو الأبخرة أو الغازات المتهيجة، أو المهيجات البيئية التي تسبب الحساسية، والالتهابات البكتيرية والفيروسية، أو حتى مشاكل الأسنان. لابد أن مشاكل الجيوب الأنفية كانت شائعة لأن الآشوريين القدماء غالبًا ما يذكرون شعورًا ثقيلًا في الرأس والأنف بالإضافة إلى الانسداد في فتحتي الأنف. لسوء الحظ، لا يوجد شيء محدد حول التغييرات في عظام نمرود لتحديد السبب الدقيق للعدوى.

هشاشة العظام، هو الحالة الأكثر شيوعًا في بقايا الهياكل العظمية. تشير نصوص بلاد ما بين النهرين إلى التصلب والألم والتورم وضعف الحركة وتقلص أصابع اليدين والقدمين، وتكلس مفاصل الوركين والمرفقين والركبتين والرقبة والظهر وتعزوها لغضب الإله شمش! حسب تفسير الطب الديني. تحدث هشاشة العظام، في المقام الأول في المفاصل الحاملة للجسد، وهو جزء متأصل من عملية الشيخوخة، وبالتالي ليس من المستغرب العثور على دليل على ذلك في جميع الهياكل العظمية البالغة تقريبًا من نمرود.

أظهر عدد من الجماجم من مقابر نمرود دليلاً على التهاب السحايا في الجزء الداخلي من الجمجمة (السحايا هي أغشية تبطن الجمجمة وتحيط بالدماغ). يمكن أن يحدث هذا النوع من التفاعل الالتهابي بسبب عدوى بكتيرية (مثل التهاب السحايا أو التهاب الدماغ) أو من اضطرابات الصداع، وكلاهما يؤدي إلى انقباض الأوعية الدموية حول الدماغ وتمددها. تصف النصوص الطبية الأشخاص الذين يعانون من الصداع بالإضافة إلى أعراض نوع التهاب السحايا المحتملة مثل الألم والتشنج والحمى وصعوبة السمع وتعتيم الرؤية والتشوهات العصبية والاكتئاب وخدر الأطراف والأكثر خطورة ـ القلب المضطرب. أنظر (Spurrier 2015).



**عظام الملكة أتاليا المحفوظة**

**Ataliya’s preserved bones (black preserved well, hashed fragmentary). Spurrier after M. Schultz and M. Kunter, «Erste ergebnisse der anthropologischen und palaopathologischen untersuchungen an den menschlichen skeletfunden aus den Neuassyrischen Königinnengräbern von Nimrud,» Jahrbuch des Römisch-Germanischen Zentralmuseums Mainz. 45 (1998):85-128.**

كانت أتاليا أيضًا مصابة بالتهاب في الجزء الداخلي من الجيوب الأنفية الأمامية وعلى الرغم من أنها ماتت شابة بالمعايير الحديثة، كانت هناك بالفعل علامات على التهاب المفاصل الخفيف في كتفيها، والوركين، والركبتين، ومفاصل الكاحل وكذلك في العديد من الفقرات. لقد أصيبت بكسر في إصبع قدمها وسحبت عضلة ساقها في وقت ما خلال الحياة أيضًا

في مرحلة مبكرة من مرض أتاليا قد يكون هناك دليل على مرض العمود الفقري المسمى (شويرمان)، تم تشخيصه من خلال التغييرات المرضية على عدد من فقراتها. في هذا الاضطراب ينحني العمود الفقري العلوي، مشكلاً نوعاً من التحدب. لا يمكن تحديد سبب مرض شويرمان على الهيكل العظمي، ومع ذلك فهو شائع في أولئك الذين يفرضون ضغطًا كبيرًا على العمود الفقري السفلي مثل النخب التي تمارس الرياضة. من المشكوك فيه أن أتاليا كانت من هؤلاء، فهي ملكة، وربما قامت بمهام شاقة تسببت في ضغط هائل على جسدها. ومع ذلك، يمكن أن تعزى الأعراض أيضًا إلى عدوى كامنة أو هشاشة عظام أو مرض سرطاني يُضعف بنية العظام.

تظهر عظم الجبهة الأمامية والجداريات والعظم القذالي في جمجمة أتاليا أدلة على سماكة جيدة. وقد أظهرت الأسطح الداخلية دليلاً على التهاب مزمن ناتج عن تفاعلات في السحايا شديدة لدرجة أن الأوعية الدموية المتورمة غيرت الجزء الداخلي من جمجمتها. ومن المحتمل أن يكون هذا مؤلمًا للغاية، لذلك ليس من المستغرب أن يتم العثور على عدد من التمائم الحجرية المنقوشة بنوبات ضد آلام الرأس بين محفوظات القبر الثاني في حين أنه من غير المعروف أي من الملكتين في التابوت التابعين لهما، يعتقد الدكتور فاروق الراوي الذي نشر الترجمات أنها قد تتعلق بالتهاب السحايا أو الصداع النصفي لأتاليا، وهذا صحيح تمامًا، لأنها عانت بشكل كبير من اضطراب مزمن ومتكرر في الرأس ومن المحتمل أنه سبب ألمًا كبيرًا لها، لذلك من المحتمل جدًا أن تحمي التمائم رأسها من التعرض لمهاجم خارق غير معروف سواء كان إلهًا أو شبحًا.

جاء تشخيص مرض شويرمان من خلال فحص الجزء الداخلي من جمجمة الملكة أتاليا ـ بعد مسح ميكروغرام إلكتروني للسطح الداخلي للجدارية اليمنى ـ يظهر أنسجة عظمية جديدة مع آثار غير منتظمة للأوعية الدموية، وقد يكون سبب هذا تحدبها والصداع المؤلم ونفخ أنفها باستمرار.

تروي عظامنا قصص تجاربنا ومحننا من خلال الحياة وباعتبارنا علماء آثار ومؤرخين وعلماء، فمن واجبنا أن نروي قصص أولئك الذين تركوا في مقابر مثل كوينز في نمرود. ربما ينبغي علينا جميعًا أن نصلي لإلهة بلاد ما بين النهرين للطب والشفاء، غولا، والأمل عندما يتم العثور على عظامنا من قبل علماء العظام في المستقبل، فإنهم لا يعتقدون «هؤلاء الناس الفقراء في القرن الحادي والعشرين!» وعطية، آمل أن يكون مردوخ قد هدأ صداعك حتى تتمكن من الراحة إلى الأبد.

أنظر The Life and Health of Assyrian Queens, asor Tracy L. Spurrier

http://www.asor.org/anetoday/2015/06/the-life-and-health-of-assyrian-queens/

تاريخ الإطلاع والترجمة الملخصة 15/ 5/ 2020.

تاسعاً: المطبخ الآشوري

كان الطعام العام الذي يجمع الآشوريين هو الخبز الذي يسمى بالسومرية (ننداِ.ها.آ) وبالأكدية (أكالو)، وصنع من القمح (كيمو) ومن الشعير (شارتو). وكان الشعير أهم من الحنطة بسبب الإستفادة المتعددة الإستخدام منه.

وقد احتوت موائد الآشوريين على البقوليات (العدس، الحمّص)، وكذلك على البصل والثوم، ومن الفاكهة التمر والتين والرمان والسفرجل والأجاص والمشمش والخوخ والعنب. ومن الأعشاب استخدموا النعناع والريحان والزعفران والزعتر والكمون والخردل والفلفل.

أهم اللحوم في موائد الآشوريين هي لحوم الأسماك والطيور والماشية والماعز. واستخدموا التوابل التي كانت تستورد من الهند والخليج العربي.

وتناولوا الحليب ومشتقاته، وصنعوا المعجنات ومنها الكعك المحلّى (موتكو) الذي يصنع من القمح والعسل وزيت السمسم والحليب.

**مصادر الطعام الآشوري وأنواعه:**

كان الآشوريون يجمعون بين أنثروبولوجيا الطعام وصلته المقدسة بالآلهة فمن خلال إطعام الآلهة يمكن لهم أن يزرعوا ويأكلوا. وكانت الأعياد، وخصوصاً عيد الأكيتو، يعبر بكثافة عن هذه الفكرة حيث استخدمت النخبة الأعياد كمكان لعرض القوة الاجتماعية والتنافس عليها، وهي ظاهرة اجتماعية شوهدت مرارًا وتكرارًا في المدن الآشورية الأخرى خارج آشور (مدينة الأكيتو). أن تجسيد العيد، بالنسبة للآشوريين، كان تكمن في تدمير أدوات العيد للعدو وهو مايعادل تقريبًا تدمير أسوار مدينته. النصوص البارزة للآشوريين ترتبط الطعام بآرائهم الدينية من خلال السخاء في الاستهلاك الواضح للطعام كتعبير عن هبات الآلهة لهم.

الشعير والقمح هي الحبوب التي فضلها الآشوريون كمصادر أساسية لطعامهم، وكان الشعير هو الأهم بسبب استعمالاته الكثيرة كطعام ومصدر لصنع الجعة، وذكروا أنه من ستة صفوف، وهو الأكثر وفرة، وفي غياب المال كوسيلة للتبادل في بايات العصور الآشورية، كانت حبوب الشعير بمثابة المعيار المقبول للقيمة.

لم يكن الرز معروفاً عند الآشوريين، كان مصدره الهند، ويشير أرسطوبولوس، الذي كتب حوالي 280 قبل الميلاد، إلى أن الأرز قد نما في بابل متأخراً.انتشر في جنوب وادي الرافدين في حدود القرن الثامن قبل الميلاد ثم انتشر وأسماه البابليون في حدود القرن السادس قبل الميلاد (شلبو) أي (شي) تعني شعير و(لي) تعني المشتول و(آب) تعني الماء، وبهذا يكون معنى الاسم (الشعير المشتول في الماء) أو(الشعير الذي يحب الماء)، وأصبحت كلمة (شلب) مفردة عراقية تدل على الرز. أما تسمية (تمّن) العراقية فهي تسمية شعبية حديثة شاعت بعد الحرب العالمية الأولى.

شكل الخبز والبصل النظام الغذائي الأساسي لشعب آشور. تم خبز الخبز كنوع من الفطائر المطبوخة بخفة، والتي ينفصل الجانبان عنها في حرارة الفرن فتظهر على شكل فطائر كبيرة على سطح معدني محدب. وكان البصل والكراث غذاء الفلاحين. وتتكون الوجبة الجيدة من الخضروات مثل العدس، مثل الفاصولياء، التي يتم زراعتها دائمًا في المنطقة، والدخن المسلوق، والشعير المحضر أثناء تحضير الأرز، وربما الذرة.

منذ عهد سرجون الثاني كانت الحيوانات التي تستخدم للطعام والنقل متنوعة وكثيرة في البلاد الآشورية، خصوصاً أن أغلب مصادرها كانت من البلدان التي كان يغزوها الآشوريون، فقد تم القبض على الخيول والبغال والثيران والأغنام والماعز من القبائل الآرامية، وكانت هناك حاجة لسد طعام الشعوب التي اندرجت في المحيط الآشوري والتي شهدت نمواً في عدد السكان وكانت تحتاج إلى أكبر قدر ممكن من مصادر الغذاء والنقل.

أما الطيور البرية والأليفة، فقد شملت أبو منجل، مالك الحزين، والبجع، والطيور السوداء، والعصافير، والقبرات. كانت طيور السمان نادرة.

كانت الأسماك النهرية شائعة في الطعام الآشوري، وكانت هناك محاولات لجمع البيض المخصب ووضعه في بحيرات خاصة. حافظ الآشوريون على وفرة من الأسماك في السدود التي بنوها. وكانت الأسماك، التي تؤكل طازجة ومجففة، كما تم تجفيف الأسماك الكبيرة وتعبئتها، وتعليقها على خيوط، وتُركت الأسماك الصغيرة في الشمس ثم كُبست في كتلة صلبة، يمكن قطع الكمية المطلوبة منها.

كان شراب التين والتمر والدبس معروفاً جداً عند الآشوريين، ويأتي بعده العسل، الذي كان يتم إحضاره من بلاد الحيثيين المشهورين بتربية النحل،

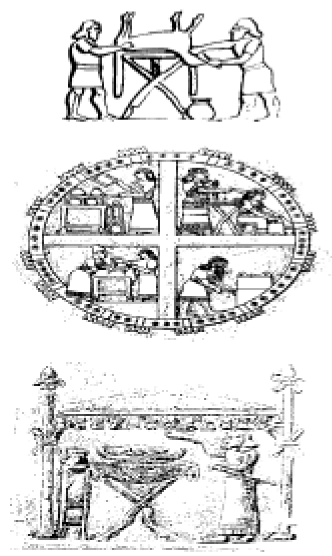
عرف الآشوريون الفطر السام والكمأ، كما تظهر رسائل الحفريات في ماري. وكان الجراد صالحًا للأكل في المناطق التي تقع في طريق غزو الآشوريين، ويظهر شقفة بناء من مدينة خورسباد (دور شاروكين) خدمًا يضعونها في أسياخ من أجل تقديمها كوجبة للطعام،.

اشتهر سكان بلاد الرافدين، ومنهم الآشوريون، بشرب الجعة والنبيذ بمختلف أنواعها ونسب الكحول فيها، وحظيت الأنواع التي دون التخمير النهائي بتقدير كبير بشكل خاص.وكانت أغلب أنواع البيرة من الشعير، وهناك منها من شجرة النخيل، التي يصنع منها النبيذ أيضاً،، الذي تم الحصول عليه عن طريق النقر على الجزء العلوي من جذع شجرة النخيل وجمع العصارة. في هذه المرحلة، يكون غير ضار نسبيًا، لكنه يتخمر ويصبح مسكرًا للغاية بعد مرور يومين أو ثلاثة أيام. لقد ميزوا بين الخمور المخمرة وغير المخمرة.

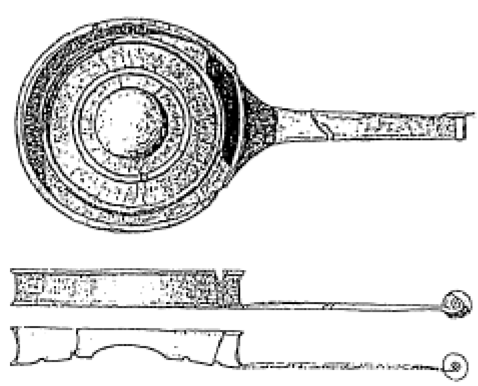
أصناف الفاكهة الأكثر شيوعًا عند الآشوريين هي التمور، والتفاح، والكمثرى، والمشمش، والخوخ، والفستق، وربما الموز.

«وكان حجم التقدمات الدينية المطلوبة من السعة بحيث تتوافر الأطعمة لكي توزع على كثير من المقيمين في القصر وأبنية المعبد، وربما سكان البلدة أيضاً، كصدقات. وكان هذا النظام كافياً لتقليص الحاجة إلى المطابخ الخاصة، التي هي عرضة للاحتراق بالنيران، في أوضاع حضرية متداخلة. تبدأ وجبات الآلهة بالأشربة والعصائد والخبز. وتُقدم البيرة والخمرة والماء في جميع الوجبات؛ كما يقدم الحليب في الصباح فقط، ليتوافق مع الحلب التقليدي لحيوانات التغذية. ثم يأتي بعد ذلك اللحم المحمص والمدمس (الذي غالباً ما يكون مصحوباً بالحبوب) والبيض وربما السمك. ومن الناحية الفنية تنتهي الوجبة بتقديم الفواكه. وتدرج مجارد القصور في الألفيتين الثالثة والثانية تقدم لحم الخنزير والأسماك، غير أن ذكر هذه الأغذية بدأ يختفي زهاء القرن الثاني عشر. ولعل هذا يعكس تحول التراتب في تصور أهل بلاد

الرافدين عن الأطعمة التي يجدر بالآلهة وخدمهم تناولها، حيث صار الخنزير يقترن بالطبقات الدنيا، وصار السمك من المحرمات على الكهنة. كانت النخب تفضل تناول لحوم الأغنام والأبقار والماعز. ويشكل غياب الخُضر عن المجارد المتأخرة مشكلة معروفة في التأريخ المطبخي؛ وبدلاً من الافتراض أن الخضر لم تعد تتناول، فلعل غياب الدليل يشير فقط إلى أن الخضر كانت تزرع في حدائق خاصة بالمطابخ، فلا يتم شراؤها أو استحصالها عن طريق الجباية. » (كوفمان 2012: 75).



**تحضير الطعام في مخيمات آشورية**



## أدوات المطبخ الآشوري في مدينة آشور

## (Harper et al. 1995: 46)

المرق في آشور وبلاد الرافدين:

كان المرق هو الطبق المشترك في الوجبات الآشورية، والرافدينية بشكل عام، فقد «تفنّن سكان بلاد الرافدين في تحضير أنواعٍ عديدة ولذيذة من المرق فهناك مرق اللحم وتشمل لحوم الغزال والغنم والحمام والطيور التي تسمى (tarru) هنالك مرق من رجل الحمل وهنالك أنواع من المرق البيضاء والحمراء والمالحة والحادة. ويبدو أن الاسم أي اسم المرق مشتق من أصل أجنبي لطبق معين «المرق الآشوري» التي جاءت من الجزء الشمالي من البلاد. ويذكر أن اسم الطبق موجود باللغة الأصلية (zukanda) ويتم اشتقاق اسم الطبق الخاص بالمرق من نوع الخضار المستعمل وتوجد اسماء عديدة للخضار إلا أننا استطعنا تمييز «اللفت» بصورة مؤكدة. وتتم إضافة قطع من اللحم للمرق وتتم إضافة «رجل الحمل» أو الكبد أو أحشاء داخلية. وفي بعض الأحيان تضاف قطع من لحم الضأن. إلا أن الفعل الأكدي المستخدم (izzazu) أضاف بعض الغموض ويعني هذا الفعل حرفياً «يجب أن يكون موجودا». (بوتيرو 2014: 193 ـ 194).

وهذه بعض أنواع المرق:

**1.مرق اللحم:** «من المفيد أن نقدم بعض طرائق تحضير المرق حيث تعد الطريقة الأولى بسيطة جداً لأنها سهلة التحضير وهي (مرقة اللحم) يتم تحضير قطعة من اللحم وذلك حسب عدد الأشخاص ثم تأتي بقليل من الماء ونضيف كمية قلية من السمن وبعد تقطيع اللحم تتم إضافة الثوم والكراث ثم التوابل وتكون جاهزة للتقديم بعد طبخها.» (بوتيرو2014: 194).

**2. المرق الحمراء**: «تقدم طريقة لتحضير المرق الحمراء حيث يتم تحضير قليل من الماء حسب الحاجة ولا حاجة لإضافة اللحوم وإنما يتم تحضير الكبدة أو الرئتين وقطع من الأحشاء الداخلية ويضاف قليل من الملح ثم قليل من الشعير المسحوق وإضافة البصل والكمون والكزبرة والكراث بحيث تمزج سوية ويتم وضعها في القدر وبعد ذلك على النار. وتعد هذه الطريقة أكثر تعقيداً من الطريقة الأولى إلا أن الأسلوب السلس للنص مهم بحيث تطرق إلى الأساسيات دون ذكر الوقت المطلوب لطبخها لأن ذلك يترك لتقدير الطباخ الذي يعرف مهنته.» (بوتيرو2014: 194).

**3. مرق الجدي**: «يتم نقع الرأس والأقدام والذيل في الماء حتى تذبل وبعد ذلك يتم وضعها في القدر ثم تتم إضافة قطع من اللحم وقليلاً من السمن والبصل والكراث والثوم والجبن بكميات متساوية وبعد إكمال عملية طبخها يتم ذر خبز يابس مكسور وقطع من الكعك المكسور ليضيف نكهة خاصة وتكون جاهزة للتقديم.» (بوتيرو2014: 195).

**4. مرق الحمام:** «يتم فتح الحمام إلى نصفين ثم تضاف ك مية من الماء وإضافة السمن والملح والبصل والكراث والثوم والخبز اليابس المكسور ويجب أن يتم نقع جميع الأعشاب في الحليب قبل وضعها في القدر ويتم تقديمها بعد طبخها.» (بوتيرو2014: 195).

**المأدبة الآشورية المذكورة في مسلة آشور ناصر بال الثاني:**

تسجل مسلة آشور ناصر بال الثاني والتي تسمى بنص المأدبة، والتي كانت في مدينة كالخو (نمرود)، بمناسبة تجديد الملك الآشوري الجديد في القرن التاسع قبل الميلاد، حيث جعلها عاصمته. وهو يفتخر بالقصر الفخم والحدائق التي بناها، وترميم المعابد، وإعادة توطين وتجديد المدن المحيطة. ويمكننا منحها لقب «مأدبة» المستمد من أكثر مفاخراته الفريدة وهي أنه في عام 879 قبل الميلاد، احتفل بعاصمته الجديدة مع وليمة فخمة حيث دعى لها 69574 شخصًا ـ مبعوثًا محليًا

وأجنبيًا ـ بكمية مهولة من اللحوم، الدواجن والخضروات والكحول. ورغم أن هذا الرقم كبير جداً، لكن هناك دليل جيد على أن الاحتفالات الجماهيرية الفاخرة كانت إحدى السمات المحتملة للأحداث الملكية. نترجم هنا السطور من 106 الى السطر 138 لأنها تتضمن إحصائية لأطعمة ومشروبات الوليمة:

**أنظر: (Wiseman1952) , (Grayson 1991)**

وصفت (لورا كيلي) مأدبة ملكية آشورية أخرى اعتماداً على تصورها لفترة حكم آشور بانيبال وهو وصف أدبيّ خاص بها يصور لنا حفلة ملكية آشورية، ننقله هنا بتصرف هنا.. كما يلي:

يمكننا تصور مأدبة ملكية آشورية في القرن السابع قبل الميلاد في قاعة طعام كبيرة في قصر نينوى حيث موائد الطعام ملفوفة بالقماش ومزينة للاحتفال، وهناك دخان البخور والعطور الغرفة. الموسيقى تملأ المكان والمصاحبة للمطربين أو الشعراء بينما تقفز الراقصات، وتتدفق البيرة والنبيذ (من هذا الوقت) من العنب والفواكه الأخرى بحرية. يرأس الحفل الملك الآشوري آشور بانيبال، مثلاً،

آشوربانيبال هو رجل رسائل يمكنه قراءة والتحدث بالعديد من اللغات الحديثة والقديمة. وهو راعي للفنون والعلوم ولديه فرق من الفنانين والفلكيين وعلماء الرياضيات كجزء من بلاطه. كما أعاد بناء وترميم المعابد والمباني التي أضعفتها الحرب أو ويلات الزمن البسيطة. لكن إنجازه الأعظم إلى حد بعيد هو الجمع المنهجي للمعرفة وفهرستها في أول مكتبة منظمة وحديثة في العالم الغربي. المكتبة هي أرشيف ملكي ولكنها تحتوي أيضًا على أطروحات عن الطب والعلوم، والعرافة، وكذلك الحكايات الشعبية، وبعض الوصفات المفضلة. لم يعرف ذلك بعد، ولكن بسببه نجت حكايات جلجامش وكثير من المعرفة حول عالمه.

إنه ملك عظيم ومأدبة الليلة هي وجبة خاصة للاحتفال بصعود الحاكم المصري الآشوري المعين، نيكو الأول، وهو مسؤول محلي تعهد بسلامه وإشادة نينوى. وبينما تفكر في عظمة الملك، فإن المرأة التي بجانبك تحرك بفارغ الصبر بلوزة من الكتان الأحمر الداكن التي تتجعد قليلاً مقابل شالها القطني الناعم وأقراطها الذهبية تتمايل بهدوء أثناء تحركها. إنها جائعة وكذلك أنت. في الوقت المناسب، تتدحرج الطبول ويقف أشوربانيبال يحيط به كهنة ويطلب بركة إنليل وعشتار في كل من احتفاله وحملته المصرية. عندما يتم تلقي بركات الآلهة، تجتاح فرق الخدم وتضع الطعام على الطاولات. يتم الكشف عن بعض الأطباق: مرق لحم الضأن مع البصل، مرق الخضار مع الثوم والكراث، مرق مصنوع من الطيور البرية، البصل المشوي، عصيدة البصل والخبز المسطح.

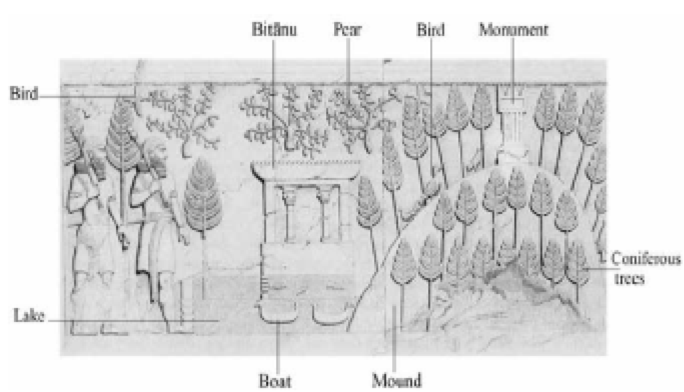
أنظر: (Laura Kelly: An Assyrian Banquet 2011) تم الإطلاع عليها في 16/5/2020

/https://silkroadgourmet.com/an-assyrian-banquet

عاشراً: الحدائق الآشورية

أسهبت النصوص الآشورية، في العصر الآشوري الحديث، الحديث عن تمثيل البيئة الطبيعية وتشكيل الحدائق والمتنزهات، والذي «يعتمد انقسم الوجود الثنائي الآشوري على أساس «المركز / المحيط» و«النظام / الفوضى»، وكان هذا التقسيم مؤثراً في أسلوب حياتهم الطبيعي وشكلت فهمهم الجمالي، ومع ذلك، فإن دور هذا في تشكيل الحديقة كطبيعة ثالثة هو قضية رئيسية في الآشوريين. وقد نشر الباحث الإيراني (علي أسد بور) بحثاً في غاية الأهمية عن هذا الموضوع توصل فيه الى استنتاجات مهمة، وقد رأى أنه لابد من تحديد العوامل الرئيسية التي تؤثر على تشكيل الحدائق في الآشوريين في العصر الآشوري الحديث وتصنيفهم ونمذجة رؤيتهم للحديقة ووظائفها المختلفة على أساس تحليل النصوص مع قراءة واضحة

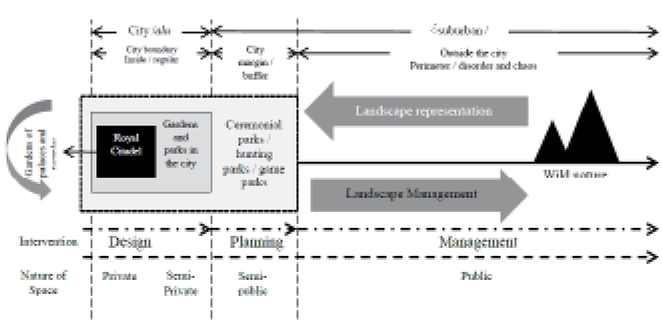
لظواهر الحديقة في الأراضي الآشورية قائمة على منهج (تثليث البيانات) حيث «تُظهر النتائج أن الحدائق الآشورية هي مظاهر «العالم المصغر» وتتضمن مجموعة من الوظائف الترفيهية الدرامية، بما في ذلك الوظائف العرضية، وحتى البيئية والاقتصادية. يعتمد التصنيف المقترح في هذه الورقة على تحديد موقع (أ) الحدائق والمتنزهات في المشهد الحضري، و(ب) الحدائق والمتنزهات في الحافة الحضرية. يوضح النموذج المفاهيمي أنه من خلال الابتعاد عن وسط المدينة وتقليل القيم الطقسية والدينية للحدائق، فإن التغييرات الهندسية والمنتظمة في التصميم الحر (الطبيعي) تقترب من تخطيط (كيرو) إلى (كيريماهو)، وهذا يعني تحول سلسلة الحدائق الدرامية (البهجة والمتعة) بدلاً من الحدائق الوظيفية (النباتية) في زمن سرجون الثاني (أواخر القرن الثامن قبل الميلاد) سادت المناظر الطبيعية والتغيير في نموذج تصميم الحديقة على أساس تغيير الحديقة، وهو العصر الذهبي الآشورية، قد أضيف لها العناصرالدرامية مثل البحيرات الاصطناعية (بيتانو)، والقنوات، وجعلها معلقة ومتدرجة ومزهرة.» (Asadpour2018: 55 - Abstract)




**حديقة سرجون الثانية في دور شاروكين (خورس آباد)؛ بحيرة اصطناعية بالقوارب، بيتانو والتلال على اليمين مع الشجيرات (Dalley, 1993: 5)**

وفي النهاية وضع (أسد بور) شكلاً معبراً لتطور الحدائق الآشوري في عصرها الحديث، ويشمل نموذج الحديقة الآشورية الموضح في الشكل الأسفل «مجموعة

من الوظائف الترفيهية والدرامية وحتى الاحتفالية وحتى البيئية والاقتصادية. وتُظهر تصنيفات الحدائق والمنتزهات الآشورية المقترحة في هذه الورقة، استنادًا إلى وظيفة الموقع (الحدائق الحضرية وحدائق المناظر الطبيعية وحدائق الضواحي وحدائق المناظر الطبيعية)، والتي توصلت إلى أنه بالابتعاد عن وسط المدينة وتقليل القيم الطقسية والدينية والهندسية، فإنها استبدلت بانتظام بـ «التخطيط الطبيعي» القائم على «تخطيط المناظر الطبيعية. كانت الحدائق الملكية والحدائق في معابد المدينة الداخلية قائمة على نمط منتظم للزراعة في الهندسية القائمة على الزوايا القائمة. الحدائق المعلقة والحدائق الملكية وحدائق الاحتفالات الطقسية لديها أيضًا نمط زراعي زاد، قدر الإمكان، من قيمتها الدينية؛ فقد كانوا أكثر تأثرا بمواءمة الأرض، في الغالب على نظام البارك أو المتنزه العام (أمباسو) وعلى أساس لعبة المتطلبات المحلية والتي استندت على حدائق الصيد وتخطيط المناظر الطبيعية لمتابعة تصميم هندسي محدد، واتباع الفوائد الاقتصادية والبيئية في هذه الحدائق إلى جانب الأهداف السياسية للآشوريين الجدد. وهكذا، كان عالم الحديقة الآشورية في عصرها الذهبي في القرن السابع الميلادي مبنيًا على فكرتهم الأنطولوجية واحتياجاتهم اليومية والطقسية والدينية والاحتفالية والسياسية والاقتصادية. وفي النهاية، كان هناك تأثير للحدائق الآشورية على الحدائق العيلامية، والأهم من ذلك، الدور المحتمل للآشوريين في الحدائق الأخمينية هو موضوع مهم ومفصل للغاية».




**موديل الحدائق الآشورية المرتكز على أساس ثنائية القطبية في الوجود عندهم**

**(Asadpour2018: 65)**

**الجنائن المعلقة:**

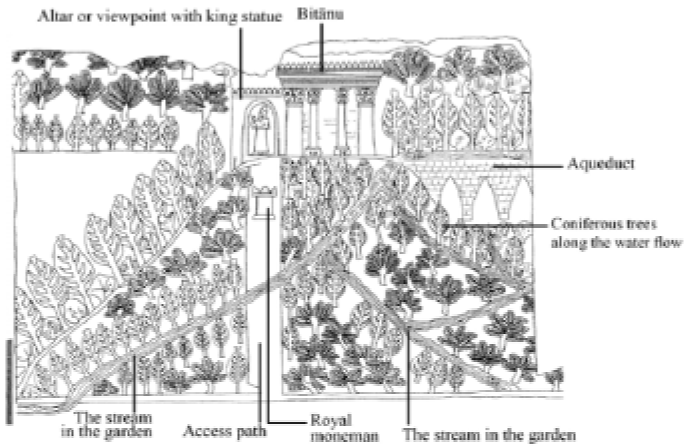
كان البابليون والآشوريون هم من اخترع ماعرف ب (الحديقة المعلقة) أو (الجنائن المعلقة)، ونحن نرجح أن الشعبين صنعوا مثل هذه الجنائن فهي لا تقتصر على أحدهما، ونرى أن هناك أكثر من جنائن معلقة في كليهما، وقد كان ما شاع عن الجنائن المعلقة عند المؤرخين اليونانيين والرومان سريعاً وغير دقيق، رغم أنه ساهم في شهرتها، وقد سمعنا بهذه الجنائن منذ عهد سمير أميس التي كانت تتراوح سيرتها الأسطورية بين بابل وآشور، والتي كتب الكتاب اليونانيون عنها الكثير.

ينسب المؤرخ ديودوروس سيكولوس الجنائن المعلقة لملك آشوري حيث ابتكرها لأحدى سيدات القصر التي جاءت من بلاد فارس كتذكير بمنزلها القديم. أما بروسوس فينسبها إلى نبوخذ نصر، ويقول إنه صنعها من أجل حب زوجته الميدية. أما ديدروس وسترابو فيريان أن ظاهرة الحدائق المعلقة ظاهرة عامة في وادي الرافدين.

يقترب سترابو من بعض الأوصاف الدقيقة للجنائن المعلقة ومكانها، فهو يرى أن أرضية الحديقة العلوية مدعومة بسلسلة من الأقواس التي تقف على مكعبات مجوفة. تمتلئ هذه المكعبات بالتربة، بحيث يمكنها الاحتفاظ بجذور أكبر الأشجار؛ وفقًا لذلك، من الممكن أن يكون هناك طبقة أرق من الأرض للسقف، حيث سيكون عليها فقط تغذية جذور النباتات الأصغر. هذا النظام هو نفسه بالفعل من حيث المبدأ كما هو الحال في حديقة سنحاريب في كوينجق، حيث يتم حفر النباتات في عمق الصخر، لتخفيف طبقة الأرض من الوزن.

ويرى سترابو أن الجدار يقف على قمة الأقواس المدببة، وعلى الحائط أشجار مزروعة على مسافات منتظمة، بالقرب من أحد المعابد الصغيرة مثلما نعرف، ومذبح

على تل صناعي مزروع بالأشجار




**رليف لآشوربانيبال يوضح حدائق سنحاريب في نينوى (ربما هي الجنائن المعلقة؟)المتحف البريطاني نينوى. (رسم ستيفاني دالي).**

**.Trustees of the British Museum; Dalley, 1994: 10**

يبدو أن الأقواس تدعم أيضًا قناة مائية، حيث ينفذ تيار ويعبر التل، ويتفرع في عدة اتجاهات؛ ويمكن للمرء أن يفترض أنه يمر فوق الشرفة، ويتم توزيعه حول بقية الحديقة.

على أي حال، تتطلب الحدائق المعلقة مظاهر خاصة للري، ولكن في هذه المسألة أيضًا يختلف المؤرخون، فيقول ديودورس أنه في التجويف العلوي يوجد ترتيب مائي يتم تغذيته من الفرات ولا يمكن رؤيته من الخارج (أي أن الجنائن تقع في بابل كما يرى)، في حين يؤكد سترابو أن المياه يتم رفعها بواسطة مضخات حلزونية على جانب السلالم المتعرجة، وأن رجالًا مميزين موجودون دائمًا لسحب المياه من النهر. ويتناسب هذا الكلام مع الواقع حيث أن المضخات الحلزونية يمكنها أن تسحب الماء بطريقة تلقائية من مياه الأنهار والقنوات في مناطق مرتفعة مثل المناطق الآشورية،

وأن خاصية ارتفاع الماء في الأنابيب الحلزونية كانت معروفة عند الآشوريين بصورة عملية، وهي تلك التي شخصها أرخميدس في قانونه بعد حوالي 500 عام من استخدامها الآشوري.

يؤيد سنحاريب بعض هذه المضامين، ويعطينا المزيد من المعلومات حول طبيعة متنزهه. يقول إنه بنى «قصرًا لا يعرف المساواة»، على هيكل فرعي ضخم. في غرفه الرائعة هناك العديد من النقوش، التي تخبر عن عدد لا يحصى من المضيفين من الرجال الذين تم عمل المنزل من قبلهم، وفي جميع الأحداث الهامة حقا يظهر الملك شخصيا. على جانب القصر كان هناك منتزه، «مثل جبال أمانوس»، حيث نبتت التوابل والأشجار. «لقد منحت ووزعت»، على رجال نينوى الأراضي خارج المدينة ليتم وضعها في المزارع.

«تعدّ جنائن سنحاريب مثلما تم نحتها في قصر ولده  في الحقيقة جنائن معلّقة حيث انها معلّقة فعلاً على عقد (قناطر) مثلما لاحظ ذلك  الباحثون كلهم. والنحت والبارز ’يظهر الملامح والسمات التي وضعها الكتاب الاغريقي فهو منظر طبيعي بارز مثل المسرح (الاغريقي). مثلما وصفه ديايودونيس سيكولوس  وقد تم زرع اشجار الغابات في كل  المستويات  وتم جلب الماء إلى الحديقة بقناة لسحب الماء بطريقة بحيث يصل إلى جميع الاماكن. اما الاشجار فهي على انواع مختلفة  وموجودة في الجبال أي في المناطق الجبلية وربما تكون اشجار البلوط واشجار العرعر وكذلك انواع اخرى ذات اريج معيّن ومميّز. انه قصر مزخرف  يدل على انه  قصر اقامة الملك.ويمكن القول انه  يتحمل كل الوصف الذي ذكره ديوونيوس ولايوجد هناك أية علاقة تدل على وجود آلة تستعمل لرفع الماء بكميات هائلة الى قمة الجنائن وحتى اذا كانت هناك آلة معينة لنقل الماء فلابد من ان تكون في الموقع المحذوف من النحت وعلى اليمين. والطريقة التي يجري فيها الماء إلى الحديقة تشير إلى وصف فيلو البيزنطيني الذي قال: «هنالك جداول من الماء المتدفق في مصادر مرتفعة ويجري الماء على خط مستقيم اسفل القنوات المنحدرة «. اما الزاوية العليا من

البناية وربما قصر سنحاريب منظور في قمة الزاوية اليسرى في الحقيقة وهناك لوح مجاور يوضح ذلك بشيء من التفاصيل.» لومزدن، ستيفن: جنائن سنحاريب المعلّقة في نينوى ترجمة الدكتور حسيب حديد، موقع المثقف العدد: 5015 المصادف: الجمعة 29 ـ 05 ـ 2020م، الإقباس في (30/5/2020) http://www.almothaqaf.com/qadayaama/qadayama-14/87467)

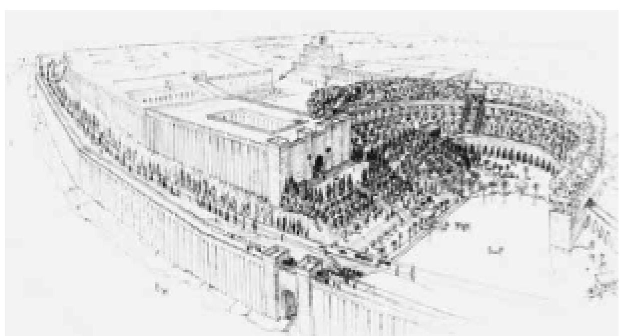
لقد أوحى كل هذا للباحثة ستيفاني دالي بالقول بأن الجنائن المعلقة لم تكن موجودة في بابل بل في نينوى. فقد كتب سنحاريب في ما تركه من رقم آثارية: «لقد رفعتُ ارتفاع محيط القصر ليكون أمراً مُدهشاً لجميع الناس»، ووصف «حديقةً عالية تُشبه جبال أمانوس وضعتها بجانب القصر، بها جميع أنواع النباتات العطرية وبستان لأشجار الفاكهة، وأشجار تُحافظ على الجبال، وصفصاف بابلي، بالإضافة إلى أشجارٍ مزروعٌ بداخلها صوف.

في حين أنَّ أصل وموقع الحدائق المعلقة كان موضع جدال لمئات السنين، كان هناك اتفاقٌ على أمرين بشكلٍ عام. أولاً، أنَّها مُصممة بشكلٍ يشبه المُدرَّج يعطي الانطباع بأنَّها «معلقة». وثانياً، أنَّها كانت تتضمن نظاماً متطوراً للري ينقل المياه من قاعدة الحديقة إلى الدرجات العليا من أجل الحفاظ على أوراق الشجر هناك على قيد الحياة.



**رسم تخيلي لجنائن سنحاريب المعلقة لستيفاني دالي**

**.Dalley, 1994: 57**



**رسم تخيلي لجنائن سنحاريب المعلقة لتيري بال**

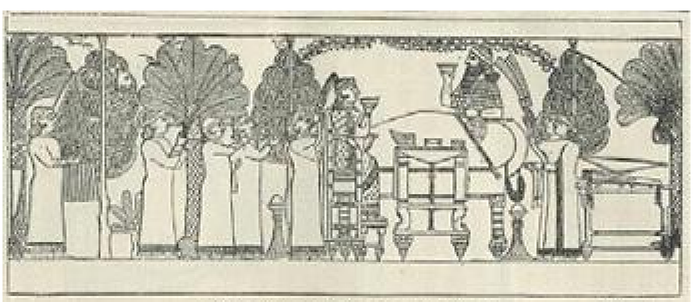
**(Amrhein, 2015)**

**حدائق القصور:**

الصورة المرسومة المشهورة للملك آشور بانيبال مع زوجته في حديقة القصر حيث يظهر فيها الملك يتكئ على أريكة يميل وزنه جزئيًا على كوعه الأيسر، وبعد أن تكون

ذراعه اليمنى حرة ويمكن التخلص منها، جلست جلالة الملكة على كرسي الدولة بجانب الأريكة، بالقرب من قدمه.

كان هناك اثنين من الخصيان الذين تم تزويدهم بمراوح كبيرة بحضور الملك، وانتظر نفس العدد على الملكة، واقفة خلف كرسيها. كانت جلالتها، التي تم ترتيب شعرها مثل شعر زوجها الملكي تقريبًا، ترتدي على رأسها شريطًا أو شريحة تحتوي على شيء من مظهر تاج الأبراج، مثل تطويق جبين على العملات والتماثيل اليونانية. كان فستانها عبارة عن ثوب طويل الأكمام يمتد من الرقبة إلى القدمين، منتفخ ومقص في الأسفل بطريقة معقدة، وفي مكان آخر منقوش بالورود، حيث ارتدت فوقها سترة أو شراب مهدب في منتصف الطريق بين الركبتين والقدمين. بالإضافة إلى هاتين الثياب، كانت ترتدي على ظهرها وتتحمل عباءة خفيفة أو كيبًا، مزخرفًا (مثل بقية فستانها) بالورود ومحاطة بحافة عميقة. كانت قدميها مغطاة بأحذية من صنع أخرق، منقوشة أيضًا. كانت زخارفها، بالإضافة إلى التاج على رأسها، عبارة عن أقراط وقلادة وأساور. كان شعرها مبطنًا ومزينًا بالستائر المعلقة على الظهر. استقرت قدميها على مسند قدم وسيم، مبطن أيضًا.



King, Queen, and Attendants (Koyunjik). Fig. 1.

«ويحدثنا سنحاريب بأنه أقام في مدينته نينوى حديقة واسعة جمع فيها مختلف أنواع النباتات وجلب إليها نباتات من جميع الأقاليم والبلدان التي وصلت إليها جيوشه بما في ذلك أشجار الصوف (أي القطن). كما أشار ملوك آخرون إلى الحدائق الغناء التي اقاموها في عواصمهم ولعله تكفي الإشارة هنا فقط إلى الجنائن المعلقة

التي عدت من عجائب الدنيا السبع لنتعرف مدى اهتمام ملوك العراق القدامى بالحدائق والبساتين وجلب المياه لسقيها. كما أشار بعض الملوك، ومنهم سنحاريب، إلى اهتمامهم بالحيوانات وكيف أنهم جمعوا مختلف أنواعها ووضعوها في حديقة حيوان خاصة.» (سليمان 1988: 229).

**الحدائق العامة:**

كانت هناك متنزهات عامة كثيرة، لعلّ أهمها المنتزه الكبير كان يقف في الظل العميق، بيت المهرجان للإله آشور، وهناك تلقى واستقبل جميع الآلهة الأخرى كل يوم رأس السنة الجديدة. ويتم إلقاء بعض الضوء على نظام الري فهناك قناة واحدة واسعة، تتفرع منها قنوات صغيرة، وهناك صفوف مستقيمة من أنواع مختلفة من الأشجار. يبدو الأمر تقريبًا كما لو أن الأنواع المختلفة قد تم وضعها في حدائق منفصلة ومقسمة على جدران منخفضة، كما هو الحال في مصر، ولكن ربما تكون هذه مخصصة فقط للمسارات.

أحد عشر: الحياة اليومية للإنسان الآشوري

**الإفطار**: كان الإفطار يجري على طبليات خشبية أو طينية، حيث تجلس العائلة المتوسطة الدخل والثرية على الأرض بواسطة وسائد مريحة، وكانت هناك أيضا الكراسي الصغيرة والكبيرة والتي لها مساند ظهر أو بدونها، وهناك قواعد مدورة من الخشب.أما الفقراء فيتناولون الطعام على حصر القصب.

**العمل:** كان العمل مجموعة متنوعة من الحرف المهن المتوارثة، وكانت الزراعة هي المهنة الغالبة، وتأتي بعدها حرف الصناعات وورشها، وكانت التجارة بيد فئة قليلة، أما الموظفون في الدولة فهم أكثر رفاهية من العامة، وهناك الوظائف الخاصة المقربة من الملك والكهنة وهي غير قابلة للتحقيق إلاّ مع قلة مختارة. وبشكل عام كان بمقدور أعضاء الطبقة العليا الحصول على العديد من الوظائف المختلفة ذات

الأجور الجيدة والمحترمة كالتجار، والكتّاب الذين يعملون في المحكمة والمعابد بالإضافة إلى تدريس الكتابة للطلاب.

أما الطبقة العامة من الناس فكان خيارها الأكبر في ما ترثه من أعمال الفلاحة والمهن الحرة من الأجيال السابقة والتي تسعى لتطويرها، كان عملهم يديم حياة الناس بسلاسة وحيوية، وكذلك عمال المتاجر والحانات، وعمال البناء، الذين بنوا المنازل والقنوات، وكانت المرأة تعمل مع عائلتها في كل هذه المهن والوظائف وتدير بيتها في الوقت نفسه.

**الغداء:** لم تكن خيارات الطعام في الغداء واسعة كما نتصور، فقد اقتصرت على مجموعة متنوعة من الفواكه والخضروات واللحوم وغيرها، كان الشعير أحد أهم مصادر طعامهم فهو يدخل في أطعمة ومشروبات كثيرة كالخبز والجعة. وكذلك ثمار الأشجار مثل التمر والعنب والتفاح والخوخ، والخضروات مثل الجزر والخس والبنجر. واعتمدوا على لحوم الأسماك والطيور التي يصطادونها، وكذلك الماشية التي يربونها ـ كالأبقار والماعز والخنازير..

**التسوّق:** كان الإعتماد على جني المحاصيل وتوفيرها وتوفير مستلزمات الحية من أساسيات حياة الإنسان الآشوري نفسه، فهو الذي يتكفل بكل هذا ويقوم به، وكان التسوق أمراً وارداً ولكنه لم يكن غالباً، ولاشك أنهناك الكثير من البضائع التي كان الآشولري بحاجة لمقايضتها أو شرائها من خلال السوق.

**الخزن:** كانت الصناديق الخشبية لحفظ مواد وأدوات البيت، والأحذية والملابس، وكذلك الأقفاص والصناديق الصغيرة. وهناك الصناديق القصبية التي تطلى من الخارج بالقار. والأثمن من الإثنين هي صناديق العاج.

حاويات الأطعمة والسوائل والتي تخزن فيها الطاسات، والأباريق والكاسات والقوارير، وهي من خشب أو معادن أو زجاج.وكانت هناك حاويات لخزن النبيذ

تتسع لغالونات تصل للعشرة. وهي من فخار أو خشب.

**العشاء:** كانت وجبة العشاء ساخنة ومبكرة نسبياً، حيث يجتمع كلّ أفراد العائلة فيها.

**الترفيه:** ربما كانت أفضل وسائل الترفيه هي الألعاب المألوفة وممارسة الهوايات البسيطة، وعادة مايكون اجتماع العائلة مصحوباً بالسمر والحكايات والأساطير.أما الترفيه العام فكان يحصل في الأعياد والمناسبات المفرحة.



**لوحة مرسومة، على ضوء الآثار، للحياة اليومية في نينوى رسمها روجيرو جيوفاني**

**Ruggero Giovannini**

# فهرس المراجع

**المراجع العربية**


1. الأحمد، سامي سعيد: المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى، **مجلة سومر،** ج1 وج2، المجلد 33، دائرة الآثار العامة، بغداد (1977).

2. الأحمد، سامي سعيد: معتقدات العراقيين القدماء في السحر والعرافة والأحلام والشرور، **مجلة المؤرخ العربي،** العدد الثاني، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد (1977).

3. الأحمد، سامي سعيد: الزراعة والري، **حضارة العراق**، تأليف نخبة من الباحثين، ج 2،، دار الجيل، بيروت، بغداد، (1985).

4. الأحمد، سامي سعيد: المدن الملكية العسكرية، **كتاب المدينة والحياة المدنية ج2**، تأليف نخبة من أساتذة التأريخ، دراسات في تأريخ العراق وحضارته، بغداد (1988).

5. الأحمد، سامي سعيد: التجارة، من كتاب **موسوعة الموصل الحضارية**، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، (1991).

6. أحمد، علي ياسين: وظيفة الخزانو الآشوري، **مجلة سومر،** ج1 ـ 2، المجلد 49، مديرية الآثار العامة، بغداد (1964).

7. الأسود، حكمت بشير: **أكيتو عيد رأس السنة البابلية والآشورية**، وزارة الثقافة، المديرية العامة للثقافة والفنون السريالية، أربيل (2011).

8. الأعرجي، حسين سيد نور: مفهوم الحداثة في الخطاب السياسي في العراق القديم، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، العددان (3 ـ 4)، المجلد 7، (2008).

9. الأعرجي، حسين سيد نور جلال: سياسة تجفيف منابع التمرد لدى الدولة الآشورية في الألف الأول قبل الميلاد (عيلام ومصر أنموذجاً)، **مجلة كلية التربية**، جامعة واسط، العدد 17، أيلول (2014).

10. الأعرجي، حسين سيد نور، الكعبي، مؤيد مجيد محمد: نتائج التهجير القسري في العراق القديم، الدولة الآشورية أنموذجاً، **مجلة كلية التربية**، العدد 28، جامعة واسط (2017).

11. الأنباري، نجم: المعاهدات الدولية القديمة، **مجلة التراث العلمي العربي**، العدد الرابع، بغداد (2015).

12. أليسون، إليزابيث روزماري: **ميزوبوتاميا ونهري دجلة والفرات في التأريخ**، ترجمة نصرت أدمو، موقع أكاديميا، (2020).

13. برغش، سعدون عبد الهادي، والطائي، غفران جعفر عزيز: الكواكب والنجوم ورمزيتها في أدب العراق القديم، **مجلة كلية التربية في جامعة واسط**، العدد 31، (2018).

14. باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ط2 شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد (1986).

15. باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، دار الوراق، لندن (2009).

16. باربولا، سيمو: الهوية الوطنية والإثنية في عهد الإمبراطورية الآشورية الحديثة والهوية الآشورية في الأزمنة عقب الإمبراطورية، ترجمة إدوارد يوحنا أوديشو، **مجلة الدراسات الأكاديمية الآشورية**، مجلد 18، العدد 2 (2004).

17. البدري، عبد اللطيف: **من الطب الأشوري**، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد (1976).

18. البدري، عبد اللطيف: **التشخيص والإنذار في الطب الأكدي**، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد (1976).

19. البدري، عبد اللطيف: الطب في العراق القديم، **دراسات في تاريخ الطب والعلوم**، المجمع العلمي العراقي، بغداد (1993).

20. بدوي، أحمد زكي: **مصطلحات العلوم الاجتماعية إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي**، مكتبة لبنان، بيروت (1982).

21. أبو بكر، عبد المنعم وآخرون، **العراق القديم ـ تاريخه وحضاراته** (الألف كتاب 59)، القاهرة (د.ت).

22. البلداوي، شيماء عصام: الموسيقى والطرب في العراق القديم، **مجلة مركز دراسات الكوفة،** فصلية محكّمة، العدد 46، السنة (2017).

23. بوتيرو، جان: **بلاد الرافدين (الكتابة، العقل، الآلهة)**، ترجمة الأب البير أبونا، مراجعة د.وليد الجادر، سلسلة المائة كتاب الثانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1990).

24. بوتيرو، جان: الجذور التأريخية لتقديم المرق في بلاد الرافدين، عن **دراسات في حضارة بلاد الرافدين،** ترجمة وإعداد الدكتور حسيب إلياس حديد، مراجعة الأستاذ حسن طه السنجاري والدكتور عامر الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت (2014).

25. التطلّي، بينامين: **رحلة بنيامين، (للرحالة الربّي بينامين بن يونه التطلّي النباري الأندلسي)**، ترجمها عن الأصل العبري لعزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد (1945).

26. الجادر، وليد، والعزاوي، ضياء: **الأزياء والحليّ عند الآشوريين،** وزارة الثقافة والإعلام، بغداد (1970).

27. الجادر، وليد: **حضارة العراق** تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، الفصل السابع ـ صناعة التعدين، دار الجيل، بيروت (1985).

28. جاسم، صفوان سامي سعيد: **التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضـوء المصادر المسماريــة**، أطروحة دكتوراه بإشراف أ.د. علي ياسين أحمد، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الموصل (2006).

29. جبور، باسم ميخائيل: **ملاحم تاريخية من الأدب الأكدي (ترجمة ودراسة)**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت (2017).

30. الجنابي، صلاح حميد: جغرافيا الموصل دراسة في العلاقات الأقليمية، من كتاب **موسوعة الموصل الحضارية**، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (1991).

31. الجنابي، قيس حاتم هاني: دراسة في نشأة النقود في بلاد ما بين النهرين، **مجلة كلية التربية الأساسية**، العدد 16، جامعة بابل، حزيران (2014).

32. الجميلي، عامر عبد الله: **الكاتب في بلاد الرافدين القديمة**، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور حسين ظاهر حمود، كلية الآداب، جامعة الموصل (2001).

33. الجواري، رائد راكان قاسم عبد الله: المفاهيم الجغرافية البشرية في حضارة وادي الرافدين، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد 4، العدد 2، (2006).

34. حسان، أحمد عبد الرحمن عابدين: المعاهدات الدولية: **دراسة في تاريخ العراق القديم في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد**، أطروحة دكتوراه، بإشراف الدكتور محمد عادل

محمد عبد المنعم والدكتور محمد الشحات عبد الفتاح شاهين، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق (2006).

35. حبة، فرج: الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم، **مجلة سومر**، المجلد 25، العددان 1، 2، مديرية الآثار العامة، بغداد (1969).

36. حبيب، طالب منعم: **سنحاريب (سيرته ومنجزاته 704 ـ 681 ق.م)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد (1986).

37. حديد، حسيب إلياس: الجذور التأريخية لتقديم المرق في بلاد الرافدين، عن **دراسات في حضارة بلاد الرافدين**، ترجمة وإعداد الدكتور حسيب إلياس حديد، مراجعة الأستاذ حسن طه السنجاري والدكتور عامر الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت (2014).

38. الحمداني، ياسر هاشم حسين: **وسائط النقل في العراق القديم**، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، بإشراف الأستاذ الدكتور حسين ظاهر حمود، كلية الآداب، جامعة الموصل (2002).

39. ديورانت، ول وإيرل: **قصة الحضارة (الشرق الأدنى) ج2 المجلد 1**، ترجمة محمد بدران، بيروت، تونس (2007).

40. دي شاي، جان وريموند بلوش: **دليل حضارات الشرق الأدنى القديم**، ترجمة سهى محمد حسن الطريحي، دار الجواهري، بغداد (2013).

41. الراوي، فاروق ناصر: حضارة العراق تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، **الفصل الثامن ـ العلوم والمعارف،** دار الجيل، بيروت (1985).

42. الراوي، فاروق: اقتصاد المدينة العراقية القديمة، **كتاب المدينة والحياة المدنية،** ج1، تأليف نخبة من أساتذة التاريخ، دراسات في تاريخ العراق وحضارته، بغداد (1988).

43. الراوي، هالة عبد الكريم سليمان كرموش: **المسلات الملكية في العراق القديم (دراسة تاريخية ـ فنية)**، رسالة ماجستير في التأريخ القديم، جامعة الموصل، كلية الآداب، الموصل (2003).

44. رشيد، فوزي: العلوم الإنسانية والطبيعية، **موسوعة الموصل الحضارية**، المجلد الأول، جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل (1991).

45. ساكز، هاري: **قوة آشور**، ترجمة الدكتور عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد (1999).

46. ساغز، هاري: **عظمة آشور**، ترجمة خالد عيسى وأحمد غسان سبانو، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر، دمشق (2008).

47. سعدون، أباذر راهي، سهيل، مصطفى كاظم: الرسائل في بلاد الرافدين (دراسة في ضوء النصوص المسمارية)، **مجلة كلية التربية**، جامعة واسط، المؤتمر العلمي الدولي الحادي عشر، نيسان (2019).

48. سعيد، خليل: **معالم من حضارة وادي الرافدين**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء (1984).

49. سعيد، مؤيد: المدن الدينية والمعابد، **كتاب المدينة والحياة المدنية**، ج1، تأليف نخبة من أساتذة التأريخ، دراسات في تاريخ العراق وحضارته، بغداد (1988).

50. سعيد، باسل أياد: **الثروة الحيوانية في العراق القديم**، رسالة ماجستير في الآثار العامة بإشراف الدكتورة أحلام سعد الله صالح الطالبي، كلية الآداب، جامعة الموصل (2008).

51. سلمان، عيسى: **الأزياء الآشورية**، بغداد (1971).

52. سلمان، كاظم جبر: أثر الدعاية الإعلامية في سير الأحداث السياسية في مدينة بابل خلال الألف الأول ق.م، **كتاب المؤتمر العلمي الحادي عشر لجامعة بابل**، بابل (2010).

53. سليم، سعيدي: **القانون والأحوال الشخصية في كل من العراق ومصر (2050 ـ 332 ق.م)، دراسة تاريخية مقارنة**، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور بن لحرش عبد العزيز، كلية العوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، الجزائر قسنطينة (2010).

54. سليمان، عامر: التراث اللغوي، **كتاب حضارة العراق** ج1، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، دار الجيل، بيروت، بغداد (1985).

55. سليمان، عامر: قدف المحصنات، من **موسوعة القانون في العراق القديم** ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1989).

56. سليمان، عامر: الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية، **كتاب المدينة والحياة المدنية** ج1، تاليف نخبة من أساتذة التاريخ، دراسات في تاريخ العراق وحضارته، بغداد (1988).

57. سمار، سعد عبود، وعزيز، علي جبار: الجندي في المملكة الآشورية الحديثة (911 ـ 612 ق.م) بين الضغط النفسي والانتماء العرقي، **مجلة كلية التربية**، العدد العاشر، واسط (2018).

58. شيت، أزهار هاشم، وعلي، صمود حسين: بعض الوسائل المستخدمة لمعالجة الأمراض في بلاد آشور، **دراسات موصلية**، العدد 34، أيلول (2011).

59. الصالح، مصلح: **الشامل (قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية)، إنجليزي ـ عربي**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض (1999).

60. الصوفي، شذى بشار حسين محمد: **دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين**، رسالة ماجستير بإشرف خالد سالم إسماعيل، قسم الآثار، كلية الآداي، جامعة الموصل (2004).

61. طاهر، أحمد كاظم، ومحمد، فائق منصور: الآلات والأدوات الزراعية في بلاد الرافدين، **مجلة الأداب**، العدد 129، حزيران (2019).

62. العبادي، معاذ حبش خضر: **الحوليات الملكية في العصر الآشوري الحديث دراسة تحليلية،** (رسالة ماجستير بإشراف خالد سالم إسماعيل)، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم الآثار، الموصل (2006).

63. العبادي، معاذ حبش خضر: **المجالس في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية**، أطروحة دكتوراه، بإشراف الدكتور عامر سليمان إبراهيم، كلية الآداب، جامعة الموصل (2012).

64. عبد الحق، حسان: العمارة الملكية في بلاد وادي الرافدين وسوريا في المدة الممتدة من نهاية الألف الثالث قبل الميلاد حتى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد (من أواخر عصر البرونز القديم إلى نهاية عصر البرونز الحديث)، **مجلة جامعة دمشق**، المجلد 30، العدد 3-4 (2014).

65. عبد الرحمن، يونس: نهر الخوصر في المصادر المسمارية، **مجلة آثار الرافدين**، المجلد الأول، العدد الأول، الموصل (2012).

66. عبد الكريم، قصي منصور: شذرات من كنوز التراث العراقي القديم في جوانب من العلوم والمعارف الإنسانية، **مجلة عصور الجديدة**، العدد 14-15، صيف ـ خريف (أكتوبر) (2014).

67. عذاب، نضال ذاكر: فلسفة العدالة في الفكر الرافديني القديم، كلية الآداب، قسم الفلسفة، **مجلة آداب المستنصرية**، العدد 53، (2010).

68. علي، سعيد إسماعيل: **التربية في حضارات الشرق القديم**، عالم الكتب، القاهرة (1999).

69. العلي، فائز هادي: البناء في بلاد الرافدين (مفهومه والعوامل المؤثرة فيه)، **مجلة دراسات في التاريخ والآثار**، العدد 53 جمادي الآخرة 1437 هـ ـ نيسان 2016.

70. علي، فائز هادي: أثر الاقتصاد في العمارة العراقية، **مجلة دراسات في التأريخ والآثار**، العدد 66، تشرين الأولى (2018).

71. العلوش، إيمان هاني: طبقات المجتمع الآشوري في ضوء المصادر المسمارية، **مجلة دراسات موصلية**، العدد 30، آب (2010).

72. علي، إيمان هاني سالم: **الحياة الاجتماعية في بلاد آشور في ضوء المصادر السومرية**، أطروحة دكتوراه بإشراف أ. د. علي ياسين أحمد، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الموصل (2006).

73. علي، محمد عبد اللطيف محمد: **المراكز التجارية الآشورية بوسط آسيا الصغرى في العصر الآشوري القديم (من أواسط القرن العشرين إلى أواسط القرن الثامن عشر ق.م)**، د. ن، الإسكندرية (1984).

74. علي، ياسمين عبد الكريم محمد: **الآثاث في العصر الآشوري (911 ـ 612 ق.م)**، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب قسم الآثار (2004).

75. علام، نعمت إسماعيل: **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**، ط 6 دار المعارف، القاهرة (1992).

76. غزالة، هديب حياوي، المهنا، رشا ثامر: مجد الدولة الآشورية في العصر الحديث (911 ـ 612 ق.م) العوامل، الجهود الملكية، **مجلة القادسية للعلوم الإنسانية**، السنة:

2008 المجلد: 11 الإصدار: 1-2 الصفحات: 179 ـ 194، القادسية (2008).

77. الفتيان، أحمد مالك: **نظام الحكم في العصر الآشوري (أطروحة دكتوراه في الآثار القديمة)**، بإشراف الدكتور تقي الدباغ، كلية الآداب، جامعة بغداد (1991).

78. أبو الفداء، إسماعيل بن عليّ بن محمود (672 هـ/ 1273م ـ 732هـ / 1331م): **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت (1964).

79. قاشا، سهيل: **تأريخ الفكر في العراق القديم**، مكتبة السائح، دار التنوير، بيروت (2008).

80. القطان، شعيب فراس إبراهيم: **مسائل رياضية في ضوء نصوص منشورة وغير منشورة**، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، بإشراف الدكتورة باسمة جليل عبد، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، بغداد (2018).

81. كانجيك، إيفا وشباوم، كير: **تأريخ الآشوريين القديم**، ترجمة د. فاروق إسماعيل، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (2008).

82. لابات، رينيه (Labat, R)، **قاموس العلامات المسمارية**، ترجمة الأب البير أبونا ود. وليد الجادر وخالد سالم إسماعيل، مراجعة وإشراف د. عامر سليمان، بغداد 2004 العلامة 334.

83. لافو، صوفي: المؤسسات القضائية في بلاد الرافدين، عن **دراسات في حضارة بلاد الرافدين**، ترجمة وإعداد الدكتور حسيب إلياس حديد، مراجعة الأستاذ حسن طه السنجاري والدكتور عامر الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت (2014).

84. لوكاس، كرستوفر: حضارة الرقم الطينية في العراق القديم، الموسوعة الصغيرة 61، دار الجاحظ للنشر ـ وزارة الثقافة والإعلام، بغداد (1980).

85. الماجدي، خزعل: **عراق ما قبل التاريخ (الكتاب الأول من سلسلة عراقولوجي)**، دار الرافدين للنشر والتوزيع، بيروت (2017).

86. محمد، حياة إبراهيم: **نبوخذنصر الثاني، المؤسسة العامة والتراث**، بغداد (1983).

87. محمد، هيفاء أحمد عبد الحاج: **ألقاب حكام وملوك العراق القديم،** رسالة ماجستير بإشراف الدكتور عامر سليمان، كلية الآداب، جامعة الموصل (2007).

88. محمد، نبيل نور الدين حسين: **الحملات العسكرية الآشورية: دوافعها ونتائجها في ضوء النصوص المسمارية المنشورة،** أطروحة دكتوراه بإشراف الدكتور علي ياسين أحمد، جامعة الموصل، كلية الآداب (2006).

89. المحمد، سعد نوري أحمد عبد القادر: **الكتابات المسمارية على الأواني في العراق القديم**، رسالة ماجستير، بإشراف خالد سالم إسماعيل، كلية الآثار، جامعة الموصل (2009).

90. مظلوم، طارق: **الأزياء الآشورية**، مديرية الآثار العامة، سلسلة الأزياء العراقي 3، بغداد (1971).

91. المعماري، رعد سالم محمد جاسم: **الأَحجارُ والمعادنُ في بلادِ الرافدين في ضوءِ المصادرِ المسماريِّةِ**، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ خالد سالم إسماعيل، كلية الآداب، جامعة بغداد (2006).

92. مورتكات، أنطوان: **الفن في العراق القديم** ج2، ترجمة وتعليق د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، مديرية الآثار العامة، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد (1975).

93. الموزاني، زيدان خلف: **من العقوبات المشددة في القوانين العراقية القديمة**، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 21، (2016).

94. الهاشم، ثريا عبد الله: **الأمومة والطفولة في تشريعات بلاد الرافدين (2500 ـ 500 ق.م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، بإشراف الدكتور عبدالله بن عبد الرحمن العبد الجبار (2012).

95. هودجز، هنري: **التقنية في العالم القديم**، ترجمة رندة قاقيش، مراجعة د. محمود أبو طالب، الدار العربية للتوزيع والنشر، عمان (1988).

96. النجاري، غسان مراد حجي: **العناصر الزخرفية في الفن الآشوري**، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، كلية الآداب، جامعة الموصل، إشراف الدكتور حسين ظاهر حمود، الموصل (2005).

97. النعيمي، راجحة عباس خضر، **الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد (1976).

98. النعيمي، شيماء علي: الأسماك في ضوء المصادر المسمارية والمنحوتات الأثرية الآشورية، **مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية**، المجلد 5، العدد 13، السنة الخامسة أيار (2018).

**المراجع الأجنبية**

1. Alexander، M. Wayne and Violet, William: Trade from Assyrian Aššur to Anatolian Kaneš in the 19th Century B.C.E. **Journal of Management and Marketing Research**، (2020).

2. Amrhein, A: Neo-Assyrian gardens: a spectrum of artificiality, sacrality and accessibility. **Studies in the History of Gardens & Designed Landscapes,** (35) (2015).

Al-Rawi, Farouk N.H.: «Inscriptions from the Tombs of the Queens of .3 Assyria», ***New Light on Nimrud Proceedings of the Nimrud Conference th March 2002***, (Eds.) J.E.Curtis-H.McCall-D.Collon-L.al- ***13 - 11 th*** .Gailani Werr, British Museum, London (2008)

Ascalone, E.: ***Mesopotamia, Assyrians, Sumerians, Babylonians***, .4 Translated by Rosanna M. Giammonca Frongia, University of California .Press, London (2007)

Belibtreu, Erika: Grisly Assyrian Record of Torture and Death، Editor, H. .5 .S. BAR 17:01 (Jan/Feb 1991). **Biblical Archaeology Society**. (2002)

Black, Jeremy & Green، Anthony: **Gods, Demons and Symbols of** .6 .**Ancient Mesopotamia**, London: British Museum Press, (2004)

Bertman، Stephen: **Handbook to Life in Ancient Mesopotamia**, ISBN .7 York (2003). 0816043469 ,9780816043460

BRILL، Robert H.: «Some Chemical Observations on the Cuneiform .8 Glassmaking Texts.» **Annales du 5e Congrès de l'Association Internationale pour l'Histoire du Verre**. Liège: Edition du Secrétariat .Général,(1972)

Clarke، Joseph Thacher: A Proto-Ionic Capital from the Site of Neandreia، .9 **The American Journal of Archaeology and of the History of the Fine** .(Mar., 1886 - .Jan) **Arts**, Vol. 2,No. 1

10. Crouch، Carly L.: **War and Ethics in the Ancient Near East Military - Violence in Light of Cosmology and History** - (2009),De Gruyter.

11. Dalley, Stephanie: «**Ancient Mesopotamian Gardens and the Identification of the Hanging Gardens of Babylon Resolved**,» Garden History, Vol. 21, No. 1. (Summer, 1993).

12. Dalley, S.: **Nineveh, Babylon and the Hanging Gardens: Cuneiform and Classical Sources Reconciled.** Iraq, (1994).

13. Deligiannis، Periklis: **Assyrian urbanization as a means of ethnic expansion**: Tracing the interdependent urban and ethnic expansion of the Assyrian people from city to city, https://www.academia.edu (2014).

14. De Camp,L. Sprague: The Ancient Engineers (New York: Doubleday, 1974), 51-52; Christopher J. Eyre,»The Agricultural Cycle, Farming, and Water Management in the Ancient Near East,» **in Civilizations of the Ancient Near East**, Vol. 1, ed. by Jack Sasson (Peabody, MA: Hendrickson, 1995).

15. Dick, M. B.: The Neo-Assyrian Royal Lion Hunt and Yahweh's Answer to Job. **Journal of Biblical Literature**, (125), (2006).

16. Dumbrill ,R: **The Archaeomusicology of the Ancient Near East**، Traford Publishing (1998).

17. Eyre: Ch. J.: The Agricultural Cycle, Farming, and Water Management in the Ancient Near East, in **Civilizations of the Ancient Near East, Vol. 1**,

180-182; H.W.F. Saggs, The Might That Was Assyria (London: Sidgwick .& Jackson, 1984)

Frankfort H.: **Kingship and the Gods**، Astudy of Ancient Near Eastern .18 .Religion as the Integration of Society and Nature، Chicago (1969)

Finkelstein, J. J.: «Subartu and Subarians in Old Babylonian Sources,» .19 .**Journal of Cuneiform Studies 9**, no. 1 (1955)

Grayson, A. Kirk: **Assurnasirpal 2 Banquet Stele composite**، UCLA .20 Library ARK,21198/z1bv8ndw (1991). https://cdli.ucla.edu/search/search_results.php?SearchMode=Text&ObjectID=P463664

Groß,Melanie & Kertai ,Kertai: Becoming Empire: Neo-Assyrian .21 palaces and the creation of courtly culture, **Journal of Ancient History** | .Volume 7: Issue 1, Published online: 11 Jun 2019

Gyllenbok, Jan: **Encyclopaedia of Historical Metrology**, Weights, and .22 Measures (eBook) Volume 1 ,Science Networks Historical Studies 56 .Birkhäuser (2018)

Haidar، Diana R.: **Assyrian Iron Working Technology and** .23 .**Civilization**, Wisconsin University (Madison) (2011)

Harper, Prudence O., Evelyn Klengel-Brandt, Joan Aruz, and Kim .24 Benzel: **Assyrian Origins: Discoveries at Ashur on the Tigris**: Antiquities

in the Vorderasiatisches Museum, Berlin, Metropolitan Museum of Art New
.York (1995)

Hayakawa, Hisashi et.al: The Earliest Candidates of Auroral .25
Observations in Assyrian Astrological Reports: Insights on Solar Activity
around 660 BCE, The American Astronomical Society. **The Astrophysical**
**.Journal Letters**, Volume 884, Number 1, October 7 (2019)

Humphris, Sam: In what ways did the Neo-Assyrian Empire utilise the .26
techniques of psychological warfare and siege warfare during the period
610BC? School of Oriental and African Studies, University of - 934
.London https://**www.academia.edu**/6202629. (2020)

Hunt, Norman Bancroft: **Living in Ancient Mesopotamia Thalamus**، .27
.Publishing Chelsea House books ,NewYork (2009)

Irving L. Finkel and Julian E. Reade: **Assyrian Hieroglyphs**، Zeitschrift .28
.(Fur Assyriologie Und Vorderasiatische Archaologie ,)1996

Karlsson, Mattias: **Early Neo-Assyrian State Ideology Relations of** .29
**Power in the Inscriptions and Iconography ofAshurnasirpal II (883–**
**859) and Shalmaneser III (858–824)**، Uppsala University, ISBN 978-91-
.506-2363-5 Uppsala, Sweden.(2013)

Karlsson، Mattias: **The Depictions of the»Other» on the Balawat** .30
**Gates**, Uppsala University, Disciplinary Domain of Humanities and Social

Sciences, Faculty of Languages, Department of Linguistics and Philology. .(2016)

Koch. J.: **Neue Untersuchungen zur Topographie des Babilonischen** .31 **.Fixsternhimmels** ,Wiesbaden (1989)

LEICK, GWENDOLYN: **A Dictionary of ANCIENT NEAR** .32 **EASTERN ARCHITECTURE**، Routledge 11 New Fetter Lane, London .(2003)

Luckenbill, Daniel David: **The Annals of Sennacherib**, Oriental .33 .Institute Publications 2 (PDF) 2005. University of Chicago Press، (1924)

Martha T. Roth.: Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor .34 2nd ed. **SBL Writings from the Ancient World Series**, vol.6. Atlanta: .SBL Press, (1997)

Melville, Sarah C.: The role of Naqia/Zakutu in Sargonid politics. .35 Helsinki: Neo-Assyrian ,**Text Corpus Project**. ISBN 9514590406. .(1999)

Meek, Theophile, trans. (1969). The Middle Assyrian Laws. In James .36 B. Pritchard (ed.), **Ancient Near Eastern texts: Relating to the Old** **.Testament**. Princeton, N.J: Princeton University Press

Milano, Lucio: PALEONUTRITION AND FOOD PRACTICES IN .37 THE ANCIENT NEAR EAST, TOWARDS A MULTIDISCIPLINARY APPROACH ,**History of the Ancient Near East / Monographs**،

Lanfranchi, Giovanni-Battista, S.A.R.G.O.N. Editrice e Libreria Padova
.(2014)

Nadali، Davide &Vidal، Jordi: The Other Face of the Battle (The Impact .38
of War on Civilians in the Ancient Near East) **Ugarit-Verlag Münster**
.(2014)

Olmstead, A. T.: **History of Assyria** ,The University of Chicago .39
.(1960)

Oppenheim, A. Leo: **The interpretations of Dreams in Ancient Near** .40
**.Eest with aTranslation** (1956)

Parpola, S.,: Neo-Assyrian Treaties from the Royal Archives of .41
.Niniveh», **Journal of Cuneiform Studies**, Vol.39, No.2, Autumn,(1987)

Parpola, S.: «The Neo-Assyrian Word for»Queen»«,**State Archives of** .42
**.Assyria Bulletin**, Vol.2, No.2,(1988)

PRINCE، J. DYNELEY: The God-name Ninib، **JOURNAL OF** .43
**BIBLICAL LITERATURE**، The Society of Biblical Literature is
.collaborating with JSTOR، 82.168.249.187 on Sun, 05 Apr (2020)

Ragozin, Zénaïde Alexeïevna: **Assyria From the Rise of the Empire to** .44
**the Fall of Nineveh** (Continued from the Story of Chaldea.) Publisher: THE
STORY OF THE NATIONS, NEW YORK ,G. P. PUTNAM'S
.SONS,LONDON: T. FISHER UNWIN (1898)

45. Radner, Karen: «The King's Road ـ the imperial communication network». **Assyrian empire builders**. University College London (2012).

46. Radner, Karen: «**Royal pen pals: the kings of Assyria in correspondence with officials, clients and total strangers (8th and 7th centuries BC)**» (PDF). In S. Prochazka, L. Reinfandt and S. Tost (eds.). Official Epistolography and the Language(s) of Power. Austrian Academy of Sciences Press. (2015).

47. Rawlinson، George: **The Seven Great Monarchies Of The Ancient Eastern World**, Vol 2. (of 7): Assyria, The History, Geography, And Antiquities Of Chaldaea, Assyria, Babylon, Media, Persia, Parthia, And Sassanian or New Persian Empire; With Maps and Illustrations, eBook or online at www.gutenberg.net. (2016).

48. Reade، J. E.: **A Glazed-Brick Panel from Nimrud, British Institute for the Study of Iraq**، Stable URL: http://www.jstor.org/stable/4199730، Iraq, Vol. 25, No. 1 (Spring, 1963).

49. Rede، Marcelo: The image of violence and the violence of the image: War and ritual in Assyria (Ninth ـ seventh centuries BCE), Varia Historia vol.34 no.64 **Belo Horizonte** (Jan./Apr. 2018).

50. Rowton, M. B.»Ancient Western Asia» in: W. H. Hayes, M. B. Rowton, F. H. CAH, Revised Edition of **CAH** Volumes I & II, (Cambridge University Press, 1) pp. 44-45; M. B. Rowton, CAH I, Part 1, (1976).

51. Rumor, Maddalena: http://**www.asor.org**/anetoday/2018/05/Alchemy-Between-Two-Rivers.(2018).

52. Roth. Martha T.: Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor 2nd ed. **SBL Writings from the Ancient World Series**, vol.6. Atlanta: SBL Press, (1997).

53. Saggs, H.W.F.: **The Might that Was Assyria**. New York, St. Martin's Press. (1984).

54. Sinha, Ashish & Kathayat، Gayatri: Climate change fueled the rise and demise of the Neo-Assyrian Empire, superpower of the ancient world, https://**theconversation.com**/climate-change-fueled-the-rise-and-demise-of-the-neo-assyrian-empire-superpower-of-the-ancient-world-126661 (2019).

55. Schneider, A.W. & Adalı, S.F.»No harvest was reaped»: demographic and climatic factors in the decline of the Neo-Assyrian Empire. **Climatic Change**. DOI 10.1007/s10584-014-1269-y,(2014).

56. SPENCE. LEWIS F.R.A.I.: **MYTHS & LEGENDS OF BABYLONIA & ASSYRIA**، GEORGE G. HARRAP & COMPANY, LTD. 2 & 3 PORTSMOUTH STREET KINGSWAY W.C. (1916).

57. Spurrier، Tracy L.: The Life and Health of Assyrian Queens، **Findings of Astor**، Vol. III, No. 6، June (2015).

58 Stol, Marten: Women in the Ancient Near East, Translated by Helen and Mervyn Richardson, 2016 Walter de Gruyter Inc., Berlin,(2016).

.Strommenger, E.: **The Art of Mesopotamia**, London,(1964) .59

Svärd, S.: **Power and Women in the Neo-Assyrian Palace**, Helsinki .60
.University Print, Helsinki(2012)

Teppo, S.: **Women and Their Agency in The Neo-Assyrian Empire**, .61
.MA Thesis, University of Helsinki, Helsinki (2005)

Thompson، R. Campbell: **On the Chemistry of the Ancient Assyrians.** .62
.(London: Luzac and Co). (1925)

Ultimate Bible Dictionary(UBD): **A Quick and Concise Guide to the** .63
**People, Places, Objects, and Events in the Bible** (Ultimate Guide) eBook:
.Holman Bible Editorial Staff.(2019)

Weiss, Harvey: Tell Leilan on the Habur Plains of Syria، The American .64
Schools of Oriental Research, Stable URL:
.http://**www.jstor.org**/stable/3209945، (2010)

Wiseman, D.J.: «A new stela of Aššur-naṣir-pal II», Iraq 14, pp. 24-44; .65
Grayson, A.K., 1991. Assyrian Rulers of the Early First Millennium BC: I
(1114-859 BC) (**Royal Inscriptions of Mesopotamia. Assyrian Periods.**
Volume 2), Toronto: University of Toronto Press, pp. 288-293,
.RIMA.0.101.30. (1952)

Younger K. Lawson, Jr.: **Ancient Conquest Accounts**: A Study in .66
Ancient Near Eastern and Biblical History Writing, Sheffield Academic
.Press, Worcester, (1990)

67. Zimmern’s Das Princip unserer Zeit-und Raumteilung, in the Berichten d. philolog. **histor. Classe d.** Königl. Sächs. Gesellschaft der Wissenschaften zu Leipzig. November 14, (1901).

**المراجع الشبكية (الإنترنيت)**

ريكو كاواباتا ـ من الممكن أن يكون تغيُّر المناخ مرتبطًا بانهيار الإمبراطورية الآشورية، تاريخ الاطلاع 4/ 4/ 2020، موقع:

(https://www.natureasia.com/ar/nmiddleeast/article/10.1038/nmiddleeast.2019.162

Shamun، Bailis Yamlikha: One Step Forward, Five Backward Perspective: Guest-Editorial ,The Assyrian Star, Volume 34, No. 2, March-April 1985.Posted: Tuesday, March 13, 2012 at 03:19 PM UTC http://www.atour.com/news/perspective/20120313a.html

باين، روبرت: المرأة والأصولية والإرهاب: أصداء من بلاد آشور القديمة، ترجمته من الإنكليزية نسرين نادر، موقع بيروت الشرق الأوسط، (2017). تاريخ الاطلاع 20 / 4 / 2020 رابط الموقع:

https://lb.boell.org/ar/2017/02/15/lmr-wlswly-wlrhb-sd-mn-bld-ashwr-lqdym#_edn2(https://classicalastrologer.me/assyrian-astrology-2/)

Allène، Simone: Phuket: The ancient ways of breathing underwater، (2012),https://www.thephuketnews.com.**تم** الاطلاع عليه في 12 كانون الثاني 2020

انظر (Architectural Watercolors: 2011)

http://architecturalwatercolors.blogspot.com/2011/12/ionic-order.html

انظر https://www.merriam-webster.com/dictionary/assimilation

باربولا، سيمو: الآشوريون بعد سقوط بلاد آشور، ترجمة زكاي نينوايا، موقع بيت نهرين (2004)،

http://www.betnahrain.net/Arabic/History/Fall%20of%20Assyria.htm

تم الاطّلاع عليه في 15، 2/ 2020.

https://lb.boell.org/ar/2017/02/15/lmr-wlswly-wlrhb-sd-mn-bld-ashwr-lqdym#_edn2

انظر The Life and Health of Assyrian Queens, asor Tracy L. Spurrier

http://www.asor.org/anetoday/2015/06/the-life-and-health-of-assyrian-queens/

تاريخ الاطّلاع والترجمة الملخصة 15/ 5/ 2020.

(Laura Kelly: An Assyrian Banquet 2011). تاريخ الاطّلاع 15/ 5/ 2020

https://silkroadgourmet.com/an-assyrian-banquet/

OLIVER، MARK: 10 Horrors Of Being Invaded By The Assyrian Army

https://listverse.com/2016/12/07/10-horrors-of-being-invaded-by-the-assyrian-army/

Laura Clark.SMITHSONIANMAG.COM. JANUARY 26, 2015

https://www.smithsonianmag.com/smart-news/ancient-assyrian-soldiers-were-haunted-war-too-180954022/ تاريخ الاطّلاع 19/ 5/ 2020

(https://classicalastrologer.me/assyrian-astrology-2/)تاريخ الاطّلاع 15/ 6/ 2020.